اعتقاد أئمة الحديث

أصول الاعتقاد عند أهل الحديث

نبدأ الآن في قراءة متن العقيدة ويقرأها هشام الشعلان.

قال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي -رحمه الله تعالى- في بيان اعتقاد أهل السنة:

اعلموا -رحمنا الله وإياكم- أن مذهب أهل الحديث، أهل السنة والجماعة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وقبول ما نطق به كتاب الله تعالى ، وما صحت به الرواية عن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لا نعدل عما ورد به، ولا سبيل إلى رده إذ كانوا مأمورين باتباع الكتاب والسنة، مضمونا لهم الهدى فيها، مشهودا لهم، بأن نبيهم ﷺ يهدي إلى صراط مستقيم، محذرين في مخالفته الفتنة والعذاب الأليم، ويعتقدون أن الله - تعالى- مدعو بأسمائه الحسنى موصوف بصفاته، التي سمى ووصف بها نفسه، ووصفه بها نبيه ﷺ خلق آدم بيده، ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء، بلا اعتقاد كيف.

وأنه ﷻ استوى على العرش بلا كيف، فإن الله -تعالى- أنهى إلى أنه استوى على العرش، ولم يذكر كيف كان استواؤه، وأنه مالك خلقه، وأنشأهم لا عن حاجة إلى ما خلق، ولا لمعنى دعاه إلى أن خلقهم، لكنه فعال لما يشاء، ويحكم ما يريد، لا يسأل عما يفعل، والخلق مسئولون عما يفعلون.

وأنه مدعو بأسمائه الحسنى، وموصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه، وسماه ووصفه بها نبيه -عليه الصلاة والسلام- لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء، ولا يوصف بما فيه نقص أو عيب أو آفة، فإنه ﷻ تعالى عن ذلك.

وخلق آدم -عليه السلام- بيده، ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء بلا اعتقاد كيف يداه، إذ لم ينطق كتاب الله - تعالى- فيه بكيف.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أسعد الله أوقاتكم بكل خير.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإني أهنئكم -أيها الإخوة، أيها الشباب- بهذه النية التي دفعتكم إلى هذه المساجد، وإلى هذه الدورات، وإلى تلقي هذه العلوم، فإنها خصلة حميدة، وإنها فائدة عظيمة وحسنة كبيرة، اختص بها من اهتم لطلب العلم لطلب الفائدة، فما أعظمها من فائدة، وما أعظمها من حسنة سواء الذين أتوا من الأحياء السكنية في أطراف الرياض، أو الذين جاءوا من خارج الرياض من البلاد الأخرى، أو الذين جاءوا من خارج المملكة وفارقوا بيوتهم، وأهليهم، وأوطانهم كل هؤلاء نهنئهم بأنها خصلة حميدة، وبأن الله -تعالى- أراد بهم خيرا؛ لقول النبي ﷺ ﴿ من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له به طريقا إلى الجنة ﴾ .

ولم يفرق بين الطريق البعيد والطريق القريب، ولا شك أن الطريق البعيد الذي يسلكه فيه يقطع فيه -مثلا- مئات الكيلوات، أو ألوفها أنه أعظم أجرا، حيث إنه عمل على مشقة وصعوبة، والأجر على قدر النصب، وقد ثبت أن النبي ﷺ لما ذكر فضل العلم قال: ﴿ إن العالم ليستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر ﴾ .

وليس العالم هو العالم الرباني، بل كل من علم علما -ولو قليلا- يصدق عليه أنه عالم ولو بآية، أو بآيات، أو بآحاديث، أو بنوع من العلوم، فأنتم يصدق عليكم أنكم علماء، فتستغفر لكم الملائكة، فتستغفر لكم الدواب، حيتان البحر تستغفر لكم، وكذلك تتواضع لكم الملائكة ﴿ إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ﴾ فيعني: تتواضع لطالب العلم رضا بما يصنعه، وكذلك -أيضا- فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، الذي يشتغل بالعبادة، يشتغل بالصلوات، وبالتهجد، وبالصيام، وبالركوع، والسجود، وبالذكر، والدعاء، ونحو ذلك ولم يشتغل بطلب العلم وبتعلمه وبالتفقه في الدين بينهما فرق كبير أخبر في هذا الحديث بالفرق بينهما، وأن فضل

هذا على هذا كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، لا شك أن هذه خصال حميدة يشجع عليها من تجشم المشقة وصبر على هذه المشقات وواصل التعلم، ونهنئكم بأنكم، وأنتم -والحمد لله- قد حصلتم على علم كبير وكثير، حتى ولو معرفة آية، أو معرفة حديث، يحفظها الإنسان مثلا، أو يعقل معناها، ويفهمه، ويعرف ما تدل عليه، فإن هذا علم كبير لا يقاس بغيره، يفوق غيره ممن فاتته هذه الكلمة، أو فاتته هذه الآية.

الموضوع الذي نتطرق إليه هو موضوع اعتقاد أئمة الحديث، اعتقاد المحدثين واعتقاد أهل السنة جميعا، ولا شك أن اعتقادهم هو اعتقاد الرسل جميعا، فرسل الله -تعالى- من أولهم إلى آخرهم على عقيدة واحدة، لم يختلف واحد منهم عن الآخر في أمر العقيدة، بل كلهم عقيدتهم واحدة، وما ذاك إلا أن هذه العقيدة التي يدعون إليها، ويؤصلونها هي أمور يعقد القلب عليها مما يتعلق بالأمور الغيبية، وما ينتج عنها من الآثار الحسنة، والأصل فيها أنها علوم مستوحاة من كتب الله -تعالى- ومما بلغته رسله.

هذا الأصل أنها مأخوذة من الكتاب والسنة، ومما جاءت به الرسل، الرسل كلهم على معتقد واحد، على عقيدة واحدة ليس بينهم اختلاف ثبت أن النبي ﷺ قال: ﴿ نحن معاشر الأنبياء أولاد علات، ديننا واحد ﴾ أولاد علات: هم الذين أبوهم واحد، وأمهاتهم مختلفة بمعنى أن أصل الدين الذي هو العقيدة متفق عليه بين أنبياء الله كلهم، متقدمهم ومتأخرهم.

وأما الشرائع والفروع فيحصل بينها اختلاف بحسب المناسبات ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ ولكن أمر العقيدة متفقون فيه، وهكذا جاءت الرسل بأمر هذه العقيدة، وإذا كان كذلك، فمن المهم تعلم هذه العقيدة أن يتعلمها كل مسلم؛ حتى يكون مصدقا لما جاءت به الرسل، ومؤمنا به إيمانا كاملا؛ وحتى يكون متبعا لهم حقيقة الاتباع مقتفيا لآثارهم؛ ليحشر في زمرتهم هذا هو حقيقة أمر العقيدة، أو فائدة العقيدة، ولا شك أن عقيدة أهل السنة، وأئمة الحديث أنها كلها مأخوذة من الوحيين؛ من كتاب الله تعالى، ومن سنة رسله، عليهم الصلاة والسلام. مأخوذة من الوحيين.

ومعلوم أن الأدلة التي تؤخذ من الوحيين أدلة قطعية قطعية الثبوت، وقطعية الدلالة لا يتطرق إليها شك ولا توقف، من توقف فيها وشك فيها فهو ضال مضل، من شك في آية من كتاب الله وقال هذه لم تثبت، أو أنكر آية من القرآن، أو أنكر ثبوتها اعتبر مكذبا للرسل؛ لأن من كذب رسولا، فقد كذب الرسل كلهم، ومن كذب بخصلة يقينية مما جاء به الرسول، فقد كذب الرسالة كلها.

فإذاً نقول: إن هذه العقائد مأخوذة من أدلة قطعية؛ وذلك ليطمئن المسلم على صحة معتقده، ويعرف أنه حقا على عقيدة ثابتة راسخة، وأنها هي التي تبعث إلى الأعمال، العقيدة الراسخة الثابتة تنبع عنها الأعمال الصالحة؛ ولأجل ذلك نأخذ أمثلة أن الرسل لما تيقنوا أن ما جاءهم وحي من الله –تعالى– وأنه حق وصدق حملهم ذلك اليقين على أن صدعوا بالحق، وعلى أن قابلوا الأمم بما يكرهون، وعلى أن كلموا أممهم بكلام قوي؛ وذلك لأنهم واثقون بأن ما يدعون إليه كله حق، فنبينا ﷺ لما تيقن أن الوحي الذي جاءه من الله –تعالى– وأنه شرع الله، وأنه دينه، وأنه مرسل به ليبلغه صدع بالحق، ودعا إليه، وأظهره، وأعلنه ولقي من ذلك ما لقي، ولكنه صبر وصابر، فلقي الأذى، ولقي السفه، ولقي المقاطعة ولقي من آذاه بأنواع من الأذى كما هو معروف في سيرته، ولكن ذلك لم يزده إلا تصلبا، إلى أن أظهر الله –تعالى– دينه.

اشتهر عنه ﷺ قوله: ﴿ والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي على أن أترك ما جئت به لم أتركه حتى يظهره الله، أو أهلك دونه ﴾ أو كما قال.

لا شك أن الذي حمله على ذلك هو يقينه بأنه على حق، كذلك أيضا صحابته –رضي الله عنهم– لما أنهم تلقوا منه العقيدة، تلقوا منه هذه العقيدة، ورسخت في قلوبهم رسخت في قلوبهم، وثبتت أرسى من الجبال، كان لها آثار، آثارها أنهم صمدوا فيها، وصمدوا على هذا الإيمان، وثبتوا ثبوتا يقينيا، وصبروا على فراق الأهل والمال، وصبروا على الأذى الذي لاقوه كما هو منشور في تراجمهم، من تعذيب وضرب ووضع الصخور على صدورهم، وإلقائهم في الشمس مكتفين، وفي النهاية إخراجهم وطردهم من بلادهم، ومن أموالهم إخراجهم منها، ما الذي حملهم على تجشم هذه المشقات؟ هو العقيدة الراسخة الثابتة في قلوبهم.

وكذلك -أيضا- كان من آثارها أنهم اندفعوا يدعون إليها، يدعون إليها بكل ما يستطيعونه، اندفعوا يدعون إلي هذه العقيدة، وإلى هذا الدين حتى وصلوا البلاد البعيدة، وصبروا على الجهاد، وقاتلوا المشركين، وقتلوا من قتلوا، وقتل منهم من قتل، ما الذي حملهم على أن يقطعوا المسافات البعيدة للغزو؟ ما الذي حملهم على أن يقابلوا جيوش الروم وجيوش الفرس، وجيوش الترك، وجيوش الصقالبة، والزنوج، وغيرهم من المشركين الذين هم على أهبة القتال، ومعهم القوة، ومعهم الكثرة والصحابة في قلة وفي ضعف، ولكن معهم قوة الإيمان، ومعهم قوة العقيدة الذي دفعهم إلى أن أفنوا ما يملكونه من الأموال، وأنفقوه، وتعرضوا للقتل، أو تعرضوا لسفك الدماء، لا شك أن الذي حملهم على ذلك هو العقيدة التي رسخت، ورست في قلوبهم، وأشربتها القلوب، وأشربتها الجلود، وأشربتها الدماء والعروق.

فكانت مشربة بلحومهم وبدمائهم، هذا أثر هذه العقيدة في أولئك الصحابة، ويقال كذلك -أيضا- في من كان على هذه العقيدة في قديم الزمان وفي حديثه.

إذا ضعفت هذه العقيدة في القلب كانت عرضة للزوال، عرضة للتزعزع ولأجل ذلك كثير من الناس، الذين لم ترسخ العقيدة في قلوبهم ينحرفون بسرعة، ويرجعون القهقرى، ويكفرون بعد إيمانهم حيث إنهم لم يصلوا إلى اليقين الذي هو اليقين الحقيقي؛ لأن اليقين هو الإيمان كله كما ورد عن بعض السلف، أنهم قالوا: الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله، فاليقين هو الاعتقاد الصادق.

ذكر الله -تعالى- بعض الناس الذين ما رسخت العقيدة في قلوبهم، فذكر أنهم يتزعزعون، وأنهم ينحرفون قال الله -تعالى-: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ﴾ هكذا حالة بعض الناس الذين لم ترسخ العقيدة في قلوبهم، دخلوا في الإيمان مثلا، ولكن دخولهم كتجربة يقولون: ننظر في هذا الدين، فإن جاء بما يوافق أهواءنا، وما نحبه صرنا مع أهله، وإلا رجعنا إلى ما كنا عليه، فإن أصابهم خير: نصر ورزق وفتح ومال، وإقبال الدنيا عليهم، وما يسرهم، وما يحبونه من زهرة الدنيا، ومن زينتها اطمأنوا، وساروا على ما هم عليه على معتقدهم، ولو كان ضعيفا أما إذا ابتلوا، وأصيبوا في أموالهم، أو أبدانهم

بشيء من المصائب، فما أسرع رجوعهم، وما أسرع انقلابهم على أعقابهم ﴿ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ ﴾ إذا أصابته فتنة، إذا أوذي، أو اضطهد، أو نحو ذلك.

الله -تعالى- يبتلي العباد حتى يظهر من يكون راسخ العقيدة حقيقة ومن يكون غير صحيح المعتقد، فمثلا بعض الناس يدخل في الإسلام من غير المسلمين، ويجعل ذلك كتجربة، ويقول: ننظر في هذا الإسلام الذي يدعون إليه هؤلاء، فإن جاء بما يوافقنا، وإلا رجعنا إلى بلادنا وعشنا فيها، وعشنا على أدياننا التي كان عليها أسلافنا، قد يسلط الله عليهم ابتلاء وامتحانا، فيسلط الله عليهم الفقر، ويسلط عليهم المرض، ويسلط عليهم الأذى، فإذا جاءهم هذه المصائب، سبوا الدين، وسبوا هذا المعتقد، وقالوا: ليس في هذا الدين خير، بل منذ أسلمنا ونحن في هذه المصائب، إذا شفينا من مرض أتانا مرض بدله، وإذا سلط علينا إنسان، وتخلصنا منه، تسلط علينا آخر.

نقول: لهم اصبروا وصابروا، وتحملوا ما تلقونه من الأذى، إذا كنتم صحيحا من أهل العقيدة، تحملوا ذلك، ولا تتزعزعوا، ولا ترجعوا عما كنتم عليه، فتخسروا دينكم، وتخسروا حياتكم، فإن البلاء يسلط على الأنبياء وعلى أتباع الأنبياء، كما ورد في الحديث: ﴿ لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة ﴾ وقال في الحديث: ﴿ إن أشد بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة شدد عليه، وإلا خفف عنه ﴾ .

فالله -تعالى- ابتلى صحابة نبيه ﷺ عندما أسلموا، وأخبرهم بهذا الابتلاء، ولكن أمرهم بالصبر، اقرأ قول الله -تعالى-:

﴿ ۞ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٨٦ ﴾ فالذين صبروا واتقوا وتحملوا، ما حملهم على ذلك إلا أن بشاشة الإيمان باشرت قلوبهم، وأن العقيدة الصحيحة ملأت أفئدتهم، وأن الإيمان بالله والإيمان بدينه وبشريعته باشر أفئدتهم، وأشربت به لحومهم ودماؤهم، فعند ذلك صبروا، وقالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم

إلا إيمانا وتسليما، فنقول: إن هذه آثار العقيدة إذا، فأنت تعرف صادق العقيدة وقوي العقيدة، وتعرف الكاذب وضعيف العقيدة، ولكن لا يعرف ذلك ولا يظهر جليا إلا عند الامتحان، عند الامتحان يكرم المرء أو يهان.

والامتحان هنا معروف إنه من الله -تعالى- إنه يسلط على بعض العباد، قد يكون الأذى والتسليط على المؤمن صادق الإيمان، على راسخ الإيمان، ويكون هذا التسليط، وهذه المصائب التي تصيبه رفعا لدرجاته، وتكريما له وزيادة في حسناته، كما حصل للأنبياء، وقد تكون في حق المؤمن، كذلك -أيضا- رفعا لدرجاته، ولكنها في الحقيقة اختبار وامتحان لكثير من الناس في أمر إيمانهم، هل إيمانهم صادق، وهل هم صادقون أم لا؟ ولذلك قال الله -تعالى-: ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ وقال -تعالى-: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ فتنا الذين من قبلكم، أتحسبون أنكم تقولون آمنا، وتسلمون من الفتنة؟!! لا بد من الفتنة، ولا بد من الابتلاء.

فالله تعالى يبتلي من يبتليه لماذا؟

ذكر الله هذه الحكمة ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ والعلم هنا علم الظهور، يعني: يظهر معلوم الله -تعالى- فيهم، يظهر علم الله في هذا أنه منافق، وأنه يعبد الله على حرف، ولما جاءه هذا الابتلاء رجع القهقرى، وأن هذا قوي الإيمان ما زادته الفتنة إلا ثباتا ورسوخا، وتقدما فيما هو عليه وصبرا واحتسابا، قلنا: إن هذا من آثار هذه العقيدة، وأن بإمكانك أن تعرف قوي العقيدة وضعيفها، ثم نقول: إن عقيدة أهل السنة وعقيدة أئمة الحديث، هي ما كان عليه سلفهم الصالح.

كلمة السلف: يراد بهم أهل القرون المفضلة، الذين زكاهم النبي ﷺ بقوله في حديث عمران يقول: ﴿ خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ﴾ هكذا زكى القرون الثلاثة، وفي حديث آخر أنه قال

للصحابة: ﴿ أنتم خير من أبنائكم، وأبناؤكم خير من أبنائهم ﴾ يعني: فضل الأقدمين، ولا شك أن هذا هو الواقع؛ وذلك لأن الصحابة -رضي الله عنهم- تلقوا هذه العقيدة عن نبيهم ﷺ فتلقوا عنه الإيمان بالله -تعالى- وبوحدانيته، وتلقوا عنه الإيمان بعظمة الله وبجلال ربهم وكبريائه على خلقه، وتلقوا -أيضا- معرفة حقوقه عليهم، وما يجب عليهم لم يكن ذلك عن واسطة، بل أخذوه عن نبيهم مباشرة بدون واسطة، فلما كان ذلك، كان هذا أكبر سبب في أن قلوبهم تمتلئ بالإيمان، فكان لذلك الأثر البليغ في أنهم كلهم صاروا على هذه العقيدة.

بالتتبع لم يوجد أحد من أصحاب النبي ﷺ دخل في بدعة، ولا خالف السنة، ولا خالف جماعة المسلمين ولا خرج على أئمة، ولا انتحل نحلة مخالفة لطريقة أهل السنة والجماعة، بل الصحابة زكاهم النبي ﷺ ولأجل ذلك عدلهم أئمة الحديث كلهم عدول، وما ذاك إلا أنهم تلقوا هذا الوحي من نبيهم ﷺ تعلموا القرآن، وفيه أمور العقيدة، وأمور الشريعة، وتعلموا السنة يقولون: تعلمنا من القرآن، وتعلمنا من السنة، فتعلمهم من السنة إيضاح لما في القرآن من أمور المعتقد، ومن أمور الغيب ولا شك أن هذا التعلم الذي تلقوه مباشرة دليل واضح على أنهم وصل الإيمان إلى قلوبهم، دليل على قوة إيمانهم حيث لم يكن إيمانهم عن تقليد، بل عن اتباع.

تعلمهم من نبيهم ﷺ في زمن قليل، أو في زمن كثير معلوم أن+ بابهم منذ أسلموا بمكة كالخلفاء الأربعة الذين أسلموا بمكة، منذ ذلك الحين إلى أن توفي النبي ﷺ وهم يتعلمون منه يتعلمون منه العلم، ويتعلمون منه العمل، فكلما نزلت آية، أو آيات علمهم، فإما أن يكتبوها، وإما أن يحفظوها، وشرحها لهم وبين لهم ما تدل عليه.

وهكذا الذين أسلموا بمكة من بقية الصحابة من الذين هاجروا معه إلى المدينة، أو هاجروا قبل ذلك إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، كلهم تلقوا علما جما في مكة وفي المدينة، كذلك -أيضا- الذين أسلموا من أهل المدينة لا شك أنهم تلقوا عن النبي ﷺ علوما جمة، فيما يتعلق بالشريعة، وفيما يتعلق بالعقيدة، ولم يكن ذلك عن واسطة بل عن مباشرة وقد يكون بعضهم -أيضا- عن واسطة وذلك أن بعضهم قد ينشغل؛ ولحرصهم على العلم يسئلون عنه غيرهم.

ذكر ذلك عمر ﷺ لما كان نازلا في العوالي، كان هو وجار له من الأنصار يتناوبان الدخول، أحدهم ... يدخل أحدهم يوما فيأتي بما حصل، وما حدث، ويأتي الثاني في اليوم الثاني بما حصل، هكذا ذكر ذلك عمر ﷺ من حرصهم على تلقي العلم.

إذا كان أحدهم -مثلا- في تجارته، أو في دكانه، أو في بيعه وشرائه يوما فاليوم الثاني يتفرغ حتى يلازم النبي ﷺ ويتعلم منه.

كان النبي -عليه الصلاة والسلام- إذا كان في المدينة كل يوم غالبا يجلس في المسجد، يكون عنده حلقة، أو حلقات يعلمهم، يوجههم، ويشرح لهم، ويلقنهم، ويقص عليهم، وهم مصغون إليه مصغون يستمعون ما يقول، ويتعقلونه، وإذا أشكل عليهم شيء استفصلوا واستفسروا عنه، فحياتهم وقت نبيهم ﷺ كله علم، وهكذا إذا سافر سافروا معه إذا سافر لغزو، أو لحج، أو لعمرة لازموه ملازمة الظل، ولم يتخلفوا عنه، كل ذلك حرص على طواعيتهن وحرص على تحمل شريعته؛ ليكونوا من أهلها لا شك أن هذه الممارسة، وهذه الملازمة القوية أثرت في قلوبهم، وأثرت في عقائدهم؛ فلأجل ذلك صارت عقائدهم ثابتة لم تتغير، إلا ما كان من المنافقين، الذين ذمهم الله -تعالى- وذكر نفاقهم.

فمن هؤلاء المنافقين لم يكونوا من المؤمنين؛ لقول الله -تعالى-: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ ﴾ في صفة المنافقين ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ ﴾ لكن الراسخون في العلم وبالأخص من المهاجرين، وكذلك من الأنصار الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، هؤلاء ثبتهم الله -تعالى- ولم يتزعزعوا، ولم ينقل عنهم مخالفة في أمر هذه العقيدة، وبعد أن رأوا حاجة الناس إلى هذا العلم الذي هو علم الاعتقاد لم يسكتوا، بل علموا تلامذتهم، وأولادهم، وأحفادهم علموهم أمر هذه العقيدة، ورسخوها في قلوبهم خوفا عليهم من الفتن، وخوفا عليهم من التغير بالشبهات، فتتلمذ عليهم تلامذة كثير، وتلقوا عنهم هذا العلم الجم، في المدينة وفي الكوفة وفي الشام وفي مكة وفي غيرها، وتلامذتهم

قاموا مقامهم، ومن أشهر التلامذة في المدينة الفقهاء السبعة، الذين اشتهروا بهذا الاسم "الفقهاء السبعة" نظمهم بعض العلماء بقوله:

إذا قيل مـــن في العلـــم ســـبعة أبحـــر روايتهم ليست عـــن العلـــم خارجـــه

فقل هـــم عبيد الله عـــروة قاســـــم سعيـــد أبو بكـــر ســـليمان خارجـــه

هؤلاء السبعة هم فقهاء المدينة، وأكثرهم من قريش، وفيهم من ليس من قريش، ففيهم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عمه عبد الله بن مسعود من هزيل، فيهم عروة بن الزبير من أكابر قريش ابن الزبير، وفيهم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، فيهم سعيد بن المسيب من بني مخزوم من أكابر قريش، فيهم أبو بكر بن الحارث بن هشام... أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، يعني: جده الحارث بن هشام أخو أبي جهل من بني مخزوم، من الذين حملوا العلم، وفيهم سليمان من الموالي سليمان التيمي من الموالي، وفيهم خارجة بن زيد بن ثابت من الأنصار.

هؤلاء تلامذة للصحابة، هم قدوة لمن بعدهم، لم يدخلوا في شيء من البدع، ولم ينقل عنهم شيء من المخالفات، بل هم من حملة العقيدة، ومن الذين بلغوا العلم، ونفع الله -تعالى- بعلمهم نفعا كبيرا.

وهكذا -أيضا- بالكوفة تتلمذ على ابن مسعود ﵁ تلامذة أفذاذ علماء، أخذوا عنه واختصوا بالعلم به، العلم الصحيح؛ وذلك لأن عمر ﵁ أرسله إلى الكوفة لما رأى الجهل العميق بالمسلمين الجدد بالعراق، فأرسله وآثرهم به على نفسه، لا شك أنه ﵁ كان محترما عندهم وموقرا؛ وذلك لطول صحبته مع النبي ﷺ فنفع الله -تعالى- به، وتتلمذ عليه خلق كثير من فقهاء التابعين بالكوفة، ويعرفون بأصحاب ابن مسعود، وعليهم يعتمد -أيضا- الفقهاء هناك أتباع أبي حنيفة، غالبا أنهم يعتمدون أقوال أصحاب ابن مسعود ﵁ كعلقمة والأسود، وعبيدة السلماني، وإبراهيم النخعي، ونحوهم من حملة العلم.

وهكذا -أيضا- تتلمذ على أنس ابن مالك في البصرة علماء أجلاء، ومن أشهرهم الحسن بن أبي الحسن، الحسن البصري -رحمه الله- فما أعظم أثره على المسلمين، وما أكثر الذين تأثروا به، وانتفعوا، نفع الله -تعالى- به ورزقه علما جما، وكذلك -أيضا- محمد بن سيرين، سيرين مولى لأنس مملوك له أعتقه، ولما أعتقه رزق الله سيرين بأولاد علماء، منهم أنس بن سيرين سماه باسم مولاه، ومنهم محمد بن سيرين، ومنهم حفصة بنت سيرين، هؤلاء -أيضا- نبغوا في هذا الزمان، فنفع الله -تعالى- بهم.

فنعرف بذلك أن التابعين -رحمهم الله- قد حفظوا السنة، وحفظوا العقيدة، تلامذة الصحابة أخذوا عن الصحابة -رضي الله عنهم- وكيف لا يكونون أئمة مقتدى بهم، وهم قد تلقوا العلم عن معدنه الأصلي، الذي هم صحابة النبي ﷺ وغيرهم كثير، يعني: بمكة -أيضا- علماء أجلاء كعطاء بن أبي رباح تلميد لعبد الله بن مسعود، وباليمن طاووس بن كيسان تلميذ -أيضا- لابن عباس قرأ عليه، ولو كان في اليمن، وحفظ عنه كثيرا، وكذلك -أيضا- في كثير من البلاد تلامذة للصحابة حفظ الله -تعالى- بهم العلم، مثل هؤلاء يعتبرون -أيضا- قدوة.

لأجل ذلك كان التابعون هم في المرتبة الثانية بعد الصحابة.

قد تقول: إنه حدث في التابعين بدع، نقول: صحيح، ولكن أولئك المبتدعة الذين انتحلوا بدعا من التابعين، لم يكونوا من تلامذة الصحابة غالبا، وإنما أخذوا بدعهم هذه عن أفكار سيئة، وعن تأويلات بعيدة.

معلوم أن الخوارج الذين خرجوا في سنة ست وثلاثين من التابعين؛ لأنهم من جيش علي، وأغلبهم من أهل العراق الذين فيها مجموعة كبيرة من الصحابة، ومع ذلك فإنهم خوارج، ولكن من المشهور منهم؟ ليس فيهم مشهور بالعلم، وليس فيهم من تتلمذ تتلمذا صحيحا على الصحابة، وإنما أنهم قرءوا القرآن، ولما قرؤوه لم يقرءوا تفاصيله، ولم يقرءوا تفسيره، ولم يقرءوا معانيه، فأخذوا الآيات التي فيها عذاب فطبقوها على أهل زمانهم، فكان من عقيدتهم -كما سيأتي- أنهم يجعلون الذنب كفرا والعفو ذنبا.

فلا نشتغل بهم نقول: ولو كانوا من التابعين، لكنهم ما قرءوا العلم ما قرءوا العقيدة الصحيحة، حتى يكتبوا من حملة العلم، وإنما أخذوها من نظرياتهم، ومن أفكارهم، وكذلك -أيضا- القدرية الذين حدثوا في آخر عهد الصحابة، وأدركهم ابن عمر ﷺ لم يكونوا مشهورين بالتتلمذ على الصحابة ولكنهم -غالبا- إنما اعتقادهم عن أفكار سيئة، وأغلبها سوء معرفتهم وسوء نظرهم في الآيات، وحملها محامل بعيدة.

فإن من عقيدتهم إنكار علم الله السابق، وأن الله لا يعلم الأشياء حتى تحدث، هؤلاء مثل غيلان القدري، ومعبد الجهني، وعمرو بن عبيد ما عرف أنهم تتلمذوا على صحابي، وأخذوا عنه العلم الصحيح، فعرف بذلك أن تلامذة الصحابة الذين تلقوا العلم عنهم الصحيح، أصبحوا ورثة لهم، والعلماء ورثة الأنبياء فأصبحوا مثالا لهم، وأن الذين أخذوا العلوم من أفكارهم حصل في قلوبهم زيغ ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾ نعوذ بالله من زيغ القلوب، فهذا -بلا شك- دليل على أن العلم الصحيح الذي يؤخذ من معدنه، يثبت في القلب ويكون له آثار حسنة.

بعد ذلك معلوم أن التابعين صار لهم تلامذة، وصاروا يبثون العلم الصحيح، ولكن معلوم أنه في القرن الثاني بعد انقراض عهد الصحابة دخل في الإسلام بعض من ليسوا راغبين فيه، فكان من آثار دخولهم في الإسلام من غير صدق، ومن غير يقين أن أثاروا كثيرا من الشبه، وأوقعوا كثيرا من الناس في الحيرة، وشككوهم في عقائدهم وشككوهم في مبدأ أمرهم، ومنتهاه، ونشروا بينهم شبهات الفلاسفة وشبهات المنجمين، وشبهات الزنادقة والملاحدة، ونحوهم.

أثاروا تلك الشبهات فيما بينهم فانخدع بها كثير، فلما رأى السلف -رحمهم الله- تلامذة التابعين، وتلامذة الصحابة رأوا هذه الآثار في هؤلاء المنحرفين، لم يجدوا بدا من أن يصدعوا بالسنة، وأن يظهروا أمر العقيدة، وأن يصرحوا للناس بما هم عليه حتى يعرف جماهير الناس العقيدة السليمة، فيتمسكوا بها، ويعرفوا أن من خالفها فإنه بدعة، ونحلة سيئة، فهذا -مثلا- الأوزاعي أبو عمرو عبد الرحمن الأوزاعي إمام المسلمين في عهد تابع التابعين في الشام، يقول ﷺ كنا والتابعون متوازرون نقول: إن الله -تعالى-

فوق عرشه فوق سماواته، ونؤمن بما جاء في كتاب الله من الصفات، ما الذي حمله على أن يصدع بهذا، ويذكر الإيمان بأن الله فوق عرشه، والإيمان بما جاءت به النصوص والآيات، حمله على ذلك ما فشا في زمانه من هذه البدع التي خشي منها على تلامذته، وعلى زملائه أن يقعوا فيها، فيكونوا منحرفين مخالفين للمعتقد السليم، وهكذا -أيضا- غيره من السلف من تابعي التابعين.

الأوزاعي توفي سنة سبع وخمسين ومائة، أي في وسط القرن الثاني، وهو من كبار تابعي التابعين، ومثله -أيضا- الإمام مالك بن أنس عالم المدينة، فإنه اشتهر عنه من الإيمان بالصفات الشيء الكثير، مثل تفسيره للاستواء بقوله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

ومثل ما صرح به من قوله: نقول: إن الله -تعالى- على عرشه، إن الله -تعالى- في السماء فوق عباده، وعلمه مع جميع العباد.

ما صرح بذلك إلا لما اشتهرت البدع في ذلك الزمان، وكثر الذين يتحدثون بها، فكان ذلك سببا في أن السلف -رحمهم الله- أوضحوا ما يعتقدونه؛ ليكون تلامذهم على بصيرة؛ وذلك لأن المبتدعة ما سكتوا، بل أخذوا ينشرون عقيدهم، فالجهمية -مثلا- صرحوا بأن القرآن مخلوق، وأن الله - تعالى- لا يتكلم، وأن الله لا يحب ولا يبغض، وأن الله ليس على عرشه، وليس فوق السماء، وليس فوق العرش إله يعبد.. إلى آخر ذلك من تصريحاهم التي تقشعر منها الجلود.

لما سمع السلف -رحمهم الله- ذلك أفصحوا بما أفصحوا به، ذكروا أن بعض السلف -رحمهم الله- حبس جهميا، أو زنديقا على هذه الزندقة، بقي أياما في السجن يمتحن، فقيل له: إنه قد تاب، فقال: ائتونا به؛ لنسأله هل صحح التوبة أم لا؟ فاختبره، فقال: أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه، فقال: أشهد أن الله على عرشه، ولا أدري ما بائن من خلقه، فقال: ردوه إلى السجن، فإنه لم يتب.

وذلك لأن هذا لا بد منه، لا بد من الإيمان بهذا الاعتقاد كله، أن الله -تعالى- على عرشه، وأنه بائن من خلقه، يعني: أنه ليس مختلطا بهم، كما يقوله كثير من الجهمية والحلولية ونحوهم، تعالى الله عما يقولون.

لذلك اهتم السلف -رحمهم الله تعالى- بأمر العقيدة، نقل شيخ الإسلام في "الحموية" رسالة نحو صفحتين، أو ثلاث صفحات، أو أربع صفحات عن عالم من علماء المدينة في زمن الإمام مالك هو عبد العزيز بن الماجشون إذا قرأت هذه الرسالة، عرفت بذلك أن السلف -رحمهم الله- أولا: يحبون العمل بالدليل، ويتقيدون به، وأنهم يصرحون بما يعتقدونه، ويذكرون ذلك ذكرا صريحا، وأنهم يردون، وينكرون على كل المبتدعة، ويضللونهم، ويسفهون أحلامهم، وينكرون إنكارا بليغا على من رد شيئا من أمر الله -تعالى- أو أمر رسوله، أو خالف المعتقد السليم.

في القرن الثاني ابن الماجشون، في زمن الإمام مالك ذلك دليل على أنه قد بدأت البدع تظهر، وبدأت تظهر أعناقها، وبدأ أهلها يتمكنون، ولكن الحق حق، والحق أقوى، وأهل الحق أقوى وأكثر وأقوى حجة. هذا في ذلك الزمان، أما في آخر القرن، في آخر القرن الثاني قويت بدعة الجهمية؛ وذلك لأنهم صاروا يقتنصون الجهلة، فيلقون عليهم تلك الشبهات، فيشبهون بها على طوائف كثيرة من الجهلة، ومن ضعفاء الإيمان، فيشككونهم في أمور المعتقد فظهر في ذلك الزمان كثير من الزنادقة الذين هم منافقون، إيمانهم متزعزع، ولكن انتبه لهم الولاة وانتبه لهم الأئمة، وصاروا يحذرون منهم، فيقولون: فلان متهم فلان زنديق.

ذكروا في التاريخ أن الخليفة المهدي أحضر واحدا من أولئك الزنادقة، ولما استفصل منه وجدت قرائن، ونقول كثيرة، تدل على أنه منافق، وأنه ليس بمؤمن ، وأنه يقول بلسانه ما ليس في قلبه، وأنه شاك في أمر الله -تعالى- وفي أمر البعث، فعند ذلك أمر بقتله، فلما تحقق أنه مقتول قال: أيها الخليفة، كيف تفعل بأربعة آلاف حديث كذبتها، ونسبتها إلى نبيكم، وبثثتها في الناس، أنا قد أفسدت عليكم دينكم، وقد أفسدت عليكم عقائدكم بهذه الأحاديث، التي بثثتها.

ماذا قال الخليفة رحمه الله؟ قال: تعيش لها نقادها، أي: أن الله -تعالى- وفق هذه الأمة أن جعل فيهم علماء يميزون الأحاديث، ويعرفون الصحيح من السقيم، ويميزون المكذوب من الصادق؛ وذلك لمعرفتهم بكلام الرسول ﷺ ولمعرفتهم بما كان يدعو إليه، وبما تهدف إليه شريعته.

هذا دليل على أن هناك من استفحل منه الشر، وشكك الناس في أمر العقيدة، وبالأخص في الإيمان بالله، كثر في ذلك الزمان الزنادقة الذين ينكرون وجود الله -تعالى- أو ينكرون البعث كالفلاسفة، أو ينكرون الحشر، حشر الأجساد مثلا، كالفلاسفة الذين ينكرون البعث الحقيقي، أو ما أشبه ذلك، ولما كثروا اهتم بهم السلف -رحمهم الله تعالى- وبالغوا في الرد عليهم إلى أن انقمعوا وظهر أمر الله ...

إن قلنا: هذه المقدمة فيها نستدل بها على آثار العقيدة ، ونستدل بها على أن العقيدة الصحيحة التي تلقاها الصحابة عن نبيهم ﷺ وتلقاها تلامذتهم عنهم، وتلقاها تابعو التابعين عن التابعين، هي التي بقيت، وهي العقيدة الصحيحة، وأن العقائد المنحرفة الزائغة، أنها لم تؤخذ من كتاب الله حقا، ولو استدلوا ببعض الآيات على غير مدلولها، ولم تؤخذ من السنة، ولم تؤخذ من الصحابة ولا من تلامذة الصحابة، ولا من تلامذة تلامذتهم، وإنما أخذت من أفكار وقلوب زائغة منحرفة، هذا به يستدل على أن العقيدة أنها ما كان عليه السلف -رحمهم الله- وهم في الحقيقة أئمة الحديث، كما هو عنوان هذه الرسالة "اعتقاد أئمة الحديث" وذلك لأن الصحابة تلقوها، ونقلوها كأحاديث.

والتابعون -أيضا- تلقوها عن الصحابة، ونقلوها كأحاديث، وكذلك -أيضا- تابعوهم تلقوها، ونقلوها، وحدثوا بها، فكانوا ينقلونها كأحاديث فيقول أحدهم -مثلا-: حدثنا، يقول: حدثنا محمد بن رافع قال: حدثنا عبد الرزاق قال: حدثنا معمر قال: حدثنا ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، ويذكر حديثا كحديث النزول وكحديث الرؤية، فإذاً هي أحاديث، فأصبحت عقيدة أهل الحديث، إذاً أصبح أهل الحديث هم القدوة الذين يقتدى بهم؛ وذلك لأن المبتدعة لم يكونوا من أهل الحديث.

لو نظرنا -مثلا- في سيرة عمرو بن عبيد وبشر بن غياث المريسي والجهم بن صفوان وابن أبي دؤاد، ونحوهم من الجهمية، أو المعتزلة، لم نجد لهم حديثا لم نجدهم ممن روى الأحاديث، بل لا يرون إلا ما يوافق أهواءهم، أو ما يناسب بدعتهم؛ ولأجل ذلك لا تقبل أحاديثهم.

والغالب أن الأحاديث التي يروونها لم تثبت، بل إنها مكذوبة، أو موضوعة، أو أنها ضعيفة لأجل من فيها من المبتدعة، فأصبح أهل الحديث هم أهل العقيدة السلفية، وهم الفرقة الناجية المنصورة ثبت أن

النبي ﷺ قال: ﴿ لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة، أو حتى يأتي أمر الله ﴾ .

سئل الإمام أحمد من هم هذه الطائفة؟ قال: إن لم يكونوا أهل الحديث، فلا أدري من هم، أو فلا أعرفهم. صحيح أنهم أهل الحديث، إذا لم يكن أهل الحديث من الفرقة الناجية، فمن هم؟

أهل الحديث هم صحب النبي وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

يعتبرون كأنهم صحابة؛ لأنهم صحبوا أنفاسه، الكلام الذي يروونه، ويتناقلونه هو الكلام الذي نطق به، وفيما بين كلماته أنفاسه التي تنفس بها وهو يتكلم، فيعتبرون كأنهم الصحابة على حد كلام هذا الشاعر:

أهل الحديث هم صحب النبي وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

فلذلك يعرف أن أهل الحديث حقا، هم الذين انتحلوا هذه النحلة، واعتقدوا هذه العقيدة، ولعلنا في الدرس الآتي، وفي بقية الأسابيع -إن شاء الله- نبدأ في هذه العقيدة، وإذا كملناها نقرأ معها ما تيسر.

والآن نستمع إلى بعض الأسئلة.

س: سائل يقول فضيلة الشيخ: ذكر بعض الكتاب في الفرق أن عبد القادر الجيلاني الإمام السلفي، هو أول من أنشأ طريقة صوفية، فهل هذا صحيح، بين لنا بارك الله فيكم؟

ج: عبد القادر الجيلاني عالم، ومن علماء الحنابلة، يذكر في تراجم الحنابلة، ولكن انشغاله بالطرق حال بينه وبين انشغاله بالحديث، فهو من أهل الطرق، ومن أهل العبادات القلبية انشغل بالعبادات القلبية

وبالزهد وبالتصوف، يعني: عبادات الصوفية؛ لذلك لما اشتهر بأنه من الصوفية تعلق به المتصوفة وصاروا يتوافدون إليه من أماكن بعيدة، هم أعجبوا بعبادته وبزهده وبتقشفه، مما كان سببا في أن علقوا عليه تعليقات، وتلك التعليقات لا صحة لها، وحكوا عنه حكايات ليست واقعية، بل هي مكذوبة.

ولما اشتهرت تلك الحكايات، وتلك الطرق، وتلك القصص التي كتبت عنه، وتناقلها عنه الصوفية لما اشتهرت عنه، كثر الذين يعتقدون فيه أنه ولي، وأنه من سادات الأولياء، مما حمل كثيرا من الجهلة على أن عبدوه مع الله، واعتقدوا فيه اعتقادات سيئة، حتى أتذكر أني كنت في عرفة، يوم عرفة وعند جبل الرحمة، وإذا هناك واحد من السودان، يظهر أنه من علماء دولة السودان، وإذا هجيراه وديدنه يا عبد القادر، أنجنا يا عبد القادر، خذ بأيدينا، يا عبد القادر، أنت ملاذنا، يا عبد القادر، يا عبد القادر.

تكلمت معه، فقابلني بقوله: أنا أقول: إنه لا تنزل قطرة من السماء إلا إذا أمر بها عبد القادر، وأنه لا تنبت حبة في الأرض إلا بعد ما يأذن فيها عبد القادر، سبحان الله ، هذا -بلا شك- من آثار تلك الحكايات التي نشرها هؤلاء الجهلة.

عبد القادر -لا شك- أنه دخل في الصوفية، وأنه وقعت منه شيء من الحكايات، لكن لم يصل إلى تلك المرتبة هو عبد من العبيد، ولد كما ولد غيره، ومات كما مات غيره.

س: وهذا يقول: أشكل علي كون دعوة الرسل في العقائد واحدة، مع قول الله -تعالى-: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١ ﴾ قال بعض أهل العلم: إن ذلك كان في شريعة من قبلنا جائز، ومع سجود إخوة يوسف، وأبويه له، بين لنا الإشكال، جزاكم الله خيرا؟

ج: هذا جهل، جهلوا الذين قالوه، الذين اتخذوا مسجدا على تلك القبور، على قبور أهل الكهف، ليسوا من الرسل، وليسوا من أتباع الرسل، بل هم مشركون، مشركون كما صرح الله -تعالى- عنهم، في هذه السورة سورة الكهف يقول الله -تعالى- عنهم: ﴿ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ ﴾ ثم يقول: ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا

يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوداتهم إلا الله، فأووا إلى الكهف، ثم يقول: عنهم ﴿ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ ﴾ إذًا فهم كفار لا غرابة أن هؤلاء الكفار بنوا مسجدا على هؤلاء الذين اعتقدوا أنهم أولياء، فبناء المساجد على القبور ليس من شرائع الأنبياء، وإنما فعل ذلك هؤلاء المشركون.

أما سجود إخوة يوسف، فيظهر أنه سجود تحية، وليس هو السجود الذي يكون بوضع الوجه على الأرض، ويمكن أن هذا كان جائزا، وأنه ليس سجود تعظيم، وإنما هو احترام.

س: وهذا يقول: ما الفرق بين هذه الألفاظ إذا أطلقت على عمل: أنه بدعة، أو مخالف للسنة، أو غير مشروع، وما الضابط في ذلك؟

ج: البدعة هي المحدثة في الدين، فإذا قيل: هذا بدعة، فالغالب أنها من القربات التي يتقربون بها، وليس لها أصل في الدين ولا في الشريعة، وإنما هي من المحدثات سواء كانت في العقائد: كالتكفير بالذنوب، اعتقاد الخوارج، وكذلك اعتقاد الخروج على الأئمة كقول المعتزلة، وكذلك اعتقاد التكفير بالذنب، ونحو ذلك، أو في الفروع: كبدعة الموالد، الذين يحيون المولد النبوي، أو يصلون أول ليلة جمعة من رجب، ويسمونها صلاة الرغائب، أو يحيون ليلة خمس وعشرين منه، ويسمونها ليلة الإسراء، كل هذه يقال لها: بدع.

أما غير مشروع: فيراد به أنه لم يأت به دليل واضح، وإن لم يكن يعني: منهيا عنه نهيا صريحا، وإن وجد ما يدل على مشروعيته، لكنه ليس دليلا قويا، فيقال -مثلا- رفع اليدين بعد الفريضة مباشرة غير مشروع، ولو وجد أدلة تدل على رفع اليدين عند الدعاء، ويقال: صلاة أربع ركعات بسلام واحد غير مشروع؛ لأن الأصل السلام من كل ركعتين، وأشباه ذلك، فتعبيرات السلف، وتعبيرات العلماء بحسب قوة الدليل، أو عدمه.

س: وهذا يقول يذكر بعض العلماء أن عبد الله بن أبي معيط، وهو من الصحابة من كبار الخوارج، فهل هذا صحيح، وكيف يعتذر عنه أفادكم الله؟

ج: لا أذكر أن لابن أبي معيط ابن اسمه عبد الله، إنما له ولد اسمه عقبة عقبة بن أبي معيط.. عتبة ولد عقبة بن أبي معيط، فعقبة قتل في غزوة بدر، أما ولده فلم يكن من الصحابة، فيما يظهر، يظهر أنه كان صغيرا ولم يحكم بأنه من الصحابة، ولكن لقرابته كونه من قريش تولى الإمارة في خلافة عثمان على بعض بلاد العراق، وذكروا عنه أنه شرب الخمر، ثم إن عثمان ﷺ أقام عليه الحد، فأمر عليا فجلده، جلده أربعين جلدة لشربه الخمر لثبوت ذلك عليه، ولم يذكر عنه أنه من الخوارج، ولا أنه من الخارجين على الأئمة، ولا غير ذلك.

س: وهذا يقول: تذكر كتب المصطلح رواية المبتدع، وهذه مقولة أم لا؟ والخلاف فيها وشروط قبول هذه الرواية، فما توجيهكم لذلك، ألا يعتبر هؤلاء من العلماء؟

ج: البدع إما تكون مكفرة، أو مفسقة، فالبدعة المكفرة لا يقبلون رواية صاحبها، ولا كرامة؛ وذلك لأنهم يعتقدون أنه ليس من المسلمين فكيف يكون عدلا؟ أما البدع المفسقة، فيقولون: ننظر في ذلك المبتدع، فإذا كان داعية من الدعاة إلى الرفض، أو من الدعاة إلى الاعتزال، أو إلى الجبر، أو إلى التعطيل، أو إلى التجهم، أو إلى الإرجاء، أو نحو ذلك لم نقبل روايته ولا كرامة، ولو كان حافظا، ولو كان متقنا.

وإذا روى حديثا يقوي بدعته التي ينتحلها لم نقبله؛ لأن العادة أنه يتساهل فيما يتعلق بمذهبه وبمعتقده، أما إذا عرف منه الصدق ولم يكن من الدعاة إلى بدعته، وروى ما لا يقوي بدعته ولا صلة لها بذلك، فإنه يروى عنه من باب الحرص على إثبات العلم، ففي صحيح البخاري روايات كثيرة عن شيخ له اسمه عبيد الله بن موسى القواريري، هذا رمي بالتشيع، ولكن التشيع في ذلك الزمان ليس هو مثل الرافضة في هذا الزمان، الذين يعبدون أهل البيت، ويكفرون الصحابة، ويطعنون في القرآن، ويطعنون في السنة، بل هو يروي أحاديث، أحاديث في السنة وفي فضائل الصحابة، فروى عنه البخاري، وسبب ذلك علو السند؛ لأنه من المعمرين فيروي عنه إيثارا لعلو السند.

س: وهذا يقول: أحل الله لنا ذبائح أهل الكتاب، ولكن من المعلوم أن بعضهم يعتقد أن عيسى ابن الله، فهل تؤكل ذبيحة مثل هؤلاء؟

ج: نعم أحل الله -تعالى- الذبائح، ولكن بشروط منها أن يكونوا كتابيين حقيقة، ففي زماننا هذا يتسمون بأنهم كتابيون، وليسوا كذلك، والله إنما قال: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ .

ومنها أن يذبحوا ذبحا شرعيا أن يذبحو بالسكين الحادة في موضع الذبح، وهذا هو ما كانوا عليه، ومنها أن يذكروا اسم الله عند الذبح؛ وذلك لأن هذا من شريعتهم، المتمسكون بشريعتهم الأصلية بالنصرانية الأصلية وباليهودية الأصلية من عقيدتهم، ومن دينهم عدم حل ما مات حتف أنفه، وعدم حل ما لم يذبح في الحلق، وعدم حل ما لم يذكر اسم الله عليه فهم لا يأكلون إلا ما ذكر اسم الله عليه، وكذلك -أيضا- لا يأكلون في شريعتهم إلا ما ذبح ذبحا صحيحا، فإذا وجد في هذه الأزمنة من يذبح ذبحا غير شرعي، ولو قال: إنه كتابي، بل ولو قال إنه مسلم، فلا تؤكل ذبيحته كالذين يذبحون بالصعق الكهربائي مثلا، أو يذبحون بالغمس في الماء الحار مثلا، ثم يقطع الرأس بعد الموت، أو يذبحون -مثلا- بالضغط، الذين يضغطونها إلى أن تموت، ويحافظون على أن يبقى دمها فيها حتى يزيد في وزنها، لا شك أن هؤلاء ليسوا كتابيين حقيقة، أما لو كانوا كتابيين متمسكين، حتى ولو قالوا: إن عيسى هو ابن الله، فإن العبرة بالذبح أما عقائدهم فلهم.

س: السؤال الأخير يقول: ما حكم بيع الدم، وما الحكم لو ذهب إنسان إلى مركز التبرع بالدم، وهو يعلم أن الذي يعطيهم دما يعطونه هدية عينية مقابل ذلك، وما الحكم لو كانت الهدية دراهم بدلا من الهدية، هل يعتبر بيعا أم يعتبر عطية وهدية مقابل ذلك الدم، وجزاكم الله خيرا؟

ج: لا أعتقد أن هذا من الضروريات، يعني: أصبح الإنسان كثير من المرضى يعوقه المرض، حتى ينشف دمه يكون من أثر ضعف الدم، وضعف البنية، وضعف تركيبه، وضعف حالته وازدياد مرضه، فلا جرم أبيح بالطب الحديث أن يؤخذ له دم من آخر، ويجعل أو يغذى به إلى أن يعيش، ولما كان كذلك كان هذا الدم يمكن أن يقال له: له قيمة؛ ذلك لأن صاحبه قد يصيبه شيء من الضعف، ومن الوهن بعد إخراجه منه، فنقول: على مقتضى هذه القاعدة نقول: لا بأس، لا بأس بأخذ هدية، ولكن

يكره أن يبيعه، وأن يقول: خذوا مني بكذا وكذا، أما إذا أعطوه بدون فرض، فلا مانع من أخذه ذلك، إن شاء الله .

والله أعلم، وصلى الله وسلم على محمد.

قد ذكرنا في خروج البدع، أن أخف البدع التي خرجت هي بدعة الخوارج، وهي أول البدع وجدت، وجدت في سنة ست وثلاثين من الهجرة، وقد أخبر النبي ﷺ بخروجهم، وأخبر بأن الصحابة يحقرون من صلاتهم مع صلاتهم وصيامهم مع صيامهم، وأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وأنهم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، وأمر بقتالهم وقال: ﴿ إن لقيتموهم فاقتلوهم، وإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم ﴾ وقال: ﴿ لئن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد وإرم ﴾ .

وقاتلهم الصحابة –رضي الله عنهم– الذين مع علي، ثم إنهم استمر الخوارج في القتال.

قد ذكرنا أن عقيدتهم إنما هي في التكفير فقط، وهي أنهم بالغوا في أخذ آيات الوعيد، وتمسكوا بها تمسكوا بآيات الوعيد، فصاروا يطبقونها على كل من فعل ذنبا، فيخرجونه من الإسلام.

عقيدتهم التكفير لم يذكروا خلافا عنهم في الأسماء والصفات، ولا في البعث والنشور، ولا في أسماء الإيمان، والدين إنما فقط أنهم كفروا، ومن جملة من كفروه أصحاب علي، الذين مع علي ادعوا أنهم بالتحكيم ارتدوا عن الإسلام، فهذه أول بدعة.

لا شك أنهم بعد ذلك تغيرت عقائدهم، وأخذوا من عقائد المبتدعة الآخرين، حدثت بعد ذلك بدعة القدرية، وهم الذين ينكرون العلم السابق، ثم حدثت بعدهم بدعة التعطيل، أو بدعة الاعتزال، وهي بدعة إنكار الصفات، كان حدوثها في أول القرن الثاني، ولما انتشرت هذه البدعة، وانتشر أهلها الذين يعطلون الله –تعالى– عن الصفات صفات الكمال، والذين ينكرون أن يوصف بما وصف به نفسه، والذين يبالغون في إنكار الصفات أنكر عليهم السلف إنكارا بليغا، وبدعوهم وشنعوا بهم ، وحذروا منهم ، وصار أكثر كلام التابعين، وتابعي التابعين في التحذير من هذه البدعة، التي سموا أهلها جهمية؛ وذلك لأن أول من انتشرت عنه الجهم بن صفوان، وهو الذي نشر هذه العقيدة بدعة إنكار الصفات.

ولا شك أن كتب السلف –رحمهم الله– تعالج هذه البدع كلها، تجدون في كتب أهل السنة علاجا لها، فمن أهل السنة الذين كتبوا في ذلك من يذكر العقيدة مجردة يقول: نعتقد كذا، ونعتقد كذا وكذا، ولا يذكر مناقشة، ولا يذكر أقوال مبتدعة، ومنهم من يذكر البدع، ويذكر الرد عليها، سواء كانت تلك البدع شبهات أو نحل يناقشونها، ويبالغون في الرد على أهلها، ومنهم من يقتصر على الأدلة وعلى الآثار المنقولة عن السلف، والأحاديث المأثورة المرفوعة أو الموقوفة، فاقتصارهم عليها يظهر الحق، ويستبين، ويعرف الباطل.

وبضدها تتميز الأشياء

ولا شك أن كلامهم –رحمهم الله – كله في نصر الحق وفي إظهاره.

معروف أنها تمكنت بدعة الجهمية في أول القرن الثالث، حيث إن الجهمية انضموا إلى بعض الخلفاء كالخليفة المأمون بن الرشيد، فإنه انضم إليه بعض المبتدعة وقربهم؛ وذلك لأنه أحسن الظن بهم، ورأى فيهم بلاغة وفصاحة وقوة أسلوب، وحسن تعبير، فظن أنهم على حق.

ومن أشهر الذين قربهم ابن أبي دؤاد المبتدع الضال، الذي أفسد عقيدة المسلمين في زمانه، ومال إليه الخليفة المأمون.

في خلافة المأمون بالغ في تعذيب أهل السنة وفي تهديدهم في مسألة خلق القرآن: أن القرآن مخلوق، وكذلك تبعه أخوه المعتصم، مشهور أنهم امتحنوا العلماء ، وضرب العلماء، وحبس من حبس، وأوذي من أوذي من أهل السنة، ورجع كثير منهم، أجابوا إلى ما طلب منهم، وادعوا بعد ذلك أنهم مكرهون، وتمسك من تمسك منهم، ومن الذين تمسكوا الإمام أحمد؛ ولهذا يسمى ناصر السنة، ويسمى إمام أهل السنة ، وقصته طويلة تجدونها بتأريخه، ذكر بترجمته ابن كثير في "البداية والنهاية" قصة ضربه بين يدي المعتصم، وصبره على ذلك، وكذلك ذكرها ابن الجوزي في ترجمته، فإن ابن الجوزي ألف كتابا كله بترجمة الإمام أحمد، كتاب كبير وكذلك في كتب التأريخ، "تاريخ الذهبي" وهو مطبوع أيضا ونقل

ترجمته أحمد محمد شاكر في أول كتابه "تحقيق المسند"، نقلها من تاريخ الذهبي ، وفيها قصة تعذيبه، وأشار إلى ذلك كثير من الذين ترجموا له ، ومنهم صاحب المنظومة الذي يمدحه، الذي يقول فيها:

ومذهب الإمام أحمد بن محمد أعني ابن حنبل الفتي الشيباني

يقول فيها:

ويقول عند الضرب لست بتابع يا ويحكم لكم بلا برهان

أترون أني خائف من ضربكم لا والإله الواحد المنان

كن حنبليا ما حييت فإنني أوصيك خير وصية الإخوان

و لقد نصحتك إن قبلت فأحمد زين الثقاة وسيد الفتيان

من ذا أقام ما أقام إمامنا ....

إلى أن قال:

حمدا لربي إذ هداني لدينه وعلى طريقة أحمد أنشاني

واختار مذهب أحمد لي مذهبا من لأواء الهوى والغي قد أنجاني

فالحاصل أنه من الذين صبروا على هذه الفتنة، وصابروا فيها إلى أن أظهره الله تعالى.

ففي عهد المعتصم لقي أذى، ولقي عذابا، وضرب وحبس، وبقي في الحبس مدة طويلة، وكان يتورع أن يأكل شيئا من طعامهم، ويبقى يوما وثلاثة أيام لا يطعم، حتى يأتيه أحد أولاده بشيء من الخبز، الذي من بيته، والذي عرف مدخله، ولما مات المعتصم بعد ثمان سنين، وانتقلت الخلافة إلى ابنه الواثق، خفف الفتنة ، وخفف الابتلاء، ولكن لم يزل أهل السنة يخافون على إظهارها، ويستخفون في معتقدهم ثم بعد موته تولى ولده المتوكل، ولما تولى نصر السنة ، وقرب الإمام أحمد ، ورخص له أن يصدع بمذهبه، وأصبح بما كان يعتقده أهل السنة بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وبقي كذلك إلى أن توفي الإمام أحمد –رحمه الله– في سنة إحدى وأربعين ومائتين، والأمر هادئ بقية ذلك القرن، السنة فيها ظاهرة، ولكن لأهل البدع قوة، ولهم تمكن، وبالأخص المعتزلة، وكان المعتزلة في ذلك الزمان من أقوى أهل ذلك الزمان حججا عقلية، وكانوا يأتون بالشبهات العقلية، ويشوهون بها على الناس، ويشوشون بها، وغسلوا أدمغة كثير من أهل العلم من المسلمين ومن العوام، وملئوا تلك الأدمغة بتلك البدع ، وبالأخص بدعة إنكار الصفات، الصفات الذاتية، والصفات الفعلية.

وانتشرت في آخر القرن الثالث ، وفي القرن الرابع وما بعده اصطلاحات مبتدعة، يرددها المبتدعة في الصفات وفي إنكارها لنفي التجسيم ونفي الحيز ونفي الجهة مثلا ، ونفي الأعراض، والأبعاض، والأجزاء، والتركيب، والحوادث وحدوثها ، وما أشبه ذلك، فصاروا يلقنونها تلامذتهم، ويذكرون أن نفيها من باب التتريه لله تعالى.

فتمكنت هذه الكلمات في أهل ذلك الزمان، واعتقدوا صحتها وسلامتها، وهي في الحقيقة أمور لم يرد بها دليل، والمسلمون من أهل السنة لم يستعملوها لا نفيا، ولا إثباتا.

بعد انقضاء القرن الثالث كادت السنة أن تضيع، وكاد المحدثون ألا يبقوا على معتقد، وتمكن مذهب النفاة ، ومذهب المعطلة، واضمحل مذهب الإمام أحمد أو كاد أن يضمحل، ولم يبق عليه إلا أفراد يتسترون لا يعرفون إلا أنهم من أتباعه، يستخفون بما هم عليه، وبقوا طوال هذه القرون لا يعرف من ينصر السنة إلا أفراد قلة.

ممن كان على مذهب الإمام أحمد في العقيدة، عالم في أول القرن الرابع، وهو الإمام البربهاري لما أنه أظهر عقيدة أهل السنة، وأظهر عقيدة بأن القرآن كلام الله حروفه ومعانيه، وأظهر القول بأن الله مستو على عرشه بائن من خلقه، وأن الله -تعالى- موصوف بصفات الكمال، وأخذ يفصلها، قامت عليه الدنيا، و لم تقعد وحاربوه وبدعوه وضللوه، وهددوه بالقتل، وهددوه بالسجن، واستخفى منهم استخفاء كثيرا، وصار مهددا، فرد واحد بين أهل زمانه الذين هم أمم كثيرون، ولكن نصره الله كما نصر إمامه أحمد بن حنبل، وله كتاب مطبوع في العقيدة اسمه "شرح السنة" إذا قرأته تعرف أنه متأثر بالسنة، وأنه على هذه العقيدة الراسخة التي هي عقيدة أهل السنة، أما بقية أهل زمانهم من كان منهم من أهل السنة، فإنه متستر، وإلا فالبقية قد تركوا السنة الصحيحة.

ظهر مذهب الاعتزال في القرن الرابع، وتمكن، وظهر مذهب الكلابية ظهر عالم في القرن الثالث يقال له ابن كلاب عبد الله بن سعيد بن كلاب وكان شديد الجدل، وقوي الحجة حتى شبهوه بالكلاب، الكلاب هي الحديدة التي يستعملها الحداد يقبض بها الحديد في النار، عندما يلقي الحديدة في النار حتى تحمر حتى تلين، يمسكها بحديدة لها أطراف تسمى الكلاب، يقال: كلاب الحداد التي يقبضها، فسموه بذلك؛ لقوة جدله، ثم أن أبا الحسن الأشعري وافقه عللا معتقده ، كان أبو الحسن الاشعري في أول أمر معتزليا، تتلمذ على أبي علي الجبائي وعلى ابنه، وهما من المعتزلة ، وعلى أبي الهزيل العلاف، وهو من علماء المعتزلة، وعلى الجاحظ، وهو معتزلي تتلمذ عليهم، فانتحل نحلتهم، وهي الاعتزال ، وبقي على ذلك في أول عمره ثم إنه اقترن بابن كلاب، فتتلمذ عليه، وقرأ عليه، ثم صار على عقيدته ، وبقي عليها أربعين سنة، وألف كتبا كثيرة على هذه العقيدة التي هي عقيدة ابن كلاب ، ونسبت بعد ذلك للأشعري، وصار أتباعه عليها يسمون الأشاعرة أو الأشعرية، ثم إن الأشعري في آخر حياته رجع، وقرأ كتب أهل السنة، وقرأ كتب أهل الحديث، فاهتدى ، ورجع عن هذه العقيدة إلى عقيدة أهل الحديث، وألف على ذلك رسالته المطبوعة التي باسم "الإبانة في أصول الديانة".

وألف أيضا كتابه الذي سماه "مقالات الإسلاميين"، ذكر مقالات المعتزلة ومقالات الكلابية ، ومقالات الوعيدية ، ومقالات المعتزلة، ومقالات الجبرية، والمرجئة ونحوهم ، وبالغ في ذكر مقالات

الجهمية، والمعتزلة، وما ينتقد عليهم، ثم بعد ما انتهى من هذه المقالات ذكر مقالة أهل السنة، وسرد عقيدتهم سردا محكما، وبينها بيانا وافيا كافيا، ولما انتهى منها قال: وبكل ما قالوه نقول، وبكل ما ذهبوا إليه نذهب.

عرف بذلك أن الأشعري أصبح من أهل السنة، في آخر أمره، وتجدون هذا الفصل الذي ذكره قد نقله ابن القيم في أول كتابه "حادي الأرواح" وفي آخر الكتاب نفسه أيضا، وكأنه يقول: هذا الكتاب الذي كتبته في ذكر الجنة من أهله الذين يستحقونه؟ هم أهل هذه العقيدة، الذين اعتقدوها عقيدة كافية كاملة لأهل السنة، ذكرها الأشعري في كتاب "المقالات" ونقلها ابن القيم في كتابه "حادي الأرواح " ونقل منها أيضا شيئا كثيرا في كتابه الذي سماه "اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية" ونقل منه أيضا شيخه ابن تيمية -رحمه الله- والحموية ، ونقله أيضا زميله الذي هو الإمام الذهبي في كتابه "العلو" مما يدل على أنهم تيقنوا أن الأشعري -رحمه الله- كان على هذه العقيدة التي هي عقيدة السلف الصالح.

ولكن مع الأسف أن أهل زمانه، والذين بعدهم، وإلى يومنا تمسكوا بعقيدته التي في وسط حياته، والتي ألف عليها كتبه، والتي هي عقيدة ابن كلاب، تمسكوا بها وسموا أنفسهم أشعرية، وأشاعرة، وافتخروا بهذه النسبة، و لم يزالوا على ذلك ينتحلون هذه العقيدة، فهم يقولون: نحن في المذهب شوافع ونحن في المعتقد أشاعرة، هكذا يقولون، لماذا لا تتبعون الشافعي في الأمرين: في العقيدة وفي المذهب؟ وكذلك يقولها الحنفية نحن حنفية في الفروع، وأشعرية في الأصول!.

فمذهب الأشاعرة هو الذي انتشر انتشارا كثيرا، ولا يزال ينتحله كثيرون، ويفضلونه على غيره، ويناضلون، ويجادلون في نصره، وينصرونه بكل ما يستطيعونه، وفيه ألفوا كتبا كثيرة فيما يعتقدونه، ومن كتب المتقدمين كتاب "الإرشاد" للإمام الجويني الذي هو إمام الحرمين، فيما يتعلق بهذه العقيدة، ولكنه شحنه بأصول المتكلمين الذين يتكلمون في العقائد، ويجعلون تلك البراهين، أو تلك القواعد التي يقعدونها أدلة على ما يذهبون إليه، هذه عقيدتهم، هذا "الإرشاد" مطبوع للجويني، والكتب التي ألفوها كثيرة.

ومنهم الرازي المشهور، الذي يسمى الفخر، الفخر الرازي صاحب التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، ألف له كتابا سماه "تأسيس التقديس" وجعله في عقيدة الأشاعرة، وأهداه إلى سلطان ذلك الزمان، وانتشر هذا الكتاب، ولا يزال مطبوعا، ولا يزال منتشرا.

ولما كان في القرن السابع، آخر القرن السابع، طوال هذه القرون، أهل السنة يتسترون، في القرن السابع أخرج الله عالما من أهل السنة صدع بالحق، وهو ابن تيمية –رحمه الله– فإنه لم يبال بمخالفة أهل زمانه، بل تعلق بالحق، واعتقده، وأحيا مذهب السلف –رحمهم الله – وناقش أهل زمانه، ناقشهم في العقيدة، فثار عليه أهل زمانه في بلاده التي هي دمشق، كان هناك علماء أجلة مثل ابن الزملكاني، ومثل السبكي المشهور، هؤلاء أشاعرة، وقد تمكن مذهب الأشعرية منهم ، وتلقوه عن مشايخهم، وصار مذهبا راسخا عندهم، فجاء شيخ الإسلام وصدح بمذهب أهل السنة صدح بالاستواء، وصدح بصفة العلو، وصدح بالصفات الفعلية، والصفات الذاتية فكان مما كدر صفوهم، وقالوا هذا سوف يخالفنا، وسوف يفسد علينا عقائدنا، فرفعوا أمره إلى السلطان في ذلك الزمان يعني: والي دمشق، فجمعهم السلطان وقال لهم: ناظروه، فناظروه أظهر هذه العقيدة "الواسطية" وقال لهم: هذه كتبتها منذ زمان كذا وكذا، والآن أنا على ما أقول ، وعلى ما أعتقد قرءوها، وإذا هي آيات، وأحاديث، وأدلة، وأقوال زاهقة للحق، ولكنهم مع ذلك أخذوا ينكرون عليه التصاريح التي صرح بها، وظهرت حجته عليهم، ولم يقدروا على مقاومته، ولكنهم –مع الأسف– لم يرجعوا إلا من قل، بل بقوا على معتقدهم.

انتشرت عنه هذه العقيدة، فسمع به علماء مصر من الحنفية، ومن الشافعية الذين على هذا المذهب، المذهب الأشعري، فرفعوا إلى السلطان في مصر وقالوا: نريد أن يأتينا حتى نناظره، وحتى لا يفسد علينا عقيدتنا، ولا يفسد علينا جماهير الأمة، فإنهم على هذا المعتقد، فكتب إليه السلطان أن يأتي إليهم، فذهب إليهم، وأقام هناك سبع سنين، أو ست سنين في مصر، كلها في جدال، اجتمعوا، وتصدى لمناظرته، أو لمجادلته عالم شافعي يقال له: ابن عدوان، ونصبوا قاضيا لهم حنفيا، يقال له: ابن مخلوف، فحضروا عنده، فقال ابن عدوان: أنا أشتكي، وأنكر على هذا الرجل، فإنه يقول: إن الله في السماء بذاته، وإن الله يتكلم بحرف وصوت، وإن القرآن حروفه ومعانيه كله عائد كلام الله تعالى.

ونحن نقول: إن كلام الله معنى قائم بذاته، وأن كلام الله ... وأن القرآن ليس هو كلام الله ، وإنما هو حكاية، أو عبارة، ونحن لا نقول: إن الله على عرشه، بل ننكر ينكرون أن يكون الله على العرش، أن يكون في السماء، وأخذ يدلي عليه بحجته، فعند ذلك قال ابن مخلوف: ما تقول يا فقيه؟ فقال الإمام: فابتدأ -رحمه الله تعالى- بمقدمة الحمد، والثناء على الله -تعالى- فقطعوا عليه حمده، وقالوا: ما جئنا بك لتخطب، إنما جئنا بك لتحتج، فقال عند ذلك: فمن الحكم؟ قالوا: قاضي القضاة، ابن مخلوف يسمونه قاضي القضاة، فقال: كيف تحكم علي، وأنت خصمي؟! فعند ذلك غضب، غضب هذا القاضي، الذي هو معترف بفضله وسيادته، فلم يجد بدا من أن كتب ليحبس، ليسجن ابن تيمية، فوافق على أنه يسجن، وسجن لمدة سنتين أو أكثر، ولكن لم يتوقف عن الكتابة، بل كان يأتيه تلامذة له، ويلقون عليه أسئلة، ويملي عليهم أجوبتها، فكتب في تلك المدة كتبا كثيرة، حتى جمع منها أكثر من عشرة مجلدات، تسمى الفتاوى المصرية.

جمعت وصار ينقل منها كثيرا، ثم إنه أخرج وبعد ذلك حصلت مناظرة بينه وبين المتصوفة، أتباع عدي بن مسافر، وبعض الصوفية، فأنكروا عليه تشدده عليهم؛ وذلك لأنه ينكر على الصوفية أحوالهم الباطنة، فالحاصل أنه أعيد للسجن مرة ثانية، وبقي فيه سنتين أو ثلاثا، وبقي هناك إلى أن تخلص بعد ست سنين، فرجع إلى دمشق.

بعد رجوعه إلى دمشق بقي يدرس ويعلم، تتلمذ عليه بعد رجوعه التلميذ الخاص، من هو؟ .. ابن القيم، ما رآه إلا بعدما رجع سنة إحدى عشرة وسبعمائة، فتتلمذ عليه ابن القيم، وابن كثير، والذهبي، وابن عبد الهادي ونحوهم، وقبلوا ما قال.

ظهر هؤلاء بالعقيدة، وصاروا هم الذين تأثروا، الشافعي منهم بقي على مذهبه الشافعي، ولكن انتحلوا مذهب أهل السنة، ابن كثير شافعي، والذهبي شافعي، ومع ذلك أخذوا مذهب أهل السنة مع بقائهم على مذهب الشافعي، ابن عبد الهادي وابن القيم حنابلة، وكل منهم بقي على المذهب... على مذهبه في الفروع، وتغيروا على ما كانوا عليه، أو ما تلقوه من قبل.

ابن القيم يقول: إنه قبل أن يأتيه ابن تيمية قرأ على بعض المتكلمين قرأ عليهم، وتلقى منهم بعض العقائد التي هي عقائد أشعرية أو نحوها، ولكن أنقذه الله بابن تيمية لما جاء، ذكر ذلك أو أشار إليه في نونيته.

الحاصل أن هؤلاء هم الذين في هذا القرن، جددوا مذهب أهل السنة، فتجدون كتب ابن القيم تعالج، وتجادل في مذهب أهل السنة، وفي إحياء هذا المذهب كتابه الذي سماه "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" مطبوع أكثره ومفقود بعضه، ومطبوع مختصر، وكتابه الذي سماه "اجتماع الجيوش الإسلامية" كلها تتعلق بالعقيدة.

ابن تيمية -رحمه الله- له الكتب الموسعة التي أوضح فيها مذهب أهل السنة، فرد على الكتاب الذي سميناه الذي هو "تأسيس التقديس" للرازي رد عليه بكتاب موسع اسمه "نقض التأسيس" هذا النقض أتى عليه من الأساس.

وفند حجته بما يدل على أنها، وإن كانت مشتهرة، لكنها كبيت العنكبوت لا تقوم لمن كان ذا بصيرة ، ورد على الرافضي، الرافضي الذي هو ابن المطهر الذي كتب كتابا سماه "منهاج الكرامة في منصب الإمامة" جيء بهذا الكتاب إلى الإمام ابن تيمية، وإذا أوله يتعلق بالصفات، فجاء له فنقضه نقضا مكملا، يعني: نقضا كاملا، ورد عليه ردا وافيا، فيما يتعلق بالصفات وكذلك فيما يتعلق بالمذهب الرافضي في حجتهم وشبهاتهم، والكتاب طبع أولا في أربعة أجزاء، ثم طبع أخيرا في عشرة أجزاء، والحادي عشر، فهارس، وهو ميسر لمن أراد الاطلاع عليه.

ليعرف أن هذا الإمام -رحمه الله- قد بذل جهدا في نصر السنة، وكذلك أيضا كتابه الثالث الذي سماه "العقل والنقل" يعرف بهذا الاسم، طبع في طبعته الأولي باسم "موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول" ثم طبع طبعة أخيرة باسم "درء تعارض العقل والنقل"؛ وذلك لأن أكثر ما يحتج به هؤلاء الأشاعرة العقل، ويقولون: العقل ينكر كذا ، العقل لا يقر بكذا وكذا، فأولا: أقنعهم بأن العقل ليس مرجعا، بل المرجع الأساسي هو الشرع، والسمع، وهو النقل، وثانيا: بين لهم أن العقول الصحيحة توافق المنقولات الصريحة، ولا يحصل بينها أي تفاوت، فارجعوا إلى عقولكم وحققوها، وبين لهم أيضا أنهم

متناقضون، فأحدهم يثبت صفة مثلا ثم ينفيها، ففي نفيه يقول: نفاها العقل، وفي إثباتها يقول: أثبتها العقل، فيقال: عجبا لك عقلك تغير كيف تغير بين عشية وضحاها؟

عقل واحد ينفي ثم يثبت ويأتيه عاقلان كل منهما يدعي أنه كامل العقل، وهذا يثبت هذه الصفات وهذا ينفيها، أليس ذلك دليلا على أن هذه العقول ليست مرجعا؟ فكيف تحكمونها و تجعلونها هي المرجع في هذه السنة أو في هذا المعتقد؟ لا شك أنه لما جادلهم بمثل هذه المجادلات انقطعت شبهاتهم.

فالحاصل أنه -رحمه الله- هو الذي أحيا هذه السنة بعدما كادت أن تضمحل. العلماء الذين في هذه الفترة ما سكتوا، يكتبون، ولكنهم لا يقدرون على أن يواجهوا العالم، ولا على أن يصرحوا، بل يكتبون كتابات يعطونها لتلامذتهم.

ففي القرن الخامس ظهر عالم حنبلي يقال له: القاضي أبو يعلى ابن الفراء، وكان أيضا قد قرأ في علم الكلام، قرأ على المتكلمين، وعلق بذهنه شيء من علم الكلام، ولكن لما كان منتحلا لمذهب أحمد لم يجد بدا من أن يقتني كتب أحمد، ويقتني الكتب التي ألفها الحنابلة، ولا شك أن من جملتها ما يتعلق بالعقيدة؛ فلأجل ذلك صار على هذه العقيدة.

ألف كتابا، رسالة صغيرة تتعلق بصفة العلو، ولما ألفها قامت عليه الدنيا، وأنكروا عليه، وشنعوا عليه، وقالوا: أبو يعلى مجسم أبو يعلى مشبه ، أبو يعلى أبو يعلى ... مع أنه قاض معترف به وعالم جليل، وله كتاب مطبوع اسمه "إبطال التأويلات" يدل أيضا على أنه مظهر للحق، وأنه على العقيدة السليمة، ولكنه لم يجرؤ مثلما تجرأ ابن تيمية، وفي مناظرة أهل زمانه وبالإنكار عليهم إنكارا بليغا، مثله الإمام ابن قدامة له أيضا كتب تتعلق بالعقيدة، وهو حنبلي المذهب له مؤلفات في العقيدة منها الرسالة التي شرحناها بالعام الماضي، والتي هي "لمعة الاعتقاد" ومنها كتب في إبطال التأويل، وفي صفة العلو ونحو ذلك، ولكن لم يكن جريئا على أن يظهر للعالم ويجادل ويناضل ويخاصم؛ ذلك لأنه جل اهتمامه بتلامذته الذين يتتلمذون عليه، و لم ير أن يجادل أهل زمانه.

لا شك أن هناك أئمة وعلماء قد خالفوا في هذه العقائد، التي هي عقيدة الأسماء والصفات، وانتحلوا كثيرا، أو ذهبوا إلى كثير من التأويلات، ومنهم مثلا الإمام النووي صاحب "رياض الصالحين"، و"شرح

صحيح مسلم"، وله كتاب "الأذكار"، وله كتاب "المجموع شرح المهذب"، وله كتب كثيرة، ولكن مشايخه الذين قرأ عليهم والذين تتلمذ عليهم طوال حياته في باب العقيدة أشاعرة؛ لأن المذهب الأشعري هو الذي عم في تلك البلاد، فلم يكن له من يلقنه مذهب أهل السنة، وكأنه لم يشتغل إلا بمذهب الشافعي، و لم يشتغل إلا بكتب مشايخه القريبين، وقراءته لكتب الحديث، إنما هي قراءة عابرة تأثر بأهل زمانه، فلما تأثر بهم اعتقد ما هم عليه، فذهب إلى تأويل آيات الصفات، وأحاديثها، فتجدونه في "شرح كتاب صحيح مسلم" أتى على حديث النزول، فأخذ يتأوله تأويلات بعيدة، وينكر أن يكون حقيقيا نزولا حقيقيا يليق بالله وحده، وكذلك أيضا يمر به أحاديث فيها صفات فعلية، فيتأولها حتى في "رياض الصالحين" يتأول كثيرا من الأحاديث التي فيها إثبات بعض الصفات، إذا صارت مخالفة له.

نقول: إن هذا بسبب تأثرهم بعلماء أهل زمانهم، ولا شك أن أهل الزمان لهم تأثير على غيرهم؛ فلذلك نقول: إن الإنسان عليه أن يختار من مشايخه أهل الثقة، الذين يثق بعقيدتهم حتى يكونوا قدوة له، فإذا أخذ من علماء هؤلاء المبتدعة تأثر بهم، كما هو طريقه هؤلاء العلماء الذين من الله -تعالى- عليهم بهذه المترلة. منهم مثلا الحافظ ابن حجر شافعي المذهب شرح صحيح البخاري، مرت به الأدلة التي في أول كتاب الإيمان، والتي في آخر كتاب التوحيد في صحيح البخاري ، ومع ذلك نجد أنه كثيرا ما يسلط عليها التأويلات، وينقل تأويلات مشايخه، والعلماء الذين قرأ عليهم مع أنه أيضا قرأ لابن تيمية، وقرأ لابن القيم، ونقل عنهما، ولكن لم يقتنع لماذا؟ لأنه تأثر بمشايخه من الشافعية، حتى أنه لما ترجم لابن تيمية في بعض كتبه جمع المثالب التي أنكرت عليه، وقال: إنه يقال عنه كذا وكذا وكذا، ولو كان قد أجاب عنها، ولو أنه مدحه بما مدحه به، لكن أخطأ في مثل هذا.

كذلك أيضا غالب الذين تمذهبوا بهذا المذهب الشافعي، لم يوجد فيهم من تمسك بالسنة إلا نادرا، والإمام الذي نشرح له هذه العقيدة هو أبو بكر الإسماعيلي شافعي المذهب، وقرأ على المحدثين، وأخذ هذه العقيدة من كتب الحديث، ولكن في عقيدته بعض الكلمات التي أخذها من مشايخ انتحلوا هذه العقيدة، وهي إنكار الأعراض، وإنكار الأجزاء وما أشبه ذلك، وأنكر ذلك عليه المحقق، جزاه الله خيرا.

وسبب ذلك أن هؤلاء غالبا يأخذون من مشايخهم، ويحسنون بهم الظن، وقع ذلك حتى في بعض من هم من المذهب الحنبلي، فعندنا مثلا من الحنابلة المتأخرين السفاريني، السفاريني هذا عالم جليل في القرن الحادي عشر، وله هذه الرسالة المنظومة التي في العقيدة، شرحها شرحا واسعا في كتابه الذي سماه "لوامع الأنوار" وفي بعض الطبعات "لوائح الأنوار البهية"، وتوسع في شرحه ، ومع ذلك وقع في شيء من المخالفات، مثل قوله: وليس ربنا بجوهر، ولا عرض، ولا جسم، تعالى ذو العلى، وناقشه مشايخنا ومشايخ مشايخنا، وبينوا أن هذا من الخطأ، فنعرف بذلك أن البيئة تؤثر، وأن المجتمع له أثره، وأن المشايخ الذين يدرس عليهم العالم يكون لهم تأثير؛ فلأجل ذلك يظهر أثرهم على هؤلاء، ولكن الحق أحق أن يتبع.

فهذا بيان لمراحل هذه العقيدة، وكيف وصلت، وكيف اتسعت.

وفي الدرس الآتي -إن شاء الله- نبدأ في قراءتها

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

س: فهذا سائل يقول: هل الخوارج كفار؟ وكيف يوجه حديث النبي ﷺ ﴿ يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ﴾ ؟ وحديث: ﴿ لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ﴾ ؟

ج: قد وردت هذه الأحاديث في الصحيح صحيح مسلم، وفي البخاري بعضها، فمن العلماء من طبقها عليهم، وقال: إنهم المرادون بهذه الأحاديث، ومنهم من قال: إنها صفات لآخرين لم يخرجوا بعد أو يخرجون في آخر الزمان، أو ليسوا هم الذين خرجوا في عهد الصحابة.

ولا شك أن كثيرا من الصفات تنطبق عليهم، مثل الحديث الذي فيه: ﴿ أنهم يخرجون على حين فرقة من الناس يقتلهم أولى الطائفتين بالحق ﴾

وإن كان هذا قد ضعفه بعضهم، وعلى هذا، الصحيح أن أولئك الذين قاتلهم علي لا يحكم بكفرهم، ولو كانوا يكفروننا، فإننا لا نكفرهم؛ ولذلك سئل علي ﷺ قيل: أكفار هم ؟ فقال: من الكفر فروا، فقيل: أمنافقون؟ فقال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا، وهؤلاء يذكرون الله كثيرا، قيل: ماذا نقول فيهم؟ قال: هم إخواننا بالأمس بغوا علينا.

فأطلق عليهم اسم البغاة، هذا هو القول الصحيح أنهم بغاة، وأنهم يقاتلون لكف شرهم، فإن البغاة هم الذين ينقمون على إمام المسلمين، وينكرون عليه، ويخرجون، ولهم قوة، ولهم شوكة، ولهم شبهة يتشبثون بها فتزال شبهتهم، كما بعث إليهم ابن عباس وناقشهم، حتى رجع منهم نحو الثلث، فإذا بقوا، فإنهم يقاتلون إلى أن يرجعوا، أو يكف شرهم هذا في الخوارج.

والآثار التي وردت فيهم إن كانت فيهم، فهي من باب نصوص الوعيد، وإن كانت في غيرهم، فينطبق عليهم بعضها لا جميعها.

س: وهذا يقول: ماذا يترتب على قولهم: إن القرآن مخلوق؟

ج: يترتب عليه إنكار أن الله – تعالى- متكلم، وهو إنكار صفة كمال، ثم أيضا يترتب عليه إنكار الأدلة التي دلت على ذلك، فالله -تعالى- أضافه إلى نفسه بقوله: ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ فالذين يقولون: إنه مخلوق، ينكرون دلالة هذه الآيات، ثم نقول ما الذي حملهم؟ حملتهم عقيدتهم اعتقدوا أن الله لا يتكلم، وذلك أنه خيل إليهم أن الكلام، إنما يصدر من متكلم، إنما يصدر -مثلا- من المتكلم الذي له لسان وشفتان، ونحو ذلك، فقالوا: لو أثبتنا الكلام لله لأثبتنا هذه الصفات، وإذا أثبتناها أثبتنا تجسيما، وأثبتنا تشبيها ونحو ذلك، فهكذا اعتقدوا.

ولا شك أن من أنكر أن الله -تعالى- متكلم فقد وصفه بالنقص، ولعله يأتينا في إثبات الكلام الأدلة على ذلك.

س: وهذا يقول: يروى عن البخاري -رحمه الله- أنه يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فأرجو توضيح هذه العبارة.

ج: رويت عنه، وبعضهم أنكرها ، وبعضهم اعتذر عنه، البخاري -رحمه الله- ألف كتابه الذي هو صحيح البخاري وفي كتاب التوحيد ذكر الأدلة على القرآن، وعلى إثبات أن الله متكلم، وعلى إثبات أن القرآن كلام الله، أوضح ذلك أتم إيضاح، كذلك أيضا ألف كتابه الذي سماه "خلق أفعال العباد" يرد به على المعتزلة الذين يقولون: إن الله لا يقدر على خلق أفعال العباد، وأن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم.

ينكرون أن الله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويعطي، ويمنع ينكرون ذلك، فأثبت بهذا الكتاب خلق أفعال العباد.

ولا شك... أن يعني: كلمة لفظي بالقرآن مخلوق فيها احتمالان: احتمال صحيح، واحتمال غير صحيح، فالصحيح إذا أريد بلفظي حركاتي حركة لساني وحركة شفتي وحركة لهواتي هذه مخلوقة، الله -تعالى- هو الذي خلق الإنسان ، وخلق أفعال الإنسان فكونك تحرك شفتيك أنت الذي حركتها، ولكن الله هو الذي أقدرك على ذلك، فهو خالق العبد وخالق أفعاله، فإذا أريد باللفظ حركات الإنسان وحركات لهواته، فهذا معنى صحيح، وأما المعنى الذي ليس بصحيح، فهو أن يراد باللفظ الملفوظ، لفظي يعني: ما أتلفظ به، وما يخرج مني عند التلفظ بالقرآن.

إذا قلت مثلا ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ فهذه الألفاظ التي تلفظت بها إن كان يريد أنها مخلوقة، فهذا ليس بصحيح، بل هو قول بعيد باطل نتره عنه البخاري وغيره، فالحاصل أنها إن تثبت عن البخاري، فهو يريد بذلك حركات العبد، وإن لم تثبت، فهو الأولى، والذين نهوا عن ذلك أرادوا بذلك النهي عن أن يعتقد أن اللفظ هو الملفوظ ، وكأنهم يقولون: إنا إذا سهلنا لهم فقلنا: لفظي بالقرآن مخلوق، دعاهم ذلك إلى أن يقولوا: ملفوظي بالقرآن مخلوق.

س: وهذا يقول: متى يحكم على الشخص أنه مبتدع؟ ومن الذي يحكم عليه؟

ج: معلوم أن البدع إما أن يبتدعها الإنسان، وإما أن يتبع فيها، فإذا ابتدعها قيل هذا مبتدع، بمعنى أنه منتحل بدعة، لم يسبق إليها مبتدع لها، فيقال: مثلا أن معبدا الجهني ابتدع هذه البدعة التي هي إنكار علم الله السابق، ويقال: إن عمرو بن عبيد ابتدع بدعة كذا وكذا، ويقال إن واصل بن عطاء ابتدع بدعة كذا وكذا، فمثل هذه البدع -لا شك- أنها بدع عميقة عريقة، وأن أصحابها يقال لهم: مبتدعون، أما الأتباع فيحكم عليهم بأنهم أتباع المبتدعة، ولا شك أن متبع المبتدع مبتدع؛ لأنه عرف بأنها بدعة اتبعه عليها، فهو مبتدع حقا، لكن البدع تختلف، منها بدع مكفرة ومنها بدع مفسقة، هذا فيما يتعلق بالعقائد.

البدع المكفرة: مثل بدعة غلاة الجهمية، يقول ابن القيم: ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان. خمسون مضروبة في عشر يعني خمسمائة عالم، هؤلاء كفروهم، هناك كذلك أيضا بدعة غلاة الرافضة مكفرة، الذين مثلا يطعنون في القرآن، وكذلك يردون أحاديث الصحيحين، ويكفرون الصحابة الذين نقلوها، لا شك أنها بدعة مكفرة؛ لأنهم طعنوا في الأصلين الكتاب، والسنة، فهي بدعة مكفرة أما البدع الباقية، فإنها مفسقة حتى بدعة المرجئة وبدعة الجبرية ونحوهم وبدعة الأشاعرة، هذه بدع مفسقة، ولا تصل إلى حد الكفر، وكذلك البدع في الفروع يقال لها: بدعة، ولو لم تكن مكفرة، ولا مفسقة، لكنها نقص في الدين تقدح في كمال التوحيد، البدع في الفروع مثل الذين يحتفلون بليلة الميلاد المولد النبوي، أو يحتفلون بليلة الإسراء، أو يحيون ليلة أول جمعة في رجب، ويسمونها صلاة الرغائب أو ما أشبه ذلك، هذه البدع -لا شك- أنها بدع عملية، ليست بدعا اعتقادية، وإن كانوا يعتقدون أنها من السنة، ولكن إنها ليست معتقدا.

فالحاصل أن البدع... أن المبتدع الذي يتبع البدعة، وهو يعرف أنها بدعة، وتقوم عليه الحجة يسمى مبتدعا، شاء أم أبى.

س: أحسن الله إليكم فضيلة الشيخ، هذا يقول: هل للأشاعرة تمكن في هذا الزمان، وأين، وهل صحيح أن كثيرا من الناس يعتقدون أن مذهب أهل السنة والجماعة، هو مذهب الأشاعرة.

ج: لهم تمكن في هذا الزمان، وقد قامت عليهم الحجة بعد طبع الكتب ، وبالأخص كتب السلف، وقد امتعضوا امتعاضا شديدا لما طبعت، ففي حدود سنة خمسين، وما بعدها طبع كتاب "السنة" لعبد الله بن الإمام أحمد، وطبع كتاب "الرد على بشر المريسي" لعثمان بن سعيد الدارمي، ولما طبع امتعض أحد الأشاعرة، وهو زاهر الكوثري، المشهور، عالم محدث مشهور له تحقيقات، وله مؤلفات، ولكنه متعصب لمعتقد الأشاعرة، فله تعليقات ينكر بها على أهل السنة، وله مقدمة لما حقق كتاب "الأسماء والصفات" للبيهقي قدم فيه مقدمة، حمل فيها على ابن تيمية، وأخرجه من الإسلام، وكذلك تلميذه ابن القيم، وله أيضا كتاب في الرد على ابن القيم، وغير ذلك، لقبهم فيها بألقاب شنيعة حتى أنه استباح لعنهم وتضليلهم.

فدل على أنهم لهم بقايا، هذا العالم الذي هو الكوثري له تلامذة، تلامذة جاءوا إلينا في كثير من الأوقات حتى درسونا، ولما أنا أفصحنا بتضليل الكوثري، أخذوا يجادلوننا، ويقولون: كيف تضللونه، وهو، وهو، العالم، الجليل، الكبير، الزاهد، الذي فيه كذا وكذا؟! موجود له تلامذة كثير من الذين جاءوا من مصر، علماء مشهورون، ولكن على معتقد الأشعري، إلا أنهم يأخذون حذرهم، فلا يفصحون بمعتقدهم إذا كانوا يدرسون من يخشون أن ينكر عليهم، ويتوقفون، وإذا جاءهم... أنكر عليهم بعض التلاميذ قالوا: ننتقل إلى موضوع آخر، نقطع الكلام في هذا وهكذا.

ومنهم من اهتدى، ورجع إلى الحق، وقامت عليه الحجة، ومنهم من رجع إلى ما كان عليه، وهكذا أيضا في علماء كثير من البلاد العربية، والبلاد الإسلامية، لا يزالون يدرسون المذهب الأشعري، وكتبهم عليها شروح، الكتب التي ألفت في العقائد الأشعرية، مثل "العقائد النسفية"، النسفي عالم أشعري مشهور له مثل "بدء الأمالي" ومثل عقيدة اسمها "الخريدة" وعقيدة اسمها "الجوهرة" وعقيدة اسمها "الشيبانية"، ولو كانت أخف لكن الذين شرحوها غلاة في المذهب الأشعري، ينكر على الشيباني مثل قوله في قصيدة مشهورة يقول:

لا حل في شيء تعالى ذو العلا

يعني: ينكر بذلك أن يكون الله – تعالى– في السماء أو نحو ذلك ، وبكل حال لا يزال هناك من هم على هذا المذهب.

مذهب أهل السنة والجماعة، هل هم الأشاعرة؟

الذين يقولون: إن مذهب أهل السنة ...أن الأشاعرة هم أهل السنة، هم الأشاعرة أنفسهم، أتذكر قبل ثلاثين سنة أو نحوها كنا ندرس على بعض الأشاعرة، فأتى بمسألة التحسين والتقبيح، وأتى بمسألة في الإيمان، فقال: هذا مذهب الأشاعرة، هذا مذهب أهل السنة... يعني: قال: هذا مذهب الأشاعرة، هذا مذهب المعتزلة، قلنا: فأين مذهب أهل السنة؟ قال: هو مذهب الأشاعرة؛ ذلك لأنه أشعري، الأشاعرة عندهم أهل السنة.

س: وهذا يقول: هل يجوز أكل ذبائح الرافضة ؟

ج: الصحيح أنها لا تؤكل، غلاتهم مثل الذين ينتحلون هذه النحلة يجمعون بين ثلاثة أشياء: الأول: الشرك الصريح، فإنهم دائما في الملمات لا يدعون إلا يا علي ، أو يا حسين، أو نحو ذلك، وثانيا: طعنهم بالقرآن، ولو أظهروا أنهم لا يطعنون فيه، ولكنهم على معتقد خبيث، وثالثا: تكفيرهم للصحابة، وردهم لكتب أهل السنة، فمثل هؤلاء لا تؤكل ذبائحهم.

س: السؤال الأخير يقول: هل يجوز التقسيم بين الورثة، بلا علم إذا اصطلحوا على ذلك؟

ج: الورثة إذا عرف أن الحق منحصر فيهم من التركة، منحصرة فيهم فيصطلحون كما يريدون، ولكن الأولى أن يقسم على كتاب الله –تعالى– حتى يقتنع كل بحصته، والله –تعالى– أعلم، وصلى الله على محمد .

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه نبدأ الآن في قراءة متن العقيدة، ويقرؤها هشام الشعلان.

نعم.

هكذا ابتدأ –رحمه الله – وكأن الراوي حذف المقدمة؛ لأن العادة أن المؤلفين يبدءون بمقدمة فيها حمد الله ، والثناء عليه، وفيها الشهادتان، وفيها الدوافع التي تدفع إلى ذلك الموضوع، وفيها بيان

الموضوع، ولم يذكر في هذه الرسالة، فإما أن يكون المؤلف اقتصر على العقيدة نفسها، ولم يذكر المقدمة، وإما أن يكون بعضهم اختصر المقدمة، وترك ما لا حاجة إليه، وذكر ما به حاجة، والخطاب بقوله: "اعلموا" عام للمسلمين الذين يقبلون، يقبلون الإرشادات، ويقبلون التعليمات، ويتقبلون النصائح التي توجه إليهم، فإنهم الذين ينتفعون بما أمروا به.

فالأمر بقوله: "اعلموا" أمر إرشاد، وأمر توجيه ونصيحة ، ومعناه أنه يأمركم، فإن أردتم الخير امتثلتم، فإنكم مفلحون ، ومن خالف ذلك وصد عنه، فإنه يعتبر مخالفا للنصيحة ورادا لها.

دعا في أول هذه الكلمة لكم بالرحمة "رحمنا الله ، وإياكم" بدأ بنفسه، فدعا له بالرحمة، ثم بعد ذلك للمخاطبين بالرحمة، وهو دليل أيضا على أنه يعترف بصفة الرحمة، أن الله -تعالى- واسع الرحمة، وأنه رحيم بعباده، والرحمة صفة فعلية، يرحم الله بها من يشاء من خلقه، وقد اشتق منها لله -تعالى- أسماء كالرحمن الرحيم، اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، فالرحمة صفة لله -تعالى- ثابتة يرحم من يشاء من خلقه ، وكذلك وضع الرحمة في قلوب عباده.

فأخبر النبي ﷺ ﴿ بأن الله خلق الرحمة مائة جزء، وأنه وضع منها جزءا بين العالمين يتراحمون به، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه ﴾ تلك الرحمة وضعها الله -تعالى- في قلوب الأبوين ونحوهم، فالله تعالى رحيم، الرحمة في حق المخلوق رقة وشفقة على من يرحمه، يرق قلبه لذلك الذي أشفق عليه حتى يحرص على إيصال الخير إليه، ودفع الشر عنه، وثبت أنه ﷺ قال: ﴿ من لا يرحم لا يرحم ﴾ وقال لمن رأى قلبه قاسيا: ﴿ أوأملك أن نزع الله من قلبك الرحمة ﴾ فأفاد بأن الله - تعالى- يضع الرحمة في القلوب.

والكلام هنا في رحمة الله تعالى، إن الله رحيم بالعباد، وأنه يرحم من يشاء كما في قوله -تعالى -: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ﴾ وأن من رحمه، فقد سعد كما في قوله: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ وقال: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ .

المذهب: هو المسلك الذي يسلك يقال: هذا مذهب فلان يعني: طريقه الذي ذهب منه، وسلكه فيقال: فلان ذهب في مذهب فلان يعني: طريقه الذي سلكه، ولكن اصطلح على أن المراد بالمذهب هو القول الذي يقتدى به بعده، أو الذي يختاره، ويرجحه، ويسمى مذهبا له يعني: مسلكا سلكه ، وقولا اختاره ، ورجحه على غيره بدليل اقترن به.

المذاهب: يراد بها الأقوال التي تنسب إلى أربابها، ويطلق المذهب على قول قاله إمام مجتهد ومات، وهو مجتهد ومتمسك به سواء اقتدي به فيه، أو لم يقتد به، وها هنا أضاف المذهب إلى أهل الحديث "مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة" خصهم؛ لأنهم القدوة، ومن يريد أن يقتدي بهم، ويسير على نهجهم، فليسلك هذا الطريق، وليتمسك بهذا المذهب اختارهم؛ لأنهم أقرب إلى الصواب، وأقرب إلى النجاة، وأقرب إلى الفلاح.

معلوم أن أهل الحديث هم الذين تمسكوا به؛ لأن الأصل أنهم رووا الأحاديث وحفظوها ودونوها، واشتغلوا بها وفتشوا في صحيحها وضعيفها ونقبوا فيما يصلح أن يقبل، وما لا يصلح أن يقبل، فصار ديدنهم وصار شغلهم الشاغل هو الاشتغال بالحديث، وما المراد بالحديث؟

لا شك أنه حديث النبي ﷺ يعني: الأحاديث التي ينقلونها، كان الصحابة –رضي الله عنهم– في أول أمرهم يقبلون الحديث ممن رواه وممن نقله، ولكن بعدما دخل في الإسلام من ليس بمسلم صحيح، وأخذ يختلق أحاديث، ويختلق أقوالا، وينسبها إلى النبي ﷺ فعند ذلك اهتم المسلمون، واهتم الصحابة، والعلماء بهذه الأحاديث، فألزموا كل من روى حديثا أن يذكر من حدثه عنه.

ذكر مسلم في مقدمة كتابه قال: كانوا لا يسألون عن الإسناد، فلما ركب الناس الصعب، والذلول قالوا: سموا لنا رجالكم، أي: حتى نعلم من يقبل ومن لا يقبل، فصاروا لا يروون الأحاديث، ولا يتقبلونها إلا إذا عرفوا سندها، فصاروا يروونها بالأسانيد، فعند ذلك بحثوا في رجالها الذين نقلوها، وترجموهم ، وذكروا ما يقال فيهم، ومن هو أهل أن يكون محدثا وحافظا ومن ليس كذلك، فاشتغلوا بهذا.

اشتغل به مثل الإمام البخاري كان شغله في الحديث طوال حياته ومثل الإمام أحمد، ومثل يحيى بن معين زميل للإمام أحمد، وله تآليف وتراجم مطبوعة، ومثل علي بن المديني، وله كتب مطبوعة، ومثل الإمام مسلم، وأصحاب السنن الأربعة وغيرهم، وكذلك في القرن السابق قبلهم، اشتغلوا بالأحاديث، واشتغلوا بنقلها، وبتتبعها ورد ما ليس بثابت منها، وما ليس بصحيح، وتثبيت الثابت الصحيح وقبول رواية هذا، وقبول رواية هذا، فصار شغلهم دائما في الأحاديث، إذا جلسوا في مجلس إنسان فليس لهم إلا أن يقولوا: ماذا تحفظ يا فلان من الأحاديث ماذا عندك من الأحاديث؟ هذا الحديث رواه فلان عن فلان ماذا تعرفون عن الراوي الفلاني؟ وماذا تعرفون عن شيخه وشيخ شيخه؟

وهكذا فيكون دائما شغلهم في التنقيب عن الأحاديث؛ فلذلك سموا أهل الحديث، وكفى بهذا الاسم شرفا؛ وذلك لأنه حديث النبي ﷺ أي: الحديث الذي أضيف إليه، ﷺ .

وسموا أهل السنة، وأهل الجماعة، تطلق السنة على أحاديث النبي ﷺ وتقابل القرآن، فأنت تقول: أعطني دليلا من الكتاب والسنة مرادك بالسنة: الأحاديث، فجعلت الأحاديث، جعلت هي السنة؛ لأنها الطريقة التي بينها النبي ﷺ كلمة السنة: اسم للطريقة التي يسار عليها، كما روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قال: سن رسول الله ﷺ والخلفاء بعده سننا الأخذ بها نجاة ..... إلى آخره.

مراده بالسنن الطرق التي سنوها وشرعوها لمن بعدهم، فالنبي ﷺ شرع لأمته هذه الطرق التي يسيرون عليها، ألا وهي الأوامر، والنواهي، والأقوال، والإرشادات فسميت سنة؛ لأنه بينها ووضحها، فكأنهم يسيرون عليها، فالسُّنن والسَّنن هي الطرق؛ ولذلك قال النبي ﷺ ﴿ لتتبعن سَنن من كان قبلكم ﴾ يعني: طرقهم، ولما قال له بعض أصحابه: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، قال: ﴿ الله أكبر إنها السنن ﴾ يعني: الطرق المسلوكة قبلكم تسيرون عليها، فسماها سننا، يعني: طرقا ومناهج يسار عليها، ثم أطلقت السنة على العقيدة السليمة، فيقال: السنة جاءت بكذا وكذا.

وتعرفون أن كثيرا من العلماء سموا كتبهم بالسنة، فللإمام أحمد كتاب اسمه "السنة"، ولولده عبد الله كتاب اسمه "السنة"، ولتلميذه أبو بكر الخلال كتاب اسمه "السنة"، ولابن أبي عاصم كتاب اسمه "السنة"، ويراد بالسنة هنا ما يعتقد، يعني: لا تدخل فيه سنن الأفعال.

أما كتاب المروزي، المروزي له كتاب اسمه "السنة" محمد بن نصر المروزي، لكن يتعلق بالأحاديث، والذب عنها، وتصحيحها وما يقال فيها، لا يتعلق بالعقيدة بخلاف كتاب "السنة" لأبي عبد الله، ولأبيه، ولتلميذه، فإنها تتعلق بالعقيدة.

ولبعض المتأخرين عالم يماني يقال له: ابن الوزير له كتاب مطبوع اسمه "الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم" فيراد بالسنة هنا الأحاديث وكذلك أيضا الأعمال.

والحاصل أن أهل العقيدة السلفية يسمون أهل الحديث، ويسمون أهل السنة، ويسمون أهل الجماعة، ويراد بالجماعة المجتمعون على الحق، المجتمعون على الخير الذين تجمعهم عقيدة سليمة، ولو كان غيرهم أكثر منهم.

جاءت أحاديث كثيرة تدل على الحث على لزوم الجماعة في حديث أبي ذر المشهور قال النبي ﷺ ﴿ تلزم جماعة المسلمين، وإمامهم ﴾ وفي أحاديث كثيرة أنه ﷺ قال: ﴿ عليكم بالجماعة ﴾ يعني: يحث على لزوم جماعة المسلمين، جماعة المسلمين، ﴿ فإن دعوتهم تحيط من ورائهم ﴾ .

أطلقت الجماعة على أهل العقيدة السليمة، ولو قلوا في بعض الأزمنة، الأصل أنهم السواد الأعظم، وأنهم الأكثرية، ولكن قد يقلون في بعض الأزمنة، لابن الجوزي كتاب اسمه "تلبيس إبليس" وفي بعض الطبعات "نقد العلم والعلماء" بدأه بمقدمة في الحث على لزوم الجماعة، وكأنه يشير إلى أن الأكثرين غالبا أقرب إلى الصواب، ولكن لو قدر أن الصواب صار مع غيرهم، فإنا نأخذ بمن معه الصواب، ولو كانوا قليلا، فالحق حق، وإن قل أهله، والباطل باطل، وإن كثر أهله.

ثم قد يراد بالجماعة أهل القرون المفضلة، ذكرنا لكم أن القرن الأول وبالأخص الصحابة كلهم على الحق لم يذكر فيهم مبتدع، وأن القرن الثاني الذين هم التابعون، الأصل فيهم أنهم على الحق سيما الذين قرءوا العلم، أخذوا العلم عن الصحابة، وأن تلامذتهم تابع التابعين، الأصل فيهم أنهم على الصواب، وأنهم على الحق، وأن القرن الرابع وما بعده هو الذي كثرت فيه البدع، وكادت السنة أن تختفي.

إذن فقد يقال: إن الجماعة هم السلف الصالح، الجماعة هم أهل القرون المفضلة، أهل القرون الثلاثة الذين زكاهم النبي ﷺ "هذه عقيدتهم أولها الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله" هكذا عبر بالإقرار،

والمراد الاعتراف، أقر بالشيء: يعني: اعترف به، وقد تقول: لماذا لا يعبر بالإيمان مع أنه الذي ورد في الأحاديث؟ الذي ورد في الأحاديث في حديث جبريل أن النبي ﷺ قال له: ﴿ الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر ﴾ قال: تؤمن، ولم يقل: تقر، وكأن المؤلف هنا اختار رواية الإقرار؛ لأنه يريد به الاعتراف الظاهر الذي يسمع من المعترف، يعترف بذلك على رءوس الأشهاد.

الإيمان كأنه خفي؛ لأنه تصديق القلب ويقينه وعقيدته، والإقرار إظهار للشيء الذي أقر به، وإعلان له على رءوس الأشهاد، وتمسك به.

ولا شك أن من أظهر هذا، فإننا نشهد له بالإيمان، من أظهر هذا الاعتراف وقال: أنا أقر، وأعترف بأن الله – تعالى– هو إلهنا، وأنه أنزل الكتب، وأنه أرسل الرسل، وأنه خلق الخلق، وأن له ملائكة كرام كاتبون، وأنه ، وأنه يعترف بذلك، نقبل ذلك منه، ثم ما ذكر هنا إلا أربعة أركان: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، ولم يذكر اليوم الآخر، ولم يذكر القدر، ولكنه سيذكر ذلك فيما بعد، وإن لم يفصل فيه تفصيلا.

ولا شك أن الإقرار بهذه الأربعة يستلزم الإقرار بغيرها، فمن أقر بالله لزمه أن يقر بوجوده، وأن يقر بقدرته، وأن يقر بتصرفه، وأن يقر بتدبيره وبخلقه وبعلمه وبسائر صفاته التي وصف بها نفسه لزم أن يقر بذلك ويعترف به فهذا هو الأصل.

ولأجل ذلك تجدون كثيرا من الأحاديث ذكر فيها الإقرار أو الإيمان بالله واليوم الآخر دون بقية أركان الإيمان، مثل قوله ﷺ ﴿ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمُت ﴾

﴿ لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج ﴾ فاقتصر على الإيمان بالله واليوم الآخر .

فالإيمان بالله يدخل فيه التوحيد بأنواعه، ويدخل فيه الأخبار: أخبار الله -تعالى- ويدخل فيه الإيمان برسله؛ لأنهم جاءوا بما أرسلهم به، ويدخل فيه الإيمان بكتبه؛ لأنها اشتملت على كلامه، ولأنها اشتملت وحْيَه وعلى إرشاده، ويدخل فيه الإيمان بوعده وبوعيده ونحو ذلك، فهو الأصل الإيمان بالله.

من آمن بالله أتبع إيمانه كل ما أخبر الله به، وكل ما جاء عن الله -تعالى-. معلوم أن الإنسان إذا آمن بالله -فأولا- يؤمن بوجود الله -تعالى- ويرد بذلك على الشيوعيين، وعلي الدهريين وعلي الفلاسفة، الدهريين والطبائعيين؛ وذلك لأن هؤلاء جميعًا لا يعترفون بخالق، بل الأمر عندهم مسند إلى الطبائع، والطبائع هي التي تؤثر في هذا الكون في منظومة لبعض المتأخرين، يقول فيها

ولا نُصِيحُ لِعَصْرِيٍّ يَفُوهُ بمَا ... يُنَاقِضُ الشَّرْعَ أو إياه يعتقدُ

يرى الطبيعة في الأشياء مُؤَثِّرَةً ... أين الطبيعةُ يا مَخْذُولُ إذ وُجِدُوا

أين الطبيعة إذْ وُجدت قبل أن يوجدوا ؟! وأين الطبيعة بعدما وُجدوا ؟! .

فهؤلاء الطبائعيون لا يؤمنون بوجود الله -تعالى- والمسلم الذي يعتقد وجود الله -تعالى- يعترف بوجوده في ثلاثة أصول .

قال الشيخ -رحمه الله-: "إذا قيل لك: بمَ عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته" يعني: عرفته بآياته التي منها: الليل والنهار والشمس والقمر، وبمخلوقاته التي منها السماوات والأرض وسائر المخلوقات.

إن هذه دالَّة على أنَّ لها خالق، ولما تكلم ابن كثير -رحمه الله- على أول آية فيها أمر من تفسيره وهي قوله -تعالى-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ .

فقال: هذه ست دلالات نصبها الرب –تعالى– ليُعرف بها، ليعرفه العباد، ويعترفوا بأنه ربهم، أنه الذي خلقهم، أي: أوجدهم من العدم وقد كانوا معدومين ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ الآباء والأجداد والأسلاف.

فإن النعمة على الوالدين نعمة على الأولاد. ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ يعني: وطاءً وبِسَاطا ليِّنا تجلسون عليه، وتتقلبون عليه كما تشاءون، وفيها آيات عظيمة، ﴿ وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ ورفع هذه السماء وجعلها سقفا محفوظًا وبناءً فوقكم، ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ لا يقدر الخَلْق على أن ينزلوه، ﴿ فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ جعل هذه الأرض لينة تَقْبَل أن تنبت النبات الذي يكون فيه غذاؤكم وبه تتم حياتكم آيات بينات.

ثم إنه –رَحِمَه الله– ذَكَر أقوالا ونقولا عن السلف –رحمهم الله– يستدلون بها على وجود الخالق:

فذكر أن أبا حنيفة جاءه قوم من الدهريين وسألوه عن وجود الله، يريدون أن يشككوه في وجود الرب –تعالى– فقال لهم: إني منشغل بأمر غريب، قالوا: وما هو؟ قال: ذُكِر لي أن ها هنا سفينة ليس فيها أحد، وأنها تسير وحدها في البحر، وترسي على الساحل، وتُحمِّل نفسها أمتعةً حتى تمتلئ ثم تسير سيرا مستقيمًا حتى تصل إلى بلاد أخرى، ثم تنزِّل ما فيها من الأمتعة مع اختلافها، وتعزل التمر عن غيره، وتعزل البر عن غيره، وتعزل الأكسية عن غيرها، ولا يختلط هذا بهذا، ومع ذلك ليس فيها أحد وليس فيها مَن يسيِّرها ولا مَن يرسلها.

فقالوا: وهل تصدق بهذا ؟ لا يصدق بهذا إلا مجنون! هذا لا يمكن أن يصدَّق به. السفينة خشبة، كيف الخشبة تحرك نفسها؟! وكيف تسير بنفسها؟! وكيف تحمل نفسها وهي خشبة ؟!.

فعند ذلك قال لهم: خُصِمتم! فأنتم تشاهدون هذا الكون فهذه النجوم التي تسير من الذي خلقها وأوجدها؟! وهذه النيران: الشمس والقمر من الذي سيّرهم هذا السير المحكم؟! وهؤلاء الخلق الذين بثهم

في هذه الأرض، وهذه الأفلاك التي تسير في هذا الكون مثلا هذه الرياح التي يصرفها الله -تعالى- كما يشاء، وهذه السحب التي ينشئها فعند ذلك انقطعوا وتابوا على يديه فهذه حجة قوية .

وسئل الإمام أحمد -رحمه الله- عن هذا السؤال، فقال: ها هنا قصر مشيد محكم، ليس له منفذ ليس فيه أدنى منفذ تدخل منه رأس الإبرة، ظاهره فضة بيضاء، وباطنه ذهب أصفر، محكم البناء لا يصل إليه تصرُّف، ولا يصل إليه أدنى تدبير، بقي هذا القصر على ما هو عليه وبينما هو كذلك إذ انْكَسر جدارُه فخرج من وسطه حيوان حي سميع بصير يأكل ويشرب ويتقلب ويتصرف لنفسه، فيه جميع الحركات، كيف تولد في وسط هذا القصر؟!.

يشير بذلك إلى بيضة الطير، هذا البيض تخرج منه هذه البيضة ميتة ليس فيها أدنى علامة ومع ذلك يتكون فيها هذا الفَرْخ ويتغذى من وسطها، ثم بعد ذلك يخرج بإذن الله، الله -تعالى- هو الذي كونه حيوانا صغيرا، ثم بعد ذلك أكل وتنامى إلى أن خرج وهو حيوان كبيرا يستطيع أن يطير وأن يتقلب! أليست عناية الله -تعالى- بهذا الطائر في هذه البيضة تدل على أنه كوّنه كما يشاء .

وكذلك -أيضا- الآيات والعلامات كثيرة، تكلم ابن القيم -رحمه الله- في أول كتابه الذي سماه "مفتاح دار السعادة" بنحو أكثر من ستين صفحة كلها في التفكر والتأمل في المخلوقات، والاستدلال بها على قدرة الخالق، فجعل ذلك في فصول وهو يقول -مثلا-: فصل تأمل خلق الإنسان كيف خلق من كذا ؟ وكيف ركب فيه كذا وكذا ؟.

ثم تأمل خلق هذا الحيوان، وأخذ يفصل الحيوانات ثم تأمل خلق الأرض، وما فيها كذا وكذا، وتأمل خلق الله كذا نحو ستين صفحة كلها في الأدلة.

وفي أثناء كلامه يقول: فَسَلِ المعطِّل: من الذي جعل النور في هذه العينين؟ هل النور الذي يمتد ويبصر القريب والبعيد؟.

سل المعطِّل: من الذي فتح هذه الآذان وجعلهما مدخلاً للصوت بحيث إن الصوت يصل إلى الدماغ ويتصور السامع ما يقوله الإنسان والحيوان والطائر ونحو ذلك.

سل المعطِّل: من الذي ركب هذا الفؤاد ؟ وجعل فيه هذا العقل الذي يميز بين الأشياء، وفرق بين الإنسان وبين غيره من الدواب؟.

سل المعطل: من الذي ركَّب لهذا الطير هذه الأجنحة بحيث أنه يطير بها، ويتصرف بها كما يريد؟.

وهكذا يقول وتكلم -أيضا- في كتاب آخر اسمه "التبيان في أقسام القرآن" عندما أتي على تفسير سورة "الذاريات" في قوله -تعالى-: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ فأطال على "وفي أنفسكم" بحيث أنه شرح ما في الإنسان من العجائب حتى كأنه أعلم من المشرحين الذين يشرحون المخلوقات، بحيث أنه يصف الإنسان من رأسه إلى إبهامه، يصف كل عضو، ويقول: مادة كذا وكذا.

لا شك أنها آيات بينات عظيمة، إنما بكل حال هذا لا يدخل في الإيمان بالله إذا آمنا بالله -تعالى- أنه موجود آمنا -أيضا- بأنه الخالق الذي تفرد بالخلق لا خالق غيره ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ فهو الذي انفرد بخلق المخلوقات لا يكون في الوجود إلا ما يريد، خلق كل شيء ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ ﴾ ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ .

ولا شكَّ أن الاعتراف لله -تعالى- بأنه الخالق يفيد الإنسان عظمة الربِّ -تعالى-؛ لأنه إن اعترف بأن الخلق كله خلق الله، وبأن ما في الوجود كلها بإيجاده، وبأنه ليس فيها ذرة من خلق أحد، وأن الإنسان مهما اخترع ومثَّل فلا يقدر على أن يخلق مثل خلق الله قال الله -تعالى-: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ .

الإنسان -مثلا- لو حاول أن يَخلُق ذُبَابا أو ذرة يجعلها متحركة بطبعها يركب فيه عينيها وأذنيها وأقدامها ومفاصلها ونحو ذلك، لو اجتمع الخلق كلهم على أن يخلقوا ذرة، أو بعوضة فيها نفس وروح وفيها حركة طبيعية لا اختيارية لن يقدروا على ذلك .

أما التصوير فإنه يسمى تصويرا ، قد توعد الله -أيضا- الذين يصورون في الحديث القدسي: ﴿ ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا بُرَّة أو شعيرة ﴾ .

قد تقول: إنهم الآن يخلقون حبَّ الأرز -مثلا- الرز الصناعي، أو ما أشبهه، لكن ليس مثل خلق الله، هذا إذا صنعوا -مثلا- هذا البر فإنه ليس مثل البر الذي هو خلق الله -تعالى- بحيث أنه ينبت إذا بذر.

الطبيعي البر مثلا أو نحوه إذا دُهِن في الأرض وسُقِيَ نبتَ فوق الأرض وأزهر وسنبل، وأما هذا فإنهم يأخذون شيئا من الأرز مثلا ثم يطبخونه ثم بعد ذلك يدخلونه في ماكينات ويقسمونه إلى حبات يسيرة ثم يجعلونه طعاما، ما أخذوا إلا مِن خلق الله -تعالى- أما خَلْق الله فلا يستطيعون أن يخلقوا ذرة ولا أن يخلقوا بُرة أو شعيرة طبيعية بطعمها وبطبعها.

وكذلك أيضا إذا عرفنا أن الله -تعالى- هو الخالِق فإننا نؤمن بأنه المعبود؛ ولذلك قال -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ﴾ كأنه قال: أُذكركم بأنِّي خلقتكم، وإذا كنتم خلقي فأنتم عبيدي وأنتم ملكي، والعبيد يطيعون خالقهم ويطيعون الذي هم ملكه، ولا يخرجون عن طواعيته ولا يتعبدون لغيره بل يعبدونه وحده، كيف تتعبدون لمن لم يخلقكم وتتركون الذي خلقكم؟

الكلام الذي يتعلق بالإيمان بالله يدخل فيه جميع ما يأتي من الإيمان بالصفات ونحوها.

أما الإيمان بالملائكة: فإنه ركن من أركان الإيمان الستة، نؤمن بأن الله -تعالى- خلق الملائكة، وأنهم كما وصفهم الله -تعالى-: ﴿ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ يعني: لا يتعبون ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ لا يصيبهم الفتور ﴿ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ

وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ ﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ ﴿ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ ﴿ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ .

الآيات في صفاتهم كثيرة. نؤمن بأن الملائكة خلق لله -تعالى- وذكر العلماء: أنهم أرواح، أرواح مستغنية عن أجسام تقوم بها كما ذكر ذلك ابن القيم في كتاب "الروح"؛ ولأجل ذلك لا نراهم. ينزل المَلَك على النبي ﷺ ولا يراه مَن حوله؛ وذلك لأنهم أرواح تَخرِقها المسار؛ ولكن لهم قدرة على التشكُّل والظهور بصور مختلفة قد ورد كثرتهم.

ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: ﴿ أطَّت السماءُ وحق لها أن تَئِطَّ ما فيها موضع أربع أصابع إلا ومَلَك قائم أو راكع أو ساجد ﴾

وأخبر النبي ﷺ بأنهم دائما يسجدون لله ويعبدونه، ففي حديث النواس يقول: ﴿ إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعَانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوانٍ ينفضهم ﴾ .

ذلك خضوعهم لله -تعالى- تواضعهم لله إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلَّم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة أو رعدة شديدة فإذا سَمِع ذلك أهل السماء صُعِقوا وخرُّوا لله سجدا. كل ذلك دليل على أنهم خُلِقوا للعبادة؛ ولهذا يقولون: ﴿ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ ﴾ .

وقد ذُكِر أن منهم خزنة النار وخزنة الجنة؛ لقوله: ﴿ وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ ﴾ يعني: الذين يحمونها أو الذين يحفظونها أو نحو ذلك، وقد ذكر أيضا أن الإنسان موكَّل به ملائكة في قوله -تعالى-: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ وفي قول النبي ﷺ ﴿ يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ﴾ .

وأما **"الإيمان بكتبه"**: فهو أنا نؤمن بأن لله -تعالى- كتب أنزلها على أنبيائه، والكتب هي التي تكتب في صحف سواء أنزلها مكتوبة أو أنزلها مقروءة، ثم كانت نهايتها أن كتبت وضبطت .

ورد في بعض الأحاديث أن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب، ثم إنه ضمَّن المائة والأربعة في هذه الأربعة: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، ثم إن معاني هذه الأربعة تضمَّنها القرآن، فأصبح القرآن متضمنا مائة كتاب وأربعة كتب.

ولهذا وصفه الله -تعالى- بقوله: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ يعني: محتويا على كتب التي قبله يعني: على معانيها وعلي مفادها ومدلوله.

فكتاب الله الذي أنزله وخاتمة كتبه التي أنزلها على أنبيائه وهو أفضلها، حيث إنه وصفه بقوله: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ ولعله يأتينا -أيضا- كلام في الكتب .

أمَّا "الإيمان بالرسل" أو الإقرار بهم: فهو اعتقاد أن الله -تعالى- أرسل رسلا من البشر ورسلا من الملائكة كما في قوله: ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ﴾ .

فالملائكة رسلٌ إلى الأنبياء، يرسل الله الرسول المَلَكي إلى الرسول البشري بالوحي الذي يأمره أن يبلِّغه فمن الملائكة رسلا ومن البشر رسل. فالرسل من البشر واسطة بين الله -تعالى- وبين البشر ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ في حديث طويل ذكره ابن كثير عند قوله -تعالى-: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ في سورة "النساء" .

أحاديث عن أبي ذر أنه قال: ﴿ يا رسول الله، كم الأنبياء؟ فقال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسل، جمَّاً غفيراً ﴾ .

الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر والأنبياء هذا عددهم، وإن لم يصح هذا الحديث فإن الآية صريحة في كثرتهم: ﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ .

إيماننا بالرسل إيمان مجمل، نصدق بأهم مُصْدِقون وصادقون مصدَّقون، وأهم لا يقولون إلا بما أوحي إليهم، ولا يبلغون إلا ما أرسلوا به، ولا يقولون شيئا من قبل أنفسهم، نصدق بذلك ونؤمن به .

يقول بعد ذلك يعني: "من عقيدة أهل السنة والجماعة قبول ما نطق به كتاب الله تعالى" "قبوله": دلَّ على أن كتاب الله -تعالى- هو حجتنا وهو دليلنا، فكتاب الله هو الذي أورثناه الله -تعالى-: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ .

فالذين ورثوه هم المصطفون هم خيرة الله من خلقه هم صفوته، فمن عقيدقم أهم يقبلون كل ما نطق به وأهم لا يردون شيئا، سواء ردًّا صريحا بالتكذيب به بأن يقولوا: هذه السورة ليست من القرآن، وهذه لم يتكلم بها الله أو هذه مكذوبة أو هذه الآية زائدة ليست من القرآن، بل أضافها إليه كُتاب أو نحو ذلك.

فإنَّ من كذب بكلمة من القرآن -القرآن كله متواتر- فقد كذب به كله، أي: حكمه حكم من كذب به؛ لأن كل كلمة فإنها متحققة الثبوت، القرآن كله نقل نقلا متواترا، فلا يحق لأحد أن يرد منه كلمة، كما لا يحق لأحد أن يزيد فيه حرفا أو يضيف إليه كلمة، تكفل الله -تعالى- بحفظه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ .

فمِن عقيدة أهل السنة الإقرار والاعتراف والتقبل لكل ما جاء في كتاب الله تعالى وعبر بالنطق، كأن القرآن ينطق، يقولون إن كتاب الله ينطق بكذا وكذا، قد تقول: إننا نمسك القرآن الذي هو المصحف، ومع ذلك لا يتكلم! ولكن الموجود في داخله مكتوب بالحروف العربية الواضحة، إذا قرأتها فكأنه نطق لك القرآن وأوضح لك فيقال: نطق القرآن بكذا يعني: احتوى على كذا واشتمل على كذا وكذا.

ذكر في القرآن مثلا أركان الإسلام وذكر في القرآن الحدود وذكر في القرآن البعث والنشور، وذكر في القرآن الأسماء والصفات هذا كله مما نطق به القرآن. فوظيفتنا أن نقبل ذلك .

كذلك أيضا ما صحت به الرواية عن رسول الله ﷺ خاصة ما صحت به لأن هناك أحاديث لم تصح ولا رويت بأسانيد، ولكن فيها ضعف فلا تدخلها العقيدة ولا ندخلها بالشريعة إذا كانت غير صحيحة أو غير مقبولة، إنما نقبل الصحيح صحت به الرواية عن رسول الله ﷺ .

و لم يشترط الإسماعيلي -رحمه الله- أن تكون متواترة بل أجمل ذلك، وإن لم تبلغ حد التواتر، فإذا صحت ولو كانت من الآحاد فإنها مقبولة، نقبلها ونقول بها إن صحت، وثبت عن رسول الله ﷺ ثم يقول: لا معدل عن ما ورد به ولا سبيل إلى رده إن شكلت .

مَعْدِل يعني: لا عدول أي: لا يجوز لك أن تعدل عما ورد في القرآن، ولا عن ما ورد في السنَّة ولا يحق لك أن تتركه جانبًا، بل إذا عرفت أنه ثابت في كتاب الله تعالى، وصحيح في سنَّة رسوله فإنَّ عليك أن تقول به وأن تنطق به وأن تعتقده، ولو خالفك من خالفك ولو كثر الذين ينكرون عليك فإن دليلك دليل قوي.

دليلك كتاب الله الذي هو أصح ما جاء عن الله تعالى فيما بين أيدينا، ودليلك سنة رسوله ﷺ الثابتة القوية فلا تعدل عن ما ورد به، ولا سبيل لك إلى رده. لا سبيل إلى رده بمعنى: أنه ليس لأحد مسلك أو سبيل إلى أن يرد شيئا مما جاء في هذه السنة أو في هذه الآيات، بل مَن رد شيئا من هذا كأنه رد الجميع.

إذ كانوا مأمورين باتباع الكتاب والسنة في قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ ﴾ والسنة مترلة كما أن القرآن مترل في قوله ﷺ ﴿ ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ﴾ يعني: السُّنة. فهم مأمورون باتباع الدليلين الكتاب والسنة والأمر من الله، وإذا كان من الله تعالى فإنه يجب امتثاله. لنتوقف إلى هنا .

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

س: هذا سائل يقول: فضيلة الشيخ، مشاغل الخياطة كيفية زكاتها، وهل تزكَّى ما فيها من موارد خياطة وكذلك اللوازم المستخدمة للخياطة وماكينة الخياطة وغيرها ؟ .

ج: لا زكاة فيما يستعمل الماكينة التي يخيط عليها لا تقدر؛ لأنها ليست للبيع وإنما هي للاستعمال، جميع ما يستعمل ... ما يشتري للاستعمال. إنما الزكاة في النتاج، في الأجرة التي يأخذها ويتحصل عليها إذا حال عليها الحول، فالخياط مثلا إذا كان يخيط بالأجرة فإنه يجمع الأجرة فإذا تم عليها الحول زكّاها، إذا صار عنده أقمشة يبيع ويخيط فإنه إذا حال عليها الحول يقدر ما عنده من الأقمشة التي يبيع منها ويضيف إلى ما عنده من النقود ويزكّي الجميع.

الغسَّال مثلا عنده مكائن التغسيل وما أشبهها لا زكاة فيها، الأجرة التي يجمعها من هذا ومن هذا إذا تم عليها الحول فإنه يزكيها، وهكذا جميع الأعمال أو حرف أهل الصناعات، الأدوات التي يستعملونها في الصناعة لا تقدر.

وهكذا أيضا ما ليس معدودا للبيع صاحب البقالة مثلا عنده ثلاجات تحفظ الفواكه وما أشبهها والأشربة، وعنده صناديق تحفظ الأمتعة فهذه لا تقدر ولا تزكَّى، إنما يزكَّى الشيء الذي للبيع .

س: وهذا يقول أشكل علينا فضيلة الشيخ قولكم: إن الملائكة أرواح بلا أجساد، فكيف الجمع بين ذلك وبين ما ورد أن جبريل -عليه السلام- رآه النبي ﷺ وله ستمائة جناح وأن صاحب الصور قد التقم ؟.

ج: لا منافاة بين ذلك فالنبي ﷺ يراه، وغيره من الحاضرين لا يرونه، جعل الله في النبي -عليه الصلاة والسلام- قوة إبصار يبصره وإن لم يكن له شبه ظاهر؛ ولهذا في حديث جبريل أنَّه لما تصوَّر بصورة رجل ثم سأل عن تلك الأسئلة، ثم قام قال لهم: ردُّوه فذهبوا فلم يروا شيئا مع أنه قريب ما له إلا دقيقة أو نصف دقيقة.

لم يروه مما يدل على أن الله أعطاه قوة على التشكُّل، الله -تعالى- خلَق الجن أرواح بلا أجساد، وكذلك الشياطين أرواح بلا أجساد، وكذلك الملائكة أرواح بلا أجساد، وخلق الإنس والبشر أرواح وأجساد.

فالرُّوح التي في الإنسان هي التي بها حياتُه فإذا نزعت الروح من الإنسان مات وبقي جسدا بلا روح. الروح إذا خرجت من هذا الجسد لا نبصرها ولا نراها، ورد في الأحاديث أن الملائكة يحضرون عنده كما في قوله تعالى: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

هل نحن نراهم إذا حضروا عند الميت؟! ورد في الحديث حديث البراء المشهور: ﴿ إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزلت عليه ملائكة بيض الوجوه معهم أكفان من الجنة وحنوط من الجنة وياسمين من الجنة، فيجلسون منه مد البصر، ويأتيه ملك الموت فيقول: أيها الروح الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي إلى روح وريحان، ورب غير غضبان، فتخرج منه تسيل كما تسيل القطرة من السقاء، أو فَسَيَّلها منه كما تسيل الشعرة من العجين ﴾ .

فنحن لا نرى مَلَك الموت ولا نرى الملائكة، إذن هذا دليل على أنهم خلق من غير جنس هذا الخلق .

س: وهذا يقول: كيف نجمع بين قولي النبي ﷺ ﴿ إن الله كتب مقادير العباد قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ﴾ وقوله ﷺ ﴿ لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر ﴾ ؟

ج: يعني ... ما هكذا بينهما، فالله -تعالى- كتب مقادير الخلائق ولا يتغير شيء عما خلقه، ولكن جعل أسبابا أزلية في هذا الكون كما أن الأعمال الصالحة أسبابٌ أزلية في السعادة، والأعمال السيئة أسبابٌ أزلية في الشقاوة، فكذلك من جملة الأسباب الأزلية البر مثلا وحسن الخُلُق وصلة الرحم وما أشبه ذلك .

فقوله: ﴿ من أحَبَّ أن يبسط له في رزقه وينسأ له أثره فليصِل رحمه ﴾ جعل ذلك سببا ولكن ليس هو مغيرٌ في قدر الله الذي كتبه قبل أن تخلق المخلوقات، ولكن أنه مكتوب في الأزل أن هذا يُزاد عمرُه بسبب البر بسبب الصلة، ولو كان عاقًّا لكان عمره ناقصًا، وهذا يزاد في رزقه بسبب الدعاء، ولو لم يدع لكان رزقه ناقصًا.

كتب الله أنه يدعو، وأن هذا يعصي، وأن هذا يطيع، وأن هذا يعمل صالحًا فيسعد، فكل ذلك مكتوب في الأزَل ليس يعني أمرًا حادثًا، بل هو أمرٌ أزلي.

ونصدق بذلك كلِّه؛ ولذلك الصحابة لما قالوا: ﴿ يا رسول الله، أفلا نَتَّكل على كتابنا ونَدعُ العمل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له ﴾ .

فالله -تعالى- يسَّر الإنسان وهداه ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ﴾ وكل ذلك موافق للقضاء والقدر، لكن الإنسان مأمور بأن يعمل وأن يجتهد في العمل وأن يعتقد بأن هذا لا يخالف القضاء والقدر .

س: وهذا يقول: أنا طالب أحْضر دروس هذه الدورة من بعد صلاة العصر ولا أخرج من المسجد إلا بعد انتهاء الدرس الذي بعد صلاة العشاء، فهل لي أن أنوي بذلك الاعتكاف ؟

ج: لك أجر على هذه المراقبة وهذه الملازمة -إن شاء الله- أما الاعتكاف فالذي نعرف أن أقله يوم كامل أو ليلة كاملة يعني: من طلوع الشمس إلى غروبها، يوم كامل نهار أو من غروبها إلى طلوعها ليلٌ كامل يعني: ليل؛ لأن أقل ما ورد فيه يوم أو ليلة، ولكن الذي يلازم المسجد ويجلس فيه بالنية فله أجر الملازمة ... فله أجر النية الصادقة، وله أجر انتظار الصلاة ﴿ فإن أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه ﴾ أو ﴿ هو في صلاة ما انتظر الصلاة ﴾ الملائكة تستغفر له، له أجر -إن شاء الله .

س: في الحديث الذي عن النبي ﷺ أن الله خلق مائة رحمة ... إلى آخر الحديث فهل الرحمة التي هي صفة من صفات الله مخلوقة؟

ج: الرحمة التي قذفها في قلوب العباد لا شك أنها مخلوقة يعني: جعل الله في قلب الإنسان رقَّة يرحم بها ولده ويرحم بها مَن يستحق أن يُرحم، وأما وصف الله -تعالى- بأنه رحيم وبأنه يرحم العباد فإن هذا صفة من صفاته، فالرحمة التي خلقها هي التي يرحم بها عباده، وأما الصفة التي هي من صفاته ﴿ خلقت الرحم وشققت لها اسمًا من اسمي ﴾ فهذه صفة من صفاته، وصفات الله ليست مخلوقة .

س: وهذا يقول: ما هو الموقف حين يختلف علماء السُّنَّة في مسألة من المسائل ؟

ج: إذا كان الاختلاف في الفروع فالأمر يسير اختلفوا مثلا في الجهر بالبسملة في الصلاة الجهرية، ولك أن تنظر في أدلتهم وتفعل ما يترجح عندك، مثلا واختلفوا في وجوب القراءة خلف الإمام في الصلاة الجهرية، والأمر في ذلك أيضًا يسير، مثلا واختلفوا في وضع اليدين في الصلاة منهم من يسدِل ومنهم مَن يضع والأمر في ذلك يسير، ولك أن تختار مثلا الدليل .

فهذا الاختلاف في الفروع وإن كان إذا عرف الإنسان الدليل فإنه يتبعه، أما في مسائل العقيدة فإن الأصل أنَّك تختار ما كان عليه السلف الأول الصدر الأول الذين هم سلف الأمة وأئمتها وأهل الحديث، هؤلاء هم الذين يُقَدَّمون.

فإذا وجدت أقوال مخالفة لأقوالهم كأقوال: الكرامية وأقوال الكُلاَّبية وأقوال الجَاحِظيَّة والهُذَلية. فنقول: هذه أقوال حادثة بعد الصحابة والتابعين وتابعيهم وبعد سلف الأمة، وهذه أقوال لا مستند لها وليس عليها دليل من الكتاب أو السنة، فلا نقبلها وفي الأقوال الصحيحة غُنْيَة عنها.

س: وهذا يقول: نحن مجموعة من المدرسين نذهب من مدينتنا إلى قرية تبعد مائة كيلو نذهب بعد صلاة الفجر وبعد نهاية الدوام نرجع فلا نَصِل إلا قبيل العصر بحوالي ربع أو ثلث أو نصف ساعة، ونكون مجهدين تماما فإذا نمنا ما استطعنا القيام للصلاة فهل لنا أن نجمع الظهر مع العصر. أفتونا مأجورين؟ .

ج- ليس لكم ذلك ما دام أنكم تَصِلون قبل العصر، ننصحكم أن تُصَلُّوا في الطريق وألا تسرعوا في السير ... تصلوا في الطريق وبعدما تَصِلُون لكم أن تناموا لراحة أجسامكم، أما الجمع فما دام أنكم تَصِلون قرب الوقت فليس لكم ذلك، والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

نعرف أن الله -تعالى- يأمرنا دائما باتباع كتابه ويحثنا على اتباع نبيه ويذكر عاقبة مَن اتبع هذا النبي وحُسْنَ العاقبة له مثل قول الله -تعالى-: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ

أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الاتباع هو السير على نهجه، أيْ: سيروا على منهجه وطبِّقوه واعْمَلوا به.

الأصل في الاتباع أنه اتباع الآثار. إذا سَار إنسانٌ مع طريق ثم إنك سرت معه تقول: اتبعتُ أثَر فلان، اتبعت فلانًا في مذهبه وذهبت إلى ما ذهب إليه، ثم أطلق الاتباع على الأعمال على التطبيق للأعمال .

فالله -تعالى- أمَرَنا باتِّباع الكتاب والسنة ... أمرنا باتباع الرسول ﷺ ولا شك أن الاتباع هنا الاتباع بالأعمال الصالحة، بمعنى: السير على نهجه وتطبيق سُنَّته، والعمل بما أمر به. يسمي هذا اتباع، فهوَ معنى قوله: "إذا كانوا مأمورين باتباع الكتاب والسنة" .

وقد وردت الأدلة في الأمر باتباع الكتاب والسنة في آيات كثيرة مثل قول الله -تعالى-: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ "اتبعوني" يعني: أطيعوني، الاتباع بمعنى الاقتداء به وهو -أيضا- التأسي: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ كذلك قال -تعالى-: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ .

رتّب الاهتداء على اتباعه وهو يُفهم منه أنّ ترْك الاتباع له ضلال، فالاهتداء ضده الضلال، فمن اتبع الرسول ﷺ اهتدى، ومن ترك اتباعه واتبع هواه ضل .

كثيرا ما يذكر الله -تعالى- ضلال من اتبع هواه يذكر ذلك في قوله -تعالى-: ﴿ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ ﴾ يعني: اتبعوا ما تهواه أنفسهم ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ يعني: كلما يهوى شيئا إلا ركبه .

فالذين يتبعون أهواءهم هم الضالون، والذين يتبعون السنة والكتاب هم المهتدون، هذا معنى قوله: "مضمونا لهم الهدى فيهما" يعني: ضمن الله -تعالى- الهدى لمن اتبع كتابه وسنة نبيه ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ ﴾ ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ ﴾ والأدلة كثيرة في ذلك.

"مشهودًا لهم بأنَّ نبيهم ﷺ يهدي إلى صراط مستقيم" يعني: يدل على الصراط ويحث على سلوكه، قال الله -تعالى-: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ صراط الله الذي أمر بسلوكه هو الذي بيَّنه النبي ﷺ .

فصراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض هو الذي بينه نبيه ﷺ وهدى إليه، فمن سار عليه فإنه من المهتدين، ومَن أخطأه فإنه من الضالين.

فالأصل أن الصراط هوَ الطَّريق الواسع الذي يصفه النَّاس ولا يضيق بهم، ومنه سُمِّيت السُّبل طُرُقا وسبلا يعني: يُسار عليها، فسبيل الله -تعالى- واحد وهو الذي بينته الرُّسل، وهو الذي بلَّغه النبي ﷺ قال الله -تعالى-: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ .

في الحديث الصحيح: « أن النبي ﷺ خطَّ خطًّا مستقيما ثم خطوطًا عن يمين ذلك الخط منحرفة يمينًا ويسارًا، فأشار إلى الخط المستقيم وقال: هذا صراط الله -يعني: الصراط المستقيم- وهذه سبلٌ على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، وقرأ هذه الآية من سورة "الأنعام": ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ﴾ » .

الصراط الذي يهدي إليه النبي ﷺ هو دين الله الذي جاء به وبلَّغه، فمَن سار عليه فإنه على الهدى المستقيم، ومن ركب بنيات الطريق هلك وضل.

يقول: "السبل على كل سبيل منها شيطان": هذه السبل هي البِدَع والمحدثات التي أُحدثت بعد النبي ﷺ فإن الذين يدعون إليها شياطين: إما شياطين الجن وإما شياطين الإنس يعني: هؤلاء شياطين يدعون

إلى طريق الروافض، هؤلاء شياطين يدعون إلى طريق المعطِّلة، هؤلاء شياطين يدعون إلى طريق الجبرية، هؤلاء شياطين يدعون إلى طريق الخوارج، وهؤلاء يدعون إلى طريق المرجِئة ... وهكذا .

وكذلك -أيضا- الطرق والمناهج المحدثة يعني: هؤلاء يدعون إلى الكفر، وهؤلاء يدعون إلى النفاق، وهؤلاء يدعون إلى الشيوعية، وهؤلاء يدعون إلى البعثية، وهؤلاء يدعون إلى العلمانية، ... وهكذا محذِّرين في مخالفته الفتنةَ والعذابَ الأليم أخذ هذا من الآية التي في آخرِ سورةِ "النور" وهي قول الله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

بعدما أمَر الله -تعالى- بطاعة نبيه ﷺ وبعدم الخروج إلى شيء إلا بإذنه، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ ﴾ .

الذين يؤمنون بالله ورسوله ﴿ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ ﴾ ثم قال: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

قد يكون سبب النزول خاصًّا وهو أنه ينهاهم ويقول: اجلسوا ها هنا فيخالفونه ويجلسون في غيره، يقول: الزموا هذا الثغر، الزموا هذا المكان احفظوا هنا في الخندق مثلا فيتركون أمره ويخالفونه، ولكن الآية عامة يدخل فيها كل من خالف سنة جاءت عن النبي -صلى الله عليه وسلم.

مشهور عن الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- قوله: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله -تعالى- يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشِّرك. لعله إذا أراد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزَّيغ فيهلك، فهكذا يمثل -رحمه الله- في زمانه أناس يقلدون سفيان الثوري ويتبعون رأيه مع أنه مجتهد ومحدِّث فيقلدونه وهم يعرفون الأحاديث، يتعجب منهم الإمام أحمد كيف تعرفون الأحاديث وتقلدون الرجال!! ألستم بذلك مخالفين للنبي -صلى الله عليه وسلم-؟! تعرفون أمره ثم تتركونه وتتبعون رأي فلان وفلان؛ هذا هو المخالفة إذا خالفتموه فلا تأمنوا أن تصيبكم فتنة أو يصيبكم عذاب أليم .

بعد ذلك يقول يعتقدون يعني: أهل السنة وأهل الحديث أن الله تعالى مدعو بأسمائه الحسنى وموصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه ووصفه بها نبيه ﷺ وهذه الجملة كررها كما سيأتي .

عقيدة أهل السنة إثبات أسماء الله تعالى، وكذلك دعاؤه بها، قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ ﴾ الأسماء الحسنى هي التي سمى بها نفسه وهي التي بلغت الحسن أو بلغت النهاية في الحسن، فهي حسنة كلها ليس فيها ما هو غير حسن ... ما هو موصوف بالقبح .

وردت أحاديث كثيرة في ذكر بعض الأسماء الحسنى مثل التِّسعة والتسعين التي ذُكِرَت في بعض الأحاديث، وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: ﴿ إن لله تسعًا وتسعين اسما مائة إلا وحدًا من أحصاها دخل الجنة ﴾ فلما روي هذا الحديث عمد بعض الرواة فجمعوها من القرآن فبلغت تسعة وتسعين اسمًا، وأخذوا الأسماء التي في آخر سورة الحشر، "الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور" ثم جمعوا مواضع من القرآن: الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط إلى آخره .

ولكن الصحيح أن أسماء الله لا تحصر في هذه التسعة والتسعين، بل أسماء الله كثيرة ليست هذا المقدار، والدليل عليه الحديث الذي رواه أحمد -رحمه الله- وفيه قول النبي ﷺ ﴿ إذا أصاب أحدكم هم أو غم فليقل: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك،

أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب غمي وهمي إلا أذهب الله غمه وهمه وأبدله مكانه فرحا ﴾ .

ذكر في الحديث قوله: ﴿ أو استأثرت به في علم الغيب عندك ﴾ يدل على أن لله أسماء استأثر بها في علم الغيب عنده و لم يطلع عليها أحدا سمّى بها نفسه أو علمها أحدا من خلقه أو أنزلها في كتبه أو استأثر بها، فالكل من أسماء الله الحسنى الدعاء بها هو سؤال الله تعالى بأسمائه وجعل الأسماء كوسيلة.

إذا أردت أن تدعو الله فإنك تُقدم بين يدي الدعاء ذكرا للأسماء فتقول: يا رحيم يا رحمن ارحمنا برحمتك يا عزيز يا غفور اغفر لنا بواسع مغفرتك ... وهكذا يدعوه بأسمائه فتقول في كل اسم: يا عزيز يا رحمن يا ملك يا قدوس ... وهكذا .

هذا معنى ادعوه بها، ويمكن أن يكون الدعاء مقدم بين يديه الثناء على الله تعالى، وأفضل ما يثني عليه ذكره بأسمائه الحسنى.

ثم قد أكثر العلماء من الكلام في أسماء الله، فتكلم عليها الإمام البيهقي -رحمه الله- في كتابه المطبوع "الأسماء والصفات" كان هذا الكتاب طُبِع قديمًا بتحقيق زاهد الكوثري، ولكنه أفسده وحمّله محامل بعيدة، ثم أعيد طبعه بتحقيق بعض العلماء المخلصين من أهل السنة، وسلموا من تلك التعليقات التي أفسدته، ونبَّه المحقِّق على الأخطاء التي وقع فيها البيهقي والتأويلات، وعلى تحريف ذلك المعلِّق الأول الذي هو الكوثري. سرد الأسماء الحسنى في أوله وتكلم على معانيها، وكذلك نظمها كثير منهم، من العلماء، إن كان النظم الذي أوله قول الشاعر:

أيا طيب الأسمـــاء يـــا مـــن هـــو الله ومَن لا يسمى بذاك الاســـم إلا هُـــو

نظم التسعة والتسعين في أبيات على هذا النمط، وكذلك سردها كثير من العلماء ومنهم ابن القيم في كتابه "الصواعق"، ومنهم المتأخرون كالحافظ الحكمي في شرح السلم "معارج القبول شرح سلم الأصول" وغيرهم ممن تكلموا على أسماء الله تعالى وسردوا ما وقفوا عليه.

وبعضهم أخذ أسماء وردت في بعض الأحاديث وإن لم يكن يصدق أنه يسمى بها كابن حزم في "المحلى" فإنه تتبع الأسماء التي وردت في الأحاديث، وذكر فيها أسماء لا يليق أن يتسمى الله -تعالى- بها؛ لكونها وردت في الأحاديث مثل: قوله في الحديث القدسي: ﴿ يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر ﴾ فجعل الدهر من أسماء الله مع أن الدهر هو الزمان، وأن الله -تعالى- قال: وأنا الدهر بمعنى: وأنا المتصرف في الدهر.

أما الصفات التي ذكر الله -تعالى- ووصف بها نفسه على وجه المقابلة فلا يجوز أن يشتق منها اسم كما اعتقد ذلك بعضهم مثل: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾ فلا يقال من أسمائه المخادع، ومثل قوله: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ فلا يقال: من أسمائه المستهزئ، ومثل قوله: ﴿ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦ ﴾ فلا يجعل من أسمائه الكائد.

وكذلك الأفعال التي ذكرها عن نفسه مثل قوله: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ لا يقال من أسمائه الجائي، أو ﴿ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ فلا يقال: من أسمائه الآتي، أو في قوله: ﴿ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ فلا يقال: من أسمائه المعذِّب ... وما أشبه ذلك.

ثم من أسمائه ما لا يجوز ذكره مفردا إلا مع المقابل له مثل الأسماء المزدوجة مثل قوله: "الخافض الرافع" لا يقتصر على واحد، "المعز المذل" لا يقتصر على واحد؛ لأنهما متقابلان، "المعطي المانع" ... وأشباه ذلك. نبه على هذا كثير من العلماء ومنهم الشيخ ابن سلمان في كتابه "الكواشف الجلية" وشرح "العقيدة الواسطية" وغيرها.

أما صفات الله: موصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ هذه العبارة يذكرها جميع أهل السنة في مؤلفاتهم، فيقولون: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به نبيه ﷺ

ويعللون بقولهم: إنه -تعالى- أعلم بنفسه وأعلم بغيره، فإذا كان هو أعلم بنفسه فأثبت لنفسه صفات فإنا نثبتها ولا نتحاشى من إثباتها، بل نؤمن بها حقا ونعتقد صحتها لعقيدة المسلمين مهما شنع المشنعون وأنكر المنكرون، وسيأتينا أمثلة لها.

وكذلك ما وصفه به النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ وذلك لأنه أعلم بربه ... أعلم بمن أرسله، فالله -تعالى- خصه بالرسالة وأطلعه على ما أطلعه عليه من العلم، وكلفه بالبيان وبالبلاغ فلا بد أنه عالم بربه عالم بما يجوز على الله -تعالى- فإذا أثبت لله -تعالى- صفة أو صفات فإنا نتقبلها ولا نردها؛ لأننا إذا رددناها فقد رددنا ما بلّغه أو ما جاء به فنكون من الذين لم يتبعوه ولم يتقبلوا سنته، فلا يتحقق لنا الاتباع في قوله: ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ .

الصفات التي وصف الله بها نفسه يأتينا بعض تفاصيلها ولكنها كثيرة وقد سرد شيخ الإسلام ابن تيمية في أول رسالة "العقيدة الواسطية" في ثلاث ورقات آيات فيها الصفات وفيها الأسماء يسردها متتابعة، فيسرد مثلا آيات العزة ثم يأتي بآيات الحكمة ثم يسرد آيات الرحمة، ثم يأتي بآيات الأفعال كآيات المكر وآيات الكيد وآيات الأسف في قوله: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ وكذلك آيات الكلام، وآيات المجيء وآيات الاستواء، وآيات العلو وآيات المعية ... وما أشبهها.

وكذلك أيضا الأحاديث التي ورد فيها شيء من الصفات مثل: أحاديث النزول وأحاديث الضحك، وأحاديث العجب وأحاديث الفرح، وأحاديث الأسماء والأفعال، وأحاديث الرؤية ... وما أشبهها كلها نتقبلها؛ وذلك لأن الذي بلغها هو الذي بلغ الرسالة. فإذا قبلنا الأحكام: الصلاة والصيام والحج ... ونحوها، فإننا نقبل العقيدة التي هي أساس الأعمال والتي صحتها شروط لقبول الأعمال، فنقبل ما جاءنا من الآيات والأحاديث في أمر العقيدة، أمر صفات الله تعالى حتى تصح عقيدتنا ثم تصح أعمالنا وتتقبل.

هذه الجملة كررها في الصفحة التي بعدها "موصوف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله -صلى الله عليه وسلم"، كذلك قوله: "خلق آدم بيده" كررها أيضا قال الله -تعالى- مخاطبا إبليس: ﴿ مَا

مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ أثبت الله -تعالى- لنفسه اليدين، كذلك قال الله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾ .

استدل بهذه الآيات على إثبات اليدين ذكرهما الله -تعالى- بلفظ التثنية "يدي" وكذلك "يداه"، وقد ورد ذكر اليد بلفظ المفرد: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ وكذلك قال: ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

والمراد بالإفراد هنا الجنس يعني: جنس اليد فنثبت لله -تعالى- اليد ﴿ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾ بلا اعتقادِ كَيْفٍ يعني: لا نُكَيِّفُها.

ذكر ابن كثير -رحمه الله- في تفسير قوله -تعالى-: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ ﴾ سرد الأحاديث التي فيها ذكر اليد والتي فيها قبض المخلوقات.

وقبل أن يسردها قال: وقد وردت أحاديث في معنى هذه الآية الطريق فيها طريقة أهل السنة، وهو إمرارها كما جاءت بلا كيف، يعني: أنهم يمروها كما جاءت ويقرُّوها ولا يكيفون، لا يقولون: كيفية اليد كذا وكذا، لا يقولون إن كيفية اليد أنها مركبة مثلا كيد الإنسان التي هي مركبة من عظام ومن عصب ومن جلود ومن شعر، وفيها أنامل وفيها مفاصل، وفيها أظفار وفيها سواعد، وفيها عضد ومرفق وكتف وكوع وكرسوع ... ونحو ذلك، لا بل يقولون: أثبت الله -تعالى- لنفسه اليد ونعلم أنها يد حقيقة، ولكن لا ندري ما كيفيتها. هذه طريقتهم بلا كيف .

معلوم أن المراد بالبسط هنا البسط بالعطاء بل يداه مبسوطتان بالعطاء ينفق كيف يشاء؛ وذلك لأن اليهود وصفوا الله بالبخل فقالوا: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ ﴾ يعني: عن النفقة وعن العطاء وعن الكرم، فهو بخيل. هكذا أرادوا فردّ الله عليهم وكذبهم، وأخبر بأنه واسع العطاء وأن يداه مبسوطتان بالعطاء يعطي كما يشاء، فيطلق "غل اليد" على البخل ويطلق "بسطها" على النفقة وعلى كثرة العطاء.

قال الله -تعالى- في سورة "الإسراء": ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ ليس معناه أنه يربط يده إلى عنقه بل المراد أنه يمتنع عن العطاء الذي يده مغلولة كأنه هو البخيل الذي لا ينفق شيئا، والذي يبسط يده كل البسط هو الذي يبذر ويفسد المال ويكثر من إعطائه فوق الحاجة.

﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ يعني: ولا تبسطها بالإعطاء كل البسط بل الوسط خير. هكذا فسر البسط بأنه النفقة ... "مبسوطتان" بالعطاء والنفقة، ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ يعني: بكثرة العطاء وبكثرة الإنفاق.

والحاصل أن الله -تعالى- أخبر بأن له يدان وأنهما مبسوطتان ينفق كيف يشاء بلا اعتقاد كيف، ثم قال وأنه ﷻ استوى على العرش بلا كيف، فإن الله انتهى من ذلك إلى أنه استوى على العرش و لم يذكر كيف كان استواؤه ... هذه صفة أيضا، والصحيح أنها صفة فعلية ... أن الاستواء صفة فعلية؛ وذلك لأننا نعتقد أن العرش مخلوق.

وإذا كان العرش مخلوقا فإن الله -تعالى- استوى عليه بعد ما خلق، ونعتقد أن العرش سرير لا يعلم قدره إلا الله كما ورد في حديثٍ رواه ابن جرير في تفسير آية "الكرسي" عن زيد بن أسلم وعن أبي ذر وفيه في تفسير قوله: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ قال: "ما السماوات السبع والأرضون السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس".

السماوات مع عظمها والأرضون مع عظمها كدراهم، الدرهم: هي قطع صغيرة من الفضة ألقيت في ترس، الترس: هو المجن الذي يلبس على الرأس، ماذا تشغل الدراهم من هذا الترس.

ثم قال: والكرسي في العرش كحلقة ألقيت في أرض فلاة. الحلقة: هي القطعة من الحديد المتلاقية في الطرفين إذا ألقيت في أرض فلاة فماذا تشغل؟ ماذا تشغل من الأرض؟ فإذا كان هذا مقدار الكرسي بالنسبة إلى العرش فماذا يكون مقدار العرش؟! .

ثم الله -تعالى- الذي استوى على العرش أعظم من أن يوصف وأن يُحد بأصل يكيفه أو نحو ذلك. فنحن نقول: استوى على العرش كما أخبر ولا نكيِّف الاستواء ولا نكيِّف سائر الصفات كاليد ونحوها .

ومشهور عن الإمام مالك -رحمه الله- سئل ... جاء رجل وقال أرأيت قول الله -تعالى-: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾ كيف استوى ؟ فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء -يعني: العرق- ثم رجع وقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، ولا أراك يا هذا إلا مبتدعا، ثم أمر به فأخرج .

هكذا رُوي عن مالك، وفي رواية مالك: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، روي أيضا عن شيخه ربيعة أنه قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم.

فكأن مالكا أخذ هذا الأثر من شيخه الذي تعلم عليه كثيرا من العلوم، وشيخه ربيعة بن عبد الرحمن من كبار التابعين، كذلك أيضا قد روي هذا الأثر عن أم سلمة، والصحيح أنه موقوف عليها وقد روي مرفوعا، ومعناه أنَّا نعلم معنى الاستواء: أن الاستواء معلومٌ معناه وظاهر معناه.

ولأجل ذلك فسره العلماء فهو معروف يفسر ويوضح ويترجم من لغة إلى لغة فهو معلوم لا يحتاج إلى خطأ، ولكن للاستواء كيفية هذه الكيفية هي التي نقول: إنها مجهولة فنتوقف عن الكيفية ونفسر اللفظ بما يليق بالله تعالى .

وهكذا بعضهم يقول: استوى استواء يليق به ويتركون الإيضاحات، وأكثرهم يفسرونه فابن جرير -رحمه الله- كلما مر بآية من آيات الاستواء يفسرها بالعلو والارتفاع ﴿ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ أي: علا وارتفع، أي: علا عليه، وذلك استنادا منه إلى معنى الكلمة في اللغة، وأن هذا هو الذي تدل عليه هذه اللفظة، وكذلك تفسر بالاستقرار ﴿ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ يعني: استقر عليه .

وقد تكلم المبتدعة على هذه الآية ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ وبالغوا في إيرادات وشبهات يموهون بها على من يفسر هذا الاستواء بالاستقرار، وتجدون من بالغ في سردها .

الخطيب الرازي صاحب "التفسير الكبير" ويقال له خطيب الري فإنه لما تكلم عليها في سورة "الأعراف" أورد عليها شبهات يموه بها، فيقول يرد عليها بوجوه منها كذا وكذا ومنها كذا وكذا ومنها كذا وكذا، ولما انتهى من تلك الوجوه التي أوردها على تفسير الاستواء بالاستقرار، بعد ذلك ذكر التفسير الذي يختاره فذكر أن السلف كانوا يفوضونها ويسكتون ولا يتكلمون، وهذا ليس بصحيح ثم ذكر أن الخلف كانوا يفسرونها وتفسيرهم لها في الحقيقة أنه تأويل ... أنه صرف لها عن ظاهرها .

فذكر أن بعضهم فسر الاستواء بالاستيلاء "استوى" يعني: استولى، وبعضهم فسر العرش بأنه الملك، وأطالوا في ذلك ولا حاجة بنا إلى مناقشتهم، وقد رد عليهم العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية وكذلك ابن القيم في "الصواعق" وكذلك ابن أبي العز في "شرح الطحاوية" ردوا عليهم وبينوا شبههم.

والحاصل أن الله -تعالى- ذكر الاستواء وقال: ﴿ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ انتهى من ذلك إلى أنه استوى على العرش و لم يذكر لنا كيفية الاستواء .

في الفقرة الثالثة يقول: "وأنه مالك خلقه، وأنشأهم لا عن حاجة إلى ما خلق، ولا لمعنى دعاه إلى أن خلقهم، لكنه فعال لما يشاء، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا يُسأل عما يفعل، والخلق مسئولون عما يفعلون".

نعتقد أن الله تعالى هو الذي خلق الخلق، وما في الوجود مخلوق إلا الله خالقه، جميع المخلوقات، ليس أحد يقدر على أن يخلق حيوانا، أية حيوان، لو اجتمع الخلق كلهم على أن يخلقوا بعوضة، يركبوا فيها أجنحتها وأيديها ومفاصلها وما أشبه ذلك، وينفخوا فيها الروح حتى تطير، لم يقدروا، إلا ما ذُكر عن عيسى، قد ذكر الله تعالى عنه قوله: ﴿ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ ﴾ .

فهذا إذنٌ من الله تعالى أن أقدر عيسى على أن يصور صورة طير من الطين، ثم ينفخ فيها فتطير، ذكروا أنه يطير حتى إذا اختفى سقط ميتا؛ ليُعرف بذلك الفرق بين ما خلقه الله وما خلقه عيسى.

أما الخلق -بقية الخلق- فلن يستطيعوا أن يخلقوا أصغر مخلوق، قال الله تعالى: ﴿ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ ﴾ لن يخلقوا ذبابا، من أحقر المخلوقات هذا الذباب، لو اجتمعوا على أن يخلقوا هذا الذباب، وأن يركبوا فيه مفاصله وأوصاله وسمعه وبصره وشمه وأسنانه وأمعاءه وأجنحته لن يستطيعوا، بل الخلق خلق الله.

وإذا قيل: أليس الإنسان يتسبب في خلق الولد؟ نقول: الله تعالى هو الذي يخلق الأولاد، قدَّر أن هذا الاتصال بين الذكر والأنثى يسبب خلق المولود وتولده بين اثنين، قدر ذلك، فهو الذي قدره، وهو الذي يخلقه.

ليس الإنسان هو الذي يخلق أولاده، ولو كان كذلك لاختار مثلا أن يكون أولاده ذكورا، ولاختار أن يكون خلقهم حسنا، ولاختار أن يكون خلقهم تاما، فلا يكون هناك معطوب، ولا يكون هناك معاق، ولا يكون هناك ناقص الخلق، ولا يكون هناك سيئ الخلقة وما أشبه ذلك؛ فدل على أن الله تعالى هو الذي يخلقهم، وهو الذي فاوت بينهم.

قال: "مالكهم" هو الذي يملكهم ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ الخلق كلهم ملكه، وتحت تصرفه وتقديره، خلقهم وأنشأهم، لم يخلقهم لحاجة، ليس لحاجة أوجدهم وأنشأهم، بل هو الغني عنهم، وهم الفقراء.

في الحديث القدسي الذي في صحيح مسلم يقول الله تعالى: ﴿ يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ﴾ .

ثم قال: ﴿ يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته... يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته... يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم ﴾ إلى آخر الحديث.

فيخبر بأنه غني عنهم، وأنهم لو اجتمعوا كلهم على أتقى قلب رجل ما زاد ذلك في ملكه، أو اجتمعوا على أشقى قلب رجل وأفجر قلب رجل ما نقص ذلك في ملكه، وأنهم لن يبلغوا نفعه، ولن يبلغوا ضره.

"لا عن حاجة خلقهم": لم يكن بحاجة إليهم، ولكن خلق هذا الخلق وأوجده للابتلاء والامتحان، أوجد هذا المخلوق حتى يبلوه، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴿٧﴾ ﴾ وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ خلق الموت وخلق الحياة، وخلق هؤلاء المخلوقين، وأوجدهم ويعني قدَّر أنهم يحيون الحياة التي يعيشونها، وقدر أرزاقهم، وكذلك أمرهم ونهاهم، فكل ذلك بقضاء الله تعالى وقدره.

"لا عن حاجة إلى ما خلق ولا لمعنى دعاه إلى أن خلقهم" أي: ليس هناك دافع دفعه إلى خلقهم وقد ذكرنا قوله: ﴿ يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ﴾ فليس بحاجة إليهم لا تنفعه طاعة المطيع، ولا تضره معصية العاصي، بل هو النافع الضار ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ما شاءه كان، وما لم يشأ لم يكن.

أراد إيجاد هذه المخلوقات، وكذلك أوجد جميع الحيوانات صغيرها وكبيرها، أوجد الدواب والحشرات والطيور والوحوش والسباع والهوام وغيرها، هو الذي أوجدها وجعلها آية على قدرته، حيث خلق هذه المتضادات، وحيث أنشأها مع اختلافها، أليس ذلك دليل على كمال قدرته؟ حيث خلق هذه المخلوقات وجعلها تتوالد كما يشاء.

مُشاهَد آيات الله تعالى أن كل مخلوق إنما يلد من جنسه، فمثلا السبع يلد سبعا مهما كانت أحواله، ولو رُبي ثم ربي، ذكر بعض أهل القصص أن امرأة أخذت جرو ذئب فربته في بيتها وأرضعته من شاتها، جرو ذئب صغير، ولما كبر بدأ فعقر شاتها مع أنه أليف لهم فأنشأت تقول:

عقـــرت شـــويهتي وفجعـــت قلـــبي وأنـــت لـــشاتنـــا ولـــــد ربيـــــب

غذيـــــت بـــدرها ونـــشأت فينـــا فمـــن أدراك أن أبـــــاك ذيــــب

إذا كـــان الطبـــاع طبـــاع ســـوء فلـــيس بنافــــع فيهـــا الأديـــب

.

فلو غُيِّرت طباعه ما تتغير هكذا طُبع ولد السبع يكون سبعا، ولد الأنعام بهيمة الأنعام يكون تابعا لها، وأولاد الطيور بيض الطيور، لو جمعت مثلا بيضا بيضة حمامة وبيضة دجاجة وبيضة عصفور مثلا، وبيضة حبار وبيضة نعامة، وجعلتها بمكان لفقست وصارت كل واحدة مثل أمها التي باضتها، لا يمكن أن تتغير، هكذا خلق الله كل شيء يكون ولده مثله، لا شك أن هذا دليل على قدرة الله ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ ﴾ .

ثم يقول "لا يسأل عما يفعل" أخذ ذلك من الآية في سورة الأنبياء: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ أي: أنه يفعل ما يشاء، ولا يجوز أن يقال لماذا فعل الله كذا؟ بل أفعال الله تعالى لا تعلل.

الله تعالى حكيم في أفعاله لا يجوز أن تسأل وتقول: لماذا خلق الله هذه الحشرة؟ ما فائدة خلق هذه السباع؟ ما فائدة خلق هذه الدواب؟ هذه ضارة ومؤذية، ما فائدة خلق هذا الذباب؟ وما أشبه ذلك الله

حكيم في أمره، لا يجوز أن يسأل عن الحكمة في خلقه؛ لأنه حكيم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الخلق يُسألون ﴿ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

يقول "مدعو بأسمائه" تقدم قريبا أنه أمرنا بأن ندعوه بأسمائه ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ "موصوف بصفاته" تقدم قريبا أيضا أنه "موصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه، وسماه ووصفه بها نبيه ﷺ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يوصف بما فيه نقص أو عيب أو آفة، فإنه متعال عن ذلك .

"لا يعجزه شيء" هذا من صفات السلب، من الصفات السلبية، نقول إنه تعالى أخبر بأنه لا يعجزه شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء في عدة آيات، وذلك دليل على كمال قدرته.

إذا وصفناه قلنا لا يعجزه شيء، فهذا السلب دليلا على كمال القدرة؛ لأن الصفات السلبية إنما يوصف بها إذا كانت تدل على إثبات، ولا يوصف بما فيه نقص أو عيب، الصفات التي فيها نقص أو عيب لا يوصف بها، بل نزه الله تعالى نفسه عنها، لقوله: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ وأشباه ذلك. لنقف عند هذا.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

س: سائل يقول فضيلة شيخنا الشيخ عبد الله ما حكم إجبار الأب أو الجد بطلاق زوجته عند مرضه من قبل ورثته ؟

ج: حرام ذلك، ثم لو طلق لم ينفذ طلاقه، ذلك لأن الأولاد الذين يجبرون أباهم على أن يطلق امرأته، يريدون بذلك حرمانها من الإرث، والإجبار لا ينفذ، وكذلك أيضا لو طلق بدون إجبار، ولكنه في مرض الموت، فإنه لا يسقط نصيبها من الإرث؛ لأن من تعجل شيئا قبل أوانه عوقب بحرمانه، فالذي

يطلق امرأته في مرض الموت أو وهو مريض ترث منه امرأته شاء أم أبى، حتى ولو انتهت العدة إلا إذا تزوجت قبل موته.

س: أحسن الله إليكم، وهذا يقول: فضيلة الشيخ حدث لدي لبس حول كلام المؤلف بلا اعتقاد كيف ما الفرق بين أن يعتقد المسلم أن صفات الله لا كيف لها أو أن يعتقد أن صفات الله لها كيف لكن لا نعلمه؟

ج: قولهم بلا كيف، يعني لا تسأل عن الكيفية ولا تكيفوها، يذكرون في العقيدة قولهم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تأويل، فقولهم ولا تكييف يحتمل أمرين: الأول السؤال عن الكيفية، والثاني الإخبار بالكيفية، وكلاهما مراد، أي: لا تسألوا ولا تساءلوا فيما بينكم، وتقولون: ما كيفية استواء الله تعالى؟ ما كيفية يد الله؟ ما كيفية نزوله؟ لا تسألوا عن ذلك، فإن ذلك محجوب عنكم، وكذلك أيضا لا تكيفوا، لا تقولوا كيفية النزول كذا وكذا، وكيفية الرؤية كذا وكذا، وكيفية الاستواء كذا وكذا، فإن ذلك تكييف ليس عليه دليل.

س: فضيلة الشيخ يقول بعضهم: إن جلوس الله تعالى على عرشه ثابت من حيث الدليل، وهو في تفسير المقام المحمود، وأنه فُسر بأحد القولين أنه أجلسه أي: محمد على العرش معه، أفيدونا مأجورين ؟

ج: هكذا روي عن مجاهد في تفسير المقام المحمود ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩ ﴾ يجلسه على العرش ولكن ليس فيه كيفية جلوس الله تعالى أو كيفية استواء الله، إنما فيه أن الله يجلس محمدا على العرش معه.

أولًا هذا الأثر ضعيف؛ لأنه من رواية الليث بن أبي سليم، ولكن مع ذلك قد صححه وبالغ في تصحيحه كثير من العلماء، ورووا هذا الأثر أيضا عن غير مجاهد، يعني أن جماعة من المفسرين من السلف فسروه بذلك فسروا المقام المحمود بالجلوس على العرش.

وثانيا: المشهور أن المقام المحمود هو الشفاعة ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ يعني: أن ينيلك الشفاعة في يوم القيامة، فيكون ذلك سببا في رفع مقامك وشهرتك عند الناس، واعتراف الأمم السابقة بفضلك وبميزتك التي فضلك الله بها، هذا هو المشهور في تفسير المقام المحمود.

وبكل حال لا مانع من أن يجلسه الله على العرش، وليس في ذلك تكييف لجلوس الله تعالى، إذا أجلسه على العرش فليس فيه تكييف لجلوس الله تعالى، أو لاستوائه على العرش.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ أعرف أن نفي الصفة فقط نقص لله ﷻ فلا بد من إثبات فقد أشكل علي قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ ﴾ الآية؟

ج: لا إشكال في ذلك فهنا نفي الحياء ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا ﴾ وكذلك أيضا قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ فهنا نفي الاستحياء؛ وذلك لأن الاستحياء هنا يراد به الخوف والخجل ونحو ذلك.

فالله تعالى نفى عن نفسه هذا الأمر وأخبر بأنه يخبر بما عليكم فيه حق، ولو كان النبي يستحيي منكم النبي -عليه السلام- يستحيي منهم أن ينهرهم وأن يقيمهم، والله تعالى لا يستحيي من الحق، فالحاصل أن نفي الاستحياء نفي لهذه الصفة التي قد يكون فيها شيء من النقص، أو قد يكون فيها شيء من التنقص، وليس في ذلك نفي لبقية الصفات.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ وردت صفة اليد بصيغة الإفراد والتثنية والجمع فيكف نجمع بينها؟

ج: أما الإفراد في قوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ ﴾ فالمراد باليد هنا الجنس، جنس اليد، وذلك لأنه لا يستغرب أن يقال مثلا فلان يده ندية، ولو كانت يده ندية يعني بالعطاء فيراد جنس اليد، ولا يفهم منه أنه ليس لله إلا يد واحدة، وأما الجمع فالجمع للتعظيم ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا ﴾ الجمع هنا للتعظيم؛ وذلك لأن الله تعالى ذكر الضمير بلفظ الجمع في قوله "أيدينا" و لم يقل أيديَّ بل أضاف الضمير إلى الجمع.

كما أنه يصف نفسه بضمير الجمع مثل قوله: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا ﴾ هذا للتعظيم ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ﴾ ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ ﴾ الضمائر التي تُجمع هنا للتعظيم، فالإفراد يراد به الجنس، والتثنية يراد بها الحقيقة، يعني أن لله تعالى يدان، والجمع يراد به التعظيم.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ كيف نجمع بين قول المؤلف "ولا معنى دعاه إلى خلقهم" وقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ ؟

ج: يعني الحكمة في خلق الجن والإنس هي الأمر بالعبادة، ولكن ليس فيها دليل على أنه محتاج إلى عبادهم، ولا أن عبادهم تنفعه، أو تزيد في ملكه أو نحو ذلك، بل هو الغني وهم الفقراء، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ فالله تعالى أخبر بأنه خلق الخلق ليعبدوه، والمعنى: خلقهم ليأمرهم وينهاهم، خلقهم ليمتحنهم وليكلفهم، فمنهم من عبد ومنهم من لم يعبد، اللام هنا يقال لها لام التعليل، العلة في خلقهم هو الأمر بعبادهم، فليس فيها دليل على أنه ينتفع بعبادهم وأن ترك العبادة تضره كما ذُكر في الآيات.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ هل إذا أخطأ الخطيب في آية لي أن أرد عليه؟

ج: يمكن إذا تلعثم الخطيب في حالة الخطبة يجوز أن ينبَّه حتى يستمر في خطبته، لكن الأصل أن الخطيب إذا كان يخطب ارتجالا، فإنه إذا غلط في آية تجاوزها إذا أُرتِج عليه، وقرأ ما بعدها ولا يحتاج إلى أنه يتكلم معه، لأن الكلام معه قد يشوش على الحاضرين، وبكل حال لا مانع إذا احتاج إلى من يرد عليه يعني يفتح عليه حتى يستمر في خطبته، وأما إذا غلط وقدم كلمة أو أخرها فينبه على ذلك بعد الصلاة.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ عندي أخ لا يصلي وهو منهمك في المعاصي فهل يجوز لي أن آكل معه وأن أجالسه وأن أضاحكه تأليفا لقلبه؟

ج: عليك الإكثار من نصحه وتخويفه وتهديده وتحذيره، وعليك أيضا تأليفه وترقيق قلبه والتقرب إليه وإرسال من ينصحه، ومن يرشده لعله يتقبل وينيب، لكن إذا رأيت منه إصرارا واستكبارا وعدم

تقبل، فليس لك في هذه الحالة أن تبقى معه، بل أظهِر له الكراهية والمقت والبغض، لعله يكون ذلك رادعا له عن هذه المعاصي، ونشير عليك أن ترفع بأمره إلى من يعاقبه حتى يترجر ويترجر أمثاله.

س: وهذا يقول، فضيلة الشيخ أنا شاب أريد أن أخطب إحدى النساء مع علمي أن أحد إخواني خطبها و لم يُرد عليه بالإيجاب أو الرفض فهل لي ذلك؟

ج: ليس لك ذلك حتى يُرد حتى يظهر الرد لعموم ﴿ لا يخطب على خطبة أخيه ﴾ فما دام أنه خطب وتقدم وسكت أهلها و لم يقولوا: مقبول أو مردود، فإنك تتوقف حتى يظهر الرد وفي النساء كثرة.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ يقول: اعلم أنا نحبك في الله، ثم إنه هل من السنة عرض الرجل وليته على الرجل الصالح ؟ هل للرجل عرض وليته على الرجل الصالح ؟

ج: لا مانع من ذلك، إذا رأى رجلا صالحا وكان عنده مولية يحب أن يجد لها كفئا كريما، أن يعرضها كما عرض عمر ﷺ ابنته على عثمان وعلى أبي بكر قبل أن يخطبها النبي ﷺ فلا مانع من ذلك.

س: وهذا يقول: بعض المشركين يدعي أنه يخلق خلقا كخلق الله، وذلك بعملية طفل الأنابيب فبماذا يجاب عليهم ؟

ج: ليس هذا مثل خلق الله، وليس هذا خلق لهم، كونهم مثلا يعملون هذا لا يستطيعون أن يخلقوه في غير الرحم، ولا من غير المني، فالمني هو خلق الله تعالى، والرحم والبويضة التي في المرأة هي خلق الله، فلا يقدرون على أن يستقلوا به، بأن يخلقوا إنسانا من غير رحم، ومن غير مني ونحو ذلك، هذا الذي أرادوا، أما إجراء هذه العملية فليس في ذلك غرابة.

س: وهذا يقول: هل ورد في زيارة المؤمنين لربهم حديث صحيح؟

ج: أحاديث الرؤية ذكرها ابن القيم في حادي الأرواح، وأنهم يزورون ربهم كل جمعة، ومنهم من ينظر إلى ربه بكرة وعشيا، مجموع الأحاديث يدل على أنها صحيحة ومشهورة.

س: وهذا يقول: هل اسم الهادي والمقصود من أسماء الله الحسنى ؟

ج: اشتهرت التسمية بها، أو التعبيد لها عبد المقصود وعبد الهادي، فنقول على الإطلاق الله تعالى هو الهادي، الذي لا يصلح عند الإطلاق الاسم إلا له، وإن كان يطلق على الإنسان ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ ﴾ وكذلك قوله: ﴿ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ ﴾ وكذلك قوله: ﴿ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾ ولكن هناك فرق بين الهادي مُعرَّفا، وبين هادٍ منكرة، فعند الإطلاق يصح يقال: الله هو الهادي، وكذلك المقصود معناه أنه الذي تقصده القلوب وتتوجه إليه الرغبات.

س: وهل الساتر من أسماء الله في قول بعضهم يا ساتر؟

ج: نسمع هذه الكلمة، فمنهم من يقول: نقتصر على الوارد في حديث ﴿ إن الله ستير يحب الستر ﴾ فيقولون: نسميه ب "الستير" ولا نسميه بالساتر، لأنه لم يرِد، ولكن الأقرب أنه عند الإطلاق الله هو الستار وهو الساتر وهو الستير عند الإطلاق، فيصلح أن يسمي الله تعالى بذلك، وإن كان المخلوق يوصف بذلك من باب الفعل أن الإنسان يستر على أخيه ﴿ من ستر مسلما ستره الله ﴾ .

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ هل يفسر الاستواء المعدى ب إلى بالقصد ؟

ج: في قوله: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ فسره بعضهم كما نقل ابن كثير في سورة البقرة أن المراد القصد ﴿ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ يعني: قصد إلى السماء، ولكن الأولى أن يفسر بالعلو، أي: ارتفع إلى السماء ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ ﴾ .

وأنكر ابن جرير في التفسير على من قال أقبل ﴿ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أقبل فقال: وهل كان معرضا قبل ذلك؟ وهل كان صادا حتى أقبل فرجح أنه العلو، وابن كثير ذكر الإقبال وأقره، أقبل إليها ولكن لا يستلزم أنه كان معرضا عنها.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ يكثر في هذه الأيام سفر بعض العائلات وقد يبقى بعض أولادهم المتزوجين مع أحد الأولاد غير المتزوجين، والسؤال ما حكم جلوس الولد غير المتزوج مع زوجة أخيه، عندما يكون في عمله مع العلم أنها تكون في داخل المترل، ويكون هو في الملحق الخارجي؟

ج: يفضل البعد عن الأماكن التي فيها ريبة وفيها محذور، لقول النبي ﷺ ﴿ إياكم والدخول على النساء، قالوا يا رسول الله: أرأيت الحمو؟ قال الحمو الموت ﴾ ولكن إذا كان النساء ليس يختلطن بالرجال بل هن في مكان ناءٍ بعيد منعزلات عن الرجل، والرجل بعيد عنهن وبينه وبينهن أبواب مغلقه، فلعل ذلك يرخص فيه للحاجة.

أحسن الله إليكم فضيلة الشيخ وجعل ما قلتم في ميزان حسناتكم، والله أعلم وصل الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قد مر بنا ما ذكره المؤلف -رحمه الله- من أن الله تعالى موصوف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به نبيه ﷺ وهذه العبارة يكررها أهل السنة في عقائدهم، ثم بعد ذلك يفصلون.

فإنه هنا ذكر بعض الصفات الفعلية وبعض الصفات الذاتية، فذكر صفة اليد وهي من الصفات الذاتية، وصفة الاستواء وهي من الصفات الفعلية، كذلك أيضا ذكر الصفات السلبية بعض الصفات السلبية مثل قوله: "لا يعجزه شيء" هذا من الصفات السلبية صفات النفي، لا يوصف بما فيه نقص أو عيب أو آفة، هذا من الصفات السلبية.

وقد ذكر العلماء أن الله تعالى بعث رسله بإثبات مفصل ونفي مجمل، وذلك لأن الإثبات مقصود لذاته، فلأجل ذلك فصل في الإثبات، أثبت الله تعالى لنفسه النفس في قوله: ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ وأثبت صفة اليد في قوله: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ وصفة الوجه في قوله: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ .

وأثبت العزة والحكمة والرحمة، وأثبت صفات الفعل الفعلية، كالمجيء والإتيان وأثبت العلم والقدرة والسمع والبصر، وأثبت الصفات الفعلية أيضا كالمكر والكيد والعجب وما أشبهها، وكذلك أيضا في

الأحاديث، يسمى هذا تفصيلا يعني: أن الله تعالى فصل في الإثبات، بحيث ذكر الصفات المثبتة كلها على وجه التفصيل.

وأما صفات السلب، فإنه ذكرها على وجه الإجمال كقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ وكقوله: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ ﴾ وكقوله: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ وكقوله: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ وأشباه ذلك من الصفات السلبية التي نفى الله تعالى عن نفسه النقائص.

وقد ذكر أيضا شيخ الإسلام أن الله تعالى لا يوصف بالصفات السلبية، إلا إذا تضمنت إثباتا، فإن الله نفى عن نفسه الكفر والند والمثل والسميّ، وذلك دليل إثبات الأحدية وإثبات التفرد، يعني إذا نفينا هذه الأشياء أثبتنا أنه واحد أحد وفرد صمد، وكذلك إذا نفينا العجز، ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ ﴾ أثبتنا أو كان ذلك دليلا على إثبات القدرة كمال القدرة، وكذلك بقية الصفات السلبية.

ثم نقول بعد ذلك: إن المبتدعة عكسوا الأمر كالمعتزلة، فهم يفصلون في النفي ويجملون في الإثبات، كما ذُكر ذلك في معتقداتهم، فهم يفصلون في صفات السلب، فيقولون: نتره الله -في زعمهم أنهم ينزهون الله- ننزه الله عن أن يكون فوق أو تحت، أو يمين أو يسار، أو أمام أو خلف، وننزهه عن الحدود والأعراض والأبعاض والأجسام والحيز والجهة، وننزهه عن الجهل، وعن كذا وكذا.

فيفصلون في النفي ولا يثبتون إلا إثباتا مجملا مطلقا، بشرط الإطلاق، فيثبتون الوجود فقط -وجود مطلق- بشرط الإطلاق، ولا شك أن هذا التفصيل لا دليل لهم عليه، فلذلك كان من جملة ما ابتدعه المبتدعون، ومن ذلك ما سوف ننبه عليه الآن.

الآن نواصل القراءة يقرأ هشام الشعلان رقم ستة.

إثبات صفة اليدين والوجه والسمع والبصر

والعلم والقدرة والكلام والمشيئة

قال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي -رحمه الله تعالى- في بيان اعتقاد أهل السنة:

"ولا يُعتقد فيه الأعضاء والجوارح ولا الطول والعرض والغلظ والدقة ونحو هذا، مما يكون مثله في الخلق، فإنه ليس كمثله شيء تبارك وجه ربنا ذي الجلال والإكرام، ولا يقولون إن أسماء الله غير الله كما يقوله المعتزلة والخوارج وطوائف من أهل الأهواء، ويثبتون أن له وجها وسمعا وبصرا وعلما وقدرة وقوة وعزة وكلاما لا على ما يقوله أهل الزيغ من المعتزلة وغيرهم.

ولكن كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [1] وقال: ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾ [2] وقال: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [3] وقال: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [4] وقال: ﴿

- ١سورة الرحمن آية : ٢٧.
- ٢سورة النساء آية : ١٦٦.
- ٣سورة البقرة آية : ٢٥٥.
- ٤سورة فاطر آية : ١٠.

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَـٰهَا بِأَيۡيْدٍ ﴾ [1] وقال: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً ﴾ [2] وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [3] .

فهو تعالى ذو العلم والقوة والقدرة والسمع والبصر والكلام، كما قال تعالى: ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [4] ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا ﴾ [5] وقال: ﴿ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [6] وقال: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [7] وقال: ﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَىۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [8] .

ويقولون ما يقوله المسلمون بأسرهم: ما شاء الله كان وما لم يشأ لا يكون، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [9] ويقولون لا سبيل لأحد أن يخرج عن علم الله ولا أن يغلب فعله وإرادته مشيئة الله، ولا أن يبدل علم الله، فإنه العالم لا يجهل ولا يسهو والقادر لا يغلب" .

قال المعلق –جزاه الله خيرا– على قول المؤلف: "ولا يعتقد فيه الأعضاء والجوارح.." إلى آخره قال: هذه عبارات لم ترد في الكتاب والسنة ولم تؤثر عن السلف الصالح بل هي من عبارات المتكلمين فكان الأولى بالمصنف –رحمه الله–الاستغناء عنها.

قال المعلق على النسخة الأخرى –جزاه الله خيرا– على قول المؤلف السابق هذه الكلمات ليست من الألفاظ المعروفة عند أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة، بل هي من الكلمات المخترعة

- ١سورة الذاريات آية : ٤٧.
- ٢سورة فصلت آية : ١٥.
- ٣سورة الذاريات آية : ٥٨.
- ٤سورة طه آية : ٣٩.
- ٥سورة هود آية : ٣٧.
- ٦سورة التوبة آية : ٦.
- ٧سورة النساء آية : ١٦٤.
- ٨سورة النحل آية : ٤٠.
- ٩سورة الإنسان آية : ٣٠.

المبتدعة، والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية هو سبيل أهل السنة والجماعة، فلا ينبغي لطالب الحق الالتفات إلى مثل هذه الألفاظ، ولا التعويل عليها، وما كان أغنى الإمام المصنف -رحمه الله تعالى- عن مثل هذه الكلمات المبتدعة.

فإن الله -سبحانه وتعالى- موصوف بصفات الكمال، منعوت بنعوت العظمة والجلال، وعلى كل حال فالباطل مردود على قائله كائنا من كان، والقاعدة السلفية في مثل هذه الكلمات، أنه لا يجوز نفيها ولا إثباتها إلا بعد التفصيل، وتبيُّن مراد قائلها.

وكان على المؤلف أن يجمل في النفي، غير أنه أراد بهذا النفي أن يسد الطريق على المعطلة، لئلا يكون لهم مدخل في رمي أهل الحديث بالتشبيه، ولكنه بهذه العبارات فتح الباب لهم ليذموا من أطلقها بموافقتهم على نفي بعض الصفات الذاتية، كالوجه واليدين فلو أمسك -رحمه الله-عن هذه العبارات لكان أجدى" .

سمعنا هذه العبارة قوله "ولا يُعتقد فيه الأعضاء والجوارح ولا الطول والعرض والغلظ والدقة ونحو هذا، مما يكون مثله في الخلق، وأنه ليس كمثله شيء تبارك وجه ربنا ذي الجلال والإكرام"، وسمعنا هذا التعليق.

فنقول: إنه في القرن الرابع تمكنت مذاهب المعتزلة وأقوالهم، وكذلك من قاربهم كالكرامية والكلابية والأشعرية ونحوهم، ولما كان لهم تمكن صار الذين يتتلمذون عليهم يولدون مثل هذه العبارات، فيرون أننا إذا أثبتنا الصفات استلزم من إثباتها هذه الأشياء، فلذلك قالوا: لا بد أن نصرح بنفيها، وأن نتبرأ ممن ينفيها، حتى لا يرمينا النفاة أو المعتزلة ونحوهم، بأننا مجسمة أو مشبهة أو نحو ذلك.

فالتزموا بنفي هذه الأشياء، وإلا فهي عبارات لم يرد لها دليل، ولم يستعملها السلف لا نفيا ولا إثباتا، فالسلف ما كانوا يتدخلون في هذه الأمور، فلا يقولون نتره الله تعالى عن الحدود وعن الأعراض وعن الأبعاض، وعن الأجزاء وعن الجهات وعن الجسم وعن الحيز، ما كانوا يتدخلون في هذا، بل يقتصرون على الوارد، يقولون الصفات التي ورد دليلها نقول بها ونثبتها لفظا ومعنى، ونتوقف عن الكيفية، التي هي عليها.

وكذلك أيضا نتوقف عن التعليل الذي تُعلل به أفعال الله تعالى، ونقول هكذا وردت فنثبتها ونثبت لفظها ومعناها، ونتوقف عن تكييفها وهكذا وردت الأفعال والأحكام فنثبتها، ونتوقف عن تعليلها، ولا نقول لماذا وُصف بكذا دون كذا، ولا لماذا فعل كذا دون كذا، فالتعليلات مرجعها إلى الله، ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (1) وكذلك الصفات والكلمات المبتدعة التي لم يتكلم بها السلف، نقول إنها بدعة إثباتا ونفيا.

فمن قال: إن الله جسم، قلنا: أنت مبتدع، ومن قال: إن الله ليس بجسم، قلنا: أنت مبتدع، ومن قال: لله أعضاء وأجزاء، قلنا: هذا بدعة، ومن قال: ليس لله أجزاء ولا أعضاء ولا أبعاض، قلنا: أيضا هذا بدعة لا تقل هذا ولا تتكلم فيه؛ لأن هذا ما ورد؟ ما دليلك على النفي؟ وما دليلك على الإثبات؟ قف حيث وقف القوم، وتوقف عن التكلفات الله تعالى يقول لنبيه: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ (2) .

فالتكلف الذي هو أن يكلف الإنسان نفسه، فيقول بلا علم ويتخرص في الاعتقاد، ويتخرص في الأسماء والصفات، ويقول شيئا من قِبَل نفسه، هذا هو التكلف، ولكن كما سمعنا أن بعضا من أهل الحديث وأهل العقيدة، لما ظنوا أن إثبات هذه الأشياء يستلزم أن المعتزلة يعيبون من أثبت الصفات بكذا وكذا، صرحوا بمثل هذا النفي.

كأنهم يقولون: إذا أثبتم لله تعالى الاستواء وأثبتم له المجيء والنزول، فإن هذا إثبات أجسام، لأنا لا نعرف من ينتقل من فوق إلى تحت، أو من يجيء أو من يستوي ويرتفع إلا الأجسام والأعراض، فقد أثبتم جسما أو أثبتم عرَضا أو أثبتم أجزاء وأبعاضا أو نحو ذلك، هكذا يقولون.

فهم إذا قيل لهم: إن الله تعالى مستو على عرشه، قالوا: هذا يستلزم أن يكون جسما، لأن الاستواء الذي هو الاستقرار على العرش لا بد أن يكون جسما، فقد جسمتم أثبتم لله تعالى جسما، فنقول: لا

- 1سورة الأنبياء آية : 23.

- 2سورة ص آية : 86.

ترمونا بإثبات شيء لم نقله، نحن لا نقول إن الله جسم، ولا غير جسم، الله تعالى وصف نفسه بهذه الصفات ونتوقف عما زاد عليها، فلا ترمونا بهذا.

وكذلك إذا قدروا التقديرات، وقالوا إذا استوى على العرش، فإما أن يكون مثل العرش، أو دون العرش، أو فوق العرش، أو أكثر أو أوسع منه، نقول: هذا هو التكلف، لا تتدخلوا في هذا، أثبتوا ما أثبته الله، وكِلوا الكيفية إليه سبحانه، كيفية الاستواء، توقفوا فيها كما قال السلف: الكيف مجهول.

وإذا قالوا مثلا: إن مجيئه ونزوله من شأن المحدثات ومن شأن المركبات، يلزم أن يكون حادثا، ويلزم أن يكون مركبا، أن يكون الله مركبا من أعضاء، ومن أجزاء وما أشبه ذلك –تعالى الله عن ذلك– قلنا: هذا أيضا من التكلف،لا حاجة بنا إلى أن نخوض في مثل هذا، الله تعالى ربنا نؤمن به، وهو خالق الخلق، وهو مدبرهم، وأما الخوض في تكييف صفاته، وفي تتريهه عن أشياء قد سكت عنها، وسكت عنها السلف وأئمة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فإن الدخول فيها تكلف.

في مناظرة لشيخ الإسلام في دمشق لما ناظرهم في الصفات وأثبتها عند ذلك كان يقول: لله تعالى وجه ولا يشبه خلقه، ولله يدان من غير تشبيه، ليست كيد المخلوق، والله تعالى يضحك ويعجب لا كعجب المخلوق، والله تعالى يرحم لا كرحمة المخلوق، فعند ذلك قال بعض الحاضرين: إذن فنقول: إن لله تعالى جسم لا كأجسام المخلوقين.

فقال شيخ الإسلام: كلا لا نقول هذا؛ لأن هذا لم يرد، ونحن إنما نقول بما ورد، أنتم توافقون على أن الله لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، فأين في الصفات إثبات الجسم أو نفيه ؟ وأين في صفات الله أو في الآيات والأحاديث إثبات العرَض أو نفيه ؟ أو إثبات الأبعاض والأجزاء أو نفيها، أو إثبات التركيب وحلول الحوادث أو نفيها، أو إثبات المقدار أو ما يقوله الغِلَظ والدقة وما أشبه ذلك أو نفيها.

لما لم ترد مثل هذه لم يجز استعمالها لا نفيا ولا إثباتا، فهذا هو –حقا– القول الصحيح الثابت، أن الله لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وأن مثل هذه الأعراض والكلمات التي توسع فيها هؤلاء إنما هي مبتدعة.

ذكر المعلق عذر المؤلف في مثل هذه الكلمات، يقول: لا شك أنه أراد بهذا النفي أن يسد الطريق على المعطلة، لئلا يكون لهم مدخل في رمي أهل السنة بالتشبيه، هكذا استعمل هذه الكلمات حتى يسد الباب على المعطلة الذين هم المعتزلة، فإنهم إذا قلنا: إن لله وجها، قالوا: الوجه موجود في المخلوقين، فقد شبهتم، وإذا قلنا: إن لله يدا قالوا: قد شبهتم، وإذا أثبتنا هذه الصفات، قالوا: قد جعلتم الله تعالى أعراضا، وجعلتم له أبعاضا، وجعلتم له أجزاء، وجعلتم وجعلتم.

فلأجل ذلك رأى بعض أهل السنة من المتأخرين، من القرن الرابع وما بعده، أمثال المؤلف، وأمثال الطحاوي في عقيدته أيضا، فإنه استعمل مثل هذه الكلمات، وناقشه الشارح، وبين أيضا أنها مما لم يرد، فلما كان هذا عذره أن يسد الباب على المعطلة والمعتزلة ونحوهم.

لكن ذكر أنه فتح الباب لهم ليُلزموا من أطلقها بموافقتهم على نفي بعض الصفات الذاتية، كأنهم يقولون: ما دام أنكم تنفونها وتقولون ليس لله أعراض وليس لله أجزاء، فعليكم أن تنفوا صفة الوجه، وصفة الرِجل، وصفة اليدين وما أشبه ذلك مما ورد دليله، عليكم أن تنفوها، فيقول: إن استعمال هذه الكلمات فتح لهم الباب، وكان الأولى الإمساك عنها، والاقتصار على الوارد.

نحن نعتقد، ننفي النفي المجمل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (1) يكفينا هذا النفي، يكون هذا عاما في الذات وفي الفعل، فإذا أثبتنا لله الصفات الذاتية كالسمع والبصر والكلام والوجه وما أشبهها، قلنا: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (2) في ذاته ولا في صفاته، وإذا أثبتنا له الأفعال، أنه يشاء ويريد ويحكم، وأنه يرحم ويحب ويكره ويبغض، قلنا: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (3) في هذه الأفعال، هكذا طريقة أهل السنة في ذلك.

- 1سورة الشورى آية : ١١.
- 2سورة الشورى آية : ١١.
- 3سورة الشورى آية : ١١.

الفقرة السابعة هنا: "ولا يقولون إن أسماء الله ﷻ كما تقوله المعتزلة والخوارج وطوائف من أهل الأهواء مخلوقة" في النسخة التي قرأنا أولا: "ولا يقولون إن أسماء الله غير الله"، وفي هذه النسخة: "ولا يقولون إن أسماء الله مخلوقة".

ولعل الصواب النسخة الأولى: "لا يقولون إن أسماء الله غير الله"؛ وذلك لأن المبتدعة زعموا أن أسماء الله غيره، وبلا شك إن الاسم يدل على المسمى؛ ولأجل ذلك يأمر الله تعالى بذكره بأسمائه، فقوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ﴾ (1) المعنى: سبح ربك، فالاسم دليل على المسمى، وليس الاسم زائدا عليه.

وإن كان -مثلا- يمكن أن يقال: إن الاسم عبارة أو كلمة تدل على المسمى، وذلك في حق المخلوق، ممكن أن الإنسان مثلا قد يتسمى باسم، ثم يتسمى باسم آخر، ثم أيضا اسمه لا يكون ظاهرا أثره فيه، في حق المخلوقين، فليس كل من سمي مثلا صالحا يكون من أهل الصلاح، ولا من سمي صادقا يكون من أهل الصدق دائما، ولا من سمي طاهرا يكون مطهرا، ولا من سمي مثلا راشدا يكون من أهل الرشد.

فدل ذلك على أن الاسم ليس هو عين المسمى، والكلمة أو الجملة قد توسع فيها العلماء واختلفوا في ذلك، فمنهم من يقول: الاسم عين المسمى -عينه-، ومنهم من يقول: الاسم غير المسمى، ومنهم من يتوقف ويقول: لا نقول الاسم عين المسمى ولا الاسم غير المسمى.

والصحيح -من حيث الواقع- أن الاسم دليل على المسمى، وليس هو عين المسمى، ولأجل ذلك قد يسمى الإنسان باسم ثم يغير اسمه، كثير من الصحابة مضى عليهم -مثلا- قبل أن يسلموا أربعين سنة أو خمسين سنة، ثم غيرت أسماؤهم بعدما أسلموا.

- 1سورة الأعلى آية : 1.

فعبد الرحمن بن عوف كان اسمه عبد عمرو، ولما أسلم تسمى بعبد الرحمن، وأبو هريرة كان اسمه عبد شمس -على الصحيح-، ولما أسلم تسمى بعبد الرحمن، وكذا كثير من الصحابة غيَّر النبي ﷺ أسماءهم؛ فذلك دليل على أن الاسم ليس هو عين المسمى.

أما أسماء الله تعالى فإنها دالة عليه، ولا نقول: إن أسماء الله غير الله، بل نقول: أسماء الله دالة عليه، ثم -أيضا- أسماؤه دالة على صفاته، فاسمه الرحمن دليل على الرحمة، واسمه العزيز دليل على العزة، وهكذا بقية الأسماء.

يقول العلماء: إن كل اسم من أسماء الله تعالى له ثلاث دلالات: دلالة على الذات، ودلالة على الصفة المشتقة من ذلك الاسم، ودلالة على بقية الصفات، فدلالته على الذات تسمى دلالة المطابقة، ودلالته على الصفة المشتقة منه تسمى دلالة تضمن، ودلالته على بقية الأسماء تسمى دلالة التزام.

فإذا ذُكر اسم الرحمن قلنا: هذا الاسم -الرحمن- ينطبق على الله تعالى، لا يسمى به إلا الله على الإطلاق، فهو يدل كل من سمعه على ذات الله تعالى، ثم نقول: هذا الاسم يدل على إثبات الرحمة، يتضمن إثبات الرحمة؛ لأنه مشتق منها، فهو دليل على إثبات الرحمة دلالة تضمن.

كذلك إذا أثبتنا الرحمن وأثبتنا الرحمة قلنا: إثبات الرحمة يستلزم بقية الصفات، يستلزم إثبات المحبة، وإثبات الغنى، وإثبات القوة والقدرة، وإثبات السمع والبصر، وإثبات العلم والإرادة، وإثبات الغنى وكمال التصرف، وإثبات القوة والقدرة؛ لأن الرحمن واسع الرحمة لا بد أن يكون غنيا، وأن يكون قادرا، وأن يكون قويا، وأن يكون سميعا بصيرا، وأن يكون متكلما، وأن يكون مريدا ونحو ذلك، فنسمي دلالته على بقية الصفات دلالة استلزام أو التزام، أي يلزم من إثبات هذه الصفة إثبات بقية صفات الكمال.

فالحاصل أن هناك من يقول: إن أسماء الله غير الله، وهناك من يقول: إن أسماء الله مخلوقة، ولعل هؤلاء ما حملهم على ذلك إلا الاعتقاد أن الأسماء إذا تعددت تعددت الموجودات كما يعبرون بذلك، وهذا قول خاطئ؛ فلا يلزم إثبات التعدد، ولا يلزم -كما يقولون- تعدد القدماء.

الصفة الخاصة عند المعتزلة هي صفة القِدم، أن الله قديم لم يُسبق بعدم، فهم يقولون: إن أسماء الله حادثة، وإذا كانت حادثة فإنها ليست قديمة، ويقولون: لو أثبتنا أنه موصوف بها أزلا لأثبتنا تعدد القدماء، فيلزم بذلك إثبات التعدد، هكذا عللوا، وهو تعليل ضعيف؛ فإنا إذا قلنا: إن الله تعالى قديم بصفاته لم يلزم تعدد؛ وذلك لأن الصفات تابعة للذات.

لا يلزم من إثبات الصفات في الذات أن يكون هناك عدد كما في المخلوق، المخلوق مثلا إذا قلت مثلا: جاءنا زيد، فلا حاجة إلى أن تقول: جاءنا زيد، وسمعه وبصره، وأذناه ويداه ورجلاه، وبطنه وظهره، ورأسه ولسانه وشفتاه، يكفي أن تقول: جاء زيد، فهو واحد، فإثبات المسمى يتبعه إثبات الصفات وإثبات الأعيان، فإذا قلنا: إن الله تعالى قديم، فلا حاجة إلى أن نقول: الله قديم، وعلمه قديم، وقدرته قديمة، ويداه قديمتان، ووجهه قديم، وإرادته قديمة، بل الله قديم بصفاته، فلا يحتاج إلى تعدد القدماء كما يقولون.

المعتزلة معروف أنهم ينكرون الصفات، وكان أول خروجهم في عهد الحسن البصري، وذلك لأنه جاءه رجل يسأله عن رجل عمل ذنوبا وارتكب خطايا، فهل نكفره أو نفسقه؟ وهل نسميه مؤمنا أو نسميه كافرا؟

وكان في مجلس الحسن رجل من تلامذته، ولكنه لَسِنٌ جريء بليغ فصيح، فنطق وقال: أنا أقول إن العاصي ليس بمؤمن ولا كافر، بل هو في منزلة بين المنزلتين، فلا نخرجه من الإسلام، ولا ندخله في الكفر، بل هو بينهما.

فأراد أن يقنعه الحسن، فأصر على كلامه، ولما أصر على ذلك اعتزل المجلس -مجلس الحسن-، وانفرد في حلقة من زاوية المسجد، وصار يقرر على تلامذة له أُعجبوا بفصاحته هذه العقيدة، فعند ذلك قال الحسن -رحمه الله-: اعتزلنا واصل.

ثم كان بعد ذلك كلما أحس من إنسان شيئا من البدعة قال: هذا قول أولئك المعتزلة، إن كنت كذلك فاذهب إلى أولئك المعتزلة؛ فلقبوا بالمعتزلة، واستمروا على هذا اللقب، وصاروا يعترفون بذلك، يعترفون ويفتخرون بأنهم بهذا الاسم، ولكنهم مع ذلك يدعون أنهم على حق وعلى صواب.

ومبنى مذهبهم على خمسة أصول، يسمونها بأسماء حسنة وهي: العدل، وإنفاذ الوعيد، والتوحيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمترلة بين المترلتين.

هذه أصولهم الخمسة، أسماء حسنة، ولكن إذا شرحتها وطلبت شرحها وجدت فيها مخالفات، مرادهم بالعدل: عدم قدرة الله على أفعال العباد، ينكرون أن الله تعالى خلق أفعال العباد، ويقولون: إذا خلق الله المعصية في العاصي وعذبه فهذا جور وظلم، ليس عدلا؛ فيجعلون العباد هم الذين يخلقون أفعالهم مستقلين بها.

وينكرون أن الله قادر على أن يهدي أو يضل، ويقولون: لو أراد الإنسان أمرا وأراد الله غيره لغلبت قدرة العبد على قدرة الخالق، وهذا -بلا شك- تَنَقُّصٌ لله، هذا مرادهم بالعدل، ولعله يأتينا ما يبينه أكثر.

وأما مرادهم بالتوحيد: فهو نفي الصفات، فهم يقولون: إن الله تعالى واحد، وينكرون أن يكون معه صفات، فيقولون: إذا أثبتنا الذات، وأثبتنا العلم، وأثبتنا القدرة، وأثبتنا الرحمة، وأثبتنا الكلام، وأثبتنا الوجه، وأثبتنا اليد، وأثبتنا المشيئة، وأثبتنا الرحمة، ما أثبتنا واحدا، أثبتنا عددا؛ فلا نكون موحدين، لا نكون موحدين إلا إذا أثبتنا ذاتا مجردة عن الصفات، هذا مذهبهم، مرادهم بالتوحيد.

أما المترلة بين المترلتين فمرادهم أن العاصي لا مؤمن ولا كافر، بل بينهما، فهم لا يقاتلون العصاة في الدنيا كالخوارج، ولا يعاملونهم معاملة المسلمين، هذا قولهم في الدنيا.

ومرادهم بإنفاذ الوعيد -وهو أصل من أصولهم- يقولون: إن آيات وأحاديث الوعيد التي وردت في حق العصاة لا بد من إنفاذها؛ فلأجل ذلك يخلدون العصاة، يحكمون بخلودهم في النار، وينكرون شفاعة الشافعين، وينكرون أن يُخرَج أحد ممن دخل في النار.

ومرادهم بالأمر والنهي: جواز الخروج على الأئمة إذا أظهروا معصية، يستبيحون الخروج على الأئمة، فهذه معتقداتهم.

ذكر المعلق أن من أشهر رجالهم واصل بن عطاء، وهو الذي ذكرنا أنه أول من اعتزل مجلس الحسن، وعمرو بن عبيد، وهو عالم ولكنه ضال، كما أن واصل بن عطاء عالم وفصيح؛ حتى ذكروا أنه

كن ألثغ بالراء، فكان إذا خطب يتجنبها في كلامه، يتجنب أن يكون في خطبته الطويلة حرف الراء حتى لا يعاب؛ لأنه كان يقلبها غَينا، حتى في القرآن إذا قال مثلا: "الصراط" يقول: "الصغاط"، يعني كاللكنة التي تكون في بعض الناس، من فصاحته أنه لا ينطق بالراء، يتجنبها.

أما عمرو بن عبيد فكان عالما ولكنه مبتدع ضال، ومع ذلك فقد انخدع به بعض الولاة مثل الخليفة المنصور، كان يقربه؛ وذلك لأنه يرى أنه زاهد في العطاء، لا يطلب شيئا من المال، ولا يرغب في شيء لنفسه، حتى إنه كان يقول للذين يأتون إليه يقول:

كلكـــــم يمـــــشي رويـــــد ك غـــير عمـــرو بـــن عبيـــد

ل

ك

م

ط

ا

ل

ب

ص

ي

ـ

د

يريد أن كلكم يطلبون المال إلا عمرو بن عبيد، بيَّن ابن كثير في ترجمته في البداية والنهاية أنه -وإن اشتهر بالزهد- فإنه مبتدع.

وأما أبو الهزيل فهو أيضا مشهور، أبو الهزيل العلاف مشهور بأنه من جهابذتهم ومن أكابرهم، ولكنه من المنهمكين في هذه العقيدة ومن الغلاة فيها، إبراهيم النظام كذلك أيضا اشتهر بمخالفات عجيبة، وكذلك الجاحظ، الحاصل أن هؤلاء من مشاهيرهم، وكذلك أيضا -وذكرهم بشر بن المعتمر- المردار، وثمامة بن أشرس، وابن أبي دؤاد وما أشبهه.

أما الخوارج فهم الذين خرجوا على عليّ، والذين وردت فيهم الأحاديث، ثم يطلَقون على كل فرقة تخرج بقوة ولها شبه تأويل، تخرج عن طاعة الأمير أو عن طاعة الخليفة، ويكون عندهم نفوذ ولهم قوة، يسمون خوارج لخروجهم عن ولاية الولاة.

أول ما خرجوا كانوا في عهد علي رضي الله عنه ثم استمر خروجهم في عهد بني أمية، ولما استخلف عمر بن عبد العزيز وسار سيرة حسنة أرادوا أن يدخلوا في ولايته، فجاءوا إليه وبحثوا معه، فلم يجدوا عنده شيئا من المخالفات، فقالوا: ما ننقم عليك إلا واحدة، وهي أنك استخلفت بعدك أحد بني أمية؛ لأنه لم يستخلفه ولكن استخلفه غيره، وهو هشام أو أحد أولاد عبد الملك، فعند ذلك أراد أن يعزله، ولما خاف بنو أمية أنه يعزله من الولاية قيل إنه أُرسل إليه من سقاه سما حتى مات، الله أعلم، فالحاصل أنهم كل من خرج عن طاعة الولاة.

ولا شك أن القول بأن أسماء الله تعالى مخلوقة قول مبتدع؛ وذلك لأن الله تعالى بذاته وبصفاته، ليس منه شيء مخلوق، وقد تكلفوا في تصوير هذا الشيء الذي ادعوا أنه مخلوق، وأطالوا في ذلك، ولكن لم يأتوا بحاصل، عباراتهم التي ولدوها لم تدل على شيء.

الفقرة الثامنة: "ويثبتون له وجها وسمعا وبصرا وعلما وقدرة وقوة وعزة وكلاما"، هذه الصفات التي ذكر منها صفات ذاتية: وجها وسمعا وبصرا وكلاما، هذه صفات ذاتية، والعلم والقدرة والقوة والعزة صفات فعلية، ولا شك أن أهل السنة يثبتون كل ما أثبته الله تعالى.

ولكن هذه الأشياء ذُكرت على وجه التمثيل -ولعله خصها للرد على أهل الزيغ من المعتزلة ونحوهم- فإن المعتزلة ينكرون مثل هذه الصفات: الوجه والسمع والبصر.. إلى آخره.

أخذ المؤلف يذكر الأدلة، دل على إثبات الوجه القرآن والسنة، قال الله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ (1) وقال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ (2) وقال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ ﴾ (3) وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ (4) وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (5) والآيات كثيرة في إثبات الوجه.

وكذلك الأحاديث، مثل قوله ﷺ ﴿ حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ﴾ ومثل قوله: ﴿ وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ﴾ ومثل قوله في الدعاء المشهور: ﴿ أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ﴾ وغير ذلك من الأحاديث واضحة الدلالة في إثبات صفة الوجه؛ فيثبت ذلك أهل السنة الذين تمسكوا بالسنة متقدمين ومتأخرين.

الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في كتاب التوحيد في المسائل أتى على باب: "لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة" فقال في المسائل:

المسالة الأولى: أنه لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة لشرفها.

المسألة الثانية: إثبات صفة الوجه، يعني: نثبتها لله تعالى، وإذا أثبتنا فإننا نتره الله تعالى عن أن يكون كالمخلوق.

- 1سورة الرحمن آية : ٢٧.
- 2سورة القصص آية : ٨٨.
- 3سورة الليل آية : ٢٠.
- 4سورة الإنسان آية : ٩.
- 5سورة الأنعام آية : ٥٢.

أما الذين نفوا هذه الصفات فما موقفهم عند هذه الآيات والأحاديث؟ يتأولونها فيقولون: المراد بالوجه هو ما يقابل النظر أو نحوه، ويقولون: إنه يطلق الوجه على ما لا وجه له، فيقولون مثلا إن العالم إذا أشكلت عليه مسألة قال: وجه هذه المسألة كذا وكذا، وجهها يعني ما ينظر فيه إليها، فيصرفون هذه الأدلة مصارف بعيدة.

كذلك السمع والبصر، أهل السنة يثبتون السمع والبصر ويفسرونها، يعرفون باللغة أن السمع هو إدراك الأصوات، وأن البصر هو إدراك المرئيات، ويقولون: نثبت لله تعالى سمعا، ونقول: إنه يسمع كل شيء، يسمع جهر القول وخفي الخطاب، لا تشتبه عليه اللغات، ولا تغلطه كثرة المسائل مع اختلاف اللغات وتفنن المسئولات، فلا يشغله سمع عن سمع، لا يشغله سمع هذا الداعي عن هذا الداعي عن هذا الداعي، يسمع الجميع، ولا يشغله صوت هذا عن هذا كالمخلوق.

المخلوق إذا تكلم عنده اثنان اشتبه عليه كلام هذا بهذا، فلا يزال يُسكِّت أحدهما حتى يسمع الآخر، الرب تعالى يسأله الخلق كلهم والملائكة والمخلوقات كلها في آن واحد، ومع ذلك يسمع أصواتهم جميعا، ويعرف -أو يجيب- من يستحق الإجابة.

أما البصر فورد إثباته في آيات كثيرة لا تحصى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾ [1] البصر هو إدراك المبصَرات، ويطلق عليه أيضا الرؤية في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [2] فأثبت لنفسه أنه يرى، وذلك هو إثبات الرؤية.

وقد وصف نفسه بالسمع والبصر في مثل قوله تعالى: ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [3] فجمع بين السمع

- ١سورة النساء آية : ١٣٤.
- ٢سورة طه آية : ٤٦.
- ٣سورة المجادلة آية : ١.

والبصر في عدة آيات، نَصِف الله تعالى بأنه يبصر، وأنه لا يستر بصره حجاب، ولا يحجزه مخلوق عن أن يبصر ما وراءه، فينفذ بصره في جميع المبصرات، ولا يحتجب شيء عنه من المخلوقات.

ورد في تفسير قوله الله تعالى في سورة فصلت قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [1] فورد أن بعضا من المشركين اجتمعوا -ثلاثة- فقالوا: ﴿ أتظنون أن الله يسمع كلامنا ويرانا؟ فقال بعضهم: يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إذا أخفينا، وقال آخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فنزلت الآية: ﴿ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [2] ﴾ .

صفة العلم أثبتها الله تعالى بقوله: ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ ﴾ [3] يعني: أثبت لنفسه أنه أنزل القرآن بعلمه، وذلك -بلا شك- دليل على إثبات هذه الصفة التي هي أنه عالم، المعتزلة ونحوهم لا يثبتون، إنما يصفونه بالصفات السلبية، فإذا جادلت بعضهم يقول: نحن نقول: إن الله لا يجهل. فإذا قلت: أثبت أن الله يعلم. يقول: ما أثبت أن الله يعلم، ولكن أقول: لا يجهل.

ولا يكفي هذا، والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ ﴾ [4] أثبت لنفسه أنه له علم، وأنهم لا يحيطون بعلمه إلا بما شاء، كذلك قوله: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ ﴾ [5] أثبت لنفسه صفة العزة، العزة هي القوة والقدرة، القوة على كل شيء، فهو دليل على إثبات صفة القوة، كذلك قوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيدٍ ﴾ [6] فسر الأيد بأنه القوة.

- ١سورة فصلت آية : ٢٢.
- ٢سورة فصلت آية : ٢٢.
- ٣سورة النساء آية : ١٦٦.
- ٤سورة البقرة آية : ٢٥٥.
- ٥سورة فاطر آية : ١٠.
- ٦سورة الذاريات آية : ٤٧.

الفقرة الثامنة: "ويثبتون له وجهًا، وسمعًا، وبصرًا، وعلمًا، وقدرة، وقوة، وعزة، وكلامًا" هذه الصفات التي ذكر منها صفات ذاتية: "وجهًا وسمعًا وبصرًا وكلامًا" هذه صفات ذاتية، والعلم والقدرة والقوة والعزة صفات فعلية، ولا شك أن أهل السنة يثبتون كل ما أثبته الله -تعالى-، ولكن هذه الأشياء ذكرت على وجه التمثيل، ولعله خصها للرد على أهل الزيغ من المعتزلة ونحوهم، فإن المعتزلة ينكرون مثل هذه الصفات، الوجه والسمع والبصر إلى آخره.

أخذ المؤلف يذكر الأدلة، دل على إثبات الوجه القرآن والسنة، قال الله -تعالى-: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [1] وقال -تعالى-: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [2] وقال -تعالى-: ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ [3] وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ [4] وقال -تعالى-: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [5] والآيات كثيرة في إثبات الوجه.

وكذلك الأحاديث مثل قوله ﷺ ﴿ حجابة النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ﴾ ومثل قوله: ﴿ وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ﴾ ومثل قوله في الدعاء المشهور: ﴿ أسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ﴾ وغير ذلك من الأحاديث واضحة الدلالة في إثبات صفة الوجه فيثبت ذلك أهل السنة الذين تمسَّكوا بالسنة متقدمين ومتأخرين.

الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في كتاب التوحيد في المسائل أتى على باب "لا يسأل بوجه الله إلا الجنة" فقال في المسائل:

- ١سورة الرحمن آية : ٢٧.
- ٢سورة القصص آية : ٨٨.
- ٣سورة الليل آية : ٢٠.
- ٤سورة الإنسان آية : ٩.
- ٥سورة الأنعام آية : ٥٢.

المسألة الأولى: أنه لا يسأل بوجه الله إلا الجنة لشرفها.

المسألة الثانية: إثبات صفة الوجه، يعني: نثبتها لله -تعالى-، وإذا أثبتنا فإننا نتره الله -تعالى- عن أن يكون كالمخلوق، أما الذين نفوا هذه الصفات فما موقفهم عند هذه الآيات والأحاديث؟ يتأولونها فيقولون: المراد بالوجه هو ما يقابل النظر أو نحوه، ويقولون: إنه يطلق الوجه على ما لا وجه له، فيقولون -مثلًا-: إن العالم إذا أشكلت عليه مسألة قال: وجه هذه المسألة كذا وكذا وجهها يعني: ما ينظر فيه إليها، فيصرفون هذه الأدلة مصارف بعيدة.

كذلك السمع والبصر، أهل السنة يثبتون السمع والبصر، ويفسرونها يعرفون باللغة أن السمع هو إدراك الأصوات، وأن البصر هو إدراك المرئيات، ويقولون: نثبت لله -تعالى- سمعًا، ونقول: إنه يسمع كل شيء يسمع جهر القول، وخفي الخطاب، لا تشتبه عليه اللغات، ولا تغلطه كثرة المسائل مع اختلاف اللغات وتفنن المسئولات، فلا يشغله سمع عن سمع، لا يشغله سمع هذا الداعي عن هذا الداعي عن هذا الداعي، يسمع الجميع ولا يشغله صوت هذا عن هذا كالمخلوق.

المخلوق إذا تكلم عنده اثنان اشتبه عليه كلام هذا بهذا، فلا يزال يسكت أحدهما حتى يسمع الآخر، الرب -تعالى- يسأله الخلق كلهم والملائكة والمخلوقات كلها في آن واحد، ومع ذلك يسمع أصواتهم جميعًا، ويعرف أو يجيب من يستحق الإجابة.

أما البصر فورد إثباته في آيات كثيرة لا تحصى ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾ [1] البصر هو إدراك المبصرات، ويطلق عليه الرؤية في قول الله -تعالى-: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [2] فأثبت لنفسه أنه يرى، وذلك هو إثبات الرؤية.

وقد وصف نفسه بالسمع والبصر في مثل قوله -تعالى-: ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [1] فجمع بين السمع

- ١سورة النساء آية : ١٣٤.
- ٢سورة طه آية : ٤٦.

والبصر في عدة آيات، نصف الله -تعالى- بأنه يبصر، وأنه لا يستر بصره حجاب، ولا يحجزه مخلوق عن أن يبصر ما وراءه، فينفذ بصره في جميع المبصرات، ولا يحتجب شيء عنه من المخلوقات.

ورد في تفسير قول الله -تعالى- في سورة فصلت: في قوله -تعالى-: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [2] فورد أن بعضًا من المشركين اجتمعوا ثلاثة فقالوا: أتظنون أن الله يسمع كلامنا ويرانا؟ فقال بعضهم: يسمع إذا جهرنا، ولا يسمع إذا أخفينا، وقال آخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فنزلت الآية: ﴿ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [3] .

صفة العلم أثبتها الله -تعالى- بقوله: ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ ﴾ [4] يعني: أثبت لنفسه أنه أنزل القرآن بعلمه، وذلك بلا شك دليل على إثبات هذه الصفة التي هي أنه عالم.

المعتزلة ونحوهم لا يثبتون، إنما يصفونه بالصفات السلبية، فإذا جادلت بعضهم يقول: نحن نقول: إن الله لا يجهل، فإذا قلت: أثبت أن الله يعلم فيقول: ما أثبت أن الله يعلم، ولكن أقول: لا يجهل، ولا يكفي هذا، الله -تعالى- يقول: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ ﴾ [5] أثبت لنفسه أنه له علم، وأنهم لا يحيطون بعلمه إلا بما شاء.

كذلك قوله: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ ﴾ [6] أثبت لنفسه صفة العزة، العزة هي القوة، والقدرة، القوة على كل شيء، فهو دليل على إثبات صفة القوة، كذلك قوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْي۟دٍ ﴾ [7] فسر

- ١سورة المجادلة آية : ١.
- ٢سورة فصلت آية : ٢٢.
- ٣سورة فصلت آية : ٢٢.
- ٤سورة النساء آية : ١٦٦.
- ٥سورة البقرة آية : ٢٥٥.
- ٦سورة فاطر آية : ١٠.
- ٧سورة الذاريات آية : ٤٧.

الأيد بأنه القوة، الأيد هو القوة، وليس هو جمع يد، قال -تعالى- عن داود: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِ ﴾ [1] أي: صاحب الأيد أي: صاحب القوة، فكذلك ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَـٰهَا بِأَيۡيْدٖ ﴾ [2] أي: بقوة أثبت الله -أيضًا- صفة القوة في قوله -تعالى-: ﴿ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ ﴾ [3] والقوة هي القدرة التامة على كل شيء أثبتها -أيضًا- في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ﴾ [4] القوة التامة، ولهذا قال: ﴿ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [5] فهو -تعالى- موصوف بالعلم والقوة والقدرة والسمع والبصر والكلام.

فكل هذه صفات ثابتة لله -تعالى-، أثبت لنفسه صفة العين ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [6] ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [7] لا شك أن هذا -أيضًا- دليل على أنه موصوف بهذه الصفات، صفة العين أثبتها بلفظ المفرد، وأثبتها بلفظ الجمع، فيراد بالمفرد الجنس كما يقال في صفة اليد، ويقال في الجمع ﴿ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [8] يراد التعظيم كما قلنا في ﴿ مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ ﴾ [9] أن المراد التعظيم، وصف نفسه بالجمع ذكر ﴿ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا ﴾ [10] فالجمع للتعظيم.

- ١سورة ص آية : ١٧.
- ٢سورة الذاريات آية : ٤٧.
- ٣سورة فصلت آية : ١٥.
- ٤سورة الذاريات آية : ٥٨.
- ٥سورة الذاريات آية : ٥٨.
- ٦سورة طه آية : ٣٩.
- ٧سورة هود آية : ٣٧.
- ٨سورة هود آية : ٣٧.
- ٩سورة يس آية : ٧١.
- ١٠سورة هود آية : ٣٧.

وصف نفسه بالكلام ﴿ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [1] ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [2] وصف نفسه بالقول ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [3] والقول هو كلام، فهذه صفات أثبتها الله -تعالى- فنثبتها له كما يشاء، ونتوقف عن تكييفها، ونعلم أنها صفات حقيقية، وللكلام صلة نأتي إليه غدًا إن شاء الله.

الحمد لله رب العالمين

وصل الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

س: هذا سائل -فضيلة الشيخ- يقول: ما هو حكم حضور المآتم، واجتماعات العزاء، وكيف يكون موقف طالب العلم مع أهله عند وفاة أحد أفراد الأسرة فهم يعملون له اجتماعًا لأيام في مسجد أو بيت مُعدٍّ لذلك؟

ج: في ذلك رخصة في بعض الأمور، وفيه محذور في بعض الأحيان فمعلوم -مثلًا- إذا توفي والد جماعة، وكانوا متفرقين -كما في الرياض مثلًا- أحد الأولاد يسكن في شرق البلاد -شرق الرياض مثلًا-، والآخر يسكن في غربها، والثالث يسكن في الجهة الشمالية، والرابع الجهة الجنوبية، والخامسة -مثلًا- في الوسط، فمن المشقة أنك تذهب إلى كل واحد منهم تعزيه في الجهة التي هو فيها؛ لأن لكل منهم حق في التعزية، ﴿ ومن عزَّى مصابًا فله مثل أجره ﴾ والتعزية تسلية للمصابين، وحث لهم على الصبر ودعاء لميتهم؛ فلأجل ذلك قالوا: لا بأس أن يجتمع أهل الميت أولاده وأخوته -مثلًا- في بيت أحدهم حتى يقصدهم المعزي ويعزيهم جميعًا، ولكن اجتماعهم يكون جلوسًا عاديًا فلا يكون هناك نياحة، ولا صياح، ولا بدع محدثة، ولا اختلاط رجال ونساء ولا غير ذلك، وإذا لم يكن عندهم مترل

- 1سورة التوبة آية : ٦.

- 2سورة النساء آية : ١٦٤.

- 3سورة يس آية : ٨٢.

يكفيهم، ويكفي من يجتمع إليهم، أو من يزورهم فلا بأس أن يستأجروا بيت أحد من أقاربهم، أو إذا كانوا بادية -مثلًا- فلا بأس أن يبنوا لهم خيمة أو خِدْرًا يجتمعون فيه حتى يعزوا.

أما المحدثات التي تفعل فهو أن كثيرًا من أهل القرى النائية إذا مات ميت في القرية اجتمع أهل القرية كلهم، وهذا الاجتماع قد يكون فيه شيء من النياحة أو شبيه بها، ولا بد أنه يصدر منهم بعض الأشياء التي فيها شيء من الصياحة والنياحة، أو ضرب الخدود، أو شق الجيوب، أو دعوى الجاهلية، أو رفع الأصوات بالنياحة، وما أشبه ذلك.

كذلك -أيضًا- مما أنكر أنهم إذا جاءوا واجتمعوا عند أولاد الميت كلفوا أولاد الميت بالأغذية، فيتكلفوا بأن يصلحوا لهم طعامًا في عدة أيام يومين أو ثلاثة أيام، وهم أعداد كبيرة، وذلك مما يكلفهم، وربما يكون في الأولاد يتامى، واليتيم لا يحل أن ينفق من ماله، وذلك لقصوره والأمر بحفظ ماله له، فهذه من المنكرات، فمثل هذه ننصح بعدم حضورها، أن الاجتماع الكبير، والذي يطول ويكلف أولاد الميت، أو الذي يكون -أيضًا- فيه شيء من الصياح والنياحة وتعداد المحاسن ننصح بعدم حضورها.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ بعض الناس يقوم بتوزيع تركته على أولاده قبل موته فهل له ذلك؟

ج: ننصح بألا يفعل، والغالب أن هؤلاء الذين يوزعون أموالهم قبل موتهم أنه يريد بذلك توليج الأموال، وحرمان البعض كحرمان الزوجات -مثلًا- أو حرمان أحد الوالدين إن كان له أبوان أو نحو ذلك؛ فيوزعها بين أولاده، وربما يحرم النساء البنات، فمثل هذا أرى أنه لا يجوز، قد ورد قصة غيلان، رجل أسلم في عهد النبي ﷺ وكان تحته عشر نسوة، أمره النبي ﷺ أن يمسك أربعًا، ويفارق سائرهن، ولما كان في عهد عمر طلق نسائه الأربع، وفرق أمواله بين أولاده الذكور، فسمع بذلك عمر فقال له: "إني أظن الشيطان فيما يسترق من السمع أوحى إليك قرب أجلك، والله لتراجعن نساءك، ولتستعيدن أموالك، أو لآمرن بقبرك أن يرجم كما رجم قبر أبي رغال" فحكم عليه أن يسترجع أمواله التي كان قسمها حتى يحرم نساءه، فهذا دليل على أن هذا الفعل لا يجوز.

إذا احتاج الأولاد -مثلًا- إلى مال فإنه يعطيهم بقدر حاجتهم، أو كان عنده فائض مال فله أن يوزع عليهم على السواء بقدر إرثهم ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴾ [1] فإذا وزَّع عليهم قطع أراضي أعطى الرجل مثلي المرأة، وإذا وزع عليهم نقودًا -مثلًا- فكذلك إذا أعطى المرأة ألفًا أعطى الابن ألفين لكون بعض الصحابة كانوا يقسمون على كتاب الله -تعالى-.

س: وهذا يقول: أنا شاب ذهبت مع أهلي إلى الحج، وأبلغ من العمر خمسة عشر عامًا، فذهبت مع أخي الكبير لنحر الهدي، وكان معي دراهم وأهلي وهم أمي وأختي وأخي، فلما أتينا المكان الذي يباع فيه الهدي تُهت من أخي قبل شراء الهدي، فرجعت إلى أهلي الذين في منى في المكان الذي في منى، فخفت من أهلي، فقلت لهم: إني نحرت الهدي، فماذا يجب عليّ جزاكم الله خيرًا؟

ج: الظاهر أنه يبقى الهدي في ذمتك، ويكون -أيضًا- عليك هدي آخر أي: عن التأخير، فإن من لم يذبح في الأربعة الأيام مفرِّطًا لزمه أن يذبح تلك الذبيحة التي تركها، وأن يذبح أخرى عن التأخير لكونه ترك نسكًا، ولقول ابن عباس: "من ترك نسكًا فعليه دم"، ويكون الجميع بمكة.

س: وهذا يقول: ما حكم العطورات التي يخالطها شيء من الكحول، أفتونا مأجورين؟

ج: الأصل أن هذه العطورات أطياب تستعمل لتطييب الرائحة ونحوها، ثم تحتاج إلى أن يجعل معها شيء من الكحول المادة المعروفة تحفظها من التعفن وانقلاب الروائح، ثم -أيضًا- الأصل أنها نسبة قليلة الذي فيها من الكحول، فعلى هذا لا بأس باستعمالها مع أن في استعمال الكحول خلاف بين العلماء هل هو نجس أم لا؟، وأكثرهم على أنه ليس بنجس، وأنه لا يطلق عليه خمر، ولو كان مسكرًا؛ لأنه ليس من المشروبات، وليس مما يُتلذَّذ به، وبكل حال العطورات التي صنعت للطيب لا بأس بها، ولكن هناك أنواع من الأطياب الكمية التي فيها كثيرة مثل أنواع من الكولونيا، الكمية التي فيها من الكحول أكثر من الحاجة فننصح بتجنبها.

س: وهذا يقول: لقد أشكل علينا التفريق بين النفس والذات؟

- [1] سورة النساء آية : ١١.

ج: الظاهر أنه لا فرق بينهما، وإن كان اسم النفس قد يطلق على الروح، وذلك لما ذكر في الحديث: ﴿ اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ﴾ فأطلق على الروح نفس، أما الذات فهي ماهية الشيء، ذات الشيء يعني: ماهيته التي يتكون منها، فنقول –مثلا–: ذات هذا المسجد ماهيته التي هي هذه العُمُود، وهذه السقف، وهذه الحيطان –مثلًا– وما فيها، وذات الإنسان ماهيته التي هي هذا الجسد الذي تكون منه كما أننا نقول: ذات السيارة هي ماهيتها التي تركبت من هذا الحديد، ومن هذه الأدوات، ومن هذه القطع التي اجتمعت حتى أصبحت في هذه الصفة، وهكذا فبكل حال الفرق بينهما يسير.

س: وهذا يقول: ماذا تقولون بارك الله فيكم في الإباضية نرجو الإجابة بشيء من التفصيل؟ الإباضية ومن أي طائفة هم؟

ج: الأصل أن الإباضية –إن كانوا طائفة قديمة في عهد الصحابة– منسوبون إلى رجل من الخوارج، إن كانوا ذلك العهد لا يُنقم عليهم إلا أنهم من الخوارج، يكفرون بالذنوب، ويقاتلون من وجدوه من غيرهم، ممن ليس على معتقدهم هذه عقيدة الخوارج، وإن اختلفت وجهات الخوارج فكان رئيس لهم يقال له: ابن إباض، وكانت هذه الطائفة تنتمي إليه، وتسير على طريقته وعلى منهجه، ولم يزالوا كذلك مع تطاول القرون خفَّت حدتهم التي هي التكفير بالذنوب، وخفَّ ثورانهم ثوارتهم على أهل السنة وقتلهم وقتالهم؛ وذلك لأنهم داخلوا الناس، ولا بد أنهم تأثروا به، ورأوا أنه لا يحل لهم، أو أن قتالهم ليس فيه مصلحة، وأنهم يتعرضون للأخطار فلا جرم كانوا يقولون بهذا، يعني: تركوا القول بالقتال وبالخروج على الناس، ولكن مع تداخلهم مع البدع الأخرى دخلت عليهم أنواع من البدع زيادة على بدعة التكفير، ربما أن تكون بدعة التكفير قد خفت معهم، لكن دخلت عليهم بدع المعتزلة فمنها –مثلا–: إنكار كثير من الصفات، الصفات الفعلية، والصفات الذاتية كما تفعل ذلك المعتزلة، ويسمونه تتريهًا أو توحيدًا.

ومنها: لما أنكروا أن الله –تعالى– متكلم اعتقدوا أن القرآن مخلوق، وأصبح ذلك ديدنهم وعقيدتهم.

ومنها: لما اعتقدوا أن الله -تعالى- ليس على العرش، وليس هو فوق العرش، وليس هو في جهة العلو أنكروا الرؤية أن الله -تعالى- يُرى في الآخرة كما يشاء، فدخلت عليهم هذه الأمور من المعتزلة، وبكل حال الأصل في الإباضية أنهم فرقة من الخوارج يكفرون بالذنوب، وآل بهم الأمر إلى أن صاروا من المعتزلة، وبقي معتقدهم الذي هو معتقد الخوارج، ولكنهم لا يعملون به ولا ينفذونه في هذه الأزمنة، ولهم أقوال، ولهم مؤلفات يستندون إليها، ولهم كتب يرجعون إليها، ولا شك أن كل من اعتقد معتقدًا وتلقاه عن مشائخ يثق بهم فإنه يصد عن غيره ولا ينيب ولو أوتى بكل دليل، ولا يتقبل إلا ما يوافق معتقده.

س: أحسن الله إليكم، فضيلة الشيخ يقول: هل لنا أن نصف الله ﷻ بصفة القديم؟

ج: الأولى أن يوصف بما وصف به نفسه، الله -تعالى- وصف نفسه بالأول قال -تعالى-: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ (1) وفسر ذلك النبي ﷺ ﴿ أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ﴾ فنصف الله بما وصف به نفسه.

أما كلمة القديم فإنها لا تدل على الأزل، ولكن اصطلح المعتزلة على أنها أخص أوصاف الله -تعالى- أن يوصف بالقديم، والصحيح أن يوصف بالأول، يعني: الذي لم يسبق بعدم.

س: فضيلة الشيخ يقول: سبق فيما مضى أن ذكرتم أن شيخ الإسلام لم يعرف عنه قول خطأ في العقيدة فما صحة ما نسب إليه من أنه قال: بفناء النار؟

ج: الظاهر أن الذين قالوا ذلك عنه هم أعداؤه، ويمكن أنه قال ذلك في كلمة أو محاضرة ظهر له بعض الأدلة فيها، ولكن إذا نظرنا في كتبه لم نجد تصريحًا له بهذه المقالة، ولو اشتهرت عند أعدائه، وعند المخالفين له، وأما تلميذه ابن القيم فقد تكلم على المسألة في كتابه حادي الأرواح، وذكر الدليلين أدلة هؤلاء وأدلة هؤلاء، ولم يظهر منه ترجيح ولا اختيار، ولو أنه -مثلًا- أورد أدلة هؤلاء، وبالغ فيها فإن ذلك لا يدل على الاختيار.

- 1سورة الحديد آية : ٣.

س: يقول فضيلة الشيخ: القدرة والقوة والعلم هل هي صفات فعلية؟ وما تعريف الصفات الفعلية؟

ج: لا شك أنها يصلح أن تكون القدرة صفة ذاتية يعني: أن الله -تعالى- موصوف بصفة القدرة دائمًا؛ ولذلك وصف نفسه بأنه لا يعجزه شيء، فالقدرة هي كمال القوة والاستطاعة بحيث لا يخرج شيء عن قدرته كما يخبر في قوله: ﴿ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [1] فيدخل في ذلك كل الأشياء، فالقوة هي الاستطاعة بحيث إنه قوي على كل شيء، لا يخرج شيء عن قوته، فالقوة والقدرة يصلح أن يكونا من الصفات الذاتية ومن الصفات الفعلية، أنه يقدر على كذا وكذا، ولكن الأصل أنها ذاتية.

كذلك -أيضًا- صفة العلم الصحيح أنها صفة ذاتية؛ ذلك لأن الله -تعالى- لا يتصف بغير العلم في وقت من الأوقات، بل هو موصوف بالعلم في كل الأزمنة، ولا يكون في حالة من الحالات غير عالم، بل هو عالم بكل شيء في كل الحالات.

فالصفات الذاتية هي التي لا تنفك عن الموصوف، والصفات الفعلية هي التي يفعلها إذا يشاء مثل: صفة الغضب والرضا صفات فعلية ليس دائمًا هو غضبان، وليس دائمًا راضيا على كل أحد، ولكن يرضى على هؤلاء، ويغضب على هؤلاء، فهي صفة فعلية.

س: وهذا يقول: ما حكم قطع آذان الغنم وكي القرون علمًا بأن الهدف من ذلك تزيينها لرفع سعرها؟

ج: نرى كراهة ذلك إلا إذا كانت مؤذية، يعلل بعضهم أن في الأغنام أنواعا آذانها طويلة بحيث إنها تعترض لها بالشرب، وتعترض لها في الرعي إذا رعت فإنها تجرها لطولها على الأرض، وربما أن هذه الآذان لطولها تتعرض للشوك، وتتعرض للحجارة الحامية إذا أخذت ترتع وترعى، فيمكن أن يرخص شيء قطع جزء منها بقدر ما ينقطع الذي تتأذى بطوله، فأما قطعها القطع الكثير للزينة فأرى أن ذلك ليس بمسوغ.

- ١سورة البقرة آية : ٢٠.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، نحن في بلد خارج هذا البلد دراسة الطالبات في الجامعات يقوم فيها بعض المتبرجات وبعض الرجال، والحجاب راجع إلى الطالبة نفسها، إن شاءت لبسته غير مفروض بالأنظمة، ما موقفي من قريباتي، هل أنصحهن بعدم دخولها أم بالالتزام بالحجاب الساتر وعدم التطيب ونحوه من الواجبات علمًا أنه الأقرب إلى الإجابة إليه، وجزاكم الله خيرًا؟

ج: افعل هذا الأقرب ما دام أنك تقدر عليه، تلزمها بأنها تدخل متحجبة، وتستر وجهها، وتستر زينتها، وتتجنب الطيب وإظهار الجمال، وتبتعد ما استطاعت عن مخاطبة الرجال وعن مقابلتهم، وتكون في أطراف الفصول مختفية ما استطاعت؛ وذلك لأنه على هذا لا بد عادة من الدراسة، ولا بد أن الطالبات أصبحن يزاحمن أو يسابقن إخوانهن من الطلاب، ويصير بينهم منافسة ما دام أنها أصبحت الدراسة شبهة ضرورية فلا تمنعها إذا لم تجد مدرسة سالمة من الاختلاط فلا أقل من التحفظ والتحجب.

س: وهذا يقول: يلاحظ على بعض الإخوة أنه يرفع يديه بعد التشهد الأول للقيام وهو جالس، فما حكم هذا العمل؟

ج: الأصل في الرفع أنه عند الحركة للقيام، أو أنه إذا تم قائمًا رفع يديه، والأولى أن يكون عند نهوضه وقيامه يرفع يديه، ويتم رفعه إذا استتم قائمًا، فأما رفعها قبل الحركة وفي الجلوس فلا يسمى رفعًا، ولا يأتي بالسنة؛ لأن الحديث يقول: ﴿ إذا قام من الركعتين رفع يديه ﴾ ولم يقل إذا أراد القيام.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، رجل لديه مال ربوي، ويريد أن يتخلص منه، فهل له أن يعطيه لرجل عليه دين، أو رجل فقير وصاحب حاجة؟

ج: أرى أن ذلك جائز؛ وذلك لأن المال في نفسه طاهر، وإنما إثمه على المكتسب، فإذا تخلص منه وسلم منه فإنه إذا صرفه على هذا الفقير فهو مال طيب في حقه -إن شاء الله-.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، في حديث النبي ﷺ ﴿ لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره ﴾ فهل نثبت صفة انتهاء البصر لله -عز وجل-؟

ج: ﴿ ما انتهى إليه بصره ﴾ الله -تعالى- لا يستر بصره شيء، معنى هذا أنه تحرق السبحات كل شيء من المخلوقات التي يصلها بصره، ولا يستر بصره حجاب، فنثبت ذلك على ما ورد في الحديث.

س: وهذا يقول: في قول الله ﷻ ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [1] فهل نقول: إن نور اسم من أسماء الله؟

ج: ذكر اسم النور في الأسماء التسعة والتسعين، وأخذ من الآية الكريمة: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [2] وكذلك من قوله: ﴿ حجابة النور ﴾ وكذلك من حديث: ﴿ نور أنى أراه؟ ﴾ ﴿ رأيت نورًا ﴾ فإذا سُمِّي نور فإن هذا الاسم كأنه أشبه بالصفات فنقول: من صفات الله أنه النور، وأنه ذو النور الذي خلق الأنوار، وكل ما في الوجود فهو من نوره. نعم .

س: وهذا يقول: لقد أشكل علينا في قوله جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ ﴾ [3] ألا نستطيع أن نقول: إن المقصود بالوجه ها هنا ابتغاء مرضات الله مع إيماننا بأن لله ﷻ وجهًا يليق بجلاله؟

ج: وكذلك قوله: ﴿ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ﴾ [4] يعني: عبارة عن إخلاص العمل، إذا قلت لي: فلان يريد بعمله بوجه الله، يعني: يلتمس رضاه، لا يريد غيره فهي دلالة على إثبات صفة الوجه، وفيها حث على الإخلاص، على إخلاص العمل لله، وألا يخالطه شيء من الرياء والسمعة، فإذا كان العمل خالصًا فإنه مما أريد به وجه الله، كأنه يقول: أريد به الله -تعالى-، أريد به رضى الله، وأطلق الوجه؛ لأنه الذي تحصل به المواجهة، أو لأنه أطلق على الذات، وعلى الإخلاص في العمل.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، بماذا نرد على من ينكر الجهاد في سبيل الله، ويقول: إن الجهاد خاص بزمن رسول الله ﷺ ويقول: إن جميع آيات الجهاد منسوخة، وخصوصًا آية السيف، ويستدل بقول الله ﷻ ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ [5] ويقول: لم يذكر الله -تعالى- أن أكرهوهم، وارفعوا عليهم السلاح؟

- 1سورة النور آية : ٣٥.
- 2سورة النور آية : ٣٥.
- 3سورة الإنسان آية : ٩.
- 4سورة الأنعام آية : ٥٢.
- 5سورة الكهف آية : ٢٩.

ج: هذا السؤال قد يستدعي شرحًا طويلًا، ولكن نقول له: تأمل فعل الصحابة هل توقفوا بعد النبي ﷺ أم استمروا على الجهاد والقتال؟ كيف ما فتحوا الشام إلا بعده ﷺ وكذلك فتحوا العراق، وفتحوا مصر، وفتحوا خراسان، وفتحوا الهند والسند، وفتحوا ما وراء النهر، وفتحوا إفريقيا بأكملها، ووصلوا إلى الأندلس كل ذلك بعده ﷺ هذا من جهة.

من جهة ثانية: الأدلة من السنة، عموم الجهاد لم يذكر أنه خاص فإنه ﷺ لما سئل: ﴿ أي العمل أفضل؟ قال: الصلاة على وقتها. قيل: ثم أي؟ قال: بر الوالدين. ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله ﴾ وكذلك قوله: ﴿ جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم ﴾ وكذلك عموم الآيات التي فيها الأمر بالجهاد، والتي فيها ثوابهم: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (1) وكذلك قوله: ﴿ وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ (2) وكذلك قوله: ﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (3) وكذلك قوله: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ (4) والآيات في ذلك معلومة والأحاديث كذلك.

س: وهذا يقول: امرأة كان عليها قضاء بعض الأيام منذ اثني عشر عامًا مضت، فكيف تقضي ذلك؟

ج: لا بد مع القضاء من الكفارة تقضيه ولو متفرقًا، ثم عن التفريط والتأخير كفارة إطعام مسكين عن كل يوم.

س: وهذا يقول: لماذا نتعلم أقوال الفرق ومعتقداتهم، ولماذا لا نكتفي بتعلم عقيدة أهل السنة وكفى؟

ج: لا بد أن الإنسان يبتلى غالبًا بمجالسة أولئك المعتزلة والضلال والمبتدعة، وإذا ابتلي بمجالستهم فالغالب أنهم يلقون شيئًا من شبهاتهم، ومن أدلتهم التي يشوهون بها ويموهون بها، فإذا كان الإنسان عنده

- 1سورة العنكبوت آية : ٦٩.
- 2سورة آل عمران آية : ١٩٥.
- 3سورة التوبة آية : ١١١.
- 4سورة التوبة آية : ١٢٣.

أسلحة قوية وأدلة متمكنة استطاع أن يرد عليهم أقوالهم، فمعرفتها لأجل الحذر منها؛ ولذلك يقول حذيفة: ﴿ كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه ﴾ فأنت عليك بمعرفة مذهب أهل السنة ومعتقدهم، وإذا كنت تخشى أنك تبتلى بمجالسة أولئك المبتدعة فإن عليك أن تسأل عن مذهبهم وشبهاتهم حتى إذا عرفتها وقرأت كيف تردها استطعت إبطالها والرد عليهم حتى لا تصل إلى فكرك، ويصعب بعد ذلك تخليصها من ذاكرتك.

السلام عليكم ورحمة الله.

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد، وعلى آله وصحبه.

أهم أمور العقيدة معرفة الله -تعالى-، والإيمان به، وذلك يستدعي الإيمان بوجود الله، والإيمان بكمال قدرته، والإيمان بكمال تصرفه في خلقه كذلك الإيمان بأسمائه وصفاته التي هي أسماء حسنى وصفات علا، والتي هي صفات كمال، ونعوت جلال، وما بقي أو ما سوى ذلك فإنه يعتبر تابعا لهذا الركن، بقية أركان الإيمان، وكذلك بقية أمور العقيدة تابع للإيمان بالله، وذلك لأن من آمن بالله -تعالى- وآمن بصفاته وآمن بوحدانيته وبكماله استدعى ذلك عبادته، واستدعى ذلك طاعته وحده وتصديق رسله الذين بلغوا عنه، واستدعى ذلك وحدانيته وتوحيده، وإخلاص العبادة له، وما يتفرع عن ذلك من الأعمال تابع لهذا الاعتقاد.

نواصل القراءة، نقرأ من حيث وصلنا، اقرأ يا هشام.

القرآن كلام الله

قال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي -رحمه الله تعالى- في بيان اعتقاد أهل السنة:

"ويقولون ما يقوله المسلمون بأسرهم: "ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون" كما قال الله -تعالى-: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (1) .

ويقولون: لا سبيل لأحد أن يخرج عن علم الله، ولا أن يغلب فعله وإرادته مشيئة الله، ولا أن يبدِّل علم الله، فإنه العالم لا يجهل ولا يسهو، والقادر لا يغلب.

ويقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه كيفما يُصَرَّف بقراءة القارئ له وبلفظه ومحفوظًا في الصدور متلوا بالألسن مكتوبًا في المصاحف غير مخلوق، ومن قال بخلق اللفظ في القرآن يريد به القرآن فقد قال: بخلق القرآن".

قال المعلق -جزاه الله خيرًا-: "مسألة اللفظ بالقرآن اضطرب فيها أقوام من أهل الحديث والسنة، قال ابن قتيبة في كتاب "الاختلاف في اللفظ": "ثم انتهى بنا القول إلى ذكر غرضنا من هذا الكتاب، وغايتنا من اختلاف أهل الحديث في اللفظ بالقرآن وتشانئهم، وإكفار بعضهم بعضًا، وليس ما اختلفوا فيه مما يقطع الألفة، ولا مما يوجب الوحشة؛ لأنهم مجمعون على أصل واحد، وهو القرآن كلام الله غير مخلوق".

وقال ابن القيم: "وأئمة السنة والحديث يميزون بين ما قام بالعبد وما قام بالرب، والقرآن عندهم جميعه كلام الله، حروفه ومعانيه، وأصوات العباد وحركاتهم وآداؤهم وتلفظهم كل ذلك مخلوق بائن عن الله" إلى أن قال: "البخاري أعلم بهذه المسألة وأولى بالصواب فيها من جميع من خالفه، وكلامه أوضح وأمتن من كلام أبي عبد الله، فإن الإمام أحمد سد الذريعة حيث منع إطلاق لفظ المخلوق نفيًا وإثباتًا عن اللفظ" إلى أن قال: "والذي قصده أحمد أن اللفظ يراد به أمران: أحدهما: الملفوظ نفسه، وهو غير مقدور للعبد، ولا فعل له.

الثاني: التلفظ به والأداء له وفعل العبد، فإطلاق الخلق على اللفظ قد يوهم المعنى الأول، وهو خطأ، وإطلاق نفي الخلق عليه قد يوهم المعنى الثاني، فمنع الإطلاقين، وأبو عبد الله البخاري ميَّز وفصل،

- 1سورة الإنسان آية : ٣٠.

وأشبع الكلام في ذلك، وفرق بين ما قام بالرب وما قام بالعبد، وأوقع المخلوق على تلفظ العباد وأصواتهم وحركاتهم وأكسابهم، ونفى اسم الخلق عن الملفوظ وهو الذي سمعه جبرائيل من الله، وسمعه محمد من جبرائيل.

تنبيه: لقد زعم كثير من أهل الأهواء أن الإمام البخاري قال: "لفظي بالقرآن مخلوق"، ولكن بعد التحقيق تبين أن نسبة هذا القول للإمام البخاري –رحمه الله– من قبل شهادة الزور عليه، وأنه براء من هذه المقالة، ولقد صرح الإمام البخاري نفسه أن من قال: "إني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق فقد كذب عليَّ".

قال محمد بن نصر سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: "من زعم أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب، فإني لم أقله. فقلت له: يا أبا عبد الله قد خاض الناس في هذا، وأكثروا فيه. فقال: ليس إلا ما أقول".

وقال أبو عمرو الخفاف: "أتيت البخاري فناظرته في الأحاديث حتى طابت نفسه. فقلت: يا أبا عبد الله ها هنا أحد يحكي عنك أنك قلت هذه المقالة، فقال: يا أبا عمرو، احفظ ما أقول لك: من زعم من أهل نيسابور وقومس والري وهمذان وحلوان وبغداد والكوفة والبصرة ومكة والمدينة أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب، فإني لم أقله إلا أني قلت: أفعال العباد مخلوقة".

إذن الثابت عنه أنه قال: أفعالنا مخلوقة، فيدخل في هذا تلفظ القارئ بالقرآن، وكتابة الكاتب لألفاظ القرآن، وحفظ الحافظ للقرآن، وجهر القارئ بالقرآن، وحسن صوته وتغنيه بالقرآن، فهي أمور مخلوقة؛ لأنها من أفعال العباد، فهذا ما ذهب إليه –رحمه الله–، وهذا تفصيله في المسألة فتأمل."

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد.

ذكرنا أن صفات الله –تعالى– تنقسم إلى قسمين: صفات ذاتية، وصفات فعلية، فصفة الوجه في قوله –تعالى–: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [1] وفي قوله –تعالى–: ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾

- ١سورة الرحمن آية : ٢٧.

(1) ونحوه، هذه صفة ذات، الوجه بعض من الذات، وصفة السمع والبصر في قوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (2) ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ ﴾ (3) ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (4) هاتان صفتان ذاتيتان.

وصفة العلم والقدرة صفات ذاتية -أيضًا- لا شك أنه دائمًا متصف بالعلم ومتصف بالقدرة، وما ذاك إلا أنها صفات كمال، وإذا فقدت حل بدلها نقص؛ فلذلك نقول: إنها صفات ذاتية، وكذلك صفة القوة والعزة صفات ذاتية -أيضًا-؛ وذلك لأنها ملازمة للموصوف، فهو -تعالى- قوي لا يكون في وقت من الأوقات مخالفًا للقوة، وكذلك عزيز لا تنتفي عنه العزة في وقت من الأوقات؛ ولذلك يثبت أهل السنة هذه الصفات، ويجعلونها صفات ذاتية، يوافقهم الأشاعرة على إثبات السمع والبصر، وإثبات القدرة والإرادة، وإثبات الحياة والعلم، وإثبات الكلام؛ وذلك لأنهم في زعمهم أثبتوها بالعقل، و لم يستندوا في إثباتها إلى النقل، فلما رأوا أن العقل يثبتها أثبتوها، ولكن ألزموا بإثبات البقية بإثبات القوة، وبإثبات العزة والحكمة، وبإثبات صفات الذات كلها كالوجه واليد وما أشبهها، يلزمهم إثبات ذلك.

وقد ذكرنا أن الله -تعالى-، وصف نفسه بأنه بصير في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ (5) ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (6) البصر هو إدراك المبصرات، إدراك الأشياء.

ويقول العلماء: إن الله -تعالى- سمى نفسه بصيرًا؛ فيلزم إثبات كمال البصر، ويقولون -أيضًا- إنه سبحانه كما أثبت الاسم "بصيرًا" فقد أثبت الفعل كما في قوله: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ

- 1سورة الليل آية : ٢٠.
- 2سورة النساء آية : ١٣٤.
- 3سورة المجادلة آية : ١.
- 4سورة الشعراء آية : ٢١٨.
- 5سورة الحج آية : ٧٥.
- 6سورة النساء آية : ١٣٤.

﴿ ﴾ [1] "أسمع وأرى" هذان فعلان، وكذلك في قوله: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [2] يراك هذا -أيضًا- فعل. فعل مضارع فيدل على إثبات أن الله -تعالى- يرى العباد، وأنه لا يخفى عليه منهم خافية.

وكذلك -أيضًا- أثبت لنفسه صفة العين في قوله -تعالى-: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [3] وأثبت الأعين ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [4] ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [5] والعين هي آلة البصر، فأثبت لنفسه هذه الصفات البصر والعين والرؤية أي: أنه يرى، وكل ذلك أدلة واضحة في إثبات هذه الصفة فيثبتها أهل السنة كما جاءت.

ورد في آية طه: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [6] هذا فيه إثبات العين مفرد، ولكن يراد به الجنس كما في اليد في قوله: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ [7] أي: جنس اليد لا أنه عين واحدة، وورد في آية القمر: ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [8] ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [9] ورد بلفظ الجمع، والجمع ها هنا مضاف إلى ضمير الجمع "أعيننا"، وقد ذكرنا أن هذا الجمع لأجل التعظيم، أن الله -تعالى- يذكر نفسه بلفظ الجمع كما في قوله: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا ﴾ [10] والجمع يذكره من يعظم نفسه

- ١سورة طه آية : ٤٦.
- ٢سورة الشعراء آية : ٢١٨.
- ٣سورة طه آية : ٣٩.
- ٤سورة القمر آية : ١٤.
- ٥سورة هود آية : ٣٧.
- ٦سورة طه آية : ٣٩.
- ٧سورة الملك آية : ١.
- ٨سورة القمر آية : ١٤.
- ٩سورة هود آية : ٣٧.
- ١٠سورة الزخرف آية : ٣٢.

عن نفسه ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا ﴾ [1] ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ﴾ [2] ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [3] فقوله: ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [4] ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [5] أي: ذكر الجمع لمناسبة ضمير الجمع، فهذا هو إثبات هذه الصفات.

كذلك صفة المشيئة، يتكرر إسناد المشيئة إلى الله -تعالى- في الآيات وفي الأحاديث، ثبت أنه عليه السلام قال في الدعاء: « ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن » ودليل ذلك من القرآن ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [6] ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [7] ولا شك أن الله -تعالى- قد أعطى العباد مشيئة تناسبهم، ولكن مشيئتهم مرتبطة بمشيئة الله، فلا يشاءون إلا ما شاءه الله أثبت لهم المشيئة ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [8] ثم ربط مشيئتهم بمشيئته ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [9].

ومن هنا نعرف أن مشيئة الله -تعالى- غالبة لمشيئة العبد، أن العبد له مشيئة تناسبه؛ ذلك أن الله أعطاه قوة يزاول بها الأعمال، وتنسب إليه سواء كانت أعمالًا بدنية، أو أعمالًا قلبية، أو أعمالًا قولية، فإنها تنسب إليه كما نسب الله -تعالى- بعض الأقوال إلى أصحابها نسب الله قوله عن فرعون قوله: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [10] ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ﴾ [1] لو شاء الله -تعالى-

- 1سورة الزخرف آية : 32.
- 2سورة الكوثر آية : 1.
- 3سورة هود آية : 37.
- 4سورة القمر آية : 14.
- 5سورة هود آية : 37.
- 6سورة الإنسان آية : 30.
- 7سورة المدثر آية : 56.
- 8سورة التكوير آية : 28.
- 9سورة الإنسان آية : 30.
- 10سورة النازعات آية : 24.

لأخرس لسانه، و لم ينطق بهذه الكلمة، وكذلك النمرود الذي قال: ﴿ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ ﴾ (٢) لو شاء الله لأعجمه، وحال بينه وبين أن ينطق بهذه الكلمة الكفرية، ولكن الله -تعالى- مكّنه فالكلمة تنسب إليه، ويعاقب عليها، ويحاسب عليها، وهي داخلة تحت مشيئة الله -تعالى- هو الذي مكنه، وهو الذي أقدره على ذلك، وتنسب الأفعال إلى العباد؛ لأنهم مصدرها.

وكذلك الأعمال الصالحة تنسب إليهم؛ لأنهم هم الذين باشروها، ولو كانت متوقف وجودها على إرادة الله -تعالى- وعلى قدرته ومشيئته، يقول الله -تعالى-: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ ﴾ (٣) يعني: لو شاء مشيئة قدرية لآمنوا ﴿ لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ ﴾ (٤) لو شاء لاهتدوا كلهم، ولكن حكمته اقتضت أن يكون منهم برٌّ وفاجر، مؤمن وكافر، وذلك كله خاضع لإرادة الله -تعالى-، حيث خلق دارين، الجنة والنار، وجعل لكل منهما أهلًا، فلو أنه سبحانه أعطى كل نفس هداها، وهدى الناس كلهم لما كان هناك فرق بين المؤمن والكافر، ولما كان هناك جنة ونار، لكن من حكمته أنه جعل هذا ميله إلى الكفر، وهذا ميله إلى الإسلام فمكن لهؤلاء، ومكن لهؤلاء، وإلا فإنه سبحانه قادر على أن يقبل بقلوبهم ﴿ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ ﴾ (٥) إذا شاء الله -تعالى- خضعوا وأقبلوا كلهم، وأنابوا إلى ربهم، ولكن حكمة الله -تعالى- اقتضت أن يكونوا قسمين، وأن يكونوا في الآخرة فريقين، فريق في الجنة، وفريق في السعير، مع أن الحجة لله عليهم.

- ١سورة القصص آية : ٣٨.
- ٢سورة البقرة آية : ٢٥٨.
- ٣سورة يونس آية : ٩٩.
- ٤سورة الرعد آية : ٣١.
- ٥سورة الشعراء آية : ٤.

فإذا قالوا: ﴿ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ ﴾ (1) فالجواب: إن الله أعطاكم قدرة ومشيئة تناسبكم، تقدرون بها على أن تطعموا من تريدون إطعامه، وإذا قالوا: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ ﴾ (2) فالجواب أن نقول: مشيئة الله نافذة، ولكن هو -سبحانه- قد مكنكم وأعطاكم هذه المشيئة التي تناسبكم، وتستطيعون بها مزاولة الأعمال، فلا تقعوا في حيرة، ولا تحتجوا بهذه المشيئة على ممارسة الأعمال السيئة، وعلى البقاء عليها.

فأنتم قد مكنكم الله، وقد أعطاكم السمع والبصر، وقد أعطاكم الأفئدة، وقد فتح لكم المعرفة، وقد أقام عليكم الحجة، وأزال عنكم الأعذار، وبين لكم طرق الخير وطرق الشر، وهدى من شاء فضلًا منه، وأضل من شاء عدلًا منه، وجعل هناك وسائل تجذب هؤلاء إلى الخير، ووسائل تصد هؤلاء عن الشر، فسلط على الإنسان أعداءه، وهي الشياطين كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ (3) فتنة وابتلاء من الله، خصهم بالشياطين، خصَّ الكفار بالشياطين، قال الله -تعالى-: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ ﴾ (4) يعني: الكفار ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (5) ؛ ولهذا يعترف الشيطان فيقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ ﴾ (6) .

- 1سورة يس آية : ٤٧.
- 2سورة النحل آية : ٣٥.
- 3سورة مريم آية : ٨٣.
- 4سورة النحل آية : ٩٩-١٠٠.
- 5سورة النحل آية : ١٠٠.
- 6سورة إبراهيم آية : ٢٢.

فعلى هذا نقول: إن الله -سبحانه- قد أقام الحجج، وقد قطع الأعذار، وقد بين الخير والشر، وقد هدى من هدى فضلًا منه، وقد أعطى الجميع قدرة تناسبهم، وقد مكنهم، أعطاهم السمع والبصر والفؤاد والقوة والأيدي والأرجل، يعملون ويتمكنون وهكذا، فأمرهم بأن يعملوا فمنهم من عمل، ومنهم من لم يعمل.

نقول هذا فيما يتعلق بالأعمال الصالحة والطالحة، وهذا -أيضًا- يتمشى على الأعمال الدنيوية؛ وذلك لأن الله -تعالى- أعطى الإنسان القدرة على المزاولة على مزاولة الأعمال، وعلى التكسب وتحصيل الأرزاق، فليس قوت الإنسان يترل عليه من السماء ناضجًا، طعامًا ناضجًا، ولكن يؤمر بأن يتكسب ويتسبب ويحترف ويحرث، ويستعمل ما أعطاه الله من القوة، فهو بهذا يستطيع مزاولة الأعمال الدنيوية.

هذه القدرة التي مكنه الله -تعالى- منها هي خاضعة لقدرة الله، ولو شاء لشل حركته كما يفعل بالمعوقين، لو شاء لأقعده فلم يستطع القيام ولشل يديه فلم يستطع العمل، ولأخرس لسانه فلم يستطع النطق، ولأعمى بصره، وأصم سمعه فلم يستطع السمع والبصر كما فعل ذلك بمن شاء من خلقه، ولكن أعطاه هذه الأمور حتى يعمل لدنياه ويعمل لآخرته.

ومن طبع الإنسان أنه ينبعث لطلب المكاسب، ينبعث لطلب الرزق، كما أن ذلك من طبع الحيوان، الحيوان والبهائم من طبعها أنها تنتشر في الأرض، وتطلب الرزق، تطلبه ولا تجلس في أوكارها ولا في بيوتها، بل تتقلب، الطيور أخبر النبي ﷺ أنها تتقلب: ﴿ تغدو خماصًا، وتروح بطانًا ﴾ البهائم إذا أطلقت فإنها تنتشر في الأرض، وترعى بأفواهها، الإنسان كذلك ينتشر في الأرض، ويطلب الرزق ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ ﴾ [1] يمشي في مناكبها، فيحرث إذا كان يستطيع، ويحفر إذا كان يحفر، ويبني ويتكسب بأنواع المكاسب، ويتعاطى حرفة، ويتعاطى صناعة أو ما أشبه ذلك؛ ليحصل منها على قوته الذي يتقوَّت به، فكما أنه لا يجلس في مترله، ويطلب الرزق أن يترل عليه من السماء، نقول له:

- ١سورة الملك آية : ١٥.

فكذلك الآخرة اعمل لها كما تعمل للدنيا، ولا تعتمد على القضاء وعلى القدر وتقول: ما هداني الله، لو هداني لفعلت كذا وكذا، عاب الله -تعالى- على الذين يقولون كما في قوله -تعالى-: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (1) .

يعني: كأنهم يحتجون بالقدر يعني: أن الله ما هدانا، فإذا رأيت الذين يقولون هذا فقل: الله أعطاك ما تقدر به، كثيرًا ما ننصح بعض الجهلة ونقول لهم: استقيموا على طاعة الله أي: أقيموا عبادة الله، أنقذوا أنفسكم من عذاب الله فيحتجون بالقدر، ويقول أحدهم: ﴿ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (2) فيحتج بهذه الآية، وما علم أن الله -تعالى- قد أعطاه أسباب الهداية، كما في قوله -تعالى-: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾ (3) .

والكلام على هذه المسألة طويل، مسألة الاحتجاج بالقدر، فكثيرًا ما نلقى منهم عنتًا وتعنتًا وصعوبة ردٍّ، حيث إن هؤلاء العصاة يتمادون في معصيتهم، ولا يرجعون إلى رشدهم ولا إلى الحق الذي يُردون إليه، ويقال لهم: أربعوا على أنفسكم، فأنتم الآن ما توافقون على الاعتداء عليكم، ولعله يأتينا زيادة بحث في هذا.

فقرة عشرة: "ويقولون لا سبيل لأحد أن يخرج عن علم الله، ولا أن يغلب فعله وإرادته مشيئة الله، ولا أن يبدِّل علم الله، فإنه العالم لا يجهل ولا يسهو، والقادر لا يغلب.

لا سبيل لأحد أن يخرج عن علم الله، الله -تعالى- عالم بنا وبأحوالنا قال -تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ (4) فإذا

- (1) سورة الزمر آية : ٥٦-٥٧.
- (2) سورة الزمر آية : ٥٧.
- (3) سورة الشمس آية : ٧-٨.
- (4) سورة ق آية : ١٦.

كان يعلم وساوس النفس وخطرات القلب فإنه لا يخفى عليه أعمال العباد كلهم، يعلم السر وأخفى، يعلم الجهر وما يخفى، يعلم ما كان، وما لم يكن، وما سوف يكون، فلا يخرج عن علم الله -تعالى- شيء.

وكذلك -أيضًا- أفعال العباد وقدرتهم لا تخرج عن مشيئة الله، لا يقدرون على أن يخالفوا مشيئة الله -تعالى-، فمشيئة الله غالبة؛ ولهذا قال ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ (١) ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ (٢) في موضعين، وكثيرًا ما يذكر أن مشيئة الله -تعالى- غالبة على كل شيء، ولكن المشيئة والقدرة التي منحها العباد تناسبهم ليس لأحد أن يبدل علم الله -تعالى-، الله -تعالى- هو العالم، فمتى علم في هذا الإنسان شيئًا فلا بد أن يحصل ما علمه الله فيه سواء قريبًا أو بعيدًا.

فإذا علم الله -تعالى- في هذا الإنسان أنه يموت سعيدًا، فلو حاول الناس كلهم أن يردوه عن أسباب السعادة لم يستطيعوا، ولو -مثلًا- شقي وعصى في وقت من الأوقات لرد الله له رشده إلى أن يموت، وهو على السعادة، وكذلك بالعكس إذا علم الله شقاوة عبد فلو حاول الناس كلهم أن يهدوه لم يستطيعوا، ولو اهتدى في زمان من الأزمنة فإن الله -تعالى- إذا قدر أنه يموت على الشقاوة لا بد وأن يموت عليها مهما كانت الحال.

ثم يقول: "ويقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه كيفما تصرف بقراءة القارئ له وبلفظه فإنه كلام الله، وأنه محفوظ في الصدور، متلو بالألسن، مكتوب في المصاحف غير مخلوق، ومن قال بخلق اللفظ بالقرآن يريد به القرآن فقد قال بخلق القرآن".

مسألة خلق القرآن من أقدم المسائل خلافًا بين أهل السنة وبين المعتزلة، وما ذاك إلا أن المعتزلة أنكروا صفة الكلام، ينكرون أن الله -تعالى- متكلم، ويرمون من أثبت الكلام أنه مشبِّه وأنه ممثل؛ وذلك لأنهم يعتقدون أن الكلام لا يخرج إلا من بين الشفتين ومن اللسان واللهوات ومن الحنجرة التي

- ١سورة المدثر آية : ٥٦.
- ٢سورة الإنسان آية : ٣٠.

تدفعه بالنفس وبالهواء، وأن هذه إنما هي في المخلوق، فإذا قلنا: إن الله متكلم فلا بد أن يكون كلام الله مثل ما نعقله، أنه يخرج من هذه المخارج التي يخرج منها كلام البشر؛ فيكون ذلك تشبيهًا، هذا هو الذي دفعهم إلى إنكار صفة الكلام، فأنكروا ما أخبر الله -تعالى- من أنه كلم موسى.

مر بنا الآيات التي في الكلام مثل قوله: ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ (1) ومثل قوله: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ (2) وما أشبه ذلك فكثيرًا ما يذكر الله -تعالى- أنه يتكلم، كلم الله موسى، قال تعالى: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ (3) يعني: موسى ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ (4) كلمه لا شك أن هذا دليل صريح على أنه كلم موسى.

ذكروا أن بعض المعتزلة جاء إلى أبي عمرو القارئ أحد القراء السبعة، وطلب منه أن يقرأ هذه الآية بنصب الاسم الشريف، قال اقرأها: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ (5) وقصده بذلك أن يكون موسى هو المتكلم هو الذي كلم الله، وألا يكون الله مكلمًا له، ولكن أبا عمرو بن العلاء -رحمه الله- كان ذا فطنة، وفهم فقال: هب أني قرأت هذه الآية أو أنت قرأتها كذلك كيف تصنع بقول الله -تعالى- في سورة الأعراف: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ (6) فبهت ذلك المعتزلي، وعرف أن هذه الآية لا حيلة له في تحريفها ﴿ وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ (7) لا حيلة له في أن يغيرها.

ثم ذكر شيخ الإسلام أن المعتزلة حرفوا "كلم الله" ، "وكلمه" فحرفوها تحريفًا معنويًا، وقالوا:التكليم هو التجريح كلّمه يعني: جرّحه بأظافير الحكمة، ويريدون بذلك نفي أنه كلمه بكلام سمعه.

- 1سورة التوبة آية : ٦.
- 2سورة النساء آية : ١٦٤.
- 3سورة البقرة آية : ٢٥٣.
- 4سورة النساء آية : ١٦٤.
- 5سورة النساء آية : ١٦٤.
- 6سورة الأعراف آية : ١٤٣.
- 7سورة الأعراف آية : ١٤٣.

التكليم الأصل أنه هو المخاطبة، هذا هو الأصل في التكليم، والعرب إذا أرادوا التجريح فلا بد أن يكون هناك قرينة تدل عليه، وليس في القرآن هذه اللفظة، وإن كانت في اللغة، وفي الحديث: ﴿ ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلْمه يدمي، اللون لون الدم، والريح ريح المسك ﴾ ولكن هذا التحريف بعيد، أن يفسر التكليم بأنه التجريح؛ وذلك لأن المتبادر أنه الكلام، ثم -أيضًا- ينتقض هذا بأدلة أخرى، تفسيرهم للتكليم بأنه التجريح يرده التصريح بالكلام قال الله -تعالى-: ﴿ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ [1] صرح بالكلام لم يقل: بتجريحي، ولم يقل: بتكليمي "بكلامي"، فلا حيلة لهم في أن يردوا هذه اللفظة.

كذلك آيات النداء: ﴿ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ ﴾ [2] ﴿ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ﴾ [3] ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ ﴾ [4] لا شك أن النداء لا يكون إلا بكلام مسموع، فهو يرد تأويلهم التكليم بأنه التجريح.

النداء كلام مسموع يسمع يعني: صوت يُسمع، ويظهر كذلك -أيضًا- الكلام الذي حكاه الله -تعالى- عن نفسه لموسى، وخاطبه به كلام صريح في قوله -تعالى-: ﴿ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذۡهَبۡ ﴾ [5] هذا هو الكلام الذي ناداه به: ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [6] كذلك -أيضًا- قول الله -تعالى-: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [7] هذا -أيضًا- كلام صريح، وهكذا قوله -تعالى-: ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ

- [1] سورة الأعراف آية : ١٤٤.
- [2] سورة الشعراء آية : ١٠.
- [3] سورة النازعات آية : ١٦.
- [4] سورة مريم آية : ٥٢.
- [5] سورة النازعات آية : ١٦-١٧.
- [6] سورة طه آية : ٢٤.
- [7] سورة الأعراف آية : ١٤٣.

حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ ﴾ [1] إلى آخر الكلام.

هذا هو الذي سمعه من ربه أنه ناداه بهذا الكلام: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾ [2] وكذلك قوله -تعالى- لما ذكر أنه نودي بالواد المقدس من الشجرة: ﴿ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ﴾ [3] لا شك أن هذا هو الكلام فهل يقال: إن هذا تجريح لا شك أن المعتزلة في تأويلهم وتكلفهم قد وقعوا في تحريف للكلم، أشبهوا فيه اليهود الذين يحرفون الكلم عن مواضعه.

مشهور أن أول من أظهر ذلك هو الجعد -الجعد بن صفوان-، لما قرأ في القرآن أن الله كلم موسى أنكر ذلك، وقال: ما كلم الله موسى، وأن الله اتخذ إبراهيم خليلًا، والخليل هو الحبيب أنكر ذلك، وقال: لم يكن الله يحب أحد، ولا يتخذ أحدًا خليلًا، فاشتهرت هذه المقالة عنه، فقتل في القصة المشهورة التي ذكرها البخاري بسنده في خلق أفعال العباد، وهي أنه أوثقه أمير الكوفة خالد القسري، ولما خطب الناس في يوم العيد وانتهى من خطبته قال لهم: أيها الناس ضحوا تقبَّل الله ضحاياكم، فإني مضحٍّ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولا كلم موسى تكليمًا، تعالى الله عما يقول الجعد، ثم نزل فقتله، فجعله بمنزلة الأضحية التي تذبح في يوم العيد، جعله ضحيته، يعني: تقرَّب بها إلى الله -تعالى-، ذكر ذلك ابن القيم في أول النونية في قوله:

ولأجل ذا ضحَّى بالجعد خالد الـــ قسري يوم ذبائح القربان

إذ قال إبراهيم ليس خليله كلا ولا موسى الكليم الداني

- [1] سورة طه آية : ٩-١٣.
- [2] سورة طه آية : ١٢.
- [3] سورة القصص آية : ٣٠-٣١.

شكر الضحية كل صـــاحب سنـــــة　　　　لله درك مـــــن أخـــــي قربانـــــي

فذكر أن السبب أنه قال: ليس إبراهيم خليل الرحمن، وليس موسى كليم الرحمن، ولم يكلم الله أحدًا من خلقه.

الأدلة من السنة واضحة -أيضًا- منها: قوله ﷺ ﴿ إذا كان يوم القيامة نادى الله -تعالى- آدم فينادي بصوت يا آدم إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار ﴾ ينادي بصوت، وكذلك قوله ﷺ ﴿ ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ﴾ يكلمه ربه بدون مترجم، يسمع كلام الله ويكلمه، لا شك أن هذه أدلة واضحة.

كذلك -أيضًا- من القرآن يذكر الله -تعالى- كلماته كما في قوله -تعالى-: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾ [1] ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً ﴾ [2] تمت يعني: أنها وصفت بالتمام وبالكمال، وكذلك قوله -تعالى-: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى ﴾ [3] وكذلك قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ [4] تكلم العلماء على مثل هذه الآيات، وقالوا كيف تنفد؟ كيف تنفد كلمات الله، وهي ليس لها نهاية، وليس لها بداية؟ والمخلوق له بداية ونهاية؛ وذلك لأن الله -تعالى- أخبر بأنه لو أن بحار الدنيا صارت مدادًا يعني: حبرًا، وأن أشجار الدنيا

- [1] سورة هود آية : ١١٩.
- [2] سورة الأنعام آية : ١١٥.
- [3] سورة الكهف آية : ١٠٩.
- [4] سورة لقمان آية : ٢٧.

من أولها إلى آخرها صارت أقلامًا فكتب بتلك الأقلام، وكتب بذلك المداد، وجعل مع البحار مثلها سبع مرات لما نفد كلام الله لنفد البحر، وكتب به حتى ينفد مع غزارة البحر، ولتكسرت الأقلام دون أن ينفد كلام الله، إذًا فهذه أدلة واضحة في إثبات صفة الكلام لله -تعالى- نقول.

من القرآن يذكر الله -تعالى- كلماته كما في قوله -تعالى-: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾ [1] ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [2] تمت يعني: أنها وصفت بالتمام وبالكمال، وكذلك قوله -تعالى-: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى ﴾ [3] وكذلك قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ [4] .

تكلم العلماء على مثل هذه الآيات، وقالوا: كيف تنفد؟ كيف تنفد كلمات الله، وهي ليس لها نهاية، وليس لها بداية؟ والمخلوق له بداية ونهاية؛ وذلك ؛ لأن الله -تعالى- أخبر بأنه لو أن بحار الدنيا صارت مدادًا يعني: حبرًا، وأن أشجار الدنيا من أولها إلى آخرها صارت أقلامًا فكتب بتلك الأقلام، وكتب بذلك المداد، وجعل مع البحار مثلها سبع مرات لما نفد كلام الله، لنفد البحر وكتب به حتى ينفد مع غزارة البحر، ولتكسرت الأقلام دون أن ينفد كلام الله، إذًا فهذه أدلة واضحة في إثبات صفة الكلام لله تعالى.

نقول: لما أن المعتزلة أنكروا صفة الكلام، وقالوا: إن ذلك يستدعي تشبيها بيَّن لهم أهل السنة أنه لا يستدعي تشبيها، فالله -تعالى- يتكلم كما يشاء، ولا يلزم أن يكون كلامه يخرج من المخارج التي يخرج

- ١سورة هود آية : ١١٩.
- ٢سورة الأنعام آية : ١١٥.
- ٣سورة الكهف آية : ١٠٩.
- ٤سورة لقمان آية : ٢٧.

منها كلام الآدمي، يعني: لا يلزم أن يكون هناك قصبة هوائية، ولا أن يكون هناك -مثلا- لهوات أو أسنان أو شفتان أو لسان أو نحو ذلك، الله -تعالى- قادر على أن يتكلم كما يشاء.

نحن الآن نشاهد الأدوات التي يخرج منها الكلام، وهي ليست لها هذه الأدوات، فعندنا -مثلا- هذه الأشرطة التي هي جماد، ومع ذلك تسجل الكلام وتحفظه، ثم بعد ذلك يخرج كما هو، ولا نقول -مثلا-: إن هذا الحديد أو إن هذه الأشرطة لها ألسنة، ولها قصبات، ولها شفايا، وما أشبه ذلك، بل يخرج منها الكلام كما دخل، فلا يلزم أن يكون هناك ما التزموه.

إذاً فالله -تعالى- قادر على أن يتكلم كما يشاء، وأن يسمع كلامه من شاء من عباده، كما أسمعه موسى، وكما كلم نبينا ﷺ ليلة الإسراء.

وبعد أن أنكر المعتزلة هذه الصفة احتج عليهم بالقرآن، وقيل إذا قلتم: إن الله -تعالى- لا يتكلم، نخصمكم بالقرآن ؛ لأن القرآن من الله -تعالى- فهو كلامه، فعند ذلك انتقلوا إلى حجة أخرى ألا وهي أنه مخلوق، سبحان الله! أليس من الأعراض؟! كيف تكون الأعراض مخلوقا؟ فقالوا: مخلوق. كيف خلقه؟ قالوا: خلقه كما خلق الأرض، وكما خلق الشجر، وكما خلق البشر، وكما خلق الأعراض والجواهر وما أشبهها، كيف خلقه؟ قالوا: مخلوق حقا يحاول خصومهم أن يجدوا جوابا واضحا يتضح به أنهم يقولون بأنه مخلوق بصفة كذا وكذا، ولكنهم يتوقفون عند كلمة مخلوق، فلما تمكنت هذه الشبهة عند ذلك، أوضح العلماء -رحمهم الله- ما عندهم من العلم، وما يعتقدونه فأوضحوا أن القرآن كلام الله تكلم به كما شاء، وأنه من جملة كلام الله.

كلام الله -تعالى- ليس بمحصور، بل لا يمكن حصره، كذلك -أيضا- الكتب التي أنزلها على الأنبياء كلها كلامه، فالتوراة كلام الله، والإنجيل كلامه، والزبور كلامه، والصحف التي أنزلها على موسى وعلى إبراهيم ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ [1] هي

- ١سورة النجم آية : ٣٦-٣٧.

كلام الله، والألواح التي أعطاها موسى كلام الله في قوله -تعالى-: ﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ [1] وفي قوله -تعالى-: ﴿ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا ﴾ [2] ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [3] لا شك أن هذه كلها كلام الله، تكلم بها كما يشاء، وإذا اعتقدنا أنها كلام الله فإننا نعتقد أنه تكلم بها حقيقة، وأنه أوحاها إلى أنبيائه من البشر بواسطة رسله من الملائكة، قال -تعالى-: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [4] يعني: جعله الله -تعالى- بهذا اللسان العربي الواضح الذي يكون مفهوما للمخاطبين.

إذاً فهو كلام الله أنزله على أنبيائه، كل من أنزل عليه وحيا فإنه كلامه، يترل عليهم كلامه الذي تكلم به كما يشاء، فالقرآن كيفما تلي، وكيفما قرأ فهو كلام الله لا يخرج عن كلامه، إذا كتب في المصاحف فهو كلام الله، إذا سمعنا القارئ يقرأه فهو كلام الله -تعالى-، إذا حفظه الحافظ في صدره قلنا: هذا يحفظ كلام الله -تعالى-، إذا رتله قلنا: هذا يرتل كلام الله، إذا لحَّنه فإنه نقول: هذا يلحن كلام الله.

الكلام في الأصل هو الكلام الذي تكلم به الله -تعالى- كيفما قرئ، وكيفما تلي، وكيفما تصرف من قراءة القارئ وبألفاظ القراء، فهو كلام الله يحفظونه في صدورهم وهو كلام الله، يتلونه بألسنتهم وهو كلام الله، يكتبونه في مصاحفهم وهو كلام الله -تعالى-، ليس شيء منه مخلوقا، منه بدأ وإليه يعود، منه بدأ ابتدأ الله -تعالى- كلامه وإليه يعود، كما ورد في الأحاديث أنه في آخر الزمان ينسخ من المصاحف، وينسخ من الصدور، عندما يبقى لا يعمل به، فهو كلام الله -تعالى- مترل غير مخلوق، ليس شيء منه مخلوقا، وإذا قرأه القارئ فإننا نقول: حركات القارئ مخلوقة، وأما نفس الحروف التي يقرأها،

- ١سورة الأعراف آية : ١٥٠.
- ٢سورة الأعراف آية : ١٥٤.
- ٣سورة الأعراف آية : ١٤٥.
- ٤سورة الشعراء آية : ١٩٢-١٩٥.

ونفس الكلام الذي ينطق به فإنه غير مخلوق، بل هو كلام الله، وكلام الله -تعالى- من علمه، وعلمه ليس بمخلوق؛ لكونه صفة من صفاته، ومن ادعى أن علم الله -تعالى- أو شيئا من صفاته الذاتية مخلوق فقد كفر، حيث جعل ربه الذي هو خالق كل شيء محلا للحوادث.

بعد ذلك نقول: لما وقعت الفتنة؛ فتنة القول بخلق القرآن، تمكنت في آخر القرن الثاني، ولكن ما اشتهر الإلزام بها إلا في أول القرن الثالث؛ وذلك لأن الخليفة المأمون انخدع ببعض المعتزلة فقرَّبهم، ومن أشهر من قربه أحمد بن أبي دؤاد، وكان لسنا جريئا في الكلام قوي الحجة عنده من الجرأة، وعنده من الفصاحة والبلاغة ما جعله يكون محلا للثقة به، ووثق به الخليفة المأمون، ولما وثق به قربه، وولاه قضاءً، وصار وزيرا له وجليسا له.

فكان من جملة ما دعا الخليفة إليه أن يبين له أن هذا من واجب المسلمين ومن عقيدتهم، وأن الذي يقول: إن الله متكلم، وأنه يتكلم فقد شبه الله -تعالى- بالمحدثات، ويكون بذلك كافرا حتى أدى الأمر إلى أن قتل كثير من أهل السنة بسبب تصلبهم؛ تصلبهم في هذا الأمر، وعدم امتناعهم من القول بخلق القرآن، ولما تصلب كثير منهم كان من جملة الذين تصلبوا وصبروا إمام أهل السنة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل -رحمه الله تعالى- فأصرَّ على أن يصبر على الحبس، ويصبر على الضرب، فضرب وجلد جلدات لما أنه أحضر إلى المأمون دعا الله ألا يريه وجهه، فمات المأمون قبل أن يصل إليه، ولكنه أوصى أخاه المعتصم بأن يستمر في هذه الفتنة فاستمر فيها، وحبس الإمام أحمد، وبقي سجينا مدة طويلة، وجلد جلدات كبيرة، ولكنه تصلب وصبر.

جاءه بعض المعتزلة وقالوا: يا أحمد قل في أذني: إن القرآن مخلوق، وأنا أخلصك من هذه الأنكال، ومن هذه الأغلال، ومن هذا العذاب. فقال له: قل في أذني: إن الله متكلم، وأن القرآن كلام الله، وأنا أشفع لك عند الله، وأشهد لك بأنك من المؤمنين بكلام الله.

من جملة ما احتج به عليهم من الأدلة أنه احتج عليهم بأن كلام الله -تعالى- لا يمكن أن يتغير، فقرأت في بعض التراجم أنه جيء به، وقيل له: هل رأيت رؤيا؟ فقال: نعم. رأيت رؤيا. ما هي؟ قال: رأيت كأني قمت لأصلي فقرأت في الركعة الأولى بقل أعوذ برب الفلق، فلما قمت للركعة الثانية أردت

أن أقرأ بقل أعوذ برب الناس، فلم أقدر فالتفت فوقي، وإذا القرآن ميت، فعند ذلك أخذته وغسلته وكفنته، فقال المعتصم ومن حوله: وهل القرآن يموت؟ فقال: أنتم تقولون: إن القرآن مخلوق، وكل مخلوق يموت، فانتبهوا أن هذه حجة عليهم.

يقول: نعم لو كان القرآن مخلوق، فالمخلوق يموت، يموت ويأتي عليه العدم، فإذا أنكرتم هذه الرؤيا، فأنكروا قولكم: إن القرآن مخلوق، والرؤيا التي ذكرها رأيتها مكتوبة، ويمكن أنها -أيضا- مطبوعة في بعض الكتب المطولة في ترجمة الإمام أحمد، الكتب المطولة لابن الجوزي وغيرها فعلى كل حال القرآن كلام الله -تعالى- حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف.

يبقى عندنا بعض مما يتعلق بقصة البخاري، نأتي إليها غدا -إن شاء الله-، والله أعلم، وصلى الله على محمد.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

س: فهذا سائل يقول: إذا قال قائل: إن القرآن مخلوق، واستدل بقول الله -جل وعلا- ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [1] ؟.

ج: لعلكم قرأتم كلام ابن أبي العز في شرح الطحاوية في مناقشته أدلة المعتزلة، فإنهم استدلوا بعمومات، فاستدلوا بآيات الجعل في قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [2] وكان قد استدل بها بشر بن المريسي في مجادلته مع عبد العزيز الكناني، كما ذكر ذلك في رسالته التي تسمى "الحيدة" فخصمه الكناني، وقال له: الجعل ليس هو الخلق، بل الجعل هو التصيير، فإنا نخصمكم قول الله

- 1سورة الزخرف آية : ٣.

- 2سورة الزخرف آية : ٣.

-تعالى-: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ۝٩١ ﴾ [1] هل المراد أنهم خلقوا القرآن عضين؟، وقول الله -تعالى-: ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًا ﴾ [2] هل المراد خلقوا له من عباده جزءا؟ وأشباه ذلك، فكذلك الجعل في هذه الآية بمعنى التصيير، جعلناه يعني: صيَّرناه عربيا أي: أنزلناه بهذا اللسان العربي.

وقد تقرءون في القرآن من أوله إلى آخره ما تجدون لفظا صريحا يفهم منه أن القرآن وصف بأنه مخلوق، بينما سائر المخلوقات يُصرَّح فيها بذلك.

قال بعض العلماء: إن الله ذكر القرآن في أكثر من خمسين موضعا، ولم يصرح بموضع واحد بالخلق، وذكر الإنسان في سبعة عشر موضعا، وصرح فيها كلها بالخلق، ومن أقرب ذلك أول سورة الرحمن: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ ﴾ [3] انظر كيف فرَّق: "علم" ، "خلق" ﴿ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ ﴾ [4] .

واستدل للمعتزلة بعموم قوله: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [5] وأجاب -أيضا- عن هذه الآية الكناني في رسالته الحيدة، وذلك أن بشرا قال له: أتقر بأن الله خالق كل شيء؟ فإن قلت: إنه خالق كل شيء، وأن القرآن شيء خوصمت؛ لأنه مخلوق، وإن قلت: إنه ليس بشيء كفرت؛ لأنه مشاهد أنه من الأشياء فأجابه: بأنه شيء لا كالأشياء، وأن الآية ليست على عمومها، فلا يدخل فيها صفات الله -تعالى-، يستثنى منها صفات الله، فالله -تعالى- بصفاته ليس شيء منه مخلوق.

س: وهذا يقول: ورد أن من قال: "لفظي بالقرآن مخلوق" هو الذهلي شيخ الإمام البخاري، فهل هذا الكلام صحيح؟

- ١سورة الحجر آية : ٩١.
- ٢سورة الزخرف آية : ١٥.
- ٣سورة الرحمن آية : ١-٣.
- ٤سورة الرحمن آية : ٢-٣.
- ٥سورة الرعد آية : ١٦.

ج: محمد بن أحمد الذهلي هو الذي اتهم البخاري بأنه يقول: إن لفظي بالقرآن مخلوق، وهو الذي شنَّع على البخاري، وقال: "البخاري: يقول: إن لفظي بالقرآن مخلوق" فلأجل ذلك وقعت بينه وبين البخاري وحشة، وامتنع من أن يصادق البخاري حتى اضطر البخاري إلى أن خرج من بلده التي هي نيسابور، لم يبق في نيسابور التي هي بلاد الذهلي، ثم حقق العلماء أن البخاري لم يقل هذه المقالة كما سمعنا في النقول التي قرأناها في التعليق أنه لم يقل هذه المقالة، وإنما قال: "إن حركاتنا بالقرآن مخلوقة"، وعبارة أهل السنة أنهم يقولون: "القول قول الباري، واللفظ لفظ القاري".

اللفظ الحركات التي يتحرك بها اللسان هذه مخلوقة، حركات الإنسان بيديه، وحركاته بلسانه مخلوقه؛ لأن الله خالق كل شيء من جملة مخلوقات حركات أفعال العباد، لكن الملفوظ الذي يتلفظ به إذا كان هو القرآن، فإنه ليس بمخلوق؛ لأنه كلام الله.

س: وهذا يقول: هل القراءات المختلفة، أو هل الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن من كلام الله؟ أو أن كلام الله واحد، ولكن رخص في قراءته على سبعة أحرف؟.

ج: كلها كلام الله، الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن كلها كلام؛ لأن الله -تعالى- تكلم بها على أية لغة، وكذلك على أية قراءة، فكلها كلام الله فعلى أي قراءة قرأتها فإن ذلك كلام الله، عين كلام الله، نشهد بذلك ونقر أن هذا القرآن كلام الله الذي بلغه جبريل إلى محمد ﷺ .

س: وهذا يقول في قوله -تعالى-: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ (1) وفي قوله -تعالى-: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ١٣٤ ﴾ (2) فقوله: "كنتم" و"كان" هي في الماضي، فكيف نرد على من يقول ذلك؟.

ج: ولو كانت بلفظ الماضي فلا يمنع أن يكون ذلك في المستقبل كان الله سميعا بصيرا يعني: كان في الماضي، وكان في المستقبل، فالله -تعالى- موصوف بأنه السميع البصير "سميعا بصيرا" يعني: في الأزل،

- 1سورة آل عمران آية : ١١٠.

- 2سورة النساء آية : ١٣٤.

وسميعا بصيرا في الحال، وسميعا بصيرا في المستقبل، فلا يلزمه من قوله: "كنتم" أن الخيرية خاصة بالذين مضوا ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ [1] بل الخيرية للذين مضوا، وللحاليين الذين نزلت الآية، وهم مخاطبون بها، ولمن سار على نهجهم ممن أتى بعدهم، فإن لفظ الماضي يطلق ويراد به المتصف بهذه الصفة يبقى على صفته في مستقبل حياته.

س: وهذا يقول: ما حكم السلام على من يعتقد أن القرآن مخلوق، وما حكم الصلاة خلفه؟

ج: قد صرح العلماء الأولون بأنه كافر إذا كان يعتقد ذلك، فإنه يصف الله -تعالى- بصفة العدم، فما دام التصريحات المنقولة عن السلف -رحمهم الله- تقتضي كفره فنقول يجب البراءة منه، والبعد منه، وإعادة الصلاة إذا صليت خلفه، وعلمت بأنه من المعتزلة الذين يقولون بأن القرآن مخلوق، وعدم الإقرار له حتى يسلم الإنسان على دينه، لكن إذا اضطررت إلى أنك تصلي خلفه، فنرى لا شك أن تعيد الصلاة فيما بعد.

س: وهذا يقول: هل لا زال أحد في هذا الزمان يقول بخلق القرآن؟.

ج: كثيرون، المعتزلة لم ينقطعوا، الرافضة بأسرهم على طريقة المعتزلة، وكذلك كثير من الذين يقولون إنهم على مذهب زيد، فإنهم على طريقة المعتزلة، والمعتزلة معلوم أنهم يقولون بخلق القرآن، وكذلك بقايا من المعتزلة موجودون في كثير من البلاد الإفريقية، وفي كثير -أيضا- في سوريا وفي غيرها، وفي الطائفة الإباضية الذين في عمان وفي إفريقيا ونحوهم، يقولون بهذه المقالة، والغالب أن الرافضة هم الذين بالغوا في ذلك، وجعلوه دينهم وديدنهم، اعتقادهم أن القرآن مخلوق.

س: وهذا يقول: قد أشكل علي قولك حفظك الله: الأسماء المزدوجة لله لا تقال إلا مع بعض مثل: المعز المذل، والمعطي المانع، نريد توضيحا لهذا -بارك الله فيكم-؟.

ج: قد تكلم العلماء عليها فذكر ذلك ابن القيم في الصواعق، وكذلك الحافظ الحَكَمي في شرح السُّلم، والشيخ ابن سلمان في الكواشف شرح الواسطية، وذلك؛ لأن في ذكر واحد منها نقص الكمال،

- [1] سورة آل عمران آية : ١١٠.

إنما يكون بالاسمين، فإذا دعوت الله، وقلت: يا مذل يا مذل فإن هذا وصف نقص، أما إذا قلت: يا معز يا مذل فإنك وصفته بالكمال أي: أنه يعز من يشاء، ويذل من يشاء، وكذلك إذا وصفته بأن قلت: يا خافض فإن في هذا شيء من النقص؛ لأن الخافض كأنه وصف فيه شيء من الإهانة، فإذا قلت: يا خافض يا رافع، فقد أتيت بالوصفين المتقابلين.

فالحاصل أن هذه أسماء مزدوجة المعطي المانع ، الخافض الرافع ، المعز المذل، المحيي المميت وأشبهها.

س: وهذا يقول: توجد شركة لنظافة المساجد تصنع مناديل، وتضعها في المساجد، وتكتب عليها اسم الشركة، وأرقام هواتفها، والخدمات التي تقدمها، وهذا من باب الدعاية لها، فهل يجوز وضع هذه المناديل في المساجد؟

ج: يجوز ذلك للحاجة، والناس لا يكون فيهم يعني: اهتمام بقراءة الكتابة عليها، إنما يأخذون المناديل للاستعمال والتمسح بها، ولا يضر سواء هو مكتوب عليها اسم الشركة التي تنتجها أو غيرها.

معلوم من الكتابة على الكراتين، على كل كرتونة التي فيها المناديل مائة، هذه الكتابة لا يلتفت إليها، ولا يأبه لها.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، يسر الله لي -بحمده- حفظ كتاب التوحيد، فماذا أحفظ بعده من كتب العقيدة؟.

ج: خير كثير حفظ هذا الكتاب نعمة عظيمة؛ لأن فيه مجامع توحيد العبادة، نوصيك أن تحفظ العقيدة الواسطية لابن تيمية، فإنها مهمة في باب المعتقد مع اختصارها، ومحتوية على جل ما يعتقد، هذا في باب العقيدة، وبعد ذلك أقبل على حفظ ما تيسَّر من الكتب الأخرى؛ حفظ عمدة الأحكام ، وما يتعلق بالحديث، والأربعين النووية، وحفظ عمدة الفقه فيما يتعلق بالفقه، وحفظ بلوغ المرام فيما يتعلق بالأحاديث، كلها -إن شاء الله- لها أهميتها.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ يوجد لدينا مزرعة تبعد عن الرياض حوالي ثمانين كيلو، ويوجد فيها مسكن، وأذهب إليها دائما فهل يجوز لي القصر إذا ذهبت إلى هنالك؟.

ج: إذا كان فيها مسكنا لكم اعتبروا أنفسكم كأنكم ساكنون في بلدتكم، وفي مستقركم؛ فليس لك القصر فيها.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ نرى في الآونة الأخيرة أنه قد قلَّ من ينصح أصحاب الدشوش، وذلك بأن بعضا من أصحاب هذه الأجهزة يقول: إني لا أستخدمه إلا لرؤية نشرة الأخبار فقط وبعض البرامج التي ليس فيها مخالفات كبيرة، فما حكم من يستخدم هذه الدشوش فيما ذكر، ومن يستخدمها في جميع ما تبث من البرامج؟ وهل يجب على الجار الاستمرار في نصح جاره الذي عنده هذا الجهاز؟ وإذا ظهر منه عدم تقبل للنصيحة فماذا يعمل معه -جزاكم الله خيرا-؟.

ج: مصيبة كبيرة هذه الدشوش، لا شك أنها بلية عظيمة في هذه الأزمنة، ولكن إذا كثرت وتمكنت تهاون الناس بها وعدوها أمرا عاديا، فننصح من عنده مثل هذه الأجهزة أن يطهر منزله منها، فإنها مفتاح كل شر، تجلب إليه الشرور شاء أم أبى، ولو تحفظ هو لا يستطيع أن يحفظ أولاده شبابا فارغين، ذكورا وإناثا، لا يستطيع أن يتحكم فيهم، ونقول -أيضا- للجيران: عليكم التناصح، وتبادل النصيحة رجاء أن ينفع الله -تعالى- بها.

س: وهذا يقول: امرأة كان عليها قضاء بعض الأيام منذ اثني عشر عاما مضت، فكيف تقضى ذلك؟

ج: لا بد مع القضاء مع كفارة، تقضيه ولو متفرقا، ثم عن التفريط والتأخير كفارة إطعام مسكين عن كل يوم.

س: وهذا يقول: لماذا نتعلم أقوال الفرق ومعتقداتهم، ولماذا لا نكتفي بتعلم عقيدة أهل السنة وكفى؟

ج: لا بد أن الإنسان يبتلى غالبًا بمجالسة أولئك المعتزلة والضلال والمبتدعة، وإذا ابتلي بمجالستهم فالغالب أنهم يلقون شيئًا من شبهاتهم، ومن أدلتهم التي يشوهون بها ويموهون بها، فإذا كان الإنسان عنده أسلحة قوية وأدلة متمكنة استطاع أن يرد عليهم أقوالهم، فمعرفتها لأجل الحذر منها؛ ولذلك يقول حذيفة: ﴿ كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه ﴾ فأنت عليك بمعرفة مذهب أهل السنة ومعتقدهم، وإذا كنت تخشى أنك تبتلى بمجالسة أولئك المبتدعة فإن

عليك أن تسأل عن مذهبهم وشبهاتهم حتى إذا عرفتها وقرأت كيف تردها استطعت إبطالها والرد عليهم حتى لا تصل إلى فكرك، ويصعب بعد ذلك تخليصها من ذاكرتك.

س: وهذا يقول فضيلة الشيخ: أنا شاب متزوج حصلت على قرض من بنك التسليف منذ سنتين عن طريق التزوير، والآن أنا تبت إلى الله ﷻ وأحس بهذا الذنب، فماذا علي؟.

ج: ننصحك أن ترد هذا القرض دفعة واحدة إذا استطعت، ولو أن تقترض من هنا ومن هنا حتى تسلم من هذا الإثم.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ أشكل علي في قوله -تعالى- على لسان نوح: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ﴾ [1] فكلام نوح مخلوق، وكلام الله ﷻ ليس مخلوقا؟.

ج: كلام الله -تعالى- يعني: ليس بمخلوق، ولكن الله -تعالى- يحكي عن أنبيائه أنهم قالوا كذا، وأنهم سيقولون كذا وكذا، فالله -تعالى- تكلم في الأزل بما سوف يكون من كلام المخلوقين الذين ذكر الله عنهم أنهم سيقولون كذا وكذا.

أحسن الله إليكم فضيلة الشيخ، ونفع بعلمكم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

السلام عليكم ورحمة الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه.

مسألة الكلام هي من أقدم المسائل الخلافية بين أهل السنة وبين المبتدعة، حيث أنكر المبتدعة أن الله -تعالى- متكلم، ثم احتج عليهم بالقرآن فادعوا أنه مخلوق، فعند ذلك طال الخصام والنزاع بينهم وبين أهل السنة في تفنيد شبهاتهم وفي الرد عليهم، اتفقت كلمة المسلمين من أهل السنة والجماعة على أن القرآن كلام الله، وصرحوا بأنه غير مخلوق:

- ١سورة نوح آية : ٢١.

بـــل إنـــه عـــين الكـــلام أتـــى بـــه جبريل ينسخ حكـــم كـــل كتـــاب

فهو عين كلام الله الذي تكلم به وحيا، وسمعه منه رسوله الملكي، وبلغه إلى رسوله البشري، وهو على ما هو فيه، فيه حكم وأحكام، أوامر ونواهي، قصص وأمثال، عبر ومواعظ، فيه وعد ووعيد، محكم ومتشابه، مطلق ومقيد، كل ذلك كلام الله -تعالى-، ثم معلوم أن الله -تعالى- تكفَّل بحفظه وتولى ذلك، حفظه الله حتى وصل إلينا كما هو، نحفظه في الصدور، ونكتبه في السطور، ولا يخرج بذلك عن كونه كلام الله حروفه ومعانيه.

سنرد على الذين قالوا: إنه مخلوق كالمعتزلة بأن الله -تعالى- سماه كلامه في قوله -تعالى-: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ﴾ (1) معلوم أنهم يسمعونه من القُرَّاء، يسمعونه من قراءة النبي ﷺ ومن قراءة الصحابة، ومع ذلك لم يخرج عن كونه كلام الله، وكذلك قوله -تعالى-: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ ﴾ (2) معلوم أنه لا يسمعه إلا من القراء، لا يسمعه من الملك، ولا يسمعه من الرب -تعالى-، يسمعه بواسطة القراء، وكذلك قوله -تعالى-: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَامَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ ﴾ (3) وقد أثبت الله -تعالى-

---

- 1سورة البقرة آية : 75.
- 2سورة التوبة آية : 6.
- 3سورة الفتح آية : 15.

لنفسه القول في عدة آيات: ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ ﴾ [1] ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [2] ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ [3] فالقول لا شك أنه هو الكلام.

كذلك يرد على الأشاعرة الذين يدعون أن هذا القرآن عبارة أو حكاية عن كلام الله، وأنه ليس هو كلام الله عينا؛ وذلك لأنهم اعتقدوا أن الله -تعالى- لا يتكلم بمثل هذه الحروف، وقالوا: كلام الله هو المعاني دون الألفاظ، وشبهتهم بيت ينشدونه كثيرا، وهو قول القائل:

إن الكـــلام لفـــي الفـــؤاد, وإنمـــا جعل اللـــسان علـــى الفـــؤاد دلـــيلا

يرددون هذا الكلام، ويقولون: هذا قول الشاعر العربي، الشاعر العربي يجعل الكلام هو المعنى لا أنه هو اللفظ، بحثنا وبحث العلماء عن هذا الشاعر فقالوا: إنه هو الأخطل، نظرنا وإذا البيت لم يوجد في ديوانه المشهور، ثم رواه بعضهم: "إن البيان لفي الفؤاد"، وهذا أقرب على تقدير ثبوته عن الأخطل.

ثم نظرنا وإذا هذا الشاعر نصراني لم يدخل في الإسلام، تمسَّك بنصرانيته، ولو كان من العرب من بني تغلب، والنصارى قد ضلوا في معنى الكلام اعتقدوا أن عيسى هو نفس الكلمة، فعلى هذا يكون هذا الشاعر تكلم به على معتقده الباطل، فلا يكون حجة.

هذا هو دليل هؤلاء الأشاعرة يقبلون هذا البيت ويعتمدونه، يعتمدونه في الكلام الذي هو أوضح شيء، فيقولون: إن الكلام هو المعاني، وإن الحروف التي تسمع فليست كلاما، وهذا مخالفة للحس

- 1سورة الأحزاب آية : ٤.
- 2سورة المائدة آية : ١١٩.
- 3سورة المائدة آية : ١١٥.

ومخالفة للظاهر، العرب لا يسمون الساكت متكلما، معلوم أنه ما دام ساكتا فلا ينسب إليه كلام، ولو حدَّث نفسه، ولو تصور في قلبه أشياء فليس متكلما، وهو ساكت صامت.

إذاً فالكلام هو ما ينطق به، هذا هو الصحيح، على هذا فالقرآن الذي هو كلام الله هو عين الحروف، الحروف الموجودة، والكلمات الموجودة، والآيات والسور هي عين كلام الله، وهي التي ذكرها الله -تعالى- عن المشركين وتحداهم بها لقوله: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ﴾ [1] معلوم أن المراد بمثله هذه الحروف، وفي قوله -تعالى-: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ [2] ليس المراد المعاني، بل المراد بالألفاظ والحروف، وهو الذي قال المشركون فيه: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) ﴾ [3] يريدون به هذا القرآن الذي هو حروف وكلمات، فبطل بذلك دعوى هؤلاء الذين يقولون: إن الكلام هو المعنى دون اللفظ.

ذكرنا أن السلف -رحمهم الله- بدعوا وشنعوا على من يقول: إنه مخلوق، وجعلوهم جهمية معتزلة مبتدعة منكرين لصفة من صفات الله -تعالى-، ثم جاءتنا -أيضا- عبارة قد ترد في بعض كلامهم، وهي قولهم: "لفظي بالقرآن مخلوق"، هذه العبارة محتملة فلأجل ذلك نهى عنها السلف -رحمهم الله-، وشددوا في النهى عن استعمالها، وبدعوا من يقول: "لفظي بالقرآن مخلوق"، لماذا؟ لأنه قد يكون مرادهم باللفظ: الملفوظ الذي هو كلام الله.

هذا هو الصحيح في قولهم: لا تقولوا أو نهوا عن قول:" لفظي بالقرآن مخلوق" إذا قال: لفظي بالقرآن مخلوق فإنه يحتمل المعنيين: يحتمل أن يريد باللفظ الملفوظ، ويحتمل أن يريد باللفظ الحركات، فمعلوم أن حركات الإنسان مخلوقة، حركات فمه، حركات شفتيه، وحركات لسانه، وحركات قصباته الهوائية، وحركات نَفَسه مخلوقة الإنسان بحركاته وبأفعاله مخلوقة كما قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا

- ١سورة الطور آية : ٣٤.
- ٢سورة الإسراء آية : ٨٨.
- ٣سورة المدثر آية : ٢٥.

تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [1] فإذا قصد الإنسان أن حركاته مخلوقة فإنه صحيح، وعلى هذا بيَّن العلماء أن أفعال العباد مخلوقة.

أما إذا كان يريد باللفظ: الملفوظ فإن القرآن كلام الله، ولو تلفظ به من تلفظ به، فهو كلام الله أينما قُرئ، وأينما تلي، وأينما نسخ، عبر شيخ الإسلام ابن تيمية في الوسطية بقوله: "إن الكلام إنما ينسب إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مبلغا مؤديا" عبارة واضحة، ولأجل ذلك نقول: إذا سمعنا من يقول -مثلا-: ﴿ إنما الأعمال بالنيات ﴾ قلنا: هذا كلام النبي ﷺ إذا سمعنا من يتكلم بقوله: ﴿ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ﴾ قلنا: هذا كلام النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنه الذي ابتدأه، فكيف ذلك إذا سمعنا من يقول: -مثلا-: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ ﴾ [2] قلنا: هذا كلام الله هو الذي تكلم به ابتداء.

وإذا جاء في القرآن حكاية لكلام غير الله فإننا ننسبه إلى أنه كلام الله، فنقول -مثلا-: قال الله -تعالى- عن فرعون: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [3] قال الله عن إبليس: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [4] قال الله عن نوح: ﴿ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ ﴾ [5] قال الله عن موسى: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي ﴾ [6] يعني: حكى الله -تعالى- قول موسى، فيكون القول لموسى، ولكن بعدما حكاه الله -تعالى- في القرآن أصبح من كلام الله.

- ١سورة الصافات آية : ٩٦.
- ٢سورة البقرة آية : ١٤٢.
- ٣سورة النازعات آية : ٢٣-٢٤.
- ٤سورة ص آية : ٨٢.
- ٥سورة نوح آية : ٢١.
- ٦سورة القصص آية : ١٦.

فعبارة السلف -رحمهم الله- إذا أرادوا التعبير الواضح يقولون: "القول قول الباري، والصوت صوت القاري"، فيقال: استمعوا للقرآن بصوت القارئ فلان بن فلان، فصوت القارئ وحركاته لا شك أنه مخلوق، وأما نفس المقروء الذي هو كلام الله فإنه ليس بمخلوق.

والآن نقرأ في الفقرة الثانية عشر، اقرأ يا هشام.

أفعال العباد مخلوقة لله

والخير والشر بقضاء الله

قال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي -رحمه الله تعالى- في بيان اعتقاد أهل السنة:

"ويقولون: إنه لا خالق على الحقيقة إلا الله ﷻ وأن أكساب العباد كلها مخلوقة لله، وأن الله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، لا حجة لمن أضله الله ﷻ ولا عذر كما قال الله ﷻ ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [1] وقال: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۗ ﴾ [2] وقال: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ ﴾ [3] وقال: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ ﴾ [4] ومعنى نبرأها: نخلقها بلا خلاف في اللغة، وقال مخبرا عن أهل الجنة: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ ﴾ [5] وقال: ﴿ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ

- ١سورة الأنعام آية : ١٤٩.
- ٢سورة الأعراف آية : ٢٩-٣٠.
- ٣سورة الأعراف آية : ١٧٩.
- ٤سورة الحديد آية : ٢٢.
- ٥سورة الأعراف آية : ٤٣.

﴾ (1) وقال: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ ﴾ (2) .

ويقولون: إن الخير والشر، والحلو والمر بقضاء من الله ﷻ أمضاه وقدَّره لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله، وإنهم فقراء إلى الله ﷻ لا غنى لهم عنه في كل وقت.

قد تكلمنا بالأمس عن أفعال العباد، وقد أورد في هذه الفقرة ما يتعلق بخلق أفعال العباد، وبكمال قدرة الله -تعالى-، وبعلمه السابق، ففي هذه الفقرة الكلام على القدرة، والكلام على الإرادة والمشيئة، والكلام على العلم السابق، وكل ذلك موضح بكتب العقائد.

فنعتقد أولا: أن الله -تعالى- بكل شيء عليم، وأنه علم الأشياء قبل أن توجد، وقبل أن تتحقق، وقبل أن تظهر، علم ذلك بعلمه الأزلي القديم، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، هذه عقيدة أهل السنة، وأنكروا بذلك على غلاة المعتزلة الذين يدعون أن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها، لا يعلم الأشياء حتى تظهر وتقع.

وقد ذكرنا أن الله -تعالى- أنكر عليهم، في القصة التي أشرنا إليها رواها عبد الله بن عمرو وغيره: أن ثلاثة من المشركين بمكة كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، اجتمعوا فقال أحدهم: هل ترون أن الله يسمع كلامنا؟ فقال أحدهم: يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إذا أخفينا. فقال الآخر: إذا كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا. أنزل الله -تعالى-: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (3) أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون، هكذا ظنهم.

- 1سورة الرعد آية : 31.

- 2سورة هود آية : 118-119.

- 3سورة فصلت آية : 22.

ثم إن الغلاة كمعبد الجهني وغيلان القدري بالغوا وقالوا: إن الأمر أُنُف، وإن الله لا يعلم الأشياء حتى تحدث، فرد عليهم الأئمة ردا واضحا، ولا شك أن القرآن فيه الرد الواضح عليهم مثل قول الله -تعالى-: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (1) يعني: معرفة الأمور المستقبلة يسير على الله -تعالى-، فلا يصيب أحدا مصيبة إلا وهي مكتوبة قبل أن يخلق، بل قبل أن تخلق المخلوقات كلها، كما قال في الحديث: ﴿ أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة ﴾ .

كتب الله -تعالى- في الذكر كل شيء، في حديث عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: ﴿ كان الله ولم يكن شيء قبله، وكتب في الذكر كل شيء ﴾ يريد بالذكر: اللوح المحفوظ، كتب كل شيء كائن إلى يوم القيامة، ما من شيء كائن إلا وهو مكتوب، قال الله -تعالى-: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ (2) كل ما هو كائن فإنه في كتاب محفوظ، في اللوح المحفوظ لا يتغير، ولا يتغير عن ما هو عليه.

كذلك يقول الله -تعالى-: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ (3) أي: مكتوب قبل أن توجد هذه المخلوقات كلها، يسمي هذا النوع العلم السابق، يعني: علم الله بالأشياء قبل حدوثها.

ذكر أن غلاة القدرية هم الذين أنكروه، فقال لهم في حقهم الشافعي -رحمه الله-: "ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خصموا، وإن جحدوه كفروا" أي: سلوهم هل الله بكل شيء عليم؟ فإذا اعترفوا بأن الله بكل شيء عليم -كما جاء في القرآن- فقل: ما الفرق بين الماضي والمستقبل؟ إذا كان الله بكل شيء عليما، فإنه عليم بالأشياء التي قد حدثت، وعليم بالأشياء التي لم تحدث فكلها شيء، وكل شيء حادث

- 1سورة الحديد آية : ٢٢.
- 2سورة الحج آية : ٧٠.
- 3سورة الأنعام آية : ٥٩.

فإنه لا بد أنه معلوم لله، كل ما يحدث، فإذا حدث شيء فقل: هذا مكتوب قبل أن يحدث، مكتوبة الأشياء قبل أن تحدث، ومع ذلك لا ينافي أنك مأمور بأن تعمل وبأن تبذل العمل؛ ولهذا لما ذكر النبي ﷺ الكتاب السابق وقال: « ما منكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة، ومقعده من النار. فقال بعضهم: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، وقرأ قول الله -تعالى-: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ [1] » فجعل التيسير له أسباب، وهو هذا العمل.

وبالجملة فالإيمان بالقدر السابق، وبعلم الله القديم واجب على كل مسلم.

قد ذكروا أن هذا النوع على أربعة أقسام: التقدير العام ، والتقدير العمري ، والتقدير السنوي ، والتقدير اليومي.

فالتقدير العام هو الذي كتبه الله في اللوح المحفوظ لكل ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، هذا التقدير العام.

وأما التقدير العمري فهو الذي يكتب والإنسان في رحم أمه، يبعث إليه الملك فيأمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، يكتب ذلك وهو في الرحم مع أنه مكتوب في اللوح المحفوظ، وهذا لكل شخص، لكل إنسان؛ ولهذا قال في الحديث: « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » .

- ١سورة الليل آية : ٥-١٠.

وهكذا -أيضا- أخبر بأن الله -تعالى- كتب على الإنسان كل شيء، وأخبر بأنه لا يتغير بقوله: ﴿ واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف ﴾ .

إن هذا علم الله -تعالى- السابق استدل عليه بهذه الآية من سورة الحديد: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ (1) أي: من قبل أن نخلقها.

أما القدر الذي أنكرته المعتزلة فهو قدرة الله -تعالى- على كل شيء، حيث إن المعتزلة يجعلون قدرة العبد أقوى من قدرة الرب، فيقولون: إن العباد مستقلون بأفعالهم، وليس لله قدرة على هداية أو على إضلال، بل العباد هم الذين يهدون أنفسهم أو يضلون أنفسهم، ويقولون: لو أراد العبد أن يفعل شيئا، وأراد الله ألا يفعله غلبت قدرة العبد لقدرة الرب، فالعبد عندهم هو الذي يهدي نفسه أو يضلها، أنكروا قول الله -تعالى-: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ (2) أنكروا قول الله -تعالى-: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ﴾ (3) من يضله الله فلا يهديه أحد.

تكاثر في القرآن إسناد الإضلال والهداية إلى الله، يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويؤمن أهل السنة بأن قدرة الله -تعالى- عامة لكل شيء، عموم قوله -تعالى-: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ (4) يدخل في ذلك أفعال العباد وحركاتهم، فهي لا تحصل إلا إذا شاءها الله -تعالى- وأرادها، قال -تعالى-: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴿٤﴾ ﴾ (5) وقال -

- 1سورة الحديد آية : ٢٢.

- 2سورة الرعد آية : ٣٣.

- 3سورة النحل آية : ٣٧.

- 4سورة البقرة آية : ٢٨٤.

- 5سورة الشعراء آية : ٤.

تعالى-: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ (1) وقال -تعالى-: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ (2) .

فمشيئة الله -تعالى- وقدرته داخل فيها كل أفعال العباد، لا يكون في الوجود إلا ما يريد، فلا خالق على الحقيقة إلا الله -تعالى-، وأن أكساب العباد كلها مخلوقة لله، أكسابهم يعني: أعمالهم، الأشاعرة يقولون: إن أفعال العباد خلق الله وكسب العباد، فيثبتون للعبد كسبا، وكأنهم يبالغون في إثبات خلق الله -تعالى- للأفعال، ولا يثبتون للعبد إلا كسبا، ولكن ذلك الكسب قد لا يكون له حقيقة.

من الأشياء التي لا حقيقة لها الكسب عند الأشعري، ولهذا يقول بعض الشعراء:

مما يقال ولا حقيقة تحته معلومة تدنو من الأفهام
الكسب عند الأشعري والحال عند الهاشمي وطفرة النظام

يعني: أنها تقال، وليس لها حقيقة، ومع ذلك كسب العبد نفسه، وعمل العبد نفسه مخلوق لله -تعالى-، وهذه المسألة هي التي ألف فيها البخاري كتابه "خلق أفعال العباد"، أورد الأدلة على أن أفعال العباد كلها خلق الله، حركاتهم لا تكون إلا بإرادة الله -تعالى- وبمشيئته، وأن الله يهدي من يشاء فضلا منه، ويضل من يشاء عدلا منه، وإذا كان هو الذي يهدي ويضل فإنه مع ذلك لا حجة لمن أضله الله ﷻ ولا عذر له، لا حجة له في ارتكاب المعاصي ولا عذر له.

- 1سورة يونس آية : 99.
- 2سورة الأنعام آية : 149.

وقوله -تعالى-: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ (1) أخبر بأن حجة الله أقوى من حجتهم، وذلك أن الله حكى عن المشركين احتجاجهم لقدرة الله بقولهم: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ ﴾ (2) ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ (3) ثم مع ذلك قال: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ (4) وقال -تعالى-: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ ﴾ (5) الذين هداهم الله مَنَّ عليهم بالهداية ووفقهم وأعانهم حتى صاروا مهتدين ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ ﴾ (6) الذين حق عليهم الضلالة هم الأشقياء، هم الكفرة، هم المحرومون حقت عليهم الضلالة، الله -تعالى- هو الذي أضلهم، وصرف قلوبهم، وحال بينهم وبين الهداية عدلا منه وحكمة.

وكذلك قوله -تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ ﴾ (7) ذرأنا أخبر بأنه ذرأهم يعني: خلقهم لها، ورد -أيضا- في حديث يقول الرسول ﷺ « إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها، وهم في أصلاب آبائهم، وإن الله خلق للنار أهلا خلقهم لها، وهم في أصلاب آبائهم » وفي الحديث القدسي: « أن الله قبض قبضة فقال: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وقبض قبضة أخرى وقال: هؤلاء إلى النار ولا أبالي » .

فحكمة من الله -تعالى- أنه قسم خلقه إلى قسمين.

- 1سورة الأنعام آية : ١٤٩.
- 2سورة الأنعام آية : ١٤٨.
- 3سورة الأنعام آية : ١٤٨.
- 4سورة الأنعام آية : ١٤٩.
- 5سورة الأعراف آية : ٢٩-٣٠.
- 6سورة الأعراف آية : ٣٠.
- 7سورة الأعراف آية : ١٧٩.

فالحاصل أن هداية الله -تعالى- فضل منه، وإضلاله عدل منه؛ ولهذا حكى الله -تعالى- عن أهل الجنة أنهم يقولون بعدما دخلوا الجنة ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ ﴾ (1) يعني: يعترفون بفضل الله -تعالى- عليهم، وبأنه هو الذي وفقهم وسددهم وأعانهم وأعطاهم ما يتميزون به عن أهل النار فضلا منه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ ﴾ (2) .

وكذلك عموم مشيئة الله: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ ﴾ (3) لو شاء لجعلهم أمة واحدة كما في قول الله -تعالى- ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ (4) ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ (5) لو شاء لجعلهم أمة واحدة يعني: كلهم مهتدون، ولكن صرف قلوب هؤلاء عدلا منه، وهدى قلوب هؤلاء فضلا منه.

ويقولون: "إن الخير والشر والحلو والمر بقضاء من الله ﷻ أمضاه وقدره" ورد ذلك -أيضا- في الحديث: ﴿ أن تؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره ﴾ أي: تؤمن بأن ما يحدث في الكون، فكله من الله مقدر خيره وشره حلوه ومره، ما يلائمك وما لا يلائمك، تؤمن بأنه مكتوب عند الله -تعالى-.

الخير أن تعمل الخيرات التي تحسن لك، فإذا أصبت -مثلا- برزق، حصل لك رزق، وحصل لك نعمة وصحة ورفاهية وراحة وطيبة وسعة بال فاعلم أنها بقدر، بقدر من الله، وأن الله الذي قدرها، وإذا

- ١سورة الأعراف آية : ٤٣.
- ٢سورة الأعراف آية : ٤٣.
- ٣سورة هود آية : ١١٨-١١٩.
- ٤سورة الشورى آية : ٧.
- ٥سورة الشورى آية : ٨.

أصبت بهمٍّ، أو غم، أو حزن، أو فقر، أو مرض، أو مصيبة في مال، أو في بدن، أو في ولد، أو في أمر من الأمور التي تجلب لك السوء وتحزنك فاعلم أنها مكتوبة، أنها مقدرة.

وكذلك كل ما يحلو لك أو لا يحلو اعلم أنه من الله وأنه بقدر بقضاء من الله -تعالى- قدره وأمضاه، واعلم أن الخلق لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله -تعالى-.

الله -تعالى- هو الذي يعطي هؤلاء النفع، وهؤلاء الضر، ويقدر عليهم ما قدره، وأنهم فقراء إلى الله ﷻ لا غنى لهم عنه في وقت من الأوقات، قال الله -تعالى-: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ [1] قال -تعالى-: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [2] أنتم الفقراء إلى الله، وفقر الإنسان فقر لازم، فقر ذاتي لا يمكن أن يتغير ولا أن يتحول، فالأبيات التي لشيخ الإسلام يقول فيها:

فــالفقر لي وصــف ذاتٍ لازم أبــدا كما الغــنى أبــدا وصــف لــه ذاتي

الفقر للإنسان وصف ذاتي، والغنى للرب -تعالى- وصف ذاتي.

هذا الكلام الذي ذكره المؤلف في هذه الفقرة يتعلق بالقضاء والقدر، وقد ذكر العلماء أن القدر على درجتين:

الدرجة الأولى: أن الله -تعالى- علم الأشياء قبل وجودها، ثم كتبها في اللوح المحفوظ.

- ١سورة محمد آية : ٣٨.
- ٢سورة فاطر آية : ١٥.

والدرجة الثانية: أن الله -تعالى- أراد الأشياء الموجودة، ثم خلقها، فالدرجة الأولى تتضمن العلم والكتابة، والدرجة الثانية تتضمن الإرادة والخلق، أرادها وخلقها؛ ولهذا يقولون: لا يكون في الوجود إلا ما يريد، لا يمكن أن يحدث شيئا في الوجود إلا بعد إرادة الله -تعالى-.

ثم إن هذه الدرجة انقسم الناس فيها إلى ثلاثة أقسام: فقوم أنكروها، وقالوا: ليس لله قدرة على أفعال العباد، وهؤلاء هم المعتزلة؛ ولهذا يسمون مجوس هذه الأمة حيث جعلوا مع الله خالقا، فقالوا: كل أحد يخلق أفعاله، ليس لله قدرة على أفعال العباد؛ فجعلوا قدرة العباد أقوى من قدرة الله هذه طائفة المعتزلة.

وطائفة غلت في هذه الدرجة وبالغت فيها، وهم الجبرية الذين جعلوا العبد كالأداة ليس له أي اختيار، وليس له أية عمل، ولا ينسب إليه أية حركة، وجعلوا حركة العباد كحركة المرتعش، وهو الذي ترتعش يداه، ولا يقدر على إمساكها، وجعلوا حركاته كحركات الشجر الذي تحركه الرياح بغير اختيارها، ويسمون الجبرية، يدعون أن العبد مجبور على أفعاله.

وقد رد عليهم أهل السنة، وقالوا: إن في هذا القول إبطال للشريعة، وسلب للحكمة؛ وذلك لأن الله -تعالى- يوجه الأوامر إلى الناس ويأمر وينهى، ولولا أن للعباد قدرة على أفعالهم لما أمرهم بها، كيف يقول لهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ ﴾ (1) وهم مع ذلك لا يقدرون على شيء؟ وكيف يقول لهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا ﴾ (2) وهم لا يقدرون على شيء؟ وكيف يقول لهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾ (3) وهم لا يقدرون على شيء؟.

- ١سورة الحج آية : ٧٧.
- ٢سورة البقرة آية : ١٠٤.
- ٣سورة البقرة آية : ٢٧٨.

وأيضا فإن في الغلو في هذه الدرجة مخالفة للعقل، فالذين يدعون أنهم مجبورون على هذه الأفعال مضطربون في ذلك، ومخالفون لعقولهم، ثم هم -أيضا- مخالفون لواقعهم.

والحاصل أن مثل هؤلاء يحتجون بالقدر على المعاصي، ولكن عندما يعاقبون لا يحتجون به، في أبيات ابن القيم الميمية يقول فيها:

وعند مراد الله تفنى كميت ... وعند مراد النفس تسدي وتلحم

وعند خلاف الأمر تحتج بالقضا ... ظهيرا على الرحمن للجبر تزعم

فجعلهم إذا جاء للنفس حظ اهتموا بالأمر وعملوا لأجل حظ النفس، وإذا جاء أمر الله يفنى أحدهم كأنه ميت، وإذا وقع في معصية احتج بالقضاء، واحتج بالقدر، ومشهور أن بعض أولئك الزنادقة دخل على شيخ الإسلام ابن تيمية فأنشده أبياتا يحتج فيها بالقدر، الأبيات المشهورة التي أولها:

أيا علماء الدين ديني دينكم ... تحير دلوه على خير سنة

أو كما قال، وفيها قوله:

دعاني وسد الباب دوني فهل إلى ... دخولي سبيل بينوا لي حجتي

إذا ما قضى ربي بطردي وشكوتي ... وبعدي عن الخيرات ما وجه حيلتي

أو كما قال، لما قرأها شيخ الإسلام، وهو جالس، وعنده بعض تلامذته أخذ يكتب ردا عليه، يحسبونه أنه يرد عليه نثرا، وإذ هو يرد عليه نظما، فرد عليه بأبيات زادت على المائة، الأبيات التي أولها:

سؤالك يـــا هـــذا ســـؤال معانـــــد **مخاصـــم رب العـــرش بـــاري البريـــة**

وتدعى خصـــوم الله يـــوم معادهـــــم **إلى النار طـــــرا معـــشر القدريـــــة**

سواء نفوه أو ســـعوا ليخاصـــموا بـــه **الله أو مـــاروا بـــــه في الـــشريعـــة**

ونحن نقول لهؤلاء الذين يحتجون بالقدر: نعاملكم بما تحتجون به، ولكنهم لا يقنعون.

ذكر أن رجلا سرق فجئ به إلى عمر فقال: أتعاقبني على أمر مقدر علي مكتوب علي؟! فقال عمر: أنت سرقت بقدر الله، وأنا أقطع يدك بقدر الله.

ولما سافر إلى الشام، وذكر له أن الوباء قد وقع في الشام، فرجع بأصحابه إلى المدينة فقال أبو عبيدة: "أفرار من قدر الله؟ فقال: نَفِرُ من قدر الله إلى قدر الله" ، الله –تعالى– قدر لنا أننا نذهب ونرجع، فهذا قدر الله، وكذلك قصص في مثل هذا أن يقال لهم: نعاقبكم بذلك.

ذكروا أن بعض الخدم كان يقود رجل أعمى، فكان يتعثر به في الحفر فلامه فقال: هذا قدر الله، فعند ذلك ضربه بعصاه حتى سقط، فقال: كيف تضربني؟ فقال: هذا قدر الله، قدر الله، تحتج بالقدر، نحن نحتج بالقدر مع أنهم لا يحتجون به –أيضا– في مصالح أهوائهم كما ذكر ذلك ابن القيم "عند مراد النفس تسدي وتلحم".

والحاصل أن هاتين فرقتين متضادتان، فرقة المعتزلة الذين أنكروا قدرة الله، وفرقة الجبرية الذين أنكروا قدرة العبد، وبقيت الفرقة الثالثة، وهم أهل السنة الذين أثبتوا قدرة الله –تعالى– قدرة عامة،

وأثبتوا للعبد قدرة تناسبه، وهي قدرة خاصة، وجعلوها مرتبطة بقدرة الله -تعالى- لا تحصل إلا بعد قدرة الله ومشيئته.

واستدلوا عليها بالآيات مثل قوله -تعالى-: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (1) ومثل قوله: ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (2) ومثل قوله: ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (3) وأشباه ذلك حيث جعل لهم مشيئة، وجعل مشيئتهم مرتبطة بمشيئة الله -تعالى-؛ فلذلك نقول: إن مشيئة العباد يتمكنون بها من مزاولة الأعمال أعمالهم الدينية، وأعمالهم الدنيوية، فالله -تعالى- أعطى الإنسان هذه القوة بحيث إنه يحمل الأثقال، وبحيث إنه يحرث ويحصد ويغرس ويتمكن من الأشياء التي تناسبه.

هذه القوة التي أعطاه الله هي التي كلفه لأجلها، ولو كانت قدرة الله محيطة به، فهو أعطاه وأمره أن يمتثل ما أمر به، و لم يأمره إلا وعنده استطاعة؛ ولهذا يذكر أنه مكلف بقدر الاستطاعة كقوله -تعالى-: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ (4) وكقول النبي ﷺ ﴿ إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ﴾ .

فأوامر الله -تعالى- ونواهيه لا بد أن تكون مقدورة للعبد، وأن العبد يستطيع أن يفعلها، وتنسب إليه؛ لأنه الذي باشرها.

إن مشيئة العباد يتمكنون بها من مزاولة الأعمال، أعمالهم الدينية، وأعمالهم الدنيوية، فالله تعالى أعطى الإنسان هذه القوة، بحيث إنه يحمل الأثقال، وبحيث إنه يحرث ويحصد ويغرس، ويتمكن من الأشياء التي تناسبه، هذه القوة التي أعطاه الله هي التي كلفه لأجلها، ولو كانت قدرة الله محيطة به، فهو أعطاه وأمره أن يمتثل ما أمر به، و لم يأمره إلا وعنده استطاعة.

- 1سورة التكوير آية : ٢٨-٢٩.
- 2سورة المدثر آية : ٥٥-٥٦.
- 3سورة الإنسان آية : ٢٩-٣٠.
- 4سورة التغابن آية : ١٦.

ولهذا يذكر أنه مكلف بقدر الاستطاعة، كقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [1] وكقول النبي ﷺ ﴿ إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ﴾ فأوامر الله تعالى ونواهيه لا بد أن تكون مقدورة للعبد، وأن العبد يستطيع أن يفعلها وتنسب إليه؛ لأنه الذي باشرها.

فنقول: هذا مصلي، هذا صائم، هذا تقي، وهذا نقي، وهذا قارئ، وهذا بر بأبويه، وهذا محسن إلى إخوته، وهذا صدوق اللسان، وهذا طاهر القلب، وهذا طاهر الجنان.

وبضد ذلك نقول: هذا فاجر، وشقي، وبعيد عن الخير، ومعاند، وخارج عن طاعة الله تعالى، وكذاب، وفاجر، فننسب إليه أفعاله التي فعلها ولو كانت بمشيئة الله، يعني أن الله تعالى لو شاء لرده عن هواه، ولكن لما أن مزاجه وهواه وطبعه طبع سيئ، خلى بينه وبين هواه، وخلى بينه وبين شيطانه، ولو هداه لاهتدى، ولكن لله الحكمة في أن هدى قومًا وأضل آخرين.

فالخلق الذين نشاهدهم نشاهد في المنزل الواحد أنهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: قسم مهتدون، متمسكون غاية التمسك، صالحون في كل أعمالهم، وقسم منحرفون فسقة فجرة، ليس معهم من الخير شيء، وقسم متوسطون معهم خير، معهم شر، الله تعالى أعطى هذا وأعطى هذا، ومنَّ على هذا، وخذل هذا، إذن فنؤمن بهذا كله، ونعلم أن هذا كله قضاء الله تعالى وقدره، لا راد لما قضى، ولا مغير لما أمر به.

س: أحسن الله إليكم. فضيلة الشيخ، هذا قائل يقول: لو قال قائل: إن العبد كأداة فلا يفعل شيئا، ولكن الله يفعل، واستدل بقول الله -جل وعلا-: ﴿ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [2] ؟

ج: العبد -بلا شك- مخلوق، وأفعاله مخلوقة لله تعالى، ولكن الله تعالى أعطاه قوة؛ ولهذا أثبت في هذه الآية الرمي: ﴿ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ ﴾ [3] فأثبت أنه رمى، وذلك دليل على أنه وقع منه الرمي.

- [1] سورة التغابن آية : ١٦.
- [2] سورة الأنفال آية : ١٧.
- [3] سورة الأنفال آية : ١٧.

والآية نزلت في قصة بدر؛ وذلك لأن النبي ﷺ قبض قبضة من الحصباء، ثم رمى بها في وجوه المشركين، قبضة ملء كفه، رمى بها في وجوه المشركين، وقال: ﴿ شاهت الوجوه ﴾ هذه القبضة لو كانت بقوته لما تجاوزت عشرين مترا أو نحوها، ولكن الله تعالى هو الذي دفعها، فوصلت إلى أقاصي المشركين، وهم نحو الألف، و لم يبق أحد منهم -غالبا- إلا ووصلت إلى وجهه، أو ضربته في وجهه، أو نحو ذلك.

فأخبر بأنه هو الذي دفع هذه الرمية حتى وصلت إلى أقاصيهم، و لم يكن ذلك كله بقوته -عليه الصلاة والسلام-، فلا حجة في الآية على سلب العبد قدرته وإرادته كقول الجبرية. نعم.

س: وهذا يقول: نرى بعض الإخوة يحجزون الأماكن في المسجد لأغراض متعددة، فمنهم من يخرج للوضوء، ومنهم من يذهب إلى البيت، وضحوا لنا الحكم في ذلك مأجورين؟

ج: لا بأس إذا خرج لتجديد الوضوء أن يحجز مكانه حتى يرجع إليه، ورد في الحديث قوله ﷺ ﴿ إذا قام أحدكم من مجلسه، ثم رجع إليه فهو أحق به ﴾ أو كما قال. أما الذي يذهب ويطيل الغيبة، ويبقى المكان محجوزا ساعة أو ساعات، فمثل هذا لا حق له في تحجز المكان.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، كيف يتم الجمع بين حديث احتجاج آدم وموسى حين قال آدم: ﴿ أتلومني على شيء قد كتبه الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة ﴾ وحديث: ﴿ إن الله كتب مقادير الخلق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ﴾ ؟

ج: كتبه الله قبل أربعين سنة، يعني وهو في بطن أمه، يعني وهو في الرحم، أو.. وهو في الطين؛ يعني لأن كل إنسان يكتب عليه وهو في طينته، أو وهو في بطن أمه، ويسمى هذا التقدير العمري، فآدم احتج على أن الله تعالى كتب عليه قبل أن يخلقه بأربعين سنة أن الله كتب عليه أنه يقع في المعصية التي يكون من آثارها خروجه من الجنة.

واحتجاجه ليس هو احتجاجا على المعصية، ولكن احتجاج على المصيبة، يعني موسى لامه على المصيبة التي حصل ضررها على أولاده، وآدم احتج بالقدر على المصيبة، والاحتجاج بالقدر على المصيبة جائز لقوله تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ﴾ [1] .

وبكل حال فكتابته في اللوح المحفوظ هذه أزلية قبل أن تخلق السماوات والأرض بألفي عام أو أكثر، وكتابته في صحيفة آدم قبل أن يخلق بأربعين سنة. نعم.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، أحسن الله إليكم، ما الفرق بين التقدير العام، والتقدير العمري، والتقدير السنوي، والتقدير اليومي، وجزاكم الله خيرا ؟

ج: ذكرنا أن التقدير العام هو: الذي كتب قبل أن تخلق المخلوقات بألفي عام أو أكثر، وهو الذي كتب في اللوح المحفوظ كل شيء، والتقدير العمري هو الذي يكتب والإنسان في الرحم موجود في اللوح المحفوظ، ولكن يكتب في صحيفة الإنسان، يكتب في صحيفته أنه يعمل كذا وكذا، عمله ورزقه وأجله وشقاوته وسعادته، هذا يكتب وهو في الرحم.

والتقدير السنوي هو: أن يكتب في صحف الملائكة ما يكون في ذلك العام في ليلة القدر، يكتب فيها ما يكون في ذلك العام في صحف الملائكة: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [2] ؛ ولهذا تسمى ليلة القدر، يعني أنها تقدر فيها الموجودات التي تحدث في ذلك العام إلى مثلها.

وأما التقدير اليومي: فهو المذكور في قول الله تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [3] والمراد حدوث الأفعال التي سبق تقديرها، أي كل يوم يحدث أشياء سابق العلم بها، وإنما حدوثها وظهورها هو إظهار القدر، ويسمى تقديرا يوميا.

س: وهذا يقول: أشكل عليَّ، فضيلة الشيخ، قول النبي ﷺ ﴿ أول ما خلق الله القلم ﴾ وبين ما ثبت ﴿ أن العرش قبل القلم في الخلق ﴾ ؟

- ١سورة الحديد آية : ٢٣.
- ٢سورة الدخان آية : ٤.
- ٣سورة الرحمن آية : ٢٩.

ج: في ذلك خلاف: هل القلم قبل العرش؟ أو العرش قبل القلم؟ والصحيح أن العرش قبل القلم، نظم ذلك ابن القيم -رحمه الله- في النونية:

والناس مختلفون في القلم الذي — كتب القضاء به من الرحمن

هل كان قبل العرش أو هو بعده — قولان عند أبي العلا الهمداني

والحق أن العرش قبل لأنه — قبل الكتابة كان ذا أركان

فرجح أن العرش قبل ذلك.

فقوله: ﴿ أول ما خلق الله القلم ﴾ يعني أولية نسبية، يعني أول شيء من هذه الموجودات الظاهرة، فأوليته نسبية، أي بالنسبة إلى المخلوقات الموجودة الآن، فيستثنى منها العرش.

ورواه بعضهم بنصب "أول" وبنصب "القلم" ﴿ أول ما خلق الله القلم، قال له ﴾ يعني أمره بأول ما خلقه بالكتابة، ولكن الرواية المشهورة أنه مبتدأ: ﴿ أول ما خلق الله القلم ﴾ جملة ﴿ فقال له: اكتب ﴾ نعم.

س: وهذا يقول: ما حكم أكل طعام النصيرية المنتشرين في المطاعم حاليا ؟

ج: يظهرون أنهم مسلمون، ولكن عقيدتهم عقيدة سيئة، لأجل سوء هذه العقيدة التي بينها العلماء، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة له اسمها "الرد على النصيرية" أو "النصيرية".

لذلك يقال: إنهم ليسوا مسلمين حقا، فلا تؤكل ذبائحهم، ولا تنكح نساؤهم، يلحقون بالمشركين، ولو كان شركهم خفيا؛ لأن هناك قبائل يظهرون أنهم مع المسلمين ولا يحققون الإسلام حقا، فلا يؤدون الصلوات مع المسلمين، ولا يدينون بدين الإسلام، ولا يعترفون بالقرآن كتابا، ولا بالسنة، ولا يعترفون بشرع الله، ولا يحرمون المحرمات التي حرم الله، حرم الله الربا، وحرم الزنى، وحرم الخمور، فلا يعترفون بتحريمها، بل يعتقدون حلها، فمثل هؤلاء كيف يكونون مسلمين؟!

س: وهذا يقول: ما حكم الصلاة خلف الإمام المسبل أو الحليق؟ وما حكم الصلاة خلف الإمام الصوفي، حيث إننا في بلدنا تكثر الأئمة الصوفية، وجزاكم الله خيرا؟

ج: يعتبرون من العصاة، والصحابة يصلون خلف العصاة، هذه المعاصي بالأخص مثلا المسبل والحليق وما أشبهه إذا كانوا كثيرين، وكانوا متمكنين فلا حيلة لأحد إلا أن يصلي خلفهم، حيث لا يجد غيرهم إذا كانوا أئمة معينين من قبل الدولة.

أما الصوفي، فإن كان مشهورا أنه قبوري، يغلو في الأموات، فيدعو الأموات، ويدعو أصحاب القبور، ونحو ذلك، فهو مشرك فلا يصلي خلفه. وأما إذا كان معه شيء من عقيدة الصوفية؛ لأن عقائد الصوفية تختلف، والغالب أيضا أنهم يخفون معتقداتهم، وأن أكثر عقائدهم لا تخرج من الملة، وإن كان بعضها قد يئول إلى الكفر، فالشيء الخفي لا يوجب الكفر، فيصلى خلفهم.

س: وهذا يقول: هل يجوز لي أن أتصرف بمال عندي أمانة، إذا دعتني الحاجة الماسة إلى صرفه، مع تكلفي بضمان إعادة المال لصاحبه في أي وقت يطلبه؟

ج: الأمانات حقها أن تحفظ، ولكن إذا وثقت بأن صاحبها لا يحتاج إليها، وأنه أيضا لا يلومك على تصرفك فيها عند الحاجة، ثم اقترضت منها شيئا، وعرفت أنك سترده قبل أن يحتاج إليه صاحبه، فلعل ذلك جائز عند الحاجة.

س: وهذا يقول: إذا دخلت المسجد وأنا لم أصل المغرب، وأقيمت صلاة العشاء، هل أدخل مع الجماعة وأصلي العشاء، أم يجب عَلَيَّ أن أصلي المغرب أولا؟ وهل يجوز لي أن أدخل مع الجماعة بنية المغرب؟ وكيف يكون ذلك؟

ج: مسألة اختلف فيها مشايخنا، فمشايخنا الأولون، شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- والشيخ عبد الله بن حميد -رحمه الله- يتمسكون بما ورد في كتب المذاهب، ويقولون: لا يجوز أن تدخل مع أهل العشاء في صلاة المغرب، أن تدخل مع من يصلي العشاء ونيتك المغرب، بل انفرد وحدك، وصل المغرب، ثم بعد ذلك ادخل معهم في بقية العشاء.

هكذا اختاروا، واستدلوا بالأحاديث التي فيها النهي عن الاختلاف ﴿ إنما جعل الإمام ليؤتم به، فلا تختلفوا عليه ﴾ واستدلوا أيضا بأن هذا اختلاف، اختلاف ظاهر في العدد، فهذه ثلاث ركعات، وهذه أربع مثلا، حتى ولو كانت العشاء عشاء مقصورة، فهذه ركعتان وهذه ثلاث، فيكون هذا من الاختلاف.

وأما مشايخنا الحاضرون الشيخ عبد العزيز بن باز -حفظه الله- فكأنه يقول: نرخص لهم في ذلك حفاظا على صلاة الجماعة، وألا تتعدد الجماعة، فيدخل معهم بنية المغرب، فإذا صلى ثلاث ركعات انتظرهم حتى يصلوا الرابعة، ثم سلم معهم، أو نوى الانفراد وتشهد لنفسه وسلم. هكذا يرخص في ذلك، يقول: لكل مجتهد نصيب.

أحسن الله إليكم، ونفع بعلمكم، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

السلام عليكم ورحمة الله، ﷺ الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه.

ذكرنا أن لأهل القبلة في أفعال العباد ثلاثة أقوال، أو ثلاثة مذاهب: مذهب المعتزلة الذين ينكرون قدرة الله على أفعال العباد، ومذهب الجبرية الذين ينكرون قدرة العبد على فعله ويسلبونه أية حركة، ومذهب أهل السنة الذين يثبتون القوة والقدرة العامة لله تعالى، ويثبتون للعبد قدرة تناسبه مسبوقة بقدرة الله تعالى.

وذكرنا أن قول المعتزلة يسمونه عدلا؛ وذلك لأنهم توهموا أن الله إذا خلق المعصية في العبد ثم عاقبه عليها صار ظلما؛ فلأجل ذلك قالوا: العبد هو الذي يهدي نفسه، أو يضل نفسه، والله لا يقدر على أن يهدي ولا يضلل، فكانوا بذلك مفضلين قوة العبد على قوة الرب، وعندهم أن العبد يعصي ربه قسرا عليه وقهرا، يُعصى الله قسرًا، هو قول المعتزلة.

وأن الجبرية هم الذين سلبوا العبد قدرته، وسلبوه استطاعته، و لم يحدثوا له أية قدرة.

وقول أهل السنة وسط بينهما أن للعباد قدرة على أفعالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم، وخالق قدرتهم وإرادتهم، وبهذه القدرة التي أعطاهم الله كلفهم وأمرهم ونهاهم، وما كلفهم إلا وهم قادرون، وما أمرهم إلا وهم مستطيعون.

وفي المسألة -بلا شك- شيء من الخفاء؛ ولأجل ذلك يقول الطحاوي في عقيدته: "القدر سر الله في خلقه"، بمعنى أن هذه القدرة التي مكن الله بها العبد وكلفه بها خفية؛ فلأجل ذلك صار القدر سرًّا، سر الله في خلقه، وقد تكلم العلماء على هذه المسألة، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسائل في هذا الباب مطبوعة في الجزء الثامن من مجموع الفتاوى، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ومنها رسالة بعنوان "أقوم ما قيل في القضاء والقدر والتعليل".

ولتلميذه ابن القيم كتاب كبير اسمه "شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل"، وهو أوسع من تكلم في هذه المسألة، وبين القول الفصل فيها، وجمع بين الأدلة؛ وذلك لأنه قد يتوهم من الأدلة شيء من المخالفة؛ لأن المشركين يحتجون بالقدر على المعاصي فيقولون: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ [1] ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ [2] ﴿ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ ﴾ [3] .

فأنكر الله تعالى عليهم هذا الاحتجاج، ومع ذلك يقول: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [4] ويقول: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [5] ويقول: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ ﴾ [6] فكل ذلك دليل على أنهم لا يخرجون عن مشيئته، ولا عن إرادته.

ثم ذكر العلماء أن الإرادة في كتاب الله على نوعين: إرادة قدرية، وإرادة شرعية، وأن الإرادة القدرية: هي التي يلزم وقوع المراد بها، ولكن قد يكون المراد بها محبوبا، وقد يكون غير محبوب.

- 1سورة الأنعام آية : ١٤٨.
- 2سورة النحل آية : ٣٥.
- 3سورة يس آية : ٤٧.
- 4سورة الأنعام آية : ١٤٩.
- 5سورة الشعراء آية : ٤.
- 6سورة يونس آية : ٩٩.

فنقول: كل ما يحصل في الوجود فإنه مراد لله ، كونا وقدرا، الطاعات والمعاصي والخلق والرزق والتدبيرات كلها، والحوادث التي تحدث في الدنيا كلها قد أرادها الله كونا وقدرا، ولو شاء لم تحصل؛ ولهذا قال في عمل السحرة: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (1) يعني بإذن الله الكوني القدري ليس الديني الشرعي؛ لأن الله تعالى حرم عمل السحر، وتوعد عليه، ومع ذلك السحرة لا يفعلون شيئا من قبل أنفسهم، ولو أضروا من أضروا، وحصل من الإضرار ما يحصل به، فإن ذلك مراد لله لا يخرج عن إرادته.

فنقول: لا يحصل قتل في الدنيا إلا بإرادة الله الكونية، ولا يحصل معصية من زنى، أو سرقة، أو أكل مال حرام، أو كسب حرام، لا يحصل شيء إلا وقد أراد الله وجوده إرادة كونية قدرية.

ولكن لا يلزم أن يكون محبوبا لله تعالى، وكذلك كل ما يحصل في الوجود، من تعبيراتهم أن يقولوا: لا يكون في الوجود إلا ما يريد، يعني إرادة كونية قدرية، يعني قدر الله أنه سيحصل كذا وكذا، وكل ما قدره كونا فإنه ولا بد حاصل، وهو مراد لله كونا وقدرا.

أما الإرادة الدينية الشرعية: فهي التي تستلزم محبة المراد، ولكن لا تستلزم وقوعه. فنقول: الله أراد من الخلق كلهم أن يسلموا، فهل أسلموا كلهم؟ أسلم من هداه الله وسدده، ولم يسلم من خذله وحرمه، الله أراد من الجميع أن يدخلوا في الإسلام، هذه إرادة دينية شرعية، لكن المراد دينا وشرعا محبوب إلى الله.

فنقول: الله يريد منا الإسلام ويحبه، الله يريد منا الصلاة ويحبها، الله يريد منا أن نذكره ويحب ذلك، ويريد منا أن نتلوا كتابه ويحب ذلك، ويريد منا أن نطيعه ونطيع رسله ونتبعهم، ويريد منا أن نؤمن به ونؤمن برسله، ويريد منا أن نذكره ونسبحه وندعوه ونخلص له الدين وحده، ويريد منا أن نتصدق، ويريد منا أن نزكي، ويريد منا أن نصوم، وأن نجاهد، وأن نصبر، وأن نصدق، ونحو ذلك.

يريد ذلك منا إرادة دينية شرعية، يريدها من الجميع، ولكن قد تحصل من هذا ولا تحصل من هذا، مع أنه أراد من الجميع أن يكونوا صادقين، وأن يكونوا صابرين، وأن يكونوا قانتين ومخبتين ومنيبين

- 1سورة البقرة آية : ١٠٢.

وتائبين وعابدين، يريد منهم ذلك كلهم، ولكن منهم من تتحقق منه هذه الإرادة، فتجتمع فيه الإرادتان: الدينية والكونية، الدينية الشرعية، والكونية القدرية.

فنقول مثلا: إيمانك أيها العبد الصالح، وصلواتك، وعبادتك التي حصلت اجتمعت فيها الإرادتان: الإدارة الدينية، والإرادة الكونية، مثلا كفر هذا الكافر ومعصيته انفردت فيه الإرادة الكونية، وإيمان الكافر وطاعته انفردت فيه الإرادة الدينية، و لم تحصل له الإرادة الكونية، لو أراد الله إيمان الكافر كونا وقدرا لحصل، لكنه أراده دينا وشرعا، و لم يرده كونا وقدرا، فنتفطن للفرق بين الإرادتين، هذا المراد بأفعال العباد.

والآن نبدأ في القراءة، اقرأ يا هشام.

مسألة الترول ورؤية المؤمنين ربهم في الآخرة

قال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي –رحمه الله تعالى– في بيان اعتقاد أهل السنة:

وإنه ﷻ يترل إلى السماء على ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ بلا اعتقاد كيف فيه، ويعتقدون جواز الرؤية من العباد المتقين لله ﷻ في القيامة دون الدنيا، ووجوبها لمن جعل الله ذلك ثوابا له في الآخرة، كما قال: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [1] وقال في الكفار: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [2] .

فلو كان المؤمنون كلهم والكافرون كلهم لا يرونه كانوا بأجمعهم عنه محجوبين، وذلك من غير اعتقاد التجسيم في الله ﷻ ولا التحديد له، ولكن يرونه –جل وعز– بأعينهم على ما يشاءوه و بلا كيف

- ١سورة القيامة آية : ٢٢-٢٣.
- ٢سورة المطففين آية : ١٥.

مسألة النزول من الصفات الفعلية التي يفعلها الله تعالى إذا يشاء، ومثلها مسألة المجيء والإتيان، قد دل القرآن على الإتيان والمجيء، قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ (1) وقال في سورة الأنعام: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ (2) وقال في سورة الفجر: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ (3) هذا في المجيء.

وحدد بأنه في يوم القيامة؛ لأنه قال قبل ذلك: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ﴾ (4) كل ذلك في يوم القيامة.

وردت الأحاديث في مجيء الله تعالى كما يشاء في يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، وكذلك أيضا تكاثرت الأدلة، واتفق عليها سلف الأمة في إثبات هذه الصفة، ولما كان هذا المجيء الذي أثبته الله، وكذلك النزول في الأحاديث، مخالفا لما يعتقده المعتزلة ونحوهم، أنكروا هذه الصفات.

فقرأت في بعض التفاسير لبعض الأشاعرة، لما أتى على الآية في سورة البقرة قال: "وأما إتيان الله، فقد أجمع المسلمون على أن الله منزه عن المجيء والذهاب؛ لأن هذا من شأن المحدثات والمركبات".

ثم ذكر أن في هذه الآية قولين: القول الأول: قول السلف، وهو إمرارها وتفويضها وعدم الخوض فيها، يزعم أن هذا قول السلف، مع أن السلف قد صرحوا بالإيمان بما في هذه الصفات والاعتراف بمعانيها.

والقول الثاني: زعم هو تحريفها الذي يسمى تأويلا، وقد تسلطوا على هذه الآيات، سلطوا عليها التأويلات، وتكلفوا في صرفها، فآية سورة البقرة ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ

- 1سورة البقرة آية : ٢١٠.
- 2سورة الأنعام آية : ١٥٨.
- 3سورة الفجر آية : ٢٢.
- 4سورة الفجر آية : ٢٢-٢٣.

ﭐلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ ﴾ (١) لا شك أن هذا عند قيام الساعة يعني أن يأتيهم الله تعالى لفصل القضاء بينهم، ولعقاب من يعاقب.

المتأولون قالوا: المجيء هنا لأمر الله ﴿ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢) يعني أمر الله، أو قالوا: المجيء المأتي به محذوف، تقديره: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بعذاب في ظلل من الغمام، أو أن يأتيهم عذاب الله في ظلل من الغمام.

قرأنا في كتب التفسير عن بعض السلف أنهم قالوا: تأتي الملائكة في ظلل أو كالظلل من الغمام، ويأتي الله فيما يشاء، هكذا مذكور في تفسير ابن جرير وفي غيره من تفاسير السلف، يأتي الله فيما يشاء، اعتراف بأن الله تعالى يأتي كما يشاء.

وتأويلهم أيضا لآية الأنعام: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ ﴾ (٣) فالإتيان هنا لثلاثة أشياء: الملائكة، والرب، وآيات الرب، فتسلطوا على ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ ﴾ (٤) فقالوا: أمره.

ولا شك أن ذلك يتعارض مع الجملة التي بعدها ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ ﴾ (٥) ؛ لأن هذه تغني عن قوله: ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ ﴾ (٦) إذا قالوا: ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ ﴾ (٧) يعني أمره، أو يأتي بعض آياته من أمره، فيكون هذا تكرار، فيكون غير مستساغ، يتره كلام الله تعالى على أن يكون فيه هذا التكرار الذي لا فائدة فيه، فلا بد أن يكون الأمر في كل حين، أمر الله تعالى يأتي في كل حين.

- ١سورة البقرة آية : ٢١٠.
- ٢سورة البقرة آية : ٢١٠.
- ٣سورة الأنعام آية : ١٥٨.
- ٤سورة الأنعام آية : ١٥٨.
- ٥سورة الأنعام آية : ١٥٨.
- ٦سورة النحل آية : ٣٣.
- ٧سورة الأنعام آية : ١٥٨.

وهذه الآية فيها تخويف لهم أن يأتيهم أمر الله تعالى، وأن يأتيهم الله، وأن تأتيهم بعض آياته، وأن تأتيهم الملائكة ونحو ذلك، وكذلك قوله في سورة الفجر: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ [1] لا شك أيضا أنها صريحة في إثبات مجيء الله كما يشاء ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ ﴾ [2] يعني وجاء الملك ، يعني: جنس الملائكة، ﴿ صَفًّا ﴾ [3] يعني: صفوفا متتابعة صفا وراء صف، فهذه أدلة من القرآن.

وقد ذكرنا أن الأشاعرة وكذلك المعتزلة سلطوا عليها التأويلات؛ لأنهم ينكرون هذه الأشياء، ينكرون صفات الأفعال، ويقولون: إن هذا من شأن المحدثات والمركبات، يعني المجيء والذهاب من شأن المحدثات والمركبات، ولا ندري ماذا يريدون بالمحدثات؟

معلوم أن إتيان كل شيء أو مجيء كل شيء بحسبه، فلا يجوز أن نحكم فيها الآراء، وأن نسلط عليها التقديرات، وأن نتخرص فيها تخرصا لا موقع له، ولا مستند له، بل نعترف ونتحقق بأن كل ما ذكره الله عن نفسه فإنه حق ويقين، فنقول: يأتي الله تعالى لفصل القضاء بين عباده، ولكن لا ندري ما كيفية إتيانه، كما أننا لا نكيف ذاته.

وأما النزول فهو وارد في الأحاديث مشهور، ذكر ابن كثير وغيره أنه مروي عن عشرة من الصحابة، وقد يكونون أكثر من العشرة، حديث النزول بلفظ ﴿ يترل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة ﴾ وبلفظ ﴿ إذا كان في آخر الليل ﴾ أو ﴿ إذا كان في نصف الليل ﴾ أو ﴿ في ثلث الليل هبط ربنا إلى سماء الدنيا ﴾ أو ما أشبه ذلك من العبارات ومن الألفاظ.

وقد أورد الأحاديث ابن القيم -رحمه الله- في كتابه "الصواعق"، استوفى ما ورد فيها، يعني مع الاقتصار على البعض لا الكل، وتبعه الحافظ الحكمي في "معارج القبول" فأورد الأحاديث التي وردت

- 1سورة الفجر آية : ٢٢.
- 2سورة الفجر آية : ٢٢.
- 3سورة الكهف آية : ٤٨.

في الترول في آخر الليل بلفظ "يترل" أو "نزل" أو "يهبط" أو "هبط" أو ما أشبه ذلك، أحاديث كثيرة يدل مجموعها على أنه يقين، وأنه مأثور عن النبي ﷺ وأنه حق ويقين.

ولما كان هذا مما يخالف معتقد المعتزلة والأشعرية ونحوهم الذين ينكرون صفات الأفعال، كثر خوضهم في ذلك، فقدروا فيه التقديرات، منهم من قال: يترل أمره، تفسيرا بالتحريف، ومنهم من قال: لا نقبل هذه الأحاديث ولو كانت صحيحة؛ لأنها تخالف المعقول، عقولنا تتره الله عن مثل هذه التقديرات. فردوها وسلطوا عليها التأويلات، أو كذبوا بها، ولما اشتهر ذلك عندهم صرح أهل السنة بمدلولها، وقالوا: نقول بها؛ لأنا إذا رددناها لزمنا أن نرد شطر الدين.

الذين جاءوا بهذه الأحاديث هم الذين جاءوا بأحاديث الصلاة، وبأحاديث الصوم، وبأحاديث الصدقات، وبأحاديث الجهاد، وبأحاديث المحرمات، وبأحاديث المحللات، هم الذين جاءوا بها، فكيف نرد أقوالهم، أو حديثهم، ونقبل حديثهم؟ لا شك أن في هذا طعن فيهم أنهم ليسوا بثقات، حيث إنه رد قولهم، فإما أن نقبل أقوالهم كلها، وإما أن نردها كلها.

ولهذا يقول الكلوزاني في عقيدته:

قالوا: الترول, فقلت: ناقله لنا ... قوم هم نقلوا شريعة أحمد

قالوا: فكيف نزوله؟ فأجبتهم: ... لم ينقل التكييف لي في مسند

وهكذا أخبر بأنه ناقله.. مَن نقل الشريعة؟ الذين نقلوا الشريعة هم الذين نقلوا الترول، وأننا نقبله، ولا نكيفه "لم ينقل التكييف لي في مسند".

وهذا ما ذكره الإسماعيلي: "يترل إلى السماء الدنيا على ما صح به الخبر بلا اعتقاد كيف"، يعني لا نكيف الترول؛ وذلك لأن الذين أنكروا ذلك أخذوا يكيفون كيف يترل؟ هل يخلو منه العرش؟ هل يترل

بعرشه؟ هل تكون السماوات فوقه؟ هل تكون السماوات تحته؟ هل يحصل كذا وكذا؟ لا دخل لنا في ذلك، يترل كما يشاء، ونؤمن بذلك، ونعرف أن الترول حق، واستدلوا به على صفة العلو.

وذكر ذلك ابن عبد البر في "التمهيد" وقال: "هذا دليل على إثبات صفة العلو لله؛ لأن الترول لا يكون إلا من أعلى"، ورفع إلى شيخ الإسلام ابن تيمية سؤال عن هذا الترول، فأنكره أحد السائلين، وادعى أن الليل يختلف باختلاف البلاد، فإذا كان الليل عندنا كان النهار في البلاد الأخرى، وإذا كان الليل في البلاد الأخرى كان النهار عندنا، فيقول: على هذا يستلزم أن يكون الترول دائما، أن الله تعالى دائما يترل؟

أجاب على هذا السؤال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- مطبوع الرسالة التي بعنوان "شرح حديث الترول"، فأولا: توسع في أحاديث الترول، وفي أدلتها، وفي ألفاظها، ثم بين حقيقة الترول وتوقف عن الكيفية، ثم أجاب عما ذكره من أن الليل يختلف باختلاف البلاد، اعترف بذلك وقال: نحن نقول: يترل، ولا يشغله شأن عن شأن، فإذا نزل على هؤلاء فلا يشغله شأنه ألا يترل على الآخرين، ثم يترل على الآخرين كما يشاء، فالحاصل أنه لا مانع من أن يترل على كل قوم في ثلث ليلهم الأخير كما يشاء، هذا جواب.

وجواب ثانٍ يمكن أن يخص الترول بالجزيرة التي نزل فيها الوحي، والتي هي منبع الرسالة أن يكون الترول خاصا بهم، وأن أولئك إذا نزل في هذا الوقت فلهم أن يجتهدوا في ذلك الوقت، ولو كان عندهم نهارا. فهذا ونحوه قول أهل السنة في إثبات هذه الصفة، وأنها من صفات الأفعال.

الصفة الثانية: فقرة: خمسة عشر قوله: يعتقدون جواز الرؤية من العباد المتقين لله ﷻ في القيامة دون الدنيا، ووجوبها لمن جعل الله ذلك ثوابا له في الآخرة .

فرق في أول الأمر بقوله: جواز الرؤية، ثم بعد ذلك قال: ووجوبها، يعتقدون الجواز ويعتقدون الوجوب، الوجوب: هو أن الله تعالى وعد المتقين بأنهم يلقون ربهم، وبأنه يرونهم، ويكون ذلك من ثوابهم، ولا بد أن يحصل ذلك كما أخبر الله به، وكما أخبر به النبي ﷺ .

مسألة الرؤية هي أيضا من المسائل التي عظم فيها الخلاف، فأنكرها المعتزلة إنكارا بليغا، وشددوا في إنكارها، وقالوا: أولا: إنها تستلزم المقابلة، وثانيا: إنها تستلزم الجهة، وثالثا: إنها تستلزم التجسيم -على حد تعبيرهم-، وغير ذلك من التقديرات؛ فلذلك أنكروها، وهذا مبني على معتقدهم.

معتقدهم الضال الذي يدينون به أن الله تعالى ليس في جهة، لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار ولا أمام ولا خلف، ومعتقدهم أيضا أن الله ليس بعرض ولا بجوهر، وإذا نظرنا في معتقدهم في ذات الله تعالى، وإذا حقيقة قولهم أنهم لا يثبتون ذاته، فلا جرم كان قوله في هذا الباب مبني على عقيدتهم، وهي اعتقاد أن الله ليس في جهة، فإن لم يكن في جهة، فكيف يتمثل أمام الرائيين؟ الرؤية لا بد أن تكون أمام الرائي، وأن تكون عن مقابلة وعن نظر، فأنكروها إنكارا بليغا.

ثم جاء الأشاعرة، وهم أكثر وجودا، وأشد تكاثرا في البلاد، ومذهبهم هو المذهب المنتشر والمتمكن في كثير من البلاد الإسلامية، مذهب الأشاعرة.

ولما كان أكثرهم على مذهب الشافعي في الفقه والأحكام، وكان الشافعي -رحمه الله- يصرح بإثبات الرؤية لله تعالى، ويستدل بقوله للكفار: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [1] ويقول: إن هذا من عقيدة المسلمين، لم يتجرئوا على إنكار الرؤية إنكارا واضحا، بل أقروا بها إقرارا ظاهرا.

ولكن في الحقيقة أنهم لا يثبتونها، فيقولون: نثبت رؤية الله، ولكن الرؤية التي نثبتها هي مكاشفات للقلوب، وتخيلات ليست حقيقة، فينكرون أن تكون الأحداق تقابل ذات الرب تعالى، يقولون: ليس المراد من إثبات الرؤية تقليب الأحداق نحو ذات الرب تعالى، فإن هذا محال في زعمهم؛ لأنه يستلزم إثبات الجهة، هذا هو معتقدهم.

فنقول: نحن نثبت رؤية حقيقية، ونثبت أن الله تعالى في جهة العلو فوق عباده، ونثبت أنه يتجلى لعباده كما يشاء، كما أننا وأنتم نثبت لله تعالى ذاتا حقيقية، وإذا كان كذلك فلا بد أن تكون الذات

- 1سورة المطففين آية : ١٥.

ترى، يراها عباده كما يشاء، ويتجلى لعباده، وكما أنه تعالى يتكلم ويسمع كلامه، فلا بد أيضا أن يكون يرى كما يشاء، ويتجلى لعباده. هذا هو القول الذي تؤيده الأدلة.

وقد استدل على ذلك بأن موسى -عليه السلام- سأل الرؤية بقوله: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ [1] ولا بد أن موسى عالم بأنه يمكن أن يرى ربه، ولكن الله تعالى أخبر موسى بأنه لا يستطيع أن يتماثل، وأن يثبت أمام عظمة الرب تعالى؛ ولهذا قال: ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ ﴾ [2] .

يقول أهل السنة: إن الله تعالى علق رؤيته على ثبات الجبل واستقراره، ولا شك أنه ممكن، والتعليق على الممكن ممكن.

وأيضا فإن الله تجلى للجبل، والجبل جماد، فإذا جاز أن يتجلى للجبل فكيف لا يتجلى لعباده؟! ولكن عباده في الدنيا خلقتهم ضعيفة، لا يمثلون، ولا يثبتون أمام رؤية الله تعالى الذي هذه عظمته؛ لأنه ورد في الحديث: ﴿ حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه من انتهى إليه بصره من خلقه ﴾ .

فقد أخبر في هذا الحديث بأنه احتجب بالنور، وأن هذا النور لو كشفه لاحترق ما انتهى إليه من الخلق، من جماد، أو من حيوان، أو نحو ذلك، فإذا كان في يوم القيامة أمد عباده المؤمنين في الجنة بقوة في أجسادهم وفي أنظارهم، يثبتون لرؤية الله إذا تجلى لهم، ويكون ذلك من أعظم ثوابهم وأجرهم عند ربهم، نعتقد أن رؤية الله تعالى في الآخرة ممكنة، وأنها واقعة في الجنة.

ورد في حديث الشفاعة أن الله تعالى يترل لفصل القضاء بين عباده كما يشاء، وأنه يقول: ﴿ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الرب تعالى، فيقول: ماذا تنتظرون؟ فيقولون: فارقنا الناس أحوج ما كنا إليهم، فلا نزال ها هنا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فعند

- [1] سورة الأعراف آية : ١٤٣.
- [2] سورة الأعراف آية : ١٤٣.

ذلك يكشف عن ساق، فيسجد من كان يسجد لله تعالى في الدنيا اختيارا، ويتعذر السجود على من كان لا يسجد في الدنيا، فذلك معنى قوله: ﴿ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [1] .

فالحاصل أنه في هذا دليل على أنه يجلى لعباده في يوم القيامة ويرونه ويعرفونه، هذا في يوم القيامة، وأما في الجنة فالأحاديث صريحة في إثبات أن الله تعالى يتجلى لعباده، وأنهم يزورون ربهم، إما في كل أسبوع، وإما في كل يوم مرة أو مرتين.

وفسر قول الله تعالى: ﴿ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ ﴾ [2] قالوا: ليس في الجنة شمس، ولا ليل، ولا نهار، بل كل وقتها النهار أو ضياء؛ ولذلك فلا بد أن يكون قوله: ﴿ بُكۡرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾ [3] أن يكون له معنى، ففسر بأن هذا أن ثوابهم الذي منه رؤية الله تعالى يكون بمقدار الغدو في الدنيا، والعشي فيها، بكرة وعشيا.

ويدل أيضا على ذلك حديث جرير، والذي في الصحيحين، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ

« إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، فإن استطعتم على ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا » .

ويريد بهاتين الصلاتين العصر والفجر. فقيل: الحكمة في ذلك أن الذين يواظبون على هذه الصلوات يكون من ثوابهم أن الله تعالى يتجلى لهم ويرونه بكرة وعشيا، أي في وقت صلاة العصر، وفي وقت صلاة الفجر، هؤلاء هم أعظم ثوابا، أعظم أهل الجنة ثوابا.

- ١سورة القلم آية : ٤٢.
- ٢سورة مريم آية : ٦٢.
- ٣سورة مريم آية : ١١.

وأما البقية من أهل الجنة فإنهم يرون ربهم في مقدار يوم الجمعة، ويسمى يوم المزيد، وبذلك فسر قوله تعالى: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (1) أن المزيد هو النظر إلى رؤية الله تعالى، وأن ذلك يكون بمقدار يوم الجمعة، أي بعدما يمضي عليهم قدر سبعة أيام، ففي يوم الجمعة يزورون ربهم.

ورد في الأحاديث ﴿ أنهم ينصب لهم منابر من نور، ومنابر يعني: كراس، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم -وما فيهم دني- على كثب من اللؤلؤ، لا يرون أن أهل المنابر أفضل منهم، لا يحصيهم إلا الله تعالى، يجلسون كما يشاء، ثم يتجلى لهم، فإذا تجلى لهم الرب تعالى لم يلتفتوا إلى غيره، ما داموا مقابلين له، ولا يصدون عنه، ويخاطبهم ويخاطبونه كما يشاءوا.

ولا يزالون كذلك حتى يحتجب عنهم، فإذا رجعوا إلى أهليهم وزوجاتهم من الحور العين، قالوا: لقد ازددتم بعدنا نعيما، فيقولون: وكيف لا، وقد لقينا ربنا، أو رأينا ربنا؟ ﴾ .

وفسر بذلك قول الله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ (2) يعني أن الزيادة فسرت بأنها النظر إلى الله تعالى، ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ ﴾ (3) يعني: الجنة، ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ (4) يعني: النظر إلى وجه الله تعالى.

وفسرها بذلك كثير من السلف، وروي ذلك مرفوعا، وفسرها بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه وغيرهم.

ثم قال: ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ ﴾ (5) يعني وما كان نظره إلى ربهم فلا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة، القتر: هو الغبرة التي تكون على الوجوه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ ﴾ (6) .

- 1سورة ق آية : 35.
- 2سورة يونس آية : 26.
- 3سورة يونس آية : 26.
- 4سورة يونس آية : 26.
- 5سورة يونس آية : 26.
- 6سورة يونس آية : 26.

فالحاصل أن هذا من أكمل وأشرف نعيم أهل الجنة. الذين أنكروا ذلك كأنهم حرموا أنفسهم، الذين أنكروا هذه الرؤية قد حرموا أنفسهم أعظم لذة، وأعظم نعيم يتنعم به أهل الجنة، وادعوا أن ذلك يكون تنقصا لله تعالى، وأنه وصف له بوصف الحوادث، أو بوصف المركبات، أوما أشبه ذلك.

فالحاصل أنا نؤمن بجواز الرؤية من العباد لله تعالى في يوم القيامة، يرونه إذا نزل لفصل القضاء، ووجوبها لمن جعل الله ذلك لهم ثوابا في الآخرة، حيث إن ذلك من نعيم أهل الجنة، واستدل بهاتين الآيتين قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (1) .

اللفظة الأولى كتبت بالضاد "ناضرة"، وهو النضارة التي هي البهاء والسرور، يعني: وجوه يومئذ عليها هذه النضارة التي هي البهاء والسرور، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ ﴾ (2)

أي: بهاء وزينة وجمالا، لماذا؟ لأن تلك الوجوه نظرت إلى ربها، فازدادت نضارة، وازدادت حسنا؛ ولهذا قال: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (3) تلك الوجوه تنظر إلى ربها ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (4) الأخيرة كتبت بالظاء أخت الطاء من النظر الذي هو المعاينة، أي تنظر إلى ربها، فهي دليل واضح.

الله تعالى ذكر الوجوه؛ لأن أثر النضارة يظهر على الوجه، إشراق الوجه وسروره، إذا لقي ما يسره أشرق الوجه وأبشر، والأعين بلا شك أنها في الوجه، النظر في الوجه، يعني بالوجه حقا، وصف الله تعالى وجوههم بأنها ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (5) .

ثم استدل أيضا بالآية الأخرى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (6) وعيد للكفار أنهم يوم القيامة في النار محجوبون عن ربهم، والحجاب عذاب لهم، ولا شك أن هذا دليل على أن

- 1سورة القيامة آية : ٢٢-٢٣.
- 2سورة الإنسان آية : ١١.
- 3سورة القيامة آية : ٢٣.
- 4سورة القيامة آية : ٢٣.
- 5سورة القيامة آية : ٢٢.
- 6سورة المطففين آية : ١٥.

المؤمنين ليسوا بمحجوبين، فلو كانوا لا يرون الله تعالى لكان كل الخلق محجوبين عن ربهم، فلما حجب الكفار لكونه غضب عليهم، دل على أن المؤمنين لا يحجبون عنه لكونه رضي عنهم.

يقول: فلو كان المؤمنون كلهم والكافرون كلهم لا يرونه، كان جميعهم عنه محجوبين

هذا هو اعتقاد أهل السنة. هذه الآية أول من استدل بها الإمام الشافعي قال: إذا حجب الله تعالى الكفار في حال الرضا دل على أنه لا يحجب المؤمنين في حال الرضا، حجب الكفار؛ لأنه سخط عليهم، فلا يحجب المؤمنين؛ لأنه رضي عنهم.

ثم يقول: وذلك من غير اعتقاد التجسيم في الله ﷻ ولا التحديد له، ولكن يرونه -جل وعلا- بأعينهم على ما يشاء هو، بلا كيف .

كلمة "التجسيم" من الألفاظ المبتدعة التي لم ترد في الشرع، لا إثباتا ولا نفيا، وكان الأولى بالمؤلف ألا يذكرها؛ لأنها من جملة ما يحتجون به، حيث إنهم يقولون: إن الله تعالى ليس بجسم، وإذا لم يكن جسما فكيف يرى، ويقولون: إن إثبات الرؤية يلزم منه أن يكون جسما.

ويقسمون الموجودات إلى أنها، إما جواهر، وإما أعراض، والعرض: هو ما ليس له جرم، والجسم: ما له جرم ونحو ذلك. والصحيح أن كلمة التجسيم لا يجوز استعمالها، فمن قال: إن الله جسم، فهو مبتدع، ومن قال: إن الله ليس بجسم، فهو مبتدع.

يقول المعلق هنا: التجسيم من الألفاظ المجملة المحدثة التي أحدثها أهل الكلام، لم ترد في الكتاب والسنة، ولم تعرف عن أحد من الصحابة والتابعين وأئمة الدين، وما كان أغنى الإمام المصنف -رحمه الله- عن مثل هذه الكلمة المبتدعة؛ لذلك لأجل إطلاقها لا نفيا ولا إثباتا، فإن الله لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله نفيًا أو إثباتًا.

ينكر على من استعمل لفظة "التجسيم" إثباتًا أو نفيًا، تكلم على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في "المنهاج"، وفي غير ذلك من كتبه، وأنكر على من استعملوا هذه الكلمات، ولما جادله بعضهم -بعض الأشاعرة-، وصار يثبت هذه الصفات، قالوا له: يلزمك إذا قلت مثلا: إن الله يسمع، لا كسمع

المخلوق، وإن لله حياة لا كحياة المخلوقين، وإن لله علما، لا كعلم المخلوقين، وإن لله وجها، لا كوجوه المخلوقين، فيلزمك أن تقول: إن لله جسما، لا كأجسام المخلوقين.

فاعترض على ذلك وقال: لفظة "التجسيم" ليس لها دليل، ليس عليها دليل في الكتاب ولا في السنة؛ فلأجل ذلك ننكرها ولا نقول: إن الله جسم، ولا إنه غير جسم، كما لا نقول: عرض ولا غير عرض، كما لا نقول: جوهر ولا غير جوهر.

وكذلك كلمة "التحديد"، "التحديد" من العلماء من أطلقه وقال: إن لله تعالى حدا، ومنهم من قال: ليس لله حد، والأولى التوقف في الأشياء التي لم يرد عليها دليل، والذين قالوا أو أثبتوا الحد لله ، أرادوا بذلك الرد على من ادعى أن الله تعالى في كل مكان، وقالوا: ليس لله حد ولا منتهى.

فمن أجل أن يبطلوا قول هؤلاء الملاحدة الذين يدعون أو يصفون الله تعالى بأنه في كل مكان، أو بأنه عين وجود الموجودات، صرح أهل السنة أو بعضهم بأن الله تعالى له حد، يعني له منتهى، ولكن الكلمات التي لم يرد عليها دليل، الأولى عدم إطلاقها، وبكل حال فهذه المسائل، يعني مسألة النزول، ومسألة الرؤية، من المسائل الاعتقادية التي يدين بها أهل السنة، ويعتقدون أنها حق على الحقيقة، وإن لم يكيفوها. يتوقفون عن التكييف، ويثبتون المعاني، ويثبتون الدلالات، وإلى هنا نقف، والله أعلم.

ـ الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

س: هذا سائل يقول: هل رأى الرسول ﷺ ربه أم لم يره؟

ج: هذه من المسائل التي اختلف فيها السلف، فروي عن ابن عباس إثبات الرؤية، والرؤية عن عائشة إنكارها، حتى أنكرتها بشدة، ولما سألها بعض التابعين: هل رأى محمد ربه؟ قالت: لقد قف شعري مما قلت، ثم ذكرت أنه ما رأى ربه في الدنيا.

ثم استدل عليها بآية في سورة النجم: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [1] وآية في سورة التكوير: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [2] فذكرت أنها سألت النبي ﷺ فقال: ﴿ رأيت جبريل في صورته التي خلق عليها مرتين ﴾ .

فالضمير في ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [3] يعود إلى الملَك، ملك الوحي. وهذا هو القول الصحيح، أنه ما رآه في الدنيا؛ وذلك لأن الله تعالى منع موسى من الرؤية، وأخبر بأنه لا يثبت أمام رؤيته، كما لم يثبت الجبل، وأن خلقة الإنسان في الدنيا لا تمكنه من الثبوت لجلال الله تعالى وعظمته.

ورد أيضا في صحيح مسلم حديث أبي ذر: ﴿ سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: نور أنى أراه ﴾ وفي رواية: ﴿ رأيت نورا ﴾ فأثبت أن هناك نورا يمنع من أن يتمثل أمام هذا النور، وقد ذكرنا قوله -عليه السلام-: ﴿ حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ﴾ .

فالحاصل أن الراجح أنه ما رأى ربه، والأحاديث التي فيها أنه رآه محمولة على أنها رؤيا منامية، والرؤيا المنامية لا تدل على أنها رؤيا حقيقية.

س: وهذا يقول: هل من الممكن رؤية الله في المنام؟ وهل ثبت أن أحد السلف رأى الله؟

ج: نعم الرؤية في المنام واقعة، والنبي ﷺ أخبر بقوله: ﴿ رأيت ربي في أحسن صورة ﴾ وذكر أنه: ﴿ وضع يده على صدري، حتى وجدت برد أنامله في صدري ﴾ وهذا تمثيل، يعني الرؤيا المنامية إنما هي خيال، ولا يلزم منها أن يكون ذلك الذي رئي مشابها لله تعالى، فالإنسان يتخيل أنه رأى في المنام ربه، وأنه تخيل له بكذا وكذا، ولكن لا يلزم أن يكون الرب مماثلا لتلك الرؤيا، أو لذلك الشيء الذي تمثل أمام ذلك الرائي.

- [1] سورة النجم آية : ١٣.
- [2] سورة التكوير آية : ٢٣.
- [3] سورة التكوير آية : ٢٣.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، يستدل منكرو الرؤية بهذا الحديث: ﴿ جنتان من فضة ﴾ إلى أن قال: ﴿ ما بين القوم وبين أن يروا ربهم إلا حجاب الكبرياء على وجهه ﴾ ؟

ج: الحديث صحيح، وهو قوله ﷺ ﴿ جنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ﴾ .

نعم "رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن"، ما بينهم وبين أن ينظروا إليه إلا هذا الرداء، ولكن لا شك أنه يكشف هذا الرداء إذا شاء لعباده، فيتجلى لهم كما يشاء، فينظرون إليه. وقد ورد في الأحاديث أنه يتجلى لهم، وأنه يكشف عنه الحجب، فهذا -لا شك- دليل واضح في أنه يتجلى لهم، وأن هذا الحجاب الذي هو رداء الكبرياء يكشفه إذا شاء.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، ذكرتم -حفظكم الله- في الحديث أن: ﴿ أهل الجنة يرون الله تعالى، ثم يرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا جمالا ﴾ فهل معنى هذا أن أهليهم لا يرون الله تعالى؟ وهل يعني هذا أن الرؤية خاصة بالرجال دون النساء؟

ج: قد اختلف في ذلك، والحديث ورد في ذكر الحور العين اللاتي خلقن في الجنة، ولكن نساء الجنة لهن أيضا حظ من النعيم، فلا بد أن يكون لهن رؤية كما يشاء الله، وإن لم تكن محددة، وبكل حال أهل الجنة رجالهم ونسائهم، لا بد أنهم يتنعمون بما يكون لذة لهم كما يشاء الله.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (1) وبين قول الرسول ﷺ ﴿ ما منكم إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان ﴾ ؟

ج: الخطاب للمؤمنين، يعني أخبر أنكم -أيها المؤمنون- الذين يخاطبهم، سيحاسبكم ربكم ويكلمكم، ولا يحتجب عنكم ويكلمكم. فإما أن يكون المراد أنه قد يخاطب العباد ويكلمهم دون أن يحتاج إلى مترجم يترجم كلامه، بل يكلمهم بما يفهمونه، وإما أنه يكلم كلا منهم، فإن كان عاما، يعني: ما منكم من أحد -أيها الخلق- إلا سيكلمه، فلا يلزم أن يكون متجليا له، بل يكلمهم ولو كان

- 1سورة المطففين آية : 15.

محتجبا عنهم، وإن كان الخطاب للمؤمنين فلا يبعد أنه يكشف الحجاب عنهم، ويخاطبهم، ويراهم، ويرونه كما يشاء.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، إني -ولله الحمد- متزوج، ورزقت بمولودة، وشاء الله أن تموت بعد ولادتها بيوم واحد، فهل تدخل تحت حديث الرسول ﷺ ﴿ من مات له ثلاثة ولد كانوا له حجابا عن النار، قلنا: واثنان يا رسول الله؟ قال: واثنان، ولو قلنا: واحد؟ لقال: واحد ﴾ أو كما قال ﷺ فهل يدخل ذلك في هذا الحديث؟

ج: لا شك -إن شاء الله- أن من مات له ولد أو أولاد، ذكورا أو إناثا، أن الله تعالى يجزيه على صبره، وعلى احتسابه، حيث إن الله ركز حب الولد ذكورا وإناثا في قلوب الأبوين، فإذا مات وأحس بالمصيبة، وصبر واحتسب، أجره الله تعالى على قدر ما أصابه، ولو كان واحدا، لقوله في الحديث: ﴿ ثم لم نسأله على الواحد ﴾ فليصبر المصاب وليحتسب، ويجد أجر المصيبة عند الله تعالى.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، -حفظك الله- نحن أهل بلد يكثر فيه هذه الأيام بدعة الاحتفال بمولد رسول الله ﷺ وإلقاء قصائد مع ذلك، ونحن نعلم قبح هذا العمل، ولكن لا نستطيع فعل شيء، فما موقفنا من هذا؟ نرجو التوضيح، وجزاكم الله خيرا؟

ج: لا شك أنها بدعة منكرة، ابتدعت في القرن الرابع، والذين ابتدعوها هم الرافضة، ثم استمر العمل بها في الجهلة من غير الرافضة ممن يتسمون بالسنة؛ وسبب ذلك الجهل بالسنة الحقيقة، حتى استحسنها كثير ممن ينتمي إلى العلم، ولكن ذلك في القرون المتأخرة من القرن التاسع وما بعده تمكنت، ولا تزال متمكنة في كثير من البلاد.

يحتفلون في ليلة الثاني عشر من هذا الشهر، ويجتمعون ويقرءون سيرة الرسول، ويدعون أو يدعي بعضهم أنه يحضرهم، وأنه يسمع كلامهم، وأنه يقرهم على ذلك، ثم ربما فعلوا شيئا من المنكرات، كالاختلاط بين الرجال والنساء، وكذلك أيضا شيئا من الأشعار، والنظم الذي قد يكون فيه مبالغة في المدح، ومبالغة في الإطراء والغلو الذي نهى عنه النبي ﷺ .

ثم نقول: عليكم أن تنكروا على هؤلاء بحسب ما تستطيعون، فتسألوهم: هل هذا الاجتماع وإحياء هذه الليلة فعله رسول الله ﷺ أو لم يفعله؟ فلا بد أن يقولوا: ما فعله، هل فعله الخلفاء الراشدون الذين أمرنا بالاقتداء بهم؟ فلا بد أن يقولوا: ما فعلوه، هل فعله السلف الصالح في القرون المفضلة؟ فلا بد أن يقولوا: ما فعلوه، فإذن لا بد أن يكون بدعة، حيث إنه ما فعل إلا بعد القرون المفضلة.

ثم لا شك أنه ولو كان عملا صالحا، ولو كانوا مثلا يقرءون القرآن، ويقرءون السيرة النبوية، ويصلون على النبي ونحو ذلك، أنهم إما أن يقولوا: إنهم خير من السلف، أو إن السلف خير منهم، فإذا اعترفوا أن السلف خير منهم، فيقال: كيف فاتتهم هذه العبادة التي جئتم بها بعدهم بعدة قرون؟ لعلكم بذلك تخصمونهم.

وإذا لم تقدروا فعليكم أن تعتزلوهم لتلك الليلة، وتشتغلوا بشيء ينفعكم، إما بتعلم علم، أو نحو ذلك، أو تتفرقوا، وتتركوهم حتى يشعروا بذلك، ولعلكم أيضا تقرءون عليهم بعض ما كتب في هذه الليالي، في هذا الموضوع.

س: وهذا يقول: يا شيخ، هل يجوز دخول المقبرة بالنعال؟ وكيف نوفق بين ذلك وحديث: ﴿ إن الميت يسمع قرع نعالهم ﴾ ؟

ج: ورد فيه حديث بشير بن الخصاصية يقول: ﴿ إنه ﷺ رأى رجلا يمشي وعليه سبتيتان نوع من النعال فقال: يا صاحب السبتيتين اخلع سبتيتيك ﴾ رواه أبو داود وغيره.

استدل بهذا على أنه لا يجوز المشي بالنعال بين المقابر، ولكن يظهر أن تلك النعال لها خصوصية، النعال السبتية: نوع من النعال، وأنه ما أمره بخلعها إلا لشيء خاص، إما أن فيها نجاسة، وإما أنها صنعت من جلد ميتة، أو نحو ذلك.

فالحاصل أن هذا رأي أخذه بعض العلماء على ظاهره، فالأظهر أنه لا يدل على المنع، والدليل الحديث المشهور عن البراء في قوله ﷺ لما ذكر الميت وأنه يعذب أو ينعم، وأنه يأتيه الملكان ونحو ذلك.

قال: ﴿ فإذا انصرفوا عنه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان... ﴾ ذكر أنه يسمع قرع نعالهم، فدل على أنهم يلبسون النعال، ويقرون على ذلك، وهذا هو المشهور، أنه لا بأس بلبس النعال والأحذية، ما عدا الأحذية التي فيها نجاسة، أو ما أشبه ذلك مما يشبه السبتية.

س: وهذا يقول: ما حكم ذهاب المرأة لوحدها مع سائق أجنبي داخل المدينة؟ وما الحكم إذا كان عدد النساء اثنتين فما فوق؟ وما حكم ذهاب النساء إلى الحفلات والزواجات التي تقام في الفنادق؟ أرجو من فضيلتكم وضع ضوابط لهذا، وفقكم الله؟

ج: يكاد يستدعي هذا توسعا، ولكن نقول: إن على المرأة أن تتحفظ وتتثبت وتعمل بما أمرها الله، قال الله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [1] فلا تذهب إلا لأمر ضروري، فكونها مثلا تضطر وتذهب إلى الأسواق، إذا كان هناك ضرورة، و لم تجد من يقوم مقامها، ومن تبعثه لقضاء أو لشراء غرض تحتاجه، فلا بأس بدخولها الأسواق.

أما ركبوها مع السائق، فلا يجوز ذلك على الإطلاق؛ لحديث النهي عن الخلوة؛ لقوله ﷺ ﴿ لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما ﴾ فإن كان هناك ضرورة، كذهابها إلى المستشفى لمرض أو نحو ذلك، فيكون بقدر الحاجة.

والأولى أن تركب معها امرأة أخرى، ولو إحدى جيرانها، أو قريباتها إذا ذهبت إلى السوق، أو إذا ذهبت إلى المستشفى و لم تجد محرما، وكان ذلك ضرورة، أن تستصحب معها امرأة أخرى حتى لا يحصل الانفراد، ولا تحصل الخلوة التي قال: ﴿ إلا كان الشيطان ثالثهما ﴾ ؛ ولأنه إذا كانتا اثنتين أو ثلاثا كان ذلك أبعد عن الريبة، وعن التحدث مع السائق، أو تحدث السائق معها أو نحو ذلك.

وأما ذهابها إلى بيوت الحفلات فلا يجوز إذا كان فيها منكر، وأما إذا لم يكن فيها منكر، فلعل ذلك مباح وجائز، وهو مما اعتيد عليه. إذا كان بيوت الحفلات والأعراس ونحوها فيها اجتماع نساء، وليس

- ١سورة الأحزاب آية : ٣٣.

فيها رجال، والأغاني التي فيها ليست أغاني تشبيب ونحو ذلك، والطبول ليس فيها طبول، وإنما فيها الدف الذي أمروا بضربه، فلعل ذلك مما يتسامح فيه.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه

قرأنا مسألة رؤية المؤمنين لربهم في القيامة وفي الجنة، وهي من المسائل التي طال الجدال فيها والنزاع مع المعتزلة ومن على طريقتهم ؛ وذلك لأن سلف الأمة وأئمتها عملوا بالسنة وعملوا بالأحاديث التي ثبتت عندهم في رؤية الله تعالى في الدار الآخرة، واعتقدوا ذلك صحيحا واعتقدوه دينا ، واستدلوا عليه بالآيات وبالأحاديث الصريحة وبالنقول عن السلف الصالح، وذكروا ذلك في معتقداتهم، لا فرق بين كل سلفي، فذكره الإمام الشافعي واستدل بآية ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [1] وذكرها الإمام أحمد واستدل بقوله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [2] وبالأحاديث، وذكرها الطحاوي في عقيدته، والإسماعيلي في هذه العقيدة، والدارمي في مقدمة سننه ، والدارمي عثمان بن سعيد في رده على الجهمية وفي رده على المريسي، وأكثر أئمة السلف الذين لهم مؤلفات نصوا على الرؤية وأثبتوها، وخالفهم بذلك المعتزلة ومن على شاكلتهم.

وكان من جملة ما استدلوا به قول الله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [3] فيرددون هذه الآية أنها دليل على أنه لا يرى وقد استدل بها أهل السنة على أنه يرى ، حتى الأشاعرة جعلوها دليلا على إثبات الرؤية وقالوا: إن الإدراك شيء زائد على الرؤية ، لم يقل: لا تراه بل قال: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ﴾ [4] والإدراك: هو إدراك الماهية ليس هو الرؤية . ذكر عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية قال: ألست ترى القمر؟ قال: بلى ، قال: أكله ؟ قال:لا، قال: فذلك الإدراك، نحن نرى القمر ولكننا نرى ما يقابلنا

- ١سورة المطففين آية : ١٥.
- ٢سورة القيامة آية : ٢٣.
- ٣سورة الأنعام آية : ١٠٣.
- ٤سورة الأنعام آية : ١٠٣.

منه ، ونراه إذا صغيرا مع أنه كبير، ومع ذلك لا ندرك ماهيته، لا ندرك من أي شيء هو، هل هو -مثلا - تراب أو هو حجارة، لا ندري ماهيته فذلك هو الإدراك، والمعنى: أن الأبصار إذا رأته فإنها لا تحيط به. فالحاصل أن الآية دليل على إثبات الرؤية كأنه يقول: متى رأته الأبصار فإنها لا تحيط به، وذلك دليل على عظمته وكبريائه، فأصبحت الآية دليلا لأهل السنة لا دليلا عليهم.

وأكثر ما يتشبث به المعتزلة ونحوهم العقل ، حيث جعلوا العقل دليلا وقالوا: إن إثبات الرؤية يستلزم المقابلة، يستلزم تحديق الأبصار وتقليبها نحو الخالق، وذلك يستلزم أن يكون في جهتهم ومقابلا للناظرين ، وهذا في زعمهم أنه من المحال، وليس فيما أخبر الله شيء تحيله العقول، بل كل ما أخبر الله به فإنه تقره العقول، العقول السليمة. فالحاصل أن إثبات رؤية الله تعالى في الدار الآخرة هو قول أهل السنة ولا عبرة بأهل البدعة والآن نواصل القراءة.

حقيقة الإيمان وحكم مرتكب الكبيرة

وتارك الصلاة عمدا

قال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي -رحمه الله تعالى- في بيان اعتقاد أهل السنة:

ويقولون: إن الإيمان قول وعمل ومعرفة ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، ومن كثرت طاعته أزيد إيمانا ممن هو دونه في الطاعة، ويقولون: إن أحدا من أهل التوحيد ومن يصلي إلى قبلة المسلمين لو ارتكب ذنبا أو ذنوبا كثيرة، صغائر أو كبائر، مع الإقامة على التوحيد لله والإقرار بما التزمه وقبله عن الله فإنه لا يكفر به، ويرجون له المغفرة ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [1] .

واختلفوا في متعمد ترك الصلاة المفروضة حتى يذهب وقتها من غير عذر، فكفره جماعة لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة ﴾ وقوله: ﴿ من ترك الصلاة فقد كفر ﴾ و ﴿ من

- 1سورة النساء آية : 48.

ترك الصلاة فقد برئت منه ذمة الله ﴾ وتأول جماعة منهم أنه يريد بذلك من تركها جاحدا لها كما قال يوسف عليه السلام: ﴿ إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ﴾ ترك جحود: الكفر، وقال كثير منهم:إن الإيمان قول وعمل .

في ها هنا ذكر تعريف الإيمان ، حيث اختلف الناس في تعريف الإيمان، فذهب المرجئة إلى أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، وذهب الكرامية إلى أن الإيمان هو المعرفة، وذهب أهل السنة إلى أن الإيمان: قول وعمل ومعرفة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهناك مذاهب أخرى لا دليل عليها.

معلوم أن الإيمان من الألفاظ الشرعية التي استعملها الشرع ونقلها من معناها اللغوي إلى معنى اصطلاحي شرعي، فأصبحت من الألفاظ الشرعية التي جاءت في لسان الشرع لمعنى زائد عن المعنى اللغوي، صحيح أن معناها في اللغة التصديق مثل قوله تعالى عن إخوة يوسف: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾ [1] أي: بمصدق لنا، هكذا ذكروا "بمؤمن"يعني بمصدق لنا، ومنه أيضا تفسير الإيمان الذي في حديث جبريل المشهور ﴿ أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر ﴾ فالإيمان هنا هو: التصديق، التصديق بهذه الأشياء، فإذا الإيمان في الأصل في اللغة هو التصديق، ولكن الشرع الشريف أضاف إليه الأعمال فجعلها إيمانا،والأقوال فجعلها إيمانا، فأصبح الإيمان عاما للأعمال، فالأعمال البدنية إيمان والقولية إيمان والعقلية القلبية إيمان والمالية إيمان، كلها داخلة في مسمى الإيمان شرعا ، هذا هو قول أهل السنة.

الذين قالوا: إن الإيمان هو التصديق وهم يسمون مرجئة الفقهاء وأكثرهم من الحنفية يذكرون أن الإيمان عندهم هو: ما كان عليه في اللغة أنه التصديق، ويقولون: إن اللسان العربي على هذا يدل على أنه التصديق ، ولكن يلزم على هذا محذور أو محاذير؛ وذلك أنه يلزم عليه تسوية الناس في الإيمان مادام أنهم كلهم مؤمنون، فلا يكون بينهم فرق في الإيمان، فيكون إيمان أجلاء الصحابة كإيمان أترف الناس، وهذا فيه تسوية بين المتفاوتات.

- ١سورة يوسف آية : ١٧.

معلوم أن إيمان الصديق ﷺ والفاروق وعثمان وعلي وسائر الصحابة أقوى من إيمان غيرهم ممن جاء بعدهم ومن إيمان أهل هذا الزمان الذين في إيمانهم تزعزع وضعف، والدليل عليه أن إيمانهم الذي هو إيمان راسخ حملهم على الأعمال ، حملهم على الهجرة وحملهم على الصبر، على الأذى في ذات الله، وحملهم على الجهاد في سبيل الله ، وحملهم على الإنفاق في مرضات الله تعالى، وحملهم على الاجتهاد في سبل الخير وفي الأعمال الخيرية، فذلك دليل على أنه أقوى من إيمان غيرهم من سائر الناس هذا من حيث الإيمان الذي في القلب.

وإذا نظرنا -أيضا- في الأدلة وجدنا أن الشرع سمى الأعمال إيمانا، سمى الله تعالى كثيرا من الأعمال البدنية والمالية إيمانا قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [1] هذه خمس خصال: منها ثلاث من الأعمال القلبية ﴿ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ [2] هذه من أعمال القلب، وواحد من أعمال البدن: إقام الصلاة ، وواحد عبادة مالية:النفقة ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ [3] فهذه كلها جعلها الله تعالى من الإيمان . ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ ﴾ [4] فهذه كلها جعلها علامة على الإيمان ، يعني إنما المؤمنون حقا هم الذين يفعلون هذه الأشياء ، فهذا كله دليل على أنها هذه الأعمال من الإيمان، ومثلها قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا

- ١سورة الأنفال آية : ٢-٤.
- ٢سورة الأنفال آية : ٢.
- ٣سورة البقرة آية : ٣.
- ٤سورة السجدة آية : ١٥-١٦.

ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [1] جعل هذه كلها من الإيمان.

وأشباه ذلك من الآيات لا شك أن هذه أدلة على أن الأعمال من مسمى الإيمان ووردت السنة بذلك، ففي الصحيحين قوله ﷺ ﴿ الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان ﴾ انظر كيف ذكر ثلاث خصال: خصلة قولية ﴿ قول لا إله إلا الله ﴾ فهي من الإيمان ، وخصلة فعلية ﴿ إماطة الأذى عن الطريق ﴾ هي من الأفعال جعلها إيمانا، وخصلة قلبية الحياء من الإيمان. هذه أدلة على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان ؛ ولذلك اتفق السلف من أهل السنة على تعريف الإيمان بمثل ما ذكر الإسماعيلي فقالوا:الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

هكذا يعرفونه، القول الذي باللسان يدخل فيه الذكر والدعاء والقراءة والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يدخل فيه كل الأعمال القولية التي باللسان كلها نقول إنها من الإيمان ، كذلك الاعتقاد بالجنان يدخل فيه الأعمال القلبية، فيدخل فيه الخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة، ويدخل فيه الحياء الذي ذكر أنه من الإيمان، أعمال القلوب كثيرة تدخل في أنها من الإيمان ، وكذلك -أيضا- الأعمال البدنية: الركوع والسجود والقيام والقعود والجهاد والقتال في سبيل الله تعالى ، وكذلك الصيام والطواف بالبيت والوقوف بالمشاعر وما أشبه ذلك من الأعمال البدنية كلها داخلة في مسمى الإيمان؛ لأنها من الأعمال المندوبة المأمور بها، وكذلك -أيضا- الأعمال المالية وإن لم يذكرها في التعريف لدخولها في الأعمال البدنية ؛ لأن المال يكتسب غالبا بالبدن فإذا أنفق في سبيل الله فإن ذلك عمل صالح عمل بر، فالزكوات من الإيمان والصدقات من الإيمان والتوسعة على ذوي الحاجات من الإيمان وكفالة الأيتام مثلا والنفقة في وجوه البر، كعمارة المساجد ونشر العلم وكل ما يصرف فيه المال مما هو قربة إلى الله تعالى فإنه من الإيمان ؛ لكونها أعمال صالحة يحبها الله تعالى.

- ١سورة الحجرات آية : ١٥.

لا شك أن الإيمان أصبح بذلك مسمى شرعيا نقله الشرع إلى هذا المسمى كما أن الشرع نقل الإسلام ، الإسلام في اللغة: الإذعان والانقياد والاستسلام لمن يقود الإنسان ،نقله الشرع إلى أن أصبح اسما لأركان الإسلام الظاهرة: الشهادتان والصلاة والزكاة والصوم والحج وما يلحق بهما ، وهكذا نقل الإحسان، الإحسان في اللغة: اسم لإيصال الخير إلى الغير، ولكن نقله الشرع وجعله: عبادة الله وحده وإصلاح العمل له ﴿ أن تعبد الله كأنك تراه... ﴾ إلى آخره، فهذا تصرف الشرع في هذه الكلمات، فيقال مثلا هذه الكلمات لها تعريف في اللغة وتعريف في الشرع كما أن أضدادها -أيضا- لها تعريف في اللغة وتعريف في الشرع، فالشرك تعريفه في اللغة: الاشتراك بين اثنين في استحقاق، وتعريفه في الشرع: دعوة غير الله مع الله، والتوحيد له تعريف في اللغة وهو: الفرد الواحد يعني ذكر شخص واحد مفرد، وتعريفه في الشرع: إفراد الله تعالى بالعبادة ،وكذلك- مثلا- الفسوق أصله في اللغة: الخروج ويطلق في الشرع على العصيان ؛لأنه خروج عن طاعة الله تعالى، وكذلك النفاق تعريفه في اللغة: الإخفاء الشيء الخفي وتعريفه في الشرع: إظهار الإيمان وإخفاء الكفر، فكذلك نقول إن هذه اللفظة "الإيمان "نقلها الشرع وسماها بهذا الاسم.

الذين قالوا إن الإيمان هو التصديق يسوون بين الناس، فيقولون: إيمان أفسق الناس كإيمان الملائكة وأكابر الصحابة، فعندهم على هذا لا فرق في الإيمان بين هذا وبين هذا، الناس كلهم سواء في هذا الإيمان، ولا شك أن في هذا تسهيل في المعاصي ؛ لأنه إذا عرف أن المعاصي لا تضره وأن إيمانه كامل فإنه -ولا بد - سوف يتساهل بأمر الله فيفعل ما يستطيعه من الذنوب، فيشرب الخمور ويسمع الأغاني ويأكل الربا ويقتل ويفسق ويزني ويفجر ويكذب ويفعل كل المعاصي، ويقول: إيماني كامل ما دام أن هذه ليست من الإيمان فالإيمان الذي في القلب موجود. ويقولون: إن أهله في أصله سواء، فيعتقد أن إيمانه كامل، وهذا ما حمل كثيرا على الانهماك في المعاصي وهم الذين يسمون "المرجئة" .وما أكثر الذين أنكروا عليهم وردوا عليهم قولهم ، حيث اعتقدوا أن الإيمان شيء واحد وأن أهله فيه سواء، فعند ذلك صاروا يعتمدون على واسع الرحمة وكرم الله ، حتى يقول قائلهم:

فكثر مـا اسـتطعت مـن المعاصـي إذا كان القـدوم علـى كريـم

كأنه يبيح لهم المعاصي بل يأمرهم بتكثيرها، هذه عقيدة المرجئة الذين سهلوا في المعاصي. قيل إنهم سموا مرجئة ؛ لأنهم أرجئوا الأعمال عن مسمى الإيمان يعني: أخروها، الإرجاء: هو التأخير قال تعالى: ﴿ ۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ ﴾ [1] يعني: تؤخر، فسموا مرجئة؛ لأنهم أرجئوا يعني: أخروا الأعمال من مسمى الإيمان، ولا شك أن هذا تهاون بالأسماء الشرعية.

وقيل: إنهم سموا مرجئة؛ لأنهم غلبوا باب الرجاء غلبوا الرجاء ، يعني: أنهم اعتمدوا على أحاديث الرجاء ، جاء في القرآن آيات في تغليب في ذكر الرجاء وجاء فيه آيات في تغليب الخوف أو في الأمر بالخوف ، وقد تكلم العلماء على آيات الرجاء وآيات الخوف وقالوا: ينبغي للإنسان في حالة الدنيا وفي حالة النشاط والقوة أن يغلب جانب الخوف ، وأن يكثر من الأعمال الصالحة ، ويهرب من السيئات ، ويخاف من التفريط والإهمال ، ويكون دائما خائفا فزعا يحذر عذاب الله ويخشى نقمته وعقوبته، أما إذا نزل به الأمر وحضره الأجل فيفضل أن يغلب جانب الرجاء حتى يقدم على ربه تعالى وهو يحسن الظن به كما ورد في الحديث: ﴿ لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه ﴾

وذهب بعضهم إلى أنك في حالة الدنيا تعمل بهما جميعا، أي تعمل بالخوف وبالرجاء فلا تغلب الرجاء فتكون من المرجئة ولا تغلب الخوف فتكون من الوعيدية كالخوارج والمعتزلة، بل تتوسط، التوسط بينهما أن يكون دائما خائفا راجيا، واستدلوا على ذلك بالآيات التي فيها الجمع بينهما كقوله تعالى ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [2] جمع بينهما ﴿ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ ﴾ [1] هذا في جانب الرجاء ﴿

- 1سورة الأحزاب آية : 51.
- 2سورة الإسراء آية : 57.

﴿ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [2] يعني في جانب الخوف، وهكذا -أيضا- يذكر الله آية الرجاء ثم آية الخوف قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾ [3] انظر كيف جمع بينهما وقال تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾ [4] جمع بينهما، أتبع العقاب بالمغفرة وقال تعالى: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [5] فجمع بينهما في آيتين متتابعتين.

الحكمة في ذلك أن يكون المؤمن في حياته جامعا بينهما فإذا تذكر عذاب الله تعالى خاف خوفا شديدا وأكثر من الأعمال الصالحة ، وإذا تذكر سعة رحمة الله تعالى رجاها وعمل الأعمال الصالحة التي تدفعه إلى رضا الله تعالى وتؤهله لأن يكون من أوليائه ، ورد في الحديث أن عدوا كبائر الذنوب وأن منها الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله، وكلها مأخوذة من القرآن، فالقنوط في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [6] وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [7] فاليأس: هو قطع الرجاء وكذلك القنوط ، القنوط: هو قطع الرجاء بالكلية من رحمة الله تعالى ، فلو قدر مثلا أن إنسانا أشب على الذنوب وأكثر منها وحمل نفسه مالا تطيق من السيئات، فإنه مع ذلك لا يقنط ولا يقول: أنا قد عملت سيئة كبيرة لا يمكن أن تنالني الرحمة، أنا مقدم على النار أنا سأصير على النار؛ حيث إنني عملت كذا وكذا من السيئات وعملت من الكفر وعملت من التكذيب كذا وكذا ، فيقطع الرجاء، لا يجوز ذلك، بل عليه أن يستحضر رحمة الله

- 1سورة الإسراء آية : ٥٧.
- 2سورة الإسراء آية : ٥٧.
- 3سورة الرعد آية : ٦.
- 4سورة غافر آية : ٣.
- 5سورة الحجر آية : ٤٩-٥٠.
- 6سورة الحجر آية : ٥٦.
- 7سورة يوسف آية : ٨٧.

تعالى ويرجوه حتى يرحمه ربه، وكذلك -أيضا- قسم آخر ذكر في قول الله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (1) الأمن من مكر الله -أيضا- من كبائر الذنوب ؛ وذلك لأن هؤلاء الذين ينهمكون في المعاصي ويكثرون منها ولا يخافون نقمة الله ولا يخافون بطشه ولا عذابه يعتبرون كأنهم آمنون، كأن عندهم صك أمان أنهم لا يدخلون النار، أو صك أمان أنهم لا يعذبون وأنهم آمنون من غضب الله تعالى ومن نقمته.

ذكر في تعريف الإيمان أنه: يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قد جاءت الأدلة في زيادة الإيمان قال الله تعالى: ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (2) لا شك أن هذا دليل صريح على أن هذه المقالة زادت إيمانهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ (3) وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (4) في سورة "المدثر" صريح في أنه يزيد إيمانهم ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ۙ ﴾ (5) وكذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ ﴾ (6) صريح في أن السكينة زادت إيمانهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ (7) الأدلة صريحة.

يقول العلماء:كل شيء يقبل الزيادة فإنه يقبل النقصان، فإذا كان الإيمان يزيد فإنه ينقص، الطاعات تزيده والمعاصي تنقصه، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، الركعات النوافل يزيد بها الإيمان ، والصدقة

- 1سورة الأعراف آية : ٩٩.
- 2سورة آل عمران آية : ١٧٣.
- 3سورة الأنفال آية : ٢.
- 4سورة المدثر آية : ٣١.
- 5سورة المدثر آية : ٣١.
- 6سورة الفتح آية : ٤.
- 7سورة التوبة آية : ١٢٤.

ولو بقليل يزيد بها الإيمان ، والكلمات الطيبة يزيد بها الإيمان، والدعوات التي يدعو بها العبد ربه يزيد بها إيمانه ، والاعتكاف ولو ليلة في مسجد، وكذلك حج أو عمرة أو تقرب إلى الله بطواف، أو جهاد في سبيل الله، أو نفقة في وجوه الخير يزيد بها الإيمان وبضد ذلك ينقص الإيمان، فالرجل مثلا إذا مشى إلى المساجد زاد إيمانه وإذا مشى إلى أماكن الرقص وأماكن اللعب نقص إيمانه، وإذا أنفق في سبيل الله أو في وجوه الخير زاد إيمانه وإذا أنفق في الباطل وفي الملاهي وفي الأغاني ونحوها نقص إيمانه، وإذا تكلم بدعاء أو بدعوة إلى الله تعالى زاد إيمانه وإذا تكلم- مثلا -بسباب أو لعن أو بشتم أو عيب أو سلب أو نحو ذلك نقص إيمانه، وإذا نظر في كتاب الله تعالى للاعتبار زاد إيمانه وإذا نظر في الأفلام وفي الصور الخليعة ونحوها نقص إيمانه، وإذا استمع إلى الذكر وخشع قلبه زاد إيمانه وإذا استمع إلى الغناء والملاهي وما أشبهها نقص إيمانه، فالضد بالضد.

ولهذا ذكر البخاري في كتاب الإيمان من صحيحه عن معاذ أنه قال: ﴿ اجلس بنا نؤمن ساعة ﴾ يعني جعل ذكره وفكره وتعلمه إيمان فدل على أن هذا يضاف إلى الإيمان فيزداد به الإيمان. وقد أخذوا النقص من الحديث المشهور الذي في الصحيح أنه ﷺ قال: ﴿ ما رأيت ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب من إحداكن ﴾ فوصف النساء بنقص الدين، والدين: هو الإيمان، فمن كثرت طاعته لا شك أنه أزيد ممن نقصت طاعته، فالطاعات التي هي العبادات أكثر إيمانا من صاحب المعاصي، الذي -مثلا- يصلي النوافل- مثلا- ويحافظ على الرواتب لا شك أنه أزيد إيمانا من الذي يقتصر على الفرائض، الذي يسبح الله تعالى بعد كل صلاة مثلا ثلاثا وثلاثين ويحمد ثلاثا وثلاثين ويكبر ثلاثا وثلاثين أفضل وأكمل إيمانا من الذي يسبح عشرا عشرا وأشباه ذلك، فكلما زادت الأعمال زاد بها الإيمان. مسألة الإيمان مسألة طويلة ولعله يأتينا فيها -أيضا- زيادة كلام في قوله: أن الإيمان قول وعمل ،والإسلام فعل... إلى آخره .

ننتقل إلى قولهم لمرتكب الكبيرة، قول أهل السنة في أصحاب الكبائر، أصحاب الكبائر: هم أهل الذنوب الذين عملوا سيئات وذنوبا دون الكفر، كالذين- مثلا- يأكلون الربا أو يزنون أو يشربون

الخمر أو يقتلون النفس أو يأكلون أموال اليتامى مثلا، يأكلون يعني يفعلون شيئا من المعاصي هؤلاء، للناس فيهم ثلاث مذاهب:

مذهب الخوارج أنهم كفار، ومذهب المعتزلة أنهم ليسوا مؤمنين ولا كفارا بل في منزلة بينهما، ومذهب أهل السنة أنهم مؤمنون إيمانا ناقصا، إذا كانوا من أهل التوحيد ومن أهل القبلة الذين يعترفون بالقبلة يستقبلون القبلة ويتوجهون إليها، يعترفون بقبلة المسلمين ، كل من كان من الأمة المحمدية الذين استجابوا لله تعالى واستجابوا للرسول يسمون أهل القبلة ، يعني أنهم في صلاتهم وعند ذبح ذبائحهم – مثلا– يستقبلون القبلة وأنهم يحنون إلى القبلة ويذهبون إليها حجاجا وعمارا ؛ فلذلك يسمون أهل القبلة يصلون إلى قبلة المسلمين إذا كانوا من أهل التوحيد، يعني أنهم يؤمنون بالله تعالى إلها وربا وخالقا وأنهم مع ذلك يعبدونه ولا يعبدون غيره ولا يصرفون شيئا من عبادته ولا من حقه لمخلوق سواه هم أهل التوحيد، يقولون: "لا إله إلا الله" ويعملون بها، فلا يدخل في ذلك الذين يعبدون القبور ويسمون "القبوريين" فإنهم ليسوا من أهل التوحيد ؛ لأنهم شابهوا قوم نوح الذين عبدوا ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا، وشابهوا قوم إبراهيم الذين يعبدون التماثيل ويعكفون لها.

وكذلك الذين يعبدون الأشجار والأحجار الذين –مثلا– يتبركون بهذه الشجرة ويعتقدون فيها ويتبركون بهذه الصخرة أوبهذه القبة أو بهذه العين أو ما أشبه ذلك ويعتقدون أنها تنفع وتشفع وتدفع وأنها تفيدهم؛ فلأجل ذلك يتمسحون بها ويعكفون عندها ويأخذون تربتها وربما –أيضا– دعوها كما دعا المشركون العزى: يا عزى ياعزى، فمثل هؤلاء ليسوا من أهل القبلة ولو صلوا وصاموا، ليسوا من أهل التوحيد فلا يدخلون في هذا الباب، إنما الكلام في مسلمين من أهل التوحيد ومن أهل القبلة وارتكبوا كبائر، يعني فعلوا من الذنوب ما دون الشرك فإننا لا نخرجهم من الإسلام ولا من الإيمان، بل نقول: إنهم مؤمنون ولكن نقول:إنهم إيمانهم ناقص، فنقول: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، يسمى فاسقا يعني عاصيا لأجل الكبيرة التي اقترفها، ويسمى ناقص الإيمان، مؤمنا بإيمانه فاسقا بكبيرته أو مؤمنا ناقص الإيمان، نقص إيمانه حمله على أن يفعل المعاصي ويترك الطاعات ؛ فلذلك نقول إنه لا يخرج بذلك من مسمى الإيمان هذا هو قول أهل السنة.

أما الخوارج فإنهم يكفرون العاصي أيا كانت معصيته، فيكفرون الذين يأكلون أموال اليتامى ويخلدونهم في النار ويستبيحون قتلهم وسفك دمائهم ونهب أموالهم واستحلال سبي نسائهم، ويقولون: إن الله توعدهم بالنار قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ [1] وكذلك -أيضا- مثل قذف المحصنات توعد الله عليه بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [2] فيكفرونهم بهذه الكلمة إذا رمى محصنا أو محصنة فأخرجوه من الإيمان وأدخلوه للكفر واستباحوا قتله. يقول العلماء عن الخوارج: إنهم يجعلون الذنب كفرا والعفو ذنبا ، الذنب يجعلونه كفرا والعفو يجعلونه ذنبا، فمثل هؤلاء قد قتلهم الصحابة وبدعوهم وشنعوا عليهم. جاء المعتزلة فوافقوا الخوارج في بعض الأشياء، وافقوا الخوارج في أن أهل الذنوب الذين يموتون عليها يخلدون في النار ولا يخرجون منها، فإذا مات وهو يأكل الربا أو مات وهو يزني -مثلا- أو مات وهو يسرق أو مات وهو يأكل مال اليتيم -من غير توبة- أو مات وقد قذف محصنا أو مات وقد تولى يوم الزحف أو نحو ذلك من المعاصي فعند المعتزلة أنه خالد في النار لا يخرج منها، ولكنهم في الدنيا لا يعاملونه معاملة الكافر ولا معاملة المسلم بل هو في مترلة بينهما هذه حالة المعتزلة.

فنحن نقول: إن أحدا من أهل التوحيد وممن يصلي إلى القبلة لو ارتكب ذنبا أو ذنوبا كبيرة صغائر أو كبائر مع الإقامة على التوحيد لله والإقرار بما التزمه وقبله عن الله فإنه لا يكفر، لا نخرجه من الإيمان ولا ندخله في الكفر ولا نقول: إنه يخلد في النار، بل أمرهم في الآخرة إلى الله تعالى إن شاء غفر لهم وأدخلهم الجنة وإن شاء أدخلهم النار بحسب سيئاقم، بحسب ذنوبهم، ثم مآلهم بعد تكفير الذنوب إلى أن

- ١سورة النساء آية : ١٠.
- ٢سورة النور آية : ٢٣-٢٥.

يخرجوا، إما بشفاعة الشافعين وإما برحمة الله تعالى. إذا عذبوا العذاب الذي يتحملونه بقدر ذنوبهم أخرجوا.

ومن الأدلة على ذلك اقرأ هذه الآية التي ذكرها الإسماعيلي ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ (1) يغفر ما دون الشرك لمن يشاء فقد جاءت هذه الآية في موضع من سورة "النساء" ويغفر ما دون ذلك يعني: ما دون الشرك لمن يشاء ، إن شاء غفر لهم رحمة منه وفضلا وأدخلهم الجنة على أول وهلة، وإن شاء أدخلهم دار العذاب للتطهير والتمحيص، كإدخال الحديد في كير الحداد حتى يصفيه مما فيه من الكدر، فيدخلهم النار بقدر ذنوبهم ثم يخرجهم منها.

بعد ذلك ذكر المؤلف خلافا في تارك الصلاة فيقول: اختلفوا في متعمد ترك الصلاة المفروضة حتى يذهب وقتها من غير عذر، فكفره جماعة منهم عمر ومعاذ وابن مسعود وابن عباس وجابر وأبو الدرداء، ومن التابعين إبراهيم النخعي وابن المبارك وسفيان وابن راهويه وابن حنبل وابن أبي شيبة وغيرهم، هؤلاء كفروه وكذلك -أيضا- من مشايخنا -مشايخنا الذين أدركناهم- شيخنا محمد بن إبراهيم وعبد الله بن حميد -رحمهما الله -يرون أنه يكفر، وكذلك شيخنا الشيخ عبد العزيز وابن عثيمين يرون أنه يكفر وتجدون فتاواهم.

ولا شك أن هذا القول هو الذي تؤيده الأدلة، الأدلة عليه كثيرة فمن القرآن قول الله تعالى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ (2) وقيل: إن غيا واد في النار. ما ذكر من سيئاتهم إلا أنهم اتبعوا الشهوات وأضاعوا الصلاة فتوعدهم بغي ، وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (3) توعدهم بويل، وقيل: إنه شدة العذاب، ذكر من

- 1سورة النساء آية : ٤٨.

- 2سورة مريم آية : ٥٩.

- 3سورة الماعون آية : ٤-٧.

أعمالهم أنهم يصلون ولكن يؤخرون الصلاة عن وقتها ويراءون بها. ومن الأدلة -أيضا- أن الله حكى عن أهل النار قولهم: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [1] فبدءوا أعمالهم بترك الصلاة، ومن الأدلة -أيضا- قوله تعالى: ﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [2] هذا في أهل النار ﴿ وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ ﴾ [3] يعني: في الدنيا، فيمتنعون منها مع قدرتهم، فهذا دليل على أنهم توعدوا في الآخرة بالعذاب .

ومن السنة قول النبي ﷺ في حديث جابر المشهور: ﴿ بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة ﴾ لا شك أنه حديث صحيح حديث مشهور، وكذلك -أيضا- حديث بريدة الذي في الصحيح -أيضا- في صحيح مسلم ﴿ العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر ﴾ هذا -أيضا- حديث صحيح، وكذلك حديث ﴿ من ترك الصلاة فقد برئت منه ذمة الله ﴾ ورد هذا في صحيح البخاري ﴿ من ترك العصر حتى يخرج وقتها فقد برئت منه الذمة ﴾ وفي رواية ﴿ من ترك العصر حبط عمله ﴾ يعني تركا كليا، وفي حديث آخر ﴿ من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله ﴾ وثبت في الصحيح عن عبد الله بن شقيق قال: ﴿ كان أصحاب النبي ﷺ لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة ﴾ لا يرونه كفرا إلا الصلاة ، يعني من الأعمال.

ولا شك أن هذه أدلة واضحة في أن من ترك الصلاة متعمدا وهو موقن بأنها فريضة الله ومعترف بذلك فإنه يعامل معاملة الكفر.ثم ذكر أن هناك آخرون لا يكفرون تارك الصلاة علق على حاشيته كالشافعي وجماعة من أصحابه لا يرون أنه كفر، يقولون: إن الترك ليس هو الجحد ولكنه التهاون، أو

- 1سورة المدثر آية : ٤٢-٤٦.
- 2سورة القلم آية : ٤٣.
- 3سورة القلم آية : ٤٣.

أن المراد تركها يعني: جحدها، فالجحد قد يعني يكفر الذي يجحدها، فهناك فرق بين الترك وبين الجحود، قالوا: إن من جحد وجوبها فإنه يكفر ولو صلى: لو رأينا إنسانا يصلي ولكنه يطعن في الصلاة، ويقول هذه الصلاة عبث، وهذه الصلاة مشغلة، وهذه الصلاة لا فائدة فيها ولا أهمية لها، وهي عبث، وأنتم تصلون بدون فائدة، ولا حاجة إلى هذه الصلاة، يسب الصلاة ويتمنى أنها ما فرضت نقول: إن هذا كافر ولو أنه يصلي ،ما دام أنه ينكر فرضيتها وينكر وجوبها.

فالحاصل أن هنا قولين: قول لأكثر العلماء المتقدمين والمتأخرين: أن الصلاة تركها كفر، وقول: إنه ليس بكفر ولكنه فسوق، والقول الراجح: أنه إذا أصر على الترك واستمر على ذلك ثم صبر على القتل حتى قتل فإنه يحكم بكفره، يقتل كافرا، أما إذا تاب وأناب، دعي إلى صلاتها فاستجاب لها، ولو كان قد تركها مدة فإنا لا نحكم بكفره نكتفي بهذا .

س: هذا يقول: فضيلة الشيخ، إذا ابتلى إنسان بصاحب عقيدة إسماعيلية في عمله، بل هو رئيس عليه فكيف يتعامل معه ،خاصة وهو يظهر أخلاقا عالية واحتراما كبيرا؟

ج: إذا ابتلي بمبتدع وصار هذا المبتدع رئيسا عليه فإننا نقول له: بالنسبة إلى عملك الذي منوط بك فإنك تؤديه كما ينبغي، وأما موافقة هذا المبتدع على شيء من بدعته فإن ذلك لا يجوز، ولا شك أن المبتدع لا يستطيع أن يلزم من تحت ولايته بشيء من البدعة ؛ وذلك لأن البدع هذه عقائدية فلا يقول لهم: ألزمكم بأن تعتقدوا كذا أو تعتقدوا كذا وكذا أو تنكروا كذا وكذا ، ما يستطيع أن يلزمهم، لا يستطيع أن يقول لهم: ألزمكم- مثلا- بأن تشتموا الخلفاء الراشدين أو تسبوهم أو تدعوا أهل البيت أو تعبدوهم من دون الله كما يعبرون، ولا يقول مثلا: ألزمكم بأن تعتقدوا في الأولياء أنهم أفضل من الأنبياء -كقول الصوفية -وما أشبه ذلك. أما الأعمال الإدارية الفنية فإنه يتحمل ذلك إلى أن يجد رئيسا أفضل منه.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، ما حكم من عمل عملا كفريا أو تكلم بكلمة كفرية: هل يشترط في ذلك الاعتقاد وهل يحكم عليه بالكفر؟

ج- ليس من تكلم بكلمة كفرية يحكم بكفره مطلقا ؛لأنه قد تجري على لسانه من غير اعتقاد وقد يكون متأولا أو نحو ذلك، ولكن يستفصل بعد ذلك، فإذا رئي- مثلا- من عقيدته الاعتراف بما قال، فإنه يحكم بكفره ويدعى إلى التوبة ويهدد إذا لم يتب، قد كفر الله تعالى المستهزئين بقوله تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ ﴾ [1] لما قالوا: ﴿ ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ﴾ واعتذروا بقولهم: ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [2] فالحاصل أن من أتى بكلمة كفر ناطقا بها من غير اعتقاد فإنه يستفصل منه ، فإذا رئي أنه مصر عليها حكم بكفره، وإذا ادعى أنه متأول أو أنه جاهل قبل عذره وقبلت توبته.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، بعد وفاة والدي تم صرف مبلغ معين له مما يسمى بالمناحة، وصرف للأولاد كذلك ،ما عدا اثنين لم يبلغوا بعد وأربع من البنات وسؤالي هو: هل هذا المبلغ يعتبر إرثا ويوزع من التركة؟

ج: هو الظاهر إن كان للدولة نظام في هذا لا أستحضره، ولكن أرى أنه مادام خرج باسمه فإنه يلحق بالتركة ويقسم بين الورثة الذين يرثون من أولاده، ذكورا وإناثا على حسب ميراثهم ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴾ [3] .

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، نلاحظ على بعض الإخوة إسبال الثياب، وهو لا يليق بالمسلم عامة، فضلا عن طالب العلم خاصة، نرجو من فضيلتكم التوجيه وبيان الموضع المحرم والمكروه والمباح وجزاكم الله خيرا؟

ج: سمعوا هذه الملاحظة ولعلهم يلاحظون ذلك في أنفسهم إن شاء الله، ولا يخفى على طالب العلم ما ورد من الوعيد في إسبال الثياب، الوعيد الذي ورد فيها مثل قوله ﷺ ﴿ ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا

- ١سورة التوبة آية : ٦٦.
- ٢سورة التوبة آية : ٦٥.
- ٣سورة النساء آية : ١١.

ينظر إليهم، ولا يزكيهم ،ولهم عذاب أليم: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ﴾ فبدأ بالمسبل وهو: الذي يرخي ثيابه إلى ما تحت الكعب، وكذلك ورد الحديث بلفظ ﴿ ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار ﴾ وهذا -أيضا- وعيد شديد وكأنه، يقول: إن هذا الموضع الذي ستره وهو لا يجوز ستره وهو ما تحت الكعب يعذب بالنار وإذا عذب به فإنه يعذب ببقية البدن أو يكون سببا في تعذيب الإنسان كله ، والأحاديث في ذلك كثيرة، وفي الحديث المشهور في صحيح مسلم قال ﷺ ﴿ أزرة المؤمن إلى نصف الساق ولا حرج فيما بينه وبين الكعب ﴾ أباح له ما بينه وبين الكعب، ولكن فضل أن تكون أزرته يعني: إزاره أو قميصه أو عباءته إلى نصف الساق، والمستحب أن تكون بين ذلك يعني إلى مستدق الساق، مستدق الساق: يعني أدق ما يصير الساق، هذا هو الأفضل، أن تكون الأزرة واللباس إلى هذا الحد ؛ وذلك لأنه منتهى الكعب، الكعب ينتهي بمستدق الساق فيكون هذا المقدار هو الذي يجعل اللباس إليه، فلينتبه طالب العلم ولينبه إخوانه ولينبه أقاربه على هذا الذنب الذي تهاون به الكثير.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، يحتج الذين لا يقولون بكفر تارك الصلاة بحديث البطاقة فكيف نرد عليهم؟

ج: لم يذكر أنه تارك للصلاة، إنما ذكر أن هذه البطاقة رجحت في السيئات ولا يمنع أن يكون هناك أعمال كثيرة من الصالحات ومن جملتها الصلاة، إنما ذكر ﴿ أن له تسعة وتسعين سجلا كل سجل منهم مد البصر ﴾ وأن فيها سيئات وأنه لما ﴿ قيل له: ألك عذر؟ ألك حسنة؟ ﴾ لم يتذكر شيئا فأخرجت له تلك البطاقة ووضعت في كفة الميزان، ولكن لا يلزم ألا يكون هناك في الكفة غيرها. والصحيح أن هذه الكلمة إذا كانت عن يقين وعقيدة وإيمان قوي وتصديق لمدلولها، فإن صاحبها يحافظ على الصلوات ويداوم عليها ولا يليق أن يقول هو موقن بها، ثم مع ذلك يترك الصلوات أو يتساهل بها، لا شك أن ترك الصلاة يعتبر تهاون بالشهادتين.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، طبيعة عملنا لبس البدلة، والبدلة لها أكمام طويلة وفي النظام لا بد من التشمير إلى المرفق، فهل يلزم فك أو إزالة هذا التشمير إذا جاءت الصلاة ، و-أيضا- في الثوب إذا توضأت ودخلت في الصلاة قبل أن أوصل الأكمام فهل في هذا نهي؟

ج: لا فرق في وجوب الرفع إلى مستدق الساق بين هذه الأكسية: البدلات أو البنطلونات أو الأزر أو السروالات أو العباءات، الكل يكون إلى مستدق الساق، فإذا كانت البدلة لها أكمام تصل إلى الأرض فإنه يشمرها يعني يرفعها إلى أن تكون إلى مستدق الساق، و يربطها بإبرة أو نحو ذلك أو يرفعها، حتى لا يكون مسبلا، الإسبال عام في الصلاة وفي غير الصلاة.

س: ....؟

ج: إذا أكمام اليدين عليه أن يستر بها الذراعين، ولكن إذا احتاج إلى أن يشمرها يعني الذراعين فلا بأس، الأصل أنه يستر الذراعين ++كيف؟ كأكمام الذراعين الموجودة وأكمام الرجلين ، إذا كان في الصلاة وكانت مسبلة فإنه يشمرها إلى مستدق الساق، والأولى أنه يقصها مثلا أو يرفعها إلى أن تصير إلى مستدق الساق.

س: ....؟

إذا أمن ذلك قبل أن يدخل في الصلاة فلا حرج ولا يدخل في حديث ﴿ ولا نقص شعرا ولا ثوبا ﴾ ؛لأن مثل هذا يعني عملا هو بحاجة إليه.

س: فضيلة الشيخ، يقول: أحيانا أشك في الوضوء وأحيانا في الصلاة، هل كبرت تكبيرة الإحرام أم لا؟ وهل قرأت الفاتحة أم لا، وأحيانا هل قرأت التشهد الأخير أم لا، وأحيانا هل سلمت أم لم أسلم، فما هي النصيحة فيه وجزاك الله خيرا؟

ج: يبتلى بهذا كثير من الموسوسين الذين يتغلب الشيطان عليهم ويلقي في أنفسهم هذه الوسوسة، فيتردد أحدهم كثيرا ويتألم ويتعذب ويلقى عنتا ويلقى مشقة وصعوبة، فنقول مثل هؤلاء عليهم الاستعاذة من الشيطان وعليهم الإكثار من الذكر ومن الدعاء، وننصحهم بألا يلتفتوا إلى هذه التوهمات، فإن الأصل أنك توضأت فإذا جاءك الشيطان وقال: قد بقي من أعضائك كذا وكذا وأنت قد فرغت، فلا تلتفت إلى ذلك، وإذا جاءك في الصلاة بعدما تكبر فقال: إنك ما كبرت فلا تلتفت إلى ذلك، وإذا جاءك في الصلاة بعدما فرغت من القراءة وشكك هل قرأت أم لا، فالأصل أنك قرأت لأنك متعود؛

لذلك فلا تعد القراءة، وكذلك لا تعد شيئا من ركعات الصلاة ولا من أركانها واستعذ بالله من الشيطان حتى تريح نفسك من هذه التوهمات.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، هل جنس العمل ركن في الإيمان، من لم يأت به كفر؟

ج: لا شك أن الأعمال من مسمى الإيمان، إن العمل نفسه جزء من الإيمان، سمى الله تعالى الصلاة إيمانا ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ ﴾ (1) يعني:صلاتكم قبل صرف القبلة، فجعل ذلك إيمانا، فمن لم يعمل لا يكون مؤمنا حقا ؛ لأن تركه للعمل دليل على أنه لم يكمل إيمانه ،فترك الصلاة نقص في الإيمان وكذلك ترك الزكوات نقص في الإيمان وثلم فيه، فمن لم يأت بالأعمال الصالحة فإن إيمانه ناقص.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، كنا نحفر قبرا فأدركتنا صلاة العصر فأديناها جماعة في المقبرة فما الحكم في ذلك؟

ج: ورد النهي عن الصلاة في المقابر، ولكن ما دام أن هذه صدرت عن جهل وعن عدم استحضار للدليل فيرفع عن ذلك ولا تعاد، إذا حضرت الصلاة في مثل هذه فإنهم يخرجون عن المقبرة ويصلون في المساجد التي في داخل البلد.

س: وهذا يقول: لي قريب عليه ديون كثيرة ومن ضمنها دين ربوي، وهو الآن مسجون على هذا الدين الربوي هل أعطيه من الزكاة؟

ج: تحل له الزكاة ما دام أنه سجين وأنه لأجل الديون، ولو كان أصحابها مرابين فالإثم عليهم، وهو قد يكون مضطرا فبكل حال إذا وجد شيء من الزكاة فإنها تحل له.

س: وهذه تقول: امرأة تقول: إن زوجها إذا عاد من العمل فإنه يتكاسل عن أداء الصلاة مع الجماعة وعندما تنصحه وتحثه على أدائها مع الجماعة يعتذر بأنه مرهق ومتعب من العمل، فهل يعد هذا عذرا للتخلف عن صلاة الجماعة وما توجيهكم لها جزاك الله خيرا؟

- ١سورة البقرة آية : ١٤٣.

ج: لا يعد هذا عذرا، والصلاة ليس فيها صعوبة ولا مشقة، فواجب عليها أن تخبره بأنه لا عذر له، وليس العمل والإرهاق عذرا في ترك الصلاة، فعنده المساجد قريبة قد يكون -أيضا- عنده سيارة توصله إلى المسجد بلا كلفة ولا مشقة، كذلك -أيضا- يقال له:إن الصلاة أولى من العمل الذي أنت تشتغل فيه سواء كان عملا حكوميا أو عملا فرديا، الصلاة أولى بأن يهتم لها وأن يترك لها من الوقت ما يكفي فيها، فعلى كل حال لا عذر له في ذلك، وفي إمكانه أن يريح بدنه بعد الصلاة.

نفعنا الله بعلمكم وأثابكم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

السلام عليكم ورحمة الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.

مر بنا أن من مذهب أهل السنة عدم التكفير بالذنوب ما لم تبلغ تلك الذنوب درجة الشرك، الذنوب التي دون الشرك لا نكفر بها ولا نخرج صاحبها من الملة إذا كان من أهل القبلة، والمذاهب المخالفة مذهبان: مذهب الخوارج يكفرون أصحاب الذنوب، ويخرجونهم من الإسلام، ويدخلونهم في الكفر، ويستحلون دماءهم وأموالهم، ويحكمون بأنهم في النار مخلدين فيها، المذهب الثاني مذهب المعتزلة يجعلونهم في منزلة بين المنزلتين في الدنيا فلا يجعلونهم مؤمنين مسلمين يوالون أو يناصرون، ولا يجعلونهم كفارا يقاتلون وتستحل دماؤهم، بل هم في منزلة بين المنزلتين، وأما في الآخرة فإنهم يحكمون بخلودهم في النار، أما أهل السنة فإننا لا نكفرهم ولكن نقول للعاصي: مؤمن ناقص الإيمان، مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، هكذا عبر شيخ الإسلام ابن تيمية في "العقيدة الواسطية".

اختلفوا في ترك الصلاة هل يكفر به أم لا يكفر به على قولين: تعرض المؤلف الإسماعيلي للقولين، فذكر قول من يكفر، ذكر الذين كفروه وأخرجوه من الإسلام والذين لم يكفروه، وحكى أن الذين لم يكفروه حملوا قوله ﷺ ﴿ بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة ﴾ على أن المراد بالترك هنا التبري منها والتبري من أهلها وجحدها وتأول أو استدل بقوله تعالى حكاية عن يوسف: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا

يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [1] فإنه ها هنا عبر بالترك والمراد به الجحود والإنكار، ولكن ظاهر الأحاديث إطلاق الكفر على تارك الصلاة وقد اتفقوا على أنه يقتل، ولكن اختلفوا هل يقتل حدا أو يقتل ردة، فالذين قالوا يقتل حدا قالوا: يكون ذنبه كذنب الزاني الذي يقتل لأجل الزنى والقاتل الذي يقتل قصاصا فيعامل بعد القتل معاملة المسلمين، أن يصلى عليه ويدفن مع المسلمين، والذين قالوا: يقتل قتل ردة قالوا يحكم بكفره قبل قتله ويمنع أن يرث أقاربه المسلمين ولا يرثونه، ويفرق بينه وبين امرأته إذا كانت تصلي، وإذا مات فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، بل يوارى كما يوارى الكفار. هذا هو الذي يترتب على هذا الخلاف.

ولكن المسألة قد فرضوا فيها فرضا ولكن ذلك الفرض شبه مستحيل وهو أنهم يقولون: إننا إذا علمنا أنه تارك للصلاة أحضرناه ثم وعظناه وخوفناه فإذا أصر وقال: لا أصلي، هددناه بالقتل فإذا امتنع وقال: لو قطعتموني قطعة قطعة فإني لا أصلي وأصر على ترك الصلاة حتى قتل، فالذي يفعل هذا لا شك أنه ليس مقرا بالصلاة لا يمكن أن يقول: أنا أقر بالصلاة وأشهد، أنها فريضة الله ،وأنها عمود الإسلام، وأنها ركن من أركانه، وأن الله فرضها على نبيه ليلة الإسراء فوق السماء السابعة، وأنه قال: ﴿ أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ﴾ وأنه، جعلها آخر ما يفقد من الدين وأول ما يحاسب عليه العباد، وأنه يجعلها أظهر العبادات وأشهرها، أقر بذلك كله وأقر بأنها فريضة الله ولكني مع ذلك لا أصلي ولو قطعتموني قطعة قطعة لا أصلي .هل يمكن أن يكون هذا صادقا في أنه مقر بذلك؟□□ يتضح أنه كاذب في قوله: إنه مقر بها وإنها عبادة وإنها فريضة الله، يستحيل أو يستبعد أن يقر بها ويعترف بها ومع ذلك يصر على تركها ويصبر على القتل، يصبر على قتله وهو مع ذلك مقر.

فعرف بذلك أن مثل هؤلاء الذين لا يصلون لو عرضوا على السيف فإنهم لا يصبرون بل يقولون: لا تقتلوننا ونحن سنصلي، ولا يمكن أن أحدا منهم يقر بالصلاة ويعترف بها ويصبر على القتل، فالذي يصبر

- ١سورة يوسف آية : ٣٧.

على القتل نقول له: أنت كاذب في قولك: إنك تقر ،فإذا نعاملك معاملة الكفار الكاذبين. والمسألة قد بحثها ابن القيم -رحمه الله- وأطال فيها في كتاب الصلاة فابتدأ الكتاب بقول من يقول: إنه يقتل، ثم في أثناء الكتاب استدل أو ذكر أدلة من يقول: إنه كافر وإنه خارج من الإسلام، أورد على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة، ثم بعد ذلك ذكر أدلة من لا يكفره وبين دلالتها،ثم بعد ذلك حكم بينهما ، وبين القول المختار، وبين أنه لا يمكن أن يصبر على القتل وهو مع ذلك معترف بأنها فريضة الله.

والآن نواصل القراءة:

الفرق بين الإسلام والإيمان

والقول في الشفاعة والحوض والمعاد والحساب

وترك الشهادة لأحد من الموحدين بالجنة أو النار

قال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي -رحمه الله تعالى- في بيان اعتقاد أهل السنة في بحثه في مسائل الإيمان:

وقال كثير منهم: إن الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فرض على الإنسان أن يفعله. إذا ذُكر كل اسم على حدة مضموما إلى الآخر فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعا أو مفردين أُرِيدَ بأحدهما معنى لم يُرَد بالآخر ، وإن ذكر أحد الاثنين شمل الكل وعمهم.

وكثير منهم قالوا: الإسلام والإيمان واحد، فقال الله ﷻ ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (١) فلو أن الإيمان غيره لم يُقبل، وقال: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٢) .

ومنهم مَن ذهب: أن الإسلام مختص بالاستسلام لله والخضوع له والانقياد لحكمه فيما هو مؤمن به كما قال: ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ﴾ (٣) وقال: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ (٤) .

وهذا أيضا دليل لمن قال: هما واحد، ويقولون: إن الله يخرج من النار قوما من أهل التوحيد بشفاعة الشافعين برحمته وإن الشفاعة حق، وإن الحوض حق والميزان حق، والحساب حق، ولا يقطعون على أحد من أهل الملة أنه من أهل الجنة أو أنه من أهل النار؛ لأن علم ذلك مُغَيّب عنهم لا يدرون على ماذا يموت: أعلى الإسلام أم على الكفر؟.

ولكن يقولون إن من مات على الإسلام مجتنبا للكبائر والأهواء والآثام فهو من أهل الجنة؛ لقوله – تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ (٥) ولم يذكر عنهم ذنبا ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ (٦) .

ومن شهد له النبي ﷺ بعينه بأنه من أهل الجنة وصح له ذلك عنه فإنهم يشهدون له بذلك اتباعا لرسول الله ﷺ وتصديقا لقوله

- ١سورة آل عمران آية : ٨٥.
- ٢سورة الذاريات آية : ٣٥-٣٦.
- ٣سورة الحجرات آية : ١٤.
- ٤سورة الحجرات آية : ١٧.
- ٥سورة البقرة آية : ٢٧٧.
- ٦سورة البينة آية : ٧-٨.

تكلم هنا على الفرق بين الإسلام والإيمان. قد تقدم قول أهل السنة: إن الإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، قولٌ باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان.

وعلى هذا اتفق سلف الأمة ولما ابتدأ البخاري كتابه بعد المقدمة بالإيمان قال: "وهو قول وفعل": ويريد بالفعل فعل القلب وفعل الجوارح. جاء بهذه العبارة من نفسه، ونقل عنه أنه لما ذكر المشايخ الذين ذكرهم في صحيحه قال: إني خرَّجت هذه الأحاديث عن أكثر من ثلاثمائة شيخ كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل، ولكن اختلفوا هل الإسلام والإيمان بمعنى واحد أو بينهما فرق على أقوال.

فذهب كثير من العلماء إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد، وأن من أطلق عليه مسلم فإنه يصدق عليه أنه مؤمن وبالعكس، ويميل إلى هذا ابن رجب في شرح الأربعين النووية في شرح حديث جبريل الذي فيه تفسير الإسلام وتفسير الإيمان أن أحدهما يفسر بما يفسر به الآخر سواء اجتمعا أو افترقا.

وذهب آخرون إلى أنهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، ومعنى ذلك: أنهما إذا ذكرا جميعا فلكل واحد منهما تفسير، وإذا ذكر أحدهما أغنى عن الآخر.

فيُفسر الإيمان بأنه الأعمال الباطنة، والإسلام بأنه الأعمال الظاهرة وذلك بناء على الأصل، فإن أصل الإيمان هو التصديق بالقلب الذي هو يقينه وتصديقه، وأصل الإسلام هو الإذعان والانقياد، يقال: استسلم فلان للأمير، بمعنى: انقاد له وأذعن و لم يعص و لم يتخلف و لم يتبرم.

فلذلك يقال: المسلم هو الذي استسلم لأمر الله وانقاد له وأذعن وخضع له وتواضع وأطاعه طوعا وكرها أطاع الله -تعالى- طائعا مختارا دون أن يتلعثم ودون أن يتردد في أمر من أمور الدين، إذا أُمر بأمر بادر إليه، وإذا نُهي عن شيء في الإسلام تركه وابتعد عنه، يعتقد أن ما أمر الله به فإنه عين المصلحة، وما نهى عنه فإنه عين المفسدة، متى سمع بأن لله طاعة في كذا سارع إليها وأتى إليها محبا لها ومندفعا إليها اندفاعا قويا كأنه يقاد باختياره دون أن يكون مكرها، فمثل هذا يسمى مسلما.

ويقال مثلا في الإبل: استسلم البعير لقائده، يعني: أذعن وانقاد له، ويقال: هذا البعير لا يستسلم لمن يقوده، فمثلا إذا رأيت اثنين يقودان جملين، أحد الجملين مطاوع لمن يقوده عندما يلف أو يميل أو يقوده يتبع قائده ولا يتردد ولا يستعصي ولا يعاند، بل هو مذعن منقاد لا يلتوي ولا يمتنع فيسمى هذا

مستسلما، بينما الجمل الثاني دائما وهو ينفر ممن يقوده ويستعصي عليه ويجر رأسه إذا قاده بِخطامه ... جر رأسه وربما استعصى، مشى بصاحبه قهرا وربما تفلت من الذي يقوده وشرد وهرب منه، فيقال: هذا جمل غير مستسلم.

ورد في ذلك حديث ولو كان ضعيفا ولكنه يُستشهد به: ﴿ مثل المؤمن كمثل الجمل الأنف إن انقيد انقاد، وإن أُنيخ ولو على صخرة استناخ ﴾ هكذا مثل المسلم بأنه كالجمل الأنف، أي: الجمل المذلل الذي يكون بيد من يقوده إن قاده إلى مرتفع، إن قاده إلى منخفض، إن قاده إلى مكان مظلم، إن قاده إلى مكان فيه حجارة ... أو نحو ذلك فإنه ينقاد مع من يقوده ويستسلم ولا يستعصي أبدا.

هذا حقا هو الذي يصير مثل المؤمن إن قِيد انقاد، وإن أُنيخ ولو على صخرة، ولو على رأس جبل برَكَ ... استناخ.

هذا تعريف الإسلام فسره الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: الإسلام الاستسلام لله بتوحيد رب العالمين، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

الاستسلام هو ما ذكرنا يعني: استسلم لكذا وكذا يقول الله -تعالى-: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا ﴾ (1) يعني: له أسلموا واستسلموا وأنابوا وأذعنوا، أي: جميع المخلوقات مستسلمة له تحت تصرفه وتحت تقديره، فهذا حقيقة الإسلام.

فعرفنا أن كلاًّ من الإسلام والإيمان له معنى في اللغة وله معنى في الشرع، ولكن يظهر أن الشرع يستعمل الإسلام فيما يستعمل فيه الإيمان، ففي حديث جبريل المشهور فرق بينهما ﴿ قال: يا رسول الله، أخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ فسر الإيمان بالأعمال الباطنة؛ وذلك دليل على أنه هو في الأصل اليقين أو عمل القلب.

﴿ وقال: أخبرني عن الإسلام، قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ﴾ فسَّر الإسلام بالأعمال الظاهرة؛

- 1سورة آل عمران آية : 83.

لأن الشهادتين ولو كانت قولية لكنها ظاهرة، ويظهر أثرها بأن يعبد الله وحده ويطيعه، والصلاة أمر ظاهر مشاهد والصوم كذلك -أيضا- أمر مشاهد، والزكاة إيتاؤها أيضا أمر ظاهر، والحج أمر ظاهر .

فهذه أركان الإسلام، أي: الأعمال الظاهرة، لكن جاء في حديث ابن عباس في وفد عبد القيس أن النبي ﷺ قال: ﴿ آمركم بأربع: آمركم بالإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة، وتؤدوا الخُمس من المَغنم ﴾ فجعل هذا هو الإيمان ذكر فيه الشهادتين والصلاة والزكاة.

فدل على أنه قد فسروا الإسلام بما يفسر به الإيمان، وبالعكس أن كلا منهما يدخل فيه الإسلام والإيمان يدخل في الآخر، فإذا ذكرا جميعا فالإسلام هو الأعمال الظاهرة والإيمان هو أعمال القلب، وإذا اقتصر على الإسلام فإنه يستلزم دخول أعمال القلب فيه وإن اقتصر على الإيمان كذلك دخلت فيه الأعمال الظاهرة؛ لأنها من تعريفه.

وقد كتب فيه شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية -رحمه الله- وهو أوسع من كَتب فيه، فكتب فيه: كتاب الإيمان الكبير، وكتاب الإيمان المتوسط، وكتاب الإيمان الصغير، ولكن كتاب الإيمان الصغير يظهر أنه ليس من كتابته، وإنما هو من كتابة بعض أصحابه اختصره من كتبه.

وإذا تأملنا كتاب (الإيمان الكبير) ظهر لنا أنه -رحمه الله- كأنه لا يوافق على أن الإسلام يدخل فيه الإيمان، بل يرى أن الإسلام يختص بالأعمال الظاهرة، وأن من وُصف بأنه مسلم لا يوصف بالإيمان، هذا هو الذي يميل إليه.

وقد سبقه إلى الكتابة في الإيمان علماء كثير، فمنهم: ابن أبي شيبة له رسالة في الإيمان مطبوعة صاحب المصنف، ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام ولو كان من علماء اللغة لكنه -أيضا- من علماء الشرع له رسالة أيضا مطبوعة في الإيمان، ومنهم الإمام ابن منده اسمه محمد بن إسحاق عالم مشهور له كتاب مطبوع في ثلاثة أجزاء، كتب الإيمان ... مما يدل على أن السلف -رحمهم الله- اهتموا بهذه المسألة فكتبوا فيها وتوسعوا.

فالحاصل أن الإسلام يُفسر عند الإطلاق بالأعمال الظاهرة: الشهادتان والصلاة والزكاة والصوم والحج، وتدخل فيه بقية الأعمال الظاهرة، وتكون الأركان الخمسة بمترلة الدعائم التي يقوم عليها ولا يتم إلا بها.

كما إذا فرضنا مثلا أن بيتا قائما على أربعة أركان فإننا نسمي كل ركن دَعِيمة وجمعها دعائم، يعني: أسس يقوم عليها ولا يتم إلا بها فلا يتم، فلو مثلا انهد جانب من جوانبه أصبح مفتوحا تدخله السباع وتدخله الدواب ويدخله اللصوص، ولا يصلح أن يُسكن سواء انهد الجانب الأيمن أو الأيسر أو الأمامي أو الخلفي، لا يصلح للسكنى.

فيقولون كذلك الإسلام إذا تُرك ركن من أركانه فإنه لا يتم ولا ينتفع به ولا ينفع صاحبه، وجعلوا الركن الأساسي هو عمدته التي يعتمد عليها، فقالوا: الشهادتان بمترلة الأساس أو بمترلة الأرض التي يعتمد عليها والسقف الذي يظله، فإذا عُدمت الشهادتان أو إحداهما فإنه لا ينتفع به ولا يمكن أن يقوم الإنسان، لا يبني البيت في الهواء لا بد أن يكون البيت على قرار، ثم لو بناه و لم يسقِّفْه بل تركه مفتوح السقف لم ينتفع به فلا بد أن يكون له أساس وهو الأرض وسقف وهو أعلاه.

فجعل الشهادتان بمترلة الأساس وبمترلة السقف وجُعلت الأركان الباقية بمترلة الدعائم التي هي جوانب البيت، فيقال مثلا: الصلاة ركن، والزكاة ركن، والصوم ركن، والحج ركن، أما بقية تعاليم الإسلام فإنها بمترلة المكمِّلات.

يعني: الإنسان لو بنى البيت مثلا وكمله يعني: ما يسمى بالعظم احتاج إلى زيادات فالزيادات تكون كالمكملات يحتاج مثلا إلى تلييث، ويحتاج إلى دهان ويحتاج إلى بلاط، ثم بعد ذلك يحتاج فرش ويحتاج إلى تنوير ويحتاج إلى تهوية.

فبقية تعاليم الإسلام مثل الجهاد، وتحليل الحلال وتحريم الحرام، ومثل البر والصلة والإحسان إلى الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق في الحديث، وإكرام المسلمين ومعاملتهم بالتي هي أحسن، وترك المحرمات ... وما أشبهها تعتبر كالمكملات.

فيقول الإسماعيلي: "أن الإيمان قول وعمل والإسلام فعل ما فرض الله على الإنسان أن يفعله، وهذا إذا ذكر كل اسم على حدته مضموما إلى الآخر، فقيل: المسلمون المؤمنون جميعا، فإذا ذكر المسلمون والمؤمنون جميعا، فالإسلام هو فعل ما فرض الله على الإنسان أن يفعله والإيمان قول وعمل".

فنحن نقول: يفرق بينهما ولكن تعريفه للإيمان بأنه قول وعمل يدخل فيه تعريفه للإسلام؛ وذلك لأن الإسلام عمل، ففسر الإسلام بأنه فعل ما فرض على الإنسان أن يفعله.

نقول: الأعمال التي يعملها فرضها الله كالصلوات مثلا والصدقات والزكوات والكفارات هذه مأمور الإنسان أن يفعلها فهي من الإيمان، وكذلك من الإسلام فإذا ذُكرت كل واحدة منهما على حدته فالصحيح أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان هو أعمال القلب.

ومعلوم أن الإيمان عند إطلاقه قول وعمل واعتقاد: قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح هكذا يفسره مشايخنا.

القول باللسان يدخل فيه الأذكار والقراءة، الدعاء والأمر بالخير والدعوة إليه، والنهي عن الشر والتحذير منه، والتعليم والتفهيم وإرشاد الضال، والسلام أو رده ... وما أشبه ذلك .

والعمل يدخل فيه عمل القلب وعمل الجوارح فعمل القلب في الحب في الله والبغض في الله والرضا بقضائه، والصبر على بلوائه والخوف منه ورجاؤه والتوكل عليه والتوبة إليه ... وما أشبه ذلك. هذا عمل القلب.

وعمل الجوارح مثل: الركوع والسجود والقيام والقعود والطواف والجهاد والحج وما أشبه ذلك، فالإسلام: فعل ما فرض على الإنسان أن يفعله يعني: فعل كل شيء أمر به فإنه داخل في الإسلام .

قد ورد في الحديث تفسيره بالتروك في الصحيح أنه ﷺ قال ﴿ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ﴾ ها هنا فسره بالترك، ولا شك أنه تفسير -يعني- مشتق من الاسم سلم من سلم المسلمون.

نقول إن هذا أثر من آثار الإسلام يعني: من آثار الإسلام أن المسلم حقا يترك ضرر الناس ولا يؤذيهم، ولا يتعدى عليهم، فيسلم المسلمون من لسانه ومن يده.

يقول: "إذا ذكر أحدهما مضموم إلى الآخر فقيل المسلمون المؤمنون، المؤمنون المسلمون جميعا مفردين أريد بأحدهما معنى الذي يراد بالآخر، وإن ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم".

هذا مقتضى كلام الإسماعيلي أنه إذا اقتصر على واحد منهم شمل معنى الآخر فالإسلام يدخل فيه الإيمان بالبعث، ويدخل فيه الإيمان بالملائكة والكتب والرسل، ويدخل فيه التصديق بأسماء الله وبآيات الله وبمخلوقات الله.

والإيمان تدخل فيه الأعمال الظاهرة، إذا قيل هذا مؤمن دخل فيه كونه يصلي ويزكي ويتصدق ويكفِّر عن ذنوبه، ويتوب إلى ربه ويستغفره ويدعوه ويتلو كتابه ويتدبر آياته، يدخل في هذه الكلمة .

وآخرون قالوا: الإسلام والإيمان واحد يعني: إذا اقتصر على واحد منهما أو ذكر كل واحد منهما فإنهما مترادفان، هذا قول آخر ذكر المعلقون محمد بن ناصر المروزي والثوري والبخاري والمزني وابن عبد البر.

وذكر أيضا أنه مروي عن الشافعي أي: أنهما مترادفان أي: كل واحد منهما بمعنى الآخر لا فرق بينهما يعني: إذا قيل هذا مسلم يكفي عن قولك مؤمن، وإذا قيل مثلا ... مثلما إذا قيل هذا مُقِرٌّ وهذا مصدق، معناهما واحد مقر معترف مصدق، المعنى واحد، فكذلك مسلم مؤمن معناهما واحد .

وقد استدل على ذلك بهذه الآية من سورة "آل عمران": ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (1) فلم يذكر إلا الإسلام، لم يقل: ومن يبتغ غير الإسلام والإيمان، فإذا كان الإيمان غير الإسلام فمعناه أنه لا يقبل إذا دان به أحد؛ فلذلك يقول له: إن الإيمان غيره لم يُقبل لو أن الإسلام غير الإيمان لم يُقبل، ويستفاد منه أن الإسلام هو الإيمان وأن الإيمان هو الإسلام؛ لأن الله لا يقبل إلا الإسلام.

ومعلوم أنه يقبل الإيمان فيكون الإسلام والإيمان بمعنى واحد، ويستدل أيضا بآية في سورة "الذاريات" قول الله -تعالى-: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ

- 1سورة آل عمران آية : 85.

بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [1] والمراد بهم آل لوط "فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين" يعني: لوطا وذريته أو وأهل بيته وُصفوا بأنهم مسلمون وبأنهم مؤمنون.

والصحيح أنهم جامعون بينهما؛ فإنه نبي من أنبياء الله -تعالى- فلا بد أنه مسلم ومؤمن، وأن أهل بيته كذلك مسلمون مؤمنون، إلا ما كان من امرأته إنها كانت من الغابرين، فبقية أهل بيته الذين أنجاهم الله -تعالى- جامعون بين الوصفين الإسلام والإيمان.

وسواء قلنا: إنهما متغايران أو إنهما مترادفان، ومنهم من ذهب إلى أن الإسلام مختص بالاستسلام لله والخضوع له والانقياد لحكمه بما هو مؤمن به قد ذكرنا أن الإسلام هو الاستسلام يعني: الإذعان والانقياد والخضوع والخشوع، وأنه مشتق من ذلك؛ لأن صاحبه ينقاد لأمر الله متى دعي إلى طاعة جاء إليها طائعا مختارا، فيكون هذا معنى الإسلام.

والدليل عليه آية سورة "الحجرات" فإن الله -تعالى- فرق فيها بين الإسلام والإيمان ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ﴾ [2] فهذا إنكار عليهم أنهم لم يؤمنوا ولكنهم أسلموا .

هذه الآية لا شك أن فيها التفريق بين الإسلام والإيمان كذبهم الله بقولهم آمنا فقال: لم تؤمنوا وإنما أسلمتم، إسلامهم كأنه شيء ظاهر، وأن الإيمان لم يصل إلى قلوبهم ولما يدخل الإيمان في قلوبكم.

فالإيمان الذي هو اليقين والتصديق الجازم والتصديق بالبعث بعد الموت وبالجزاء على الأعمال الصالحة، والتصديق بكل ما جاءت به الرسل وتقبله والتقبل له والعمل به عن يقين.

فمثل هؤلاء كأنهم دخلوا في الإسلام قريبا، ومع ذلك لم يصل الإيمان الصحيح إلى قلوبهم، ما وقر فيها الإيمان، بل هم لا يزالوا مترددين يدخلون في قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ [1] .

- ١سورة الذاريات آية : ٣٥-٣٦.

- ٢سورة الحجرات آية : ١٤.

فهؤلاء مجموعة من الأعراب لم يكن الإيمان قد وقر في قلوبهم. فاستدل بهذه الآية على الفرق بين الإسلام والإيمان، وأن الإسلام هو الاستسلام الظاهر ، معناه: أنهم دخلوا في الإسلام دخولا ظاهرا ولكن قلوبهم امتلأت بالإيمان و لم تطمئن به.

يقول في آخر الآية: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [٢] يعني: كلامهم هذا يمنون به يعني: يمتنون به على النبي ﷺ المنة لله تعالى عليكم أنه هو الذي هداكم للإيمان، وهو الذي أقبل في قلوبكم.

﴿ لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ ﴾ [٣] المنة لله هو الذي له المنة على عباده حيث أنه هداكم للإيمان إن كنتم صادقين أنكم مؤمنون، استدل المؤلف بآخرها بقوله: ﴿ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ [٤] على أنهما بمعنى واحد ﴿ لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ [٥] فجعله إسلام وإيمان، ولكن آخر الآية يدل على أنهم لم يكونوا مؤمنين حقا، إن كنتم صادقين في قولكم: آمنا.

فهذه الآية فرقت بينهما، ومثلها حديث في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص قال: « أعطى النبي ﷺ أناسا وترك رجلا هو أعجبهم إليَّ، فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلان! فوالله إني لأراه مؤمنا، فقال: أو مسلما كرر ذلك ثلاث مرات » ما أقره على قول مؤمن، قال: أو مسلم، كأنه يقول: لا تشهد له بالإيمان فإن الإيمان شيء خفي، ولكن اشهد له بالإسلام؛ لأنه الذي تراه منه.

أنت لا ترى إلا مثلا تمشيه مع الإسلام مع المسلمين، وسيره معهم فهذا الذي تشهد به وبكل حال فيها كما ذكرنا ثلاثة أقوال: قول أن الإسلام والإيمان مترادفان يعني: شيء واحد، وقول أن بينهما فرقا،

- ١سورة الحج آية : ١١.
- ٢سورة الحجرات آية : ١٧.
- ٣سورة الحجرات آية : ١٧.
- ٤سورة الحجرات آية : ١٧.
- ٥سورة الحجرات آية : ١٧.

وأنه لا يمكن أن أحدهما يفسر به الآخر، والقول الثالث وهو أقربها أنهما إذا ذكرا جميعا فالإيمان: أعمال القلب والإسلام أعمال البدن الظاهرة، وإن اقتصر على واحد منهما دخل فيه الآخر.

ننتقل لفقرة عشرين، ويقولون: "إن الله يخرج من النار قوما من أهل التوحيد بشفاعة الشافعين وإن الشفاعة حق، والحوض حق، والمعاد حق -وفي نسخة- والميزان حق والحساب حق".

هذه الفقرة تتعلق بالإيمان بالآخرة وبالإيمان بما بعد الموت، وبالإيمان بالبعث وما يكون فيه، وفيها رد على المعتزلة والخوارج؛ فإنهم ينكرون الشفاعة، شفاعة الشافعين.

وقد ذكر العلماء أن الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال: قوم أثبتوها مطلقا، وقوم أثبتوها بشروط، وقوم نفوها. فالذين نفوها هم الخوارج والمعتزلة؛ وذلك لأنهم يكفرون بالذنوب، وعندهم أن من دخل النار من أصحاب الذنوب فإنه يخلد فيها.

الخوارج يكفرونه في الدنيا والآخرة، والمعتزلة يفسقونه في الدنيا ويخلدونه في الآخرة في النار، وينكرون على هذا شفاعة الشافعي، ن وينكرون أيضا الأحاديث التي وردت في الشفاعة مع كثرتها، ويستدلون بمثل قول الله -تعالى-: ﴿ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ ﴾ [1] وقوله -تعالى-: ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ [2] وقول الله -تعالى: ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ﴾ [3] .

فمثل هذه الآيات فيها نفي الشفاعة؛ فلذلك قالوا: ليس في الآخرة شفاعة، بل من دخل النار فلا يشفع فيه أحد فهو مخلد في النار، قد يستدلون بقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ

- ١سورة البقرة آية : ١٢٣.
- ٢سورة البقرة آية : ٤٨.
- ٣سورة البقرة آية : ٢٥٤.

غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ ﴾ [2] .

على أن من دخل النار فإنه لا يخرج منها ولا دلالة في الآية، بل الآية فيها نفي الشفاعة التي بدون إذن الله.

فلأجل ذلك أثبت الله الشفاعة بشرطين، وعليه قول أهل السنة:

الشرط الأول: الإذن للشافع.

والشرط الثاني: الرضا عن المشفوع، ذكر الله الشرطين في سورة "النجم": ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [3] يأذن للشافع ويرضى عن المشفوع.

وذكر الرضا في سورة "طه" وفي سورة "الأنبياء": ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [4] ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [5] .

آية طه ذُكِر فيها الشرطان: "أذن له الرحمن ورضي له قولا" وذكر الإذن في آية الكرسي ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ [6] وفي آية سورة "سبأ": ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ ﴾ [7] .

- ١سورة الحج آية : ٢٢.
- ٢سورة المائدة آية : ٣٧.
- ٣سورة النجم آية : ٢٦.
- ٤سورة الأنبياء آية : ٢٨.
- ٥سورة طه آية : ١٠٩.
- ٦سورة البقرة آية : ٢٥٥.
- ٧سورة سبأ آية : ٢٣.

فكل هذه أدلة على أن هناك شفاعة، ولكنها لا تكون إلا بعد إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع فيهم، فعلى هذا فإن العبد لا يطلبها إلا من الله، فيقول: يا ربي اجعلني ممن تنفعه شفاعة الشافعين، أسألك أن تُشَفِّع فيَّ أنبياءك ورسلك وملائكتك، أسألك عملا صالحا أكون أهلا أن يشفع في الشافعون ... وما أشبه ذلك.

ولا تطلب من الإنسان فلا يقال: يا رسول الله اشفع لنا! إذا كان نداؤه بعد الموت لا يطلب منه الشفاعة، فضلا عن غيره من الملائكة ومن الخلق، لا تطلب الشفاعة إلا من الله تعالى؛ لأنه هو الذي يملكها قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [1] أي: هو الذي يملكها وأخبر بأن هناك من لا تنفعهم في قوله تعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ۝٤٧ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨ ﴾ [2] .

فالحاصل أن قول أهل السنة: أن الله يخرج من النار قوما من أهل التوحيد بشفاعة الشافعين وأن الشفاعة حق ردًّا على المعتزلة الذين أنكروها.

كذلك الاعتراف بأن الحوض حق، الذي ذكر في الأحاديث ورد فيه أكثر من أربعين حديثا أنه حوض يرده المؤمنون من هذه الأمة طوله مسيرة شهر وعرضه مسيرة شهر، آنيته عدد نجوم السماء، ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل، من شرب منه لم يظمأ بعده حتى يدخل الجنة، يرده المؤمنون ويُزاد عنه الكفار. نؤمن بذلك كما ورد .

والمعاد: يراد به البعث بعد الموت، وسمي معادا لأن الناس عادوا إليه كأنهم كانوا في الدنيا ثم عادوا من الدنيا إلى الدار الأخرى، والإيمان بالميزان أيضا حق، والميزان هو الذي ينصب وتوزن فيه أعمال

- ١سورة الزمر آية : ٤٤.
- ٢سورة المدثر آية : ٤٢-٤٨.

العباد، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ ﴾ (1) .

وذكر الله -تعالى- أن الموازين تخف وترجح ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (2) ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾ (3) .

ورد في الأحاديث أنه ميزان له كفتان له لسان، وأنه توضع فيه الأعمال وأنه يرجح أو يخف بحسب ما يوزن فيه.

وكذلك الحساب حق، قال الله -تعالى-: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ (4) ويقول الله -تعالى- عن المؤمن: ﴿ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾ (5) وكذلك عن الكافر يقول: ﴿ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ ﴾ (6) ويقول الله -تعالى-: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ (7) ويخبر الله عن سرعة الحساب فيقول: ﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ (8) فالحساب عن الأعمال حق، ويقول في الحديث: « مَن نُوقش الحساب عُذِّب » فكل ذلك دليل على إثبات هذه الأشياء.

- 1سورة الأنبياء آية : ٤٧.
- 2سورة المؤمنون آية : ١٠٢-١٠٣.
- 3سورة القارعة آية : ٦-٩.
- 4سورة النشقاق آية : ٨.
- 5سورة الحاقة آية : ٢٠.
- 6سورة الحاقة آية : ٢٥-٢٦.
- 7سورة الإسراء آية : ١٤.
- 8سورة البقرة آية : ٢٠٢.

بعد ذلك يقول: "إن أهل السنة لا يقطعون لأحد من أهل الملة بأنه من أهل الجنة أو أنه من أهل النار لا نشهد لمعين بأنه من أهل الجنة أو أنه من أهل النار؛ وذلك لأنا لا نعلم ما يموت عليه هل يموت على الإسلام أو على الكفر، لا نعلم بالخواتيم ولا ندري ما مات عليه، بل نعتقد أن من مات على الإسلام حقا مجتنبا للكبائر والأهواء والآثام فهو من أهل الجنة".

واستدل بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ ﴾ [1] ماذا ترى أنهم أذنبوا ذنوبا؟ بل عملوا الصالحات وآمنوا فجزاؤهم جنات عدن، ولكن هذا مجمل وكذلك من شهد له النبي ﷺ من ورد أنه من أهل الجنة بالكتاب أو السنة، فإننا نقر بأن ذلك حق ونشهد له فلا نشهد لأحد بالجنة ولا بالنار إلا من شهد له رسول الله ﷺ ونقف عند هذا والله أعلم.

الحمد لله رب العالمين وصل الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد:

س: فهذا يقول فضيلة الشيخ، شخص معه زوجته في سيارته فصدمها فماتت الزوجة هل على الزوج صيام شهرين مع العلم أنه هو المصدوم؟

ج. الكفارة والدية على من كان منه الخطأ فإذا كان الخطأ كله على الذي صدمهم فهو الذي يدفع الدية ويكفر بالصيام أو بالعتق، فإن كان عليه خطأ أو نسبة من الخطأ فعليه جزء من الدية وعليه الكفارة.

الحاصل أن الكفارة على من هو مخطئ سواء خطأ كليا أو خطأ جزئيا. الكفارة على من عليه الخطأ خطأ كلي أو خطأ جزئي، وعليه كفارة تامة لو كان عليه نسبة من الخطأ مثلا عشرين في المائة يعني:

- ١سورة البينة آية : ٧-٨.

الخمس أو خمسة وعشرين يعني: الربع، فالكفارة كاملة تكون على الجميع يعني: على الطرفين كفارتين هذا يصوم وهذا يصوم.

س: وهذا يقول: رجل اشترى عمارة فأجرها فكيف يزكّي عنها مع العلم أنه إذا جاءه نفس هذا المبلغ باعها فكيف تكون الزكاة؟

ج- نفس العمارة لا زكاة في قيمتها، وإنما الزكاة في الأجرة، فإذا أجرها حال الحول على الإيجار زكَّاهُ، فإن لم يحُل عليه الحول بل أنفقه في حينه، فلا زكاة فيه وإن أنفق بعضه فالزكاة فيما بقي.

فمثلا إذا أجَّرها بعشرين ألفا تبدأ من شهر واحد من شهر محرم فهذه العشرين الألف إذ جاء شهر اثني عشر وهي عنده زكّاها وإن أنفق منها وبقي نصفها جاء شهر اثني عشر وهي عنده نصفها زكّى النصف.

س- وهذا يقول: فضيلة الشيخ، أنا شاب هداني الله إلى طريق أهل السنة والجماعة فهل يجب علي أن أختار مذهب من المذاهب الأربعة أنتسب إليه، أم يكفيني الأخذ بالأرجح من أقوال الأئمة وأعمل به دون أن أنتسب لمذهب معين؟

ج- لا يلزم الانتساب إلى المذهب بل الذي عنده قدرة يعمل بما يتيسر له من أقوال العلماء فلا يلزم أن يقول: أنا شافعي أو أنا حنفي بل يلزم ما عليه جماهير المشايخ وعلمائه الذين تعلم عليهم، فإن اختار مذهبا من المذاهب ثم ترجحت له مسألة في مذهب آخر، وعرف قوة الدليل فإنه يتبع الدليل ولو خالف المذهب الذي انتحله فالعبرة بالدليل مهما كان.

س: ويقول أيضا: كما وأني أعيش بين قومي الذين يقولون بخلق القرآن وخلود أصحاب الكبائر في النار وعدم رؤية الله في الآخرة، فما حكم صلاتي خلفهم مع العلم أني أصلي جميع الصلوات خلفهم، وإعادة جميع الصلوات فيه مشقة كما ترون من حالي هذا، فبماذا تنصحونني وجزاكم الله خيرا؟

ج: ننصحك بالدعوة إلى الله وهؤلاء الذين تصفهم هذا وصف المعتزلة، فهم الذين ينكرون رؤية الله تعالى، وهم الذين يقولون بخلق القرآن، وهم الذين ينكرون قدرة الله تعالى على أفعال العباد، وهم الذين يخلِّدون أصحاب الكبائر في النار فهؤلاء معتزلة.

المعتزلة الذين يغلون في إنكار صفات الله تعالى قد ذهب قوم إلى تكفيرهم، وقرأنا في هذا المسجد في شرح كتاب أصول أهل السنة للالكائي عدد من كفّر المعتزلة والجهمية حيث عدَّ منهم خمسمائة من العلماء، ولكن ومع ذلك إذا لم تجد إلا إماما يعتقد هذا الاعتقاد فنرى أنك تصلي خلفه ولا نلزمك بالإعادة؛ وذلك لما سيأتي أن الصحابة كانوا يصلون خلف أئمة الجور ولا يؤمَرون بالإعادة، وصلِّ على معتقدك وعلى ديانتك.

وكذلك أيضا تأتي بما تعتقده في صلاتك ولو كانت صلاقم فيها شيء من المخالفة فإنه قد يكون بين أهل السنة وبين المبتدعة خلاف في بعض أركان الصلاة أو شروطها أو واجباقا فتأتي بما تستطيعه.

س: ويقول أيضا: ما هو الحكم في العوام الذين يتبعون أصحاب المذاهب المنحرفة عن طريق أهل السنة والجماعة، لكن هؤلاء العوام لا يعرفون عن عقائد تلك المذاهب شيئا فهل هم على الفطرة؟

ج: لا شك أن العوام لا يدرون ما هو الصواب، ولكن في العادة أنهم يقلدون من يرونه عالما، ويحسنون الظن به فإذا رأوا عالما جهبذا محبرا أو بليغا فصيحا كثير المعلومات وكثير المحاضرات اعتقدوا أنه بحر لا ساحل له، وأن الصواب في جانبه وأن من خالفه فإنه مخطئ، ولم يكونوا يعرفون غيره فينخدعون به ويتبعونه.

ولا شك أنهم مخطئون وأن الواجب عليهم البحث واتباع الصواب فيدخلون في قول الله تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ﴾ (1) .

هم لا بد أنهم يتبرءون منهم في الآخرة وكل منهم يدعي أنه هو الذي أضل صاحبه أو أنه ضُل بسببه، وعلى كل حال عليك أن تنصح العوام وتبين لهم الخطأ الذي وقعوا فيه، وأن الصواب قول أهل السنة وتطلعهم على كتب السلف ... سلف الأمة أهل القرون المفضلة لا يوجد فيهم -والحمد لله- من

- ١سورة البقرة آية : ١٦٦-١٦٧.

هو على مذهب المعتزلة، ثم أيضا هم المعترف بفضلهم وبحفظهم للسنة فإذا أصروا على ذلك فإنك قد سلمت من الإثم وأقمت عليهم الحجة.

س: ويقول: ما قول السادة العلماء في حكم إعادة الجماعة في المسجد الواحد عدة مرات، وهل يوجد فرق في إعادة الجماعة في المسجد كأن يكون مفْترِض وراء متنفِّل أو متنفِّل وراء مفترِض، أرجو من فضيلتكم توضيح الأمر وجزاكم الله خيرا؟

ج- قد يكون قصده إعادة الجماعة لاختلاف المذاهب كما ذلك في الحرم المكي قبل ستين سنة أو سبعين سنة، يعني: قبل أن تستولي عليه المملكة كان الحرم يصلي فيه أربع جماعات: جماعة الحنابلة ومحرابهم في شرق الكعبة، وجماعة الحنفية محرابهم في شمال الكعبة، وجماعة المالكية محرابهم في غرب الكعبة، وجماعة الشافعية محرابهم في جنوب الكعبة بين الركنين.

أربع جماعات كل منهم يعتقد أن صلاته ما تصح مع صلاة الآخر، فلما فتحت مكة ودخلت تحت هذه الدولة أُقيمت عليهم الحجة، قيل لهم: هل الأئمة أنفسهم يكفر بعضهم بعضا؟ أليس الشافعي يصلي خلف مالك؟ ومالك يصلي خلف أبي حنيفة؟ وكذلك أيضا الإمام أحمد يصلي خلف الشافعي؟ وكلهم بعضهم يأخذ عن بعض، فما هذا الاختلاف! فهداهم الله وصاروا جماعة واحدة .

فنقول: لا يجوز تعديد الجماعات لاختلاف المذاهب إذا كان هذا قصد السائل، وأما إن كان قصده إعادة الجماعة جماعة ثانية بعد الجماعة الأولى فهذا جائز بل ومسنون، فإذا مثلا صلى الجماعة الذين أذنت الصلاة لهم وصلى بهم الإمام الراتب، وجاء متخلفون من هنا ومن هنا فلا يصلون فُرادى بل يصلون جماعة، يقدمون أحدهم ويكون لهم فضل الجماعة وإن لم يكن لهم فضل الذي للجماعة الأولى.

وهكذا لو قدر مثلا أنهم انتهوا من الصلاة وجاء جماعة ثالثة فإنهم يصلون أيضا جماعة ولا يصلون متفرقين خلافا لما اشتهر عن الشافعية والحنفية أنهم يصلون فرادى، وهذا قولٌ مَرْوِيٌّ عن الشافعي، ولكنه لم يكن معمولا به في زمانه كالعمل به في هذا الزمان.

والصحيح أنهم يصلون جماعة ولو قدر مثلا أنه دخل واحد وأنت قد صليت وأحببت أن تصلي معه حتى تحصل له فضيلة الجماعة فإن ذلك جائز، ودليله ما ثبت في الحديث: ﴿ أن رجلا دخل بعدما صلى

النبي ﷺ فقال: من يتصدق على هذا؟ -يعني: يصلي معه- فقام أبو بكر وصلى معه ﴾ فهذا دليل على إعادة الجماعة، وأنه يجوز أن يكون المتنفل أحد المعيدين وسواء كان هو الإمام أو هو المأموم.

س: وهذا يقول: قرأت في مقدمة شرح الترمذي تحفة الأحوذي للمباركفوري كلاما يقول فيه: أن قراءة صحيح البخاري بنية كشف الكربات وشفاء المرضى وقضاء الحاجات حيث قرأت ذلك عن بعض علماء الهند، وذكر أن هذا مجرَّب وقد بلغ عند علماء الحديث مرتبة الشهرة فهل يصح ذلك؟

ج- يمكن أنهم جربوا، لكن لا ينطبق على كل فرد، لا شك في أهمية صحيح البخاري، وأنه أصح الأحاديث وأنه مشتمل على الأحاديث الصحيحة، ولكن وصوله إلى هذا وقراءته لأجل الشفاء أو قراءته لأجل إزالة الكروب ولأجل تفريج الهموم وما أشبه ذلك يختلف باختلاف الأحوال.

ونحن نقول الذي تقع فيه هذه الهموم والكروب والشدائد عليه أن يدعو الله -تعالى- بالآيات الواردة والله تعالى يفرجها.

س- وهذا يقول: رجل لا يصلي فإذا قيل له لماذا لا تصلي؟ قال: لم يحِن الوقت لكي أصلي، وأنا أقر بالصلاة وأعترف بها، ولكن أشعر أنه ما آن الوقت بعد لتأديتها، ثم يختم قائلا الهداية من الله. فكيف نرد عليه؟

ج- قوله: ما آن الوقت أو لم يحن الوقت يكذبه الواقع، المعلوم أن مواقيت الصلاة محددة معروفة الأول والآخر: وقت الظهر يدخل بالزوال مثلا، وقت المغرب بالغروب، وقت الفجر بطلوع الفجر، فكيف يقول: ما آن أو ما حان الوقت! .

ولكن قد يكون قصده ما أتى الوقت الذي أصلي فيه ومثل هذا كأنه يمتنع عن الصلاة إلى أن يأتي وقت يصلي فيه ومعناه أنه يقول: لا أصلي إلا إذا أردت الصلاة.

فالجواب أن نقول له: إذا كنت معترفا بالصلاة ومقرا بأنها فريضة الله تعالى، وأنها عمود الدين ثم مع ذلك بالغت في تركها وامتنعت منها وادعيت بأن الله ما أمرك بها أو ما هداك، أو قلت مثلا الله الهادي، الهداية بيد الله فمعناه أنك معاند ومصر على تركها .

فالحاصل أن مثل هذا لا بد أن يعاقَب فمن العلماء مَن قال: يدعى إلى الصلاة ثلاثة أيام فإن امتنع فإنه يُقتل، وكيفية قتله أن يُضرب بالسيف.

ومنهم من قال: يُضرب بالعصي إلى أن يموت، أو يتوب ويصلي، ومعلوم أنه إذا هدد بالضرب فلا بد أن يرجع ويلتزم أداء الصلاة.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، إني أعيش في بلدة يوجد فيها المقابر مبنية بالطوب الأحمر الذي دخل النار، فهل يجوز لي أن أقوم بدفن الموتى مع العلم أنه إذا تركنا هذا الأمر يقوم به آخرون يفعلون البدع المحرمة أفتونا مأجورين؟

ج: لم يكن هناك دليل واضح على المنع من أن يجعل اللبن الأحمر أو اللبن الأسود البلك في القبور، وإنما ذلك من اجتهاد كثير من العلماء تفاؤلا، فقالوا: لا يدخل في القبر شيء مسته النار، فقالوا: هذا الإسمنت قد مسته النار، وكذلك ما يصنع منه البلك الأحمر أو الأسود أو ما أشبه ذلك.

وما دام أن المسألة اجتهادية وأنه ليس هناك نص قاطع، وأنه يترتب على تركك لهذا العمل أن يتولاه مبتدعة فننصحك بأن تتولاه، ولو حصل وجعل فيه هذا اللبِن.

س- وهذا يقول: فضيلة الشيخ، يَسْتَدِلُّ بعض الرافضة بحديث قول النبي ﷺ "أصحَابي أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك" يستدلون بهذا على ردة الصحابة فكيف الرد عليهم؟

ج. نعوذ بالله! معلوم أن أصحابه الذين صحبوه فترة طويلة هم الذين قاتلوا المرتدين، الذين أحدثوا بعده هم قوم من الأعراب ارتدوا بعدما توفي. خلق كثير كانوا دخلوا في الإسلام في حياة النبي ﷺ فلما توفي ارتدوا وكفروا بعد إسلامهم فمن الذي قاتلهم؟ .

قاتلهم الخلفاء الراشدون ... قاتلهم الصحابة ومنهم من قُتل على كفره، ومنهم من هرب و لم يقتل، ومنهم من رجع إلى عبادة الأوثان، ومنهم من منع الزكاة ثم لما قاتلوهم هدى الله تعالى من اهتدى منهم، ورجع إلى الإسلام، ومن لم يرد الله هدايته فإنه بقي على ضلاله. هؤلاء هم الذين أريدوا بقوله: ﴿ لا تدري ما أحدثوا بعدك ﴾ .

فالذين يُذادون عن الحوض هم أولئك المرتدون، ويمكن أيضا أنه يذاد عنه المنافقون ويمكن أن يذاد عنه المكذبون من الأمة من متأخريهم إلى يوم القيامة، ولو كانوا مثلا يصلون ويتوضئون، يُذادون عنه لأنهم ليسوا من الصادقين.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، نأمل منكم إلقاء كلمة للأخوة الذين لا يأتون للمسجد إلا متأخرين، ويصرون على أن يكونوا في الصفوف الأولى غير مبالين بما يسببونه من زحام ومضايقة لإخوانهم الذين سبقوهم، ولما يحصل من عدم الخشوع في الصلاة للسابق والمسبوق وجزاكم الله خيرا؟

ج- هذه نصيحة من أحد إخوانكم يقول: إن عليكم أن تتسارعوا وتسابقوا إلى الصفوف الأولى، وأن الصفوف الأُوَل الأحق بها من سبق فمن سبق فهو أحق، فالمتأخر يصف حيث يجد مكانا، وليس له الحق في أن يزاحم حتى يتقدم في الصفوف ويضر بالمصلين ويزحمهم ويضايقهم، ليس له حق في ذلك بل عليه أن يصف حيث وجد مكانا.

فالمتقدمون هم أحق بالصف الأول ثم الذين يلونهم أحق بالثاني، وهكذا الثالث والرابع إلى أن يصير المتأخرون مرة هم في آخر صف، هذا هو ترتيبهم.

يمكن للإنسان أن يكون في الصف الأول ثم ينتقض وضوءه أو يحتاج إلى تجديد وضوئه ففي هذه الحال له أن يبقي كتابه مثلا في مكانه ويذهب ويتوضأ ثم يرجع وهو أحق بمكانه.

نفع الله بعلمكم وأثابكم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

آخر ما قرأنا ما يتعلق بالشهادة بالجنة أو النار، وهي مسألة عن العقيدة وهو أنَّا لا نشهد بالجنة ولا بالنار إلا لمن جاء به النص ورد فيه نص صريح محدد أنه من أهل الجنة أو من أهل النار، وإلا فإنَّا نتوقف لا نجزم بالجنة ولا بالنار لمعين.

ورد أو ذكر ذلك في كتب العقائد، وقالوا: إنا لا ندري ما عاقبتهم؟ هذا الإنسان الذي رأيناه مسلما ومؤمنا وتقيا ونقيا لا ندري ما عاقبة أمره، ولا بماذا ختم له فقد يختم له بعمل سيئ .

وكذلك هذا الكافر أو الفاسق أو المعاند الذي نراه سيئ الديانة وسيئ المعتقد وسيئ الأعمال ربما أن الله يتوب عليه قبل موته، ويختم له بخاتمة طيبة فيكون سعيدا؛ لقول النبي ﷺ « إن أحدكم ليعمل بعمل

أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإنما الأعمال بالخواتيم ﴾ .

يعني: أنا قد نرى إنسانا تقيا نقيا ولكن يختم له بخاتمة سيئة تكون هي آخر حياته فيكون شقيا وتحبط أعماله ويحكم له بأنه من أهل النار، وبالعكس نرى إنسانا طوال حياته وهو سيئ الأعمال وسيئ الأخلاق وسيئ المعتقد وبعيد عن الله وبعيد عن ديانته، فيختم له عند آخر أجله بعمل سعيد بعمل أهل السعادة فيكون من أهل الجنة. هذا من حيث العموم.

أما من حيث الخصوص فيشهد لمن شهد له النبي ﷺ وكذلك يشهد لعموم المؤمنين بالجنة، واستدل المؤلف بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ ﴾ [1] .

والآيات كثيرة وفيها أن أهل الأعمال الصالحة، وأهل الإيمان من أهل الجنة، وأن أهل السيئات، وأهل الكفر من أهل النار مثل قوله -تعالى-: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٨٢ ﴾ [2] وكذلك قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ [3] .

فمن حيث العموم نقول: أهل الإيمان والعمل الصالح عموما نشهد لهم بالجنة إذا كانت أعمالهم صالحة، وكان إيمانهم حقيقيا، ولم يكونوا مشركين ولا مبتدعين. نشهد لهم بالإيمان عموما إلا أننا لا نخصص فلانا وفلانا.

- ١سورة البينة آية : ٧-٨.
- ٢سورة البقرة آية : ٨٢.
- ٣سورة البينة آية : ٦.

وكذلك أهل الكفر والبدع المكفرة نشهد لهم بالنار عموما فنقول: من مات وهو على الكفر أو من مات وهو على البدع المكفِّرة فإنه من أهل النار، ولكن لا نخصص فلانا وفلانا.

ورد النص بتعيين بعض الأشخاص فيقتصر عليهم، قد ثبت أنه ﷺ ذكر أن العشرة من أهل الجنة: الخلفاء الأربعة والستة الباقون من العشرة الستة هم: سعيد بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، مع الخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي شهد لهم النبي ﷺ بالجنة فنشهد لمن شهد له.

وكذلك قوله: ﴿ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ﴾ وكذلك شهد لبلال بأنه سمع خبط نعليه في الجنة أو خشخشة نعليه، وشهد لثابت بن قيس لما نزلت الآية في قوله: ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ ﴾ [1] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ [2] خاف ثابت أنه من أهل النار من الذين يرفعون أصواتهم عند رسول الله، فأرسل إليه النبي ﷺ يبشره بالجنة .

وكذلك بشَّر عكاشة بن محصن بالجنة وغيرهم كثير يعني: قد ذكر كثير من العلماء عددا منهم مثلما ذكره الشيخ ابن سليمان في (الكواشف الجلية شرح العقيدة الواسطية) وغيره، فهؤلاء الذين ورد النص بأنهم من أهل الجنة نشهد لهم بها.

وأما الباقون فإننا نرجو لهم كما سيأتينا في الصحابة، وكذلك بقية المؤمنين أما الشهادة بالنار فمثل أبي لهب قال الله عنه: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ ﴾ [3] فهذا متحقق أنه من أهل النار، ومثل أبي طالب أخبر النبي -عليه السلام- أنه جعل في ضحضاح من نار، ومثل أبي جهل الذي قال: إنه فرعون هذه الأمة وقُتل على كفره.

- ١سورة الحجرات آية : ٢.
- ٢سورة الحجرات آية : ٣.
- ٣سورة المسد آية : ٣.

وكذلك من الأمم السابقة الأمم الذين أهلكهم الله -تعالى- كفرعون وجنوده وقوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، ونحوهم ممن كذبوا رسلهم وأتاهم العذاب وهم على كفرهم، فهؤلاء يُشهد لهم بالنار من حيث العموم كقوم نوح، ومن حيث الخصوص كفرعون وهامان وقارون ونحوهم.

وبكل حال الشهادة تحتاج إلى أدلة وحيث أن الدليل إنما هو دليل عمومي فإننا نقره على عمومه. والآن نواصل القراءة.

عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

وترك الخصومات والمراء في الدين

وخلافة الخلفاء الراشدين

قال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي -رحمه الله تعالى- في بيان اعتقاد أهل السنة:

"ويقولون: إن عذاب القبر حق، يعذب الله من استحقه إن شاء وإن شاء عفا عنه في قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [1] .

١ - سورة غافر آية : ٤٦.

فأثبت لهم ما بقيت الدنيا عذاب بالغدو والعشي دون ما بينهما حتى إذا قامت القيامة عُذبوا أشد العذاب بلا تخفيف عنهم كما كان في الدنيا، وقال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [1] يعني: قبل فناء الدنيا لقوله تعالى بعد ذلك: ﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [2] .

بين أن المعيشة الضنك قبل يوم القيامة وفي معاينة من اليهود والنصارى والمشركين في العيش الرغد والرفاهية والرفاهة في المعيشة ما يعلم به أنه لم يرد به ضيق الرزق في الحياة الدنيا لوجود مشركين في سعة من أرزاقهم، وإنما أراد به بعد الموت قبل الحشر.

ويؤمنون بمسألة منكر ونكير على ما ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ مع قول الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [3] وما ورد تفسيره عن النبي –صلى الله عليه وسلم.

ويرون ترك الخصومات والمراء في القرآن وغيره؛ لقول الله ﷻ ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [4] يعني: يجادل فيها تكذيبا بها، والله أعلم.

ويثبتون خلافة أبي بكر ﷺ بعد رسول الله ﷺ لاختيار الصحابة إياه، ثم خلافة عمر بعد أبي بكر ﷺ لاستخلاف أبي بكر إياه، ثم خلافة عثمان ﷺ لاجتماع أهل الشورى وسائر المسلمين عليه عن أمر عمر، ثم خلافة علي بن أبي طالب ﷺ ببيعة من بايع من البدريين؛ عمار بن ياسر وسهل بن حنيف ومن تبعهما من الصحابة مع سابقته وفضله، ويقولون بتفضيل الصحابة الذين رضي الله عنهم . يكفي.

---

١ – سورة طه آية : ١٢٤.

٢ – سورة طه آية : ١٢٤.

٣ – سورة إبراهيم آية : ٢٧.

٤ – سورة غافر آية : ٤.

من الإيمان بالغيب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه داخل في قول الله -تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ (1) أي: يؤمنون بكل ما غاب عنهم من أمر الآخرة ومقدمات الآخرة.

فالإيمان بعذاب القبر ونعيمه أمر غيبي؛ لأنا لا نشاهده؛ ولذلك جعل من أمر الآخرة، ولو كنا نحن الذين نواري الأموات وندفنهم ونجهزهم، ولكن نعرف أنهم قد خرجوا من الدنيا ودخلوا في حيز الآخرة فهم في عداد أهل الآخرة.

وأمر الآخرة محجوب عنا لا نطلع على تفاصيله؛ فلذلك صار من الإيمان بالغيب وداخل في الإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمانِ الإيمان باليوم الآخر: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر.

فنقول: إن الإيمان بعذاب القبر ونعيمه وما يكون في البرزخ داخلٌ في اليوم الآخر. يقول العلماء: من مات فقد قامت قيامته، إذا مات الإنسان وخرج من الدنيا فقد قامت عليه القيامة، حيث إنه أصبح من أهل الآخرة، طويت أعماله وختم عليها، لا يستطيع نقصا من السيئات ولا زيادة في الحسنات، علم مقعده من الجنة أو مقعده من النار، دخل في عالم الآخرة عرف مآله وحالته فيكون من أهل الآخرة.

ثم عذاب القبر ونعيمه: هو أنه يعذب في البرزخ بحيث يصل العذاب إليه أو ينعم بحيث يصل النعيم إليه. معلوم أن العذاب: هو الآلام التي تؤلم الإنسان ويتضرر بها، فالعذاب في الدنيا مثل: الضرب والجلد والتجريح والطعن. هذا عذاب حسي، ومثل: السب والثلب والعيب والقدح والقذف والإيذاء باللسان. هذا يسمى عذابا معنويا.

ولكن العذاب الذي ذكر في البرزخ هو عذاب حسي، والنعيم الذي ذكر في البرزخ نعيم حسي، ولكنه على الأرواح.

---

١ - سورة البقرة آية : ٢-٣.

فنقول: دلت على هذا العذاب نص مفصلا ... الأحاديث الكثيرة، فمنها حديث البراء المشهور الذي روي في السنن والمسند وغيره وفيه أنه ﷺ قال: ﴿ إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزلت عليه ملائكة بيض الوجوه، معهم أكفان من الجنة وحنوط من الجنة وياسمين من الجنة، فيجلسون منه مد البصر فيأتيه ملك الموت فيجلس عند رأسه، فيقول: أيتها الروح الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي إلى روح وريحان، ورب غير غضبان .

فيسلها من بدنه كما تسل الشعرة من العجين فإذا أخذها لم يتركوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك الأكفان وذلك الحنوط وذلك الياسمين، فيصعدون بها إلى السماء ويخرج منها كأطيب ريح وجد في الدنيا.

ثم يمرون به على الملائكة كلما مروا على ملأ من الملائكة سألوهم ما هذه الروح الطيبة فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه الذي كان يسمى بها في الدنيا، فإذا صعدوا بها إلى السماء، يقول الله تعالى: ردوا عبدي إلى الدنيا فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى.

فتعاد روحه إلى جسده، ويأتيه ملكان فيجلسان عند رأسه فيقولان: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ ﴾ [1] فيقول: ربي الله، وديني الإسلام ونبيي محمد، فيقولان: قد عرفنا ذلك نم هنيئا .

فينام كنومة العروس لا يوقظه إلا أحب الخلق إليه، ويفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من رَوحها وريحانها، فإذا رأى ذلك قال: رب أقم الساعة ﴾ وفي رواية: ﴿ فيأتيه رجل طيب الريح حسن الوجه فيقول: أبشر باليوم الذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: رب أقم ... فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح ﴾ .

---

١ - سورة إبراهيم آية : ٢٧.

والحديث طويل وفيه أيضا أحاديث أخرى، هذا بالنسبة إلى أهل السعادة وذكر بعد ذلك في أهل الشقاوة فيقول: ﴿ إن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزلت عليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم حنوط من نار وياسمين من نار وأكفان من نار، فيجلسون منه مُد البصر .

فيأتيه ملك الموت فيقول: أيتها الروح الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع الصفود من الصوف المبلول، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك الأكفان من النار.

ويصعدون بها إلى السماء فيخرج منها كأنتن ريح كانت في الدنيا، فكلما مروا على ملأ من الملائكة قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، فإذا وصل إلى السماء أغلقت دونها أبواب السماء لقوله تعالى: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ (1) وتُطرح روحه طرحا فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان ﴾ إلى آخره

فنقول: دلت على هذا العذاب مفصلا الأحاديث الكثيرة، فمنها حديث البراء المشهور، الذي روي في السنن والمسند وغيره، وفيه أنه ﷺ قال: ﴿ إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزلت عليه ملائكة بيض الوجوه، معهم أكفان من الجنة وحنوط من الجنة وياسمين من الجنة، فيجلسون منه مد البصر، فيأتيه ملك الموت ويجلس عند رأسه فيقول: أيتها الروح الطيبة، كانت في الجسد الطيب، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان، فيسلها من بدنه كما تسل الشعرة من العجين، فإذا أخذها لم يتركوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك الأكفان وفي ذلك الحنوط و ذلك الياسمين، فيصعدون بها إلى السماء ويخرج منها كأطيب ريح وجد في الدنيا، ثم يمرون بها على الملائكة، كلما مروا على ملأ من الملائكة سألوهم: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه الذي كان يسمى بها في الدنيا.

---

١ - سورة الأعراف آية : ٤٠.

فإذا صعدوا إلى بها السماء يقول الله -تعالى-: ردوا عبدي إلى الدنيا؛ فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى. فتعاد روحه إلى جسده. ويأتيه ملكان فيجلسان عند رأسه فيقولان: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [1] فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد. فيقولان: قد عرفنا ذلك، نم هنيئا. فينام كنومة العروس، لا يوقظه إلا أحب الخلق إليه، فيُفتح له باب إلى الجنة، فيأتيه من روحها وريحانها. فإذا رأى ذلك قال: رب أقم الساعة. ﴾ .

وفي رواية: ﴿ فيأتيه رجل طيب الريح حسن الوجه فيقول: أبشر باليوم الذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح. ﴾ والحديث طويل، وفيه -أيضا- أحاديث أخرى. هذا بالنسبة إلى أهل السعادة .

وذكر بعد ذلك في أهل الشقاوة فيقول: ﴿ إن العبد الكافر، إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزلت عليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم حنوط من نار، وياسمين من نار، وأكفان من النار، فيجلسون منه مد البصر، فيأتيه ملك الموت فيقول: أيتها الروح الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي إلى سخط من الله وغضب. فتتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول.

فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك الأكفان من النار، فيصعدون بها إلى السماء، فيخرج منها كأنتن ريح كانت في الدنيا، فكلما مروا على ملأ من الملائكة قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا. فإذا وصل إلى السماء، أغلقت دونها أبواب السماء. لقوله -تعالى- ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [2] فتطرح روحه طرحا، وتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان ﴾ إلى آخره.

---

١ - سورة إبراهيم آية : ٢٧.

٢ - سورة الأعراف آية : ٤٠.

وقد تكلم العلماء في عذاب القبر ونعيمه، وأوردوا في ذلك الأحاديث الكثيرة، منها قوله ﷺ ﴿ القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار ﴾ الروضة: معلوم أنها التي فيها الرياحين، وفيها الأزهار، وفيها البهجة والسرور، والحفرة: معلوم أنها إذا كانت من النار، فإنها فيها حر وفيها وقود وفيها جمر وفيها حرارة.

ذكر في الأحاديث أنه إذا كان مؤمنا، فإنه يفسح له في قبره مد البصر، وإذا كان كافرا يضيق عليه حتى تختلف أضلاعه. وأنه إذا كان مؤمنا يُفتح له باب إلى الجنة، وإذا كان كافرا يُفتح له باب إلى النار، فيأتيه من حرها ومن سمومها.

وقد أطال العلماء في ذكر عذاب القبر ونعيمه، وأورد ابن كثير -رحمه الله- الأحاديث التي وردت في ذلك، عند قوله -تعالى- في سورة إبراهيم ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [1] أورد الأحاديث الكثيرة التي في عذاب القبر، وإن لم يستوفها، ولكنه أورد جملة كبيرة من الأحاديث .

وقد ألف في ذلك العلماء تأليفات واسعة، فيما يتعلق بعذاب القبر ونعيمه وكذلك -أيضا- في الحكايات التي وقعت لبعض المعذبين، أو لبعض المنعمين، حكايات كثيرة، وإن كذبها بعض من لم يتسع ذهنه لها.

فقد ذكر الذهبي في بعض كتبه " أن إنسانا مات أخوه، فجيء إليه يعزى، وإذا هو يبكي بكاء شديدا، فقيل له: أما علمت أن الموت حق؟ فقال: بلى، ولكني أبكي على ما كان فيه أخي من العذاب. فسئل: ما سبب ذلك، فذكر أنه لما وسد، يقول: سقطت لبنة، فأدخل يده بين اللبن، وإذا القبر يتلظى. يقول: فاحترقت يدي، أراهم يده فيها حرق. فسألوه عن أخيه ما عمله؟ فقال: كان لا يؤدي الزكاة.

١ - سورة إبراهيم آية : ٢٧.

فقالوا: لعل ذلك مأخوذ من قوله -تعالى- ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ ﴾ (1) .

وكذلك ذكر بعضهم أنهم دفنوا إنسانا، ولما دفنوه في قبره نسوا فأسا كانت معهم، فحفروا القبر، فلما حفروه، وجدوا ذلك الميت قد أدخلت يداه ورقبته في حلقة الفأس وقد أوثق عليها، فردوا عليه التراب، ودفنوه ووجدوا له عملا سيئا.

وكذلك حكايات لبعضهم، أنه رأى قبرا، كلما جاء الليل خرج صاحب القبر وعليه نار تشتعل، يشتعل قبره وهو فيه، فإذا طلع الصبح دخل في قبره. وأمثلة لذلك كثيرة.

وذكر ابن رجب أنه رئي بعض أهل العلم بعد موته في المنام، وإذا في وجهه سفعة من حرق، فسئل: ما سبب ذلك؟ فقال: دفن عندنا بِشْرٌ المِرِّيسيّ، فنفحت النار نفحة، أو لفحتنا لفحة، نالنا منها هذا الأثر، الذي هو أثر في وجهه. وأشباه ذلك .

هذه قصص، تجدونها في كتاب ابن رجب، الذي يسمى " أهوال القبور في أحوال أهلها إلى النشور" طبع طبعة قديمة منقحة، ولكن طبع -مع الأسف- طبعة أخيرة مغلوطة، وفيها سقط وأخطاء كثيرة. فالطبعة الأولى هي المضبوطة، وتجدونها -أيضا- في كتاب "الروح" لابن القيم، فإنه استوفى ما يتعلق بعذاب القبر، وتكلم عليه كلام علم، لا كلام حكايات وخرافات، بل كلاما علميا، كعادته -رحمه الله- .

ولابن أبي الدنيا مؤلفات صغيرة مطبوعة، فيما يتعلق بعذاب القبر، وحكايات وردت عنهم. وابن أبي الدنيا من علماء القرن الثالث -رحمه الله- كان اهتمامه بهذه الحكايات، والزهديات وما أشبهها.

وبالجملة: عذاب القبر ونعيمه ورد في السنة يقينا، حتى أمر النبي ﷺ بالتعوذ منه في الصلاة. يقول: ﴿ إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، وعذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن

---

1 - سورة آل عمران آية : 180.

فتنة المسيح الدجال ﴾ فأمرنا أن نستعيذ في صلاتنا من عذاب القبر. وكان دائما يستعيذ بالله من عذاب القبر، ويأمر بذلك أصحابه.

قد ذكر ابن القيم أن كثيرا من الفلاسفة، الذين لا يؤمنون بالغيب، أنكروا عذاب القبر، وادعوا أنه كذب وقالوا: إننا بحثنا الميت بعد ثلاث، فوجدناه على هيئته، وضعنا على صدره الزئبق -الذي هو أخف شيء حركة- فوجدناه لم يتغير، فكيف تقولون: إنه يجلس وإنه يخاطب، وإنه يضرب بمرذبة من حديد، وإنه يصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين؟ فأين هذا ونحن لم نجد فيه أي تغير عن حالته؟

فأجابهم بأنكم في عالم، والموتى في عالم آخر. فإن أهل الدنيا في عالم الدنيا، والأموات في عالم البرزخ، وأهل الدار الآخرة في عالم الآخرة. ولكل منهما حكم، فأهل الدنيا معروف أنهم يحس بعضهم ببعض، وينظر بعضهم إلى بعض، ونسمع كلام أحدنا، ونرى شخصه ونلمسه، ونعرف شخصيته.

وأما الذي من أهل البرزخ، فإن روحه قد خرجت من بدنه، ونحن لا نعلم ماهية تلك الروح، ولا ما كيفيتها. فالعذاب الذي تلاقيه، لا ندري ما كيفيته، لكنا نتحقق أن روحه هي التي تتعذب، وهي التي تتألم. أما الجسد الذي هو هذا اللحم والعظم ونحوه، فإنه بعد الموت يفنى، ويصير ترابا، كما هو مشاهد، وكما ذكر الله ذلك عن الكفار في قولهم ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [1] ينقلبوا ترابا كما في قوله ﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ [2] أي: نعيدكم فيها إلى أن تصيروا ترابا.

فالأحكام في البرزخ على هذه الروح. والروح بعد خروجها من الجسد تبقى، إما منعمة وإما معذبة، ونحن لا نتصور ماهيتها. الأرواح التي تعمر هذه الأجساد، عجز الخلق عن أن يتصوروا ماهيتها، وأن يدركوا مما هي. عجزوا عن أن يصلوا إلى تكييفها.

---

١ - سورة المؤمنون آية : ٨٢.

٢ - سورة طه آية : ٥٥.

فلذلك اقتصروا على قول الله -تعالى- ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ ﴾ [1] اقتصروا على هذا فقالوا: هذه الروح نسلم أنها مخلوقة، ونسلم أنها تبقى بعد خروجها من البدن، وأنها إما أن تنعم وإما أن تعذب، وأن الحساب والعذاب في البرزخ على الأرواح. والله -تعالى- قادر على أن يوصل الألم إلى الأجساد، ولو كانت رمادا، ولو كانت ترابا، يقدر أن يوصل إليها شيئا من الآلام.

ولكن العذاب الحقيقي والنعيم الحقيقي على هذه الروح مشاهد. مثلا: أن الجن خلق، ولكنا لا نراهم؛ لأنهم أرواح ليس لهم أجساد، وإن كان لهم قدرة على أن يتشكلوا ويظهروا بمظاهر جسدية، ولكن الأصل أنهم أرواح؛ ولذلك لا نراهم. ولهم قدرة على ملابسة الإنس، على أن يخالطوا الإنس وينتشروا في جسده، يلاطفوه ويلاصقوه حتى تغلب روح الجني على روح الإنسي؛ فلذلك الذي معه مس من الجن تغلب روح الجني عليه.

وذكر شيخ الإسلام أن الذي يصاب بهذا الجنون، تتغلب عليه تلك الروح الجنية، وأنه إذا ضرب فإن الضرب يقع على الجن؛ ولهذا كان -رحمه الله- إذا جيء بمن هو مصروع -عليه الجني الذي قد لبس- يضربه ضربا شديدا، فيصيح ذلك الجني ويتألم، وإذا خرج سأل الإنسي: هل أحسست بضرب؟ فيقول: ما أحسست بشيء، ولا شعرت أني ضربت. لأن الضرب يقع على ذلك الجني .

فنقول: هذه الروح التي فيك -أيها الإنسان- هي التي يحيا بها الجسد، فإذا نزعت من الجسد بقي الجسد جثة ليس فيه حياة، لا يتألم ولا يحس بضرب ولا بغيره، أين ذهبت تلك الروح؟ الله أعلم. تذهب إلى عالم الأرواح، يصيبها عذاب أو يصيبها نعيم. تلقى ما تلاقيه -إن كانت سعيدة- من السرور والحبور. وتلقى ما تلاقيه -إن كانت شقية- من العذاب والآلام. فهي في عالم ونحن في عالم .

قد اختلفوا، أين تكون أرواح المؤمنين وأرواح الكفار؟ فذكر بعضهم أن أرواح المؤمنين في "بئر زمزم" يعني: قول قيل. أو أنها في السماء، وأن أرواح الكفار في بئر محرمة اسمها "بئر برغوت" . ولكن

---

١ - سورة الإسراء آية : ٨٥.

هذا قول من الأقوال، والله -تعالى- قد ذكر شيئا من ذلك في قوله: ﴿ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ ﴾ [1] والمراد به أرواحهم. ﴿ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ ﴾ [2] قيل إنه أسفل سافلين.

الله أعلم بمقر هذه الأرواح. ولكن هي التي في هذه الدنيا، تتألم وتتعذب، فلا يلتفت إلى أقوال الفلاسفة الذين يقولون: إن الجسد لم يتغير، وإنا وجدناه على هيئته عندما وضعناه، وإنه لم يتحرك أدنى حركة. نقول: صدقتم الجسد لا يتغي -الجسد هذا- لأنه جثة، ولكن الحساب والعذاب على هذا الروح، وما ذكر من إجلاسه ومن سؤاله إنما يتوجه على الروح.

قد أنكر بعضهم -أيضا- عذاب القبر وقالوا: كيف لم يذكر في القرآن مع أنه من أركان الإيمان ومن أصوله؟ أجاب عن ذلك ابن القيم بجوابين: مجمل ومفصل، فالمجمل يقول: " ثبت بالسنة وفي السنة كفاية ".

فإن النبي ﷺ بعث بالكتاب والسنة، فإذا بينه في سنته، وبين أسبابه، وبين العذاب الذي يحصل به، وبين نوعه، وذكر -مثلا- بعض الأعمال التي يعذب بها مثل قوله ﷺ ﴿ تنزهوا من البول، فإن عامة عذاب القبر منه ﴾ ومثل ما ورد في الحديث أنه مر باثنين يعذبان في قبريهما فقال: ﴿ أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشي بين بالنميمة ﴾ ثم ذكر -أيضا- أن هذين من أسباب العذاب في القبر .

ومر فسأل على مقبرة، وسمع فيها صياحا، فقال ﴿ يهود تعذب في قبورها ﴾ لا شك أن مثل هذا أدلة واضحة، وكذلك الأمر بالاستعاذة من القبر في أحاديث كثيرة، قد تبلغ حد التواتر، قد تكون -مثلا- مائة حديث أو مئات، كلها في عذاب القبر. ألا يكون ذلك دليلا؟ ألا يكون ذلك كافيا؟ يكفي أن نجعله عقيدة؟

---

١ - سورة المطففين آية : ١٨.

٢ - سورة المطففين آية : ٧.

" نعتقد أن عذاب القبر ثابت، وأنه دلت عليه السنة النبوية، فنقبلها ونتقبلها" هذا جواب. والجواب الثاني جواب مفصل، يعني: ذكر فيه بعض الأدلة، وقد أشار إلى بعضها الإسماعيلي يقول: " إن عذاب القبر حق، يعذب الله من استحقه إن شاء، وإن شاء عفا عنه، يعذب من استحق العذاب، أو يعفو عنه ".

ثم ذكر أدلة: الدليل الأول هذه الآية، في سورة غافر ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [1] أثبت لهم -ما بقيت الدنيا- عذابا بالغدو والعشي، دون ما بينهما، فإذا قامت القيامة توجب أشد العذاب.

ذكر بعضهم أنهم رأوا...، كشف لبعضهم أنهم رأوا -في الصباح- طيورا تذهب إلى جهة بِيِضا، ثم ترجع في المساء وهي سود. فسألوا عن ذلك، فقال بعضهم: هذه أرواح آل فرعون، تذهب في الصباح وهي منعمة يعني: بيضاء، فتلقى في النار وتحترق فيها وتعذب فيها، وترجع في العشي وقد انقلبت إلى السواد من الحرق.

طيور كثيرة يعني: الله -تعالى- قادر على أن يجعلها بأجساد هذه الطيور، كما فعل ذلك في الشهداء، يقول النبي ﷺ ﴿ إن الله جعل أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، تعلق في شجر الجنة ﴾ أرواح مفارقة أجسادهم. والله -تعالى- ذكر أنهم ﴿ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [2] .

فعلى هذا، جعلت أرواحهم في أجواف طير، حتى يكون لها إحساس، واختير أن يكون الطير أخضر، تدخل في الجنة، وتعلق في شجر الجنة، وتأكل من ثمارها وأزهارها، حتى ترد في أجسادها. فعلى هذا، أرواح المؤمنين تنعم، سواء جعلت في أجواف طير، أو جعلت مستقلة. وأرواح الكافرين -كآل فرعون- تعذب وتحرق في النار، وتلقى فيها وتتألم بهذا التألم الذي ذكره الله، إلى أن تنقضي الدنيا ﴿

١ - سورة غافر آية : ٤٦.

٢ - سورة آل عمران آية : ١٦٩.

﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [1] أي: في أشده بلا تخفيف، كما كانوا في الدنيا .

ثم ذكر آية أخرى في سورة طه ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [2] المعيشة الضنك قيل: إنها عذاب القبر، وقيل: إنها في الدنيا. ولكن هل كل من أعرض عن ذكر الله -تعالى- في الدنيا تكون معيشته ضنكا؟

ليس كذلك، نشاهد -مثلا- ويشاهد من قبلنا، أن كثيرا من المعرضين وكثيرا من الكفار، يعطون نعيما في الدنيا، ويتوسعون في المآكل والمشارب والمساكن والملابس والمراكب والفرش، يؤتى عليهم بما يتمنونه من الأغذية، ومن أنواع المشتهيات: من الفواكه والمستلذات، ومن المآكل بأنواعها: من اللحوم والخبوز وما أشبهها. فأين المعيشة الضنك؟ والله -تعالى- يقول: ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [3] أين هذه المعيشة؟

إذن هي في البرزخ يعني: يلقى ما كان في البرزخ، ولو لم يكن محتاجا إلى المعيشة؛ لأن الأرواح في البرزخ لا تحتاج إلى غذاء، ولا تحتاج إلى أكل، الأكل خاص بالبدن. فتكون المعيشة هنا معناها اللذة والسرور، أو الهم والغم والتضييق والأذى والعذاب، الذي تلاقيه تلك الأرواح.

وهكذا اختار المؤلف، يقول: " قبل فناء الدنيا لهم معيشة ضنك " ثم يقول بعد ذلك ﴿ وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [4] فذكر أنهم يحشرون في الآخرة على هذه الحال يعني: قد فقدوا أبصارهم، أو فقدوا بصائرهم. فبين أن المعيشة الضنك قبل يوم القيامة، المعيشة التي قال الله: جزاء إعراضهم قبل يوم القيامة.

---

١ - سورة غافر آية : ٤٦.

٢ - سورة طه آية : ١٢٤.

٣ - سورة طه آية : ١٢٤.

٤ - سورة طه آية : ١٢٤.

لأنه قال ﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ (١) فتبين أن المعيشة إما في الدنيا وإما في البرزخ، ونحن نعاين اليهود والنصارى والمشركين في الدنيا، في عيش رغيد ورفاهية في المعيشة وسعة في الرزق، قد وسعت عليهم. ثبت أنه ﷺ قال « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » بمعنى: أن الكافر يعطى فيها ما يتمناه، فكأنه في الجنة. وأما المؤمن فإنه لا يأخذ منها إلا ما يقوته، ما يعبر به حياته، فكأنه في سجن.

ويقول الله -تعالى- ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَ‌ٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ﴾ (٢) السقف: ما يسقف به البيت من فضة. ﴿ وَمَعَارِجَ ﴾ (٣) يعني: من فضة الدرج. ﴿ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَ‌ٰبًا ﴾ (٤) يعني: من فضة. ﴿ وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٥) جمع سرير. ﴿ وَزُخْرُفًا ۚ ﴾ (٦) يعني: ذهبا. ﴿ وَإِن كُلُّ ذَ‌ٰلِكَ لَمَّا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ ﴾ (٧) .

الحاصل: أن هذه الآية دليل على أن المراد بالمعيشة الضنك هي عذاب القبر، إذا نظرنا إلى معيشتهم وما هم فيه من السعة، علمنا أنه لم يرد ضيق الرزق في الحياة الدنيا، لم يرد ضيق الرزق لوجود المشركين في سعة من أرزاقهم. وإنما أراد بعد الموت، وقبل الحشر يعني: عذاب القبر. فتكون هذه الآية دليلا على إثبات عذاب القبر .

---

١ - سورة طه آية : ١٢٤.

٢ - سورة الزخرف آية : ٣٣.

٣ - سورة الزخرف آية : ٣٣.

٤ - سورة الزخرف آية : ٣٣-٣٤.

٥ - سورة الزخرف آية : ٣٤.

٦ - سورة الزخرف آية : ٣٥.

٧ - سورة الزخرف آية : ٣٥.

ومن الأدلة التي ذكرها ابن القيم قول الله -تعالى- في سورة السجدة: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ (١) العذاب الأدنى: فسر بأنه عذاب القبر. ومن الأدلة -أيضا- قوله -تعالى- في سورة التوبة: ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ (٢) مرتين: قيل مرة في الدنيا ومرة في البرزخ، ثم يكون العذاب في الآخرة. وآيات أخرى استند إليها ابن القيم، وبين أنها دالة عليه، وإن لم تكن صريحة .

ثم يقول: ويؤمنون بمسألة منكر ونكير، على ما ثبت من الخبر عن رسول الله ﷺ ورد في أحاديث - وإن لم تكن في الصحيح- أن فتاني القبر اسمهما منكر ونكير، يقال لأحدهما "منكر" والآخر "نكير" ، "الفتانان". وإن أنكر بعضهم صحة الأحاديث في ذلك، ولكنها مع كثرتها قد يشهد بعضا لبعض. فالفتانان في القبر، ثبت في الخبر أنهما: "اللذان يفتنان الناس".

ومما يدل على ذلك -كما ذكرنا- هذه الآية في سورة إبراهيم، لما سئل النبي ﷺ فقيل له: الإنسان في الدنيا إذا جاءه من يفزعه، ومن يسأله هذه المسائل المفزعة، فقد يتلعثم، وقد يتحير؛ لأنه ذكر أن الملائكة الذين يعذبون، أصواتهم مثل الرعد القاصف، وأبصارهم مثل البرق الخاطف. كيف يثبت الإنسان أمام هؤلاء؟ فقرأ هذه الآية ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٣) .

تثبيتهم في الدنيا، وتثبيتهم على العقيدة، وتثبيتهم على الشهادة، وتثبيتهم على الإيمان ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (٤) القول الثابت: منه الشهادتان -مثلا- ومنه

---

١ - سورة السجدة آية : ٢١.

٢ - سورة التوبة آية : ١٠١.

٣ - سورة إبراهيم آية : ٢٧.

٤ - سورة إبراهيم آية : ٢٧.

أركان الإيمان، ومنه معرفة الله -تعالى- ومنه وصفه بصفات الكمال وتتريهه عن صفات النقص، وما أشبه ذلك .

بقي التثبيت في البرزخ ﴿ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ (1) من الآخرة البرزخ. يثبتهم الله في البرزخ، عندما تأتيهم هؤلاء الملائكة، الذين رؤيتهم مفزعة، وأصواقم مفزعة، وأبصارهم مفزعة، فإن الله يثبتهم ويربط على قلوبهم فلا يفزعون. بل يثبت أحدهم فيقول: "ربي الله ديني الإسلام نبيي محمد".

كما ذكر في حديث كسوف الشمس، ثم صلى النبي ﷺ ذكر أنه رأى في صلاته أنكم تفتنون في قبوركم، مثل -أو قريبا- من فتنة المسيح الدجال، ذكر أنه يقال لأحدكم: من ربك وما دينك ومن نبيك ... ؟ إلى آخر ذلك. فكل ذلك دليل على أن هذه الآية -كما فسرها النبي ﷺ أنها دالة على عذاب القبر. وقد ذكرنا أن ابن كثير سرد عندها أحاديث كثيرة -كذلك ابن جرير- تتعلق بعذاب القبر.

لننتهي مما يتعلق بعذاب القبر، عندنا فقرة أربع وعشرين يقول: ويرون ترك الخصومات، والمراء في القرآن وغيره، لقوله ﷻ ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ (2) يعني: يجادلوا فيها تكذيبا بها. كان النبي ﷺ يكره الخصومات، ويكره المنازعات، ويحث على أن الإنسان يتقبل ما جاءه من الآيات، وما عرف منها فإنه يعمل به، ويقول به، وما التبس عليه فإنه يؤمن به، ويعرف أنه حق على حقيقته.

ولا يتقعر في البحث عنه، ولا يضرب كتاب الله بعضه ببعض. في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، ذكر أنه جاء مرة -هو وأخوه- إلى المسجد النبوي، فوجد في المسجد حلقة من الصحابة، وإذا هم يتنازعون في القدر يعني: كأنهم يتنازعون في إثبات قدرة الله -تعالى- فهذا يترع بآية وهذا يترع بآية، فيتجادلون. وقد أدى بهم ذلك إلى الاختلاف، وإلى أن ادعوا أن القرآن يخالف بعضه بعضا. هذا يستدل بآيات على ما يقوله، وهذا يستدل بآيات على ما يقوله .

---

١ - سورة يونس آية : ٦٤.

٢ - سورة غافر آية : ٤.

وارتفعت أصواهم حتى سمعها النبي ﷺ وهو في داخل بيته، فخرج عليهم مغضبا، قد احمر في وجهه كأنما فقئ في وجهه حب الرمان، فوقف عليهم وقال: ﴿ يا عباد الله أبهذا أمرتم؟ أم بهذا كلفتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ ما عرفتم منه فقولوا به واعملوا به، وما لم تعلموا فكِلُوه إلى عالمه، ولا تضربوا بعضه ببعض ﴾ نهاهم عن هذا الجدال وهذه المنازعات .

فنحن نقول: إن كتاب الله -تعالى- وسنة نبيه ﷺ نزلت ليصدق بعضها بعضا، فهكذا علينا أن نعمل بها، وأن نقول بها، ولا نجادل ولا نخاصم، ولا نضرب بعض الآيات ببعض، بل نعمل بما ظهر لنا، وما أشكل علينا نكله إلى عالمه. ونعلم -حقا- أن كله حق وأن كتاب الله -تعالى- محكم، لا يمكن أن يكون فيه اختلاف، كما قال -تعالى- ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [1] فهو يصدق بعضه بعضا، فليس فيه أية اختلاف، هذا هو الذي يعتقده أهل السنة.

وإذا استدل بعضهم بآيات، ادعى أن فيها دلالة على مذهبه، نرد عليه بأنها -في الحقيقة- ليست على ما يقوله المبطلون والمضلون، ولو فهم منها ما فهم، فالعيب من سوء الفهم. تكلم العلماء على القرآن، وبينوا أنه ليس فيه أدنى اختلاف.

تكلم بعد ذلك الإسماعيلي على الخلفاء الراشدين، فذكر أنهم يثبتون خلافتهم، فأولهم الخليفة الراشد أبو بكر ﷺ اختاره الصحابة ورضوا بخلافته، ثم إنه ﷺ عند موته استخلف عمر، وأقره الصحابة على خلافته، وبقي خليفة إلى أن قُتل ﷺ ثم استخلف بعده الصحابةُ عثمان ﷺ حيث اجتمع عليه أهل الشورى، ورضوا بخلافته وبايعوه، ثم لما قتل عثمان ﷺ واتفق الصحابة الباقون على تولية علي ﷺ ومبايعته، فبايعه بقية الصحابة .

وإنما خرج عن مبايعته، أو لم يبايعه بعض من الصحابة، لا لأهليته ولكن لأمر عرض لهم. فأهل مكة الذين خرجوا إلى الشام بقيادة عائشة ومن معها، لم يدعوا بأنه ليس أهلا، ولكن أرادوا بذلك المطالبة

---

١ - سورة النساء آية : ٨٢.

بدم عثمان. وكذلك أهل الشام الذين جاءوا بقيادة معاوية، لم يطعنوا في خلافة علي، ولكنهم يطالبون بدم عثمان.

ونقف عند هذا. والله أعلم، وصلى الله على محمد.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

ثم أما بعد:

س: فضيلة الشيخ: هذا سائل يقول: إذا أراد شخص شراء سيارة، وكانت قيمتها بالدينار البحريني عشرة آلاف دينار، وأراد الدفع بالتقسيط، فإن المعرض يحتسب له أحد عشر ألف دينار. فهل هذا جائز؟

ج: جائز إن شاء الله، وتكون الزيادة مقابل الأجل؛ وذلك لوجود الخلاف أو وجود التفاوت بين الثمن النقد والثمن الغائب. فمثلا: إذا أتيت لتشتري سيارتين من إنسان فقلت له: إحداهما ثمنها نقد، والأخرى ثمنها مؤجل لمدة سنة، فإنه لا يسوي بين الثمنين، بل ثمن النقد يجعله رخيصا، كعشرة آلاف، والثمن المؤجل يزيد فيه مقابل الأجل.

فهو يقول: هذه العشرة التي تنقدها أنتفع بها في هذه المدة، في هذه السنة، وأكتسب بها أرباحا. فتكون الألف التي أزيدها مقابل الأجل، لأجل أن لا أنتفع بها، بل أنت الذي تنتفع بها طوال هذه السنة.

وهذا عليه عمل الناس. معروف -مثلا- لو دخل السوق اثنان لشراء سلعة -مثلا- ككيس -كيس أرز أو نحوه- كلاهما لا بد أن يشتري كيسا، أحدهما بيده دراهمه والآخر ليس معه دراهم، وإنما يشتري لمدة نصف سنة أو سنة. فجاءا إلى صاحب الأكياس، معلوم أنه لا يبيعهما سواء، الذي معه نقوده يبيعه -مثلا- بمائة، والذي ليس معه نقود يبيعه بمائة وعشرة أو بمائة وعشرين؛ لأن هذا هو الذي يناسبه، وكلاهما يشتري باختياره .

س: وهذا يقول: يوجد في بلدنا بنك إسلامي، بحيث إنني إذا رغبت في شراء سيارة، ولم يتوفر عندي المال للشراء، فأذهب إلى البنك الإسلامي، ويشتري لي تلك السيارة التي أحددها، بحيث أنه

يشتري السيارة -يعني البنك- من الوكيل، ثم يبيعها لي بالتقسيط، ويربح بأخذه مني. أفيدوني هل هذه المعاملة جائزة ؟

ج:جائزة إن شاء الله، أولا: أنه بنك إسلامي، وثانيا: أن البنك يشتريها لنفسه من المعرض، يتصل بالمعرض فيقول: احجز لنا سيارة صفتها كذا وكذا فإذا حجزها أرسل إليه ثمنها، مثلا: أربعين ألف ريال أو نحوه، فإذا أرسلها، أرسل من يستلمها: يستلم مفاتيحها ويفحصها ويكشف عليها، ولا بد أن يغير مكانها، وينقلها من مظلة إلى مظلة، أو يخرج بها من المعرض .

ثم بعد ما تدخل في ملكية البنك يعرضها عليك -أيها المشتري- فيقول: اشتريناها من المعرض بأربعين ألفا، وحيث إنك تشتريها لمدة -مثلا- ثلاث سنين، فإننا نربح عليك خمسة آلاف أو عشرة آلاف، ولا نكرهك ولا نلزمك. فإذا اخترتها فخذها بما نقول، وإن تركتها بعناها على غيرك.

وهذا يجوز أن يفعله غير البنك. لو جاءك إنسان وأنت عندك دراهم وقال: إني بحاجة إلى سيارة ولا ثمن معي. فقلت له: إني سوف أشتري سيارة، وأعرضها عليك للبيع. فاشتريت السيارة، وأتيت بها بعدما سلمت ثمنها، ودخلت في ملكيتك، ولو لم تغير الاستمارة، ولم تكتبها باسمك؛ لأن الاستمارة ليست شرطا في الملكية. فبعدما تدخل في ملكك، وبعدما تحوزها، تعرضها عليه. فإن اختار أن يشتريها فهي له، وإن امتنع منها فلا تلزمه بها.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، لقد علمنا من نصوص الكتاب والسنة أن الخشية لا تكون إلا لله، فما هو تفسير الآية ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [1] ؟

ج: الخشية هي الخوف، أو نوع من الخوف. ومعلوم أن الخوف ينقسم إلى قسمين: خوف سري، وخوف طبيعي. فالمراد بالخشية هنا، التي في قوله: ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ ﴾ [2] الخوف الطبيعي، الخشية الطبيعية. وذلك لأن الإنسان يخاف -مثلا- من الأعداء أن يمكروا به، خوفا طبيعيا؛ ولذلك يأخذ

١ - سورة الأحزاب آية : ٣٧.

٢ - سورة الأحزاب آية : ٣٧.

حذره. ويخاف من الأمراض؛ ولذلك يبتعد عنها وعن أسبابها. -مثلا- ويخاف من السباع؛ فلذلك يتجنبها فيقول: -مثلا- تركت دخول هذا الشعب خوفا من السباع التي فيه، تركت المبيت -مثلا- في هذه البقعة خوفا من الحيات، أو من الهوام التي فيها -مثلا- أو اشتريت هذا اللحاف خوفا من البعوض الذي يؤذيني، أو نحو ذلك .

أو اشتريت هذا السلاح خوفا من الأعداء حتى أتحفظ على نفسي. فمثل هذا يسمى خوفا طبيعيا، فلا يدخل في الشرك، وكذلك الخشية الطبيعية. فالآية في سورة الأحزاب يقول: ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [1] وذلك لأن النبي ﷺ كان يحب أن يتزوج امرأة زيد، التي هي زينب. لماذا ؟ لأن الجاهلية يعتقدون أنه لا يجوز أن يتزوج زوجة ابنه الذي قد تبناه، وهو قد تبنى زيدا بقوله: "هو ابني" .

فأحب أن يتزوجها، ولكن خشي أن الناس يقولون: تزوج زوجة ابنه الذي تبناه، تزوجها ولم يتجنبها مع كونها زوجة لابنه. فلما خشي من ذلك عاتبه الله، وقال: لا تخش الناس. تزوجها لماذا؟ ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ [2] ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ [3] .

فهذا هو معنى خوفه، ولم يكن خوفا سريا. الخوف السري: هو كونه -مثلا- يخاف من أشياء غير حسية، كأن يخاف من الأصنام -مثلا- أنها تبطش به، أو من الأولياء الذي يدعون من دون الله أنهم يعذبونه، أو يخاف من الأنداد أنها تبطش به، أو نحو ذلك. فالخوف بذلك عبادة سرية.

---

١ - سورة الأحزاب آية : ٣٧.

٢ - سورة الأحزاب آية : ٣٧.

٣ - سورة الأحزاب آية : ٣٧.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، ما حكم اللصقة التي توضع على الظهر؟ هل لها حكم الجبيرة في الغسل؟

ج: يجوز استعمالها، ولها حكم الجبيرة عند الحاجة. ونقول: لا بد أن يغسل مكانها قبل إلصاقها، فإن كانت في موضع من أعضاء الوضوء -كما إذا كانت على الذراع أو على القدم أو على جزء من الوجه- فإنه ينظف محلها ثم يلصقها. ويسن أن يكون على وضوء -على طهر- أما إن كانت في البطن، أو في الظهر، أو في الصدر، أو في الجنب، أو في أحد الفخذين، أو الساقين، يعني: في غير أعضاء الوضوء -فإنه يغسل محلها ثم بعد ذلك يصلقها.

فإذا أصابته جنابة اكتفى بإمرار الماء عليها، وإذا أراد الوضوء، وكانت في أعضاء الوضوء، اكتفى بغسلها إذا كان الغسل لا يضره. فإن كانت على جرح ويتألم أن يغسل الجرح، اكتفى بإمرار اليد عليها مبلولة بالماء.

س: وهذا يقول: هل ورد حديث في فضل الدفن في المدينة النبوية؟

ج: لا أذكر ذلك -يعني- ما ورد أن الموت في المدينة، أو الدفن في البقيع، أو نحو ذلك فيه فضيلة. ولكن لما كانت البقيع قد دفن فيه جل الصحابة، وكذلك حازت البلدة شرف المكان، أنها إحدى الحرمين، كان هذا مما يبعث كثيرا من النفوس على أن يستقروا في المدينة، وأن يختاروا الإقامة فيها، ولكل اختياره.

س: وهذا يقول: في بلدي منتشر الإسبال انتشارا كبيرا، وقد دعمه عالم عندنا، لما أفتى بجواز الإسبال من غير خيلاء وتكبر. فهل هذا العالم على حق؟ وهل يجوز لنا تقليده؟

ج: ليس على حق. الإسبال محرم، ولو اشتهر ولو انتشر، ولو لم يكن عن خيلاء ونحو ذلك. قد يتمسك هؤلاء بقصة أبي بكر، ونعتذر عن أبي بكر، سمع النبي ﷺ يقول: ﴿ من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه. فقال أبو بكر: ﷺ يا رسول الله، إن أحد طرفي إزاري يسترخي، إلا أن أتعاهده. فقال: ﷺ إنك لا تفعل ذلك خيلاء. ﴾ .

انظروا، أولا: أنه أحد الطرفين، لم يكن الإزار كله، إنما طرف من أطرافه. ثانيا: أنه قد يتعاهده، إنما يفعل ذلك على حين شغل. إذا كان -مثلا- يشتغل بتجارته، فإنه يقوم ويقعد، والإزار الذي يلبسه كإزار المحرم، فقد يكون مع الشغل ينحصر، أو طرف الإزار أو أحد طرفيه، ينحصر ويتدلى إلى أن يجاوز الكعب، فإذا تعاهده رفعه بسرعة؛ ولذلك قال: " إلا أن أتعاهده" .

فأين هذا من فعل الذين يتعمدون إرخاء الإزار كله؟ أو إرخاء القميص كله؟ أو السراويل كلها؟ إلى أن يصل إلى ما تحت الكعب، أو إلى أن يغطي القدم كلها، وربما يصل -أيضا- إلى الأرض. لا شك أن هذا مباين لفعل أبي بكر. وأيضا قد مر بنا سؤال في هذه الدورة، في حكم الإسبال، وأن بعضا من الإخوان الحاضرين رئي مسبلا. ذكرنا أنه وردت أحاديث كثيرة في النهي عن الإسبال، وهي صحيحة معمول بها.

مثل الحديث الذي فيه ﴿ ثلاث لا يكلمهم الله -إلى قوله- المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ﴾ ومنه حديث ﴿ ما أسفل من الكعبين فهو في النار ﴾ وأحاديث أخرى توجد في محلاتها.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، هل من استفاضت عدالته يشهد له بالجنة كالإمام أحمد وابن تيمية وغيرهم؟

ج: يرجى ذلك. نقول: لا ، كفاك الثناء عليهم، فدل على البشرى، فنرجو ذلك لهم. نرجو للمسلمين، ونخاف على المجرمين، والرجاء إنما هو لأجل ما اشتهر من الخير والفضل، ونترحم عليهم ونثني عليهم، ويكون هذا الثناء عليهم وسيلة أو سببا من أسباب القبول، ولعل ذلك يكون سببا في دخولهم الجنة .

قد ثبت في الصحيح أنه ﴿ مُرّ على النبي ﷺ بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال: وجبت، ثم مر بجنازة فأثنوا على صاحبها شرا فقال: وجبت. فسئل فقال: هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار. أنتم شهداء الله في الأرض ﴾ فقيل: إن هذا خاص بالصحابة؛ لأنهم أورع من أن يثنوا على من لا يستحق الثناء. وقيل: إنه عام، أن أهل الخير وأهل الإيمان إذا أثنوا على إنسان خيرا، فإن ذلك مما يرجح أنه من أهل الخير.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، هل يحكم على أئمة الكفر في هذا الزمان أنهم من أهل النار؟ لما يرى من حربهم للإسلام وموتهم على ذلك؟

ج: نحكم من حيث العموم نقول: اليهود من أهل النار عموما، النصارى من أهل النار عموما، المشركون الشيوعيون الدهريون من أهل النار عموما. وكذلك -أيضا- نفند أفعالهم التي يكيدون بها للإسلام فنقول: بهذا يستحقون العذاب، وبهذا يحذر من أفعالهم، وما أشبه ذلك .

ولكن الفرد نقول: أمره إلى الله، ولو تحققنا أنه مات على الكفر. أمره إلى الله لكن من حيث العموم نشهد لهم بالنار.

س: وهذا يقول فضيلة الشيخ، ما الحكم في رجل يصلي فترة من الزمن، ثم يطرأ عليه كسل فيتركها لفترة أسبوع أو أقل، ثم يرجع في أدائها دون قضاء ما فاته. فماذا عليه؟ وهل تبطل الأعمال الصالحة السابقة؛ لتركه الصلاة؟ أفتونا مأجورين.

ج: لا شك أن هذا فعل مستقبح، فعل كبير، وهو تركه للصلاة مدة، ولو يوما فضلا عن أسبوع فضلا عن شهر متوال، ولو صلاة واحدة يتعمد تركها بدون عذر. لا شك أن هذا ذنب كبير، ونحن نقول: عليه أن يتوب وأن يترع عن هذا الترك، وأن يواظب على الصلاة ويحافظ عليها، وإن استمر على ذلك بقية حياته، إن مات وهو على هذا التكاسل، وعلى هذا التضييع، وعدم الانتباه لما مضى، يخشى عليه من عذاب الله، ويخشى عليه من الخاتمة السيئة.

س: وهذا يقول فضيلة الشيخ، حصل لي مشكلة في بيتي؛ وسبب ذلك أن زوجتي ترفض خدمتي في البيت، من إصلاح الطعام وغسل الثياب، وتقول: إن هذا ليس بواجب، وتطالبني بالدليل على الوجوب، كما تطالبني بإحضار خادمة وتقول: إن هذا واجب من الحقوق التي لها، كما ذكر في الروض. أرجو من فضيلتكم إفادتي عما تقدم، وجزاكم الله خيرا.

ج: لك أن تقنعها، وتبين أن هذا من حق الرجل على زوجته، خدمته الخدمة المعتادة، فإن هذا هو الذي عليه العمل. دليل ذلك فعل أمهات المؤمنين. لم يكن عندهن خادمات، بل هن اللائي يعملن، كل واحدة تعمل في بيتها.

ودليل ذلك -أيضا- فعل فاطمة بنت النبي ﷺ في بعض الروايات أنها طحنت حتى مجلت يداها، وأنها خبزت وأنها تعبت، فلما جاء خدم وسبي طلبت منه ﷺ أن يعطيها خادمة تكفيها فامتنع وقال: ﴿ أعطيك وأدع أهل الصفة؟ ﴾ باع ذلك الخدم وأنفقه على أهل الصفة و لم يعطها خادمة .

ومن ذلك -أيضا- قصة أسماء -أخت عائشة، زوجة الزبير- كانت تخدم زوجها، بحيث أن عنده فرس في بستان له مسيرة فرسخ، أي: ساعة ونصف. تطبخ له علفا، ثم تحمل ذلك العلف -وهو النوى- على رأسها، وتسير مسيرة ساعة ونصف ذهابا، وساعة ونصف إيابا، حتى توصله إليه. وزيادة على كونها + وتكسره ثم تطبخه زيادة على ما تعمله في البيت. أين هذا من هؤلاء؟

ما يوجد الآن إلا إصلاح الطعام، أو تغسيل الثياب، أو إخراج قمامة الدار، أما الطحن فما يفعلن، وكذلك تكسير النوى وإعلافه للدواب، هذا لا يوجد في هذه الأزمنة. فلا تستكثر المرأة أن تخدم زوجها بهذه الخدمة اليسيرة.

س: وهذا يقول: ما حكم الصلاة في مسجد وضع فيه قبر، أو تم بناء المسجد على القبر؟ وإذا سافرت إلى قرية، ولا يوجد فيها إلا مسجد واحد فقط، وفي هذا المسجد قبر، هل يجوز أن أصلي معهم محافظة على الجماعة؟ أم أصلي في المترل؟

ج: يظهر أنك تحاول أن يُنبش هذا القبر -إن كان القبر جديدا- ويبعد. وإذا كان قديما، أو هناك قبور كثيرة من قبور المسلمين، أن ينقل المسجد إلى مكان آخر. يهدم ويبنى في مكان آخر؛ ليكون ذلك أبعد عن الصلاة في المساجد التي فيها قبور. قد تكاثرت الأدلة في النهي عن ذلك، ولكن إذا كنت فردا واحدا، وأهل البلد كلهم مقرون لهذا المسجد، على هذا القبر أو على هذه القبور، و لم تجد مسجدا غيره فلا نأمرك بأن تترك صلاة الجماعة.

بل صلِّ ونيتك أن صلاتك خالصة لله، وأن صاحب القبر ليس له تأثير في قبول الصلاة ولا في مضاعفتها، كما يعتقد ذلك القبوريون. فإن الذين يصلون عند المقابر لهم نية، يقولون: إن هذا الولي يشفع في قبول صلاتنا. هذا الذي قُبر في هذا المسجد، أو أنه يشفع في مضاعفتها فتكون عدة صلوات،

أو تزيد عدة حسنات. لا شك أن هذا من وساوس الشيطان؛ فلأجل ذلك إذا سَلِم إنسان من هذا الاعتقاد فلا بأس، أما إذا وجدت مسجدا غيره فإياك وهذا المسجد.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، أنا أغسّل الأموات في بلادي، وقد يأتي إلي أهل الميت بعد أيام ويسألوني عن ميتهم، بحجة أنهم قد يجتهدون في الدعاء له والصدقة عنه، إذا كانت حالته محزنة. فما رأيكم، أطال الله بقاءكم؟

ج: لا بأس بذلك. هذا العمل -الذي هو تغسيل الأموات- عمل فاضل، ولك أجر إذا احتسبت بذلك. وأما ما يظهر على الأموات، لا بأس بالإخبار عما تراه حسنا. لو -مثلا- أنك رأيت وجهه مشرقا وأنت تغسله، أو رأيت جسده يخرج منه نور يتلألأ، أو رأيت أصبعه مرتفعة للشهادة، عند موته بقيت أصبعه مرتفعة نحو السماء عند تشهده، فإنك تحدث بذلك.

وإذا كان -مثلا- مسرفا على نفسه، كالذي -مثلا- لا يصلي أو نحو ذلك، ورأيت فيه علامة شقاوة، كأن رأيت وجهه مسودا، أو جسده احتر + حرارة أو نحو ذلك، وأخبرت بذلك؛ حتى يبتعد عن مثل طريقته، ويكون ذلك سببا في أن أهله يدعون له، أو نحو ذلك -فلعل ذلك مما يباح الإخبار به. مع أن الأولى ستر المؤمن، إذا كان ظاهره خيرا. أننا نستر ما فيه من العيوب، ونرجو للمؤمنين، ونخاف للكفار.

نفعنا الله بعلمكم وأثابكم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

السلام عليكم ورحمة الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه .

كان من آخر ما قرأنا، خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة -رضي الله عنهم- وسبب إدخال هذه الخلافة في العقيدة -مع أنها واقع تأريخي- أن الخلافة فيها وقع مع الرافضة، في إنكار خلافتهم، بل في الطعن فيهم، أي: في ثلاثة منهم. بل تعدى ذلك إلى تكفيرهم وشتمهم وعيبهم وثلبهم، من قبل هؤلاء الرافضة

وكان سبب ذلك أن عليا ﷺ لما كان في العراق كان حسن السيرة، محبوبا عند أهل البلد بحسن سيرته، وبما له من الآثار، حتى حمل كثيرا منهم على الغلو فيه، إلى أن ادعوا أنه إله، كما فعل الذين أحرقهم، الذين سجدوا له.

ثم زادت محبتهم له، لما كان في خلافة بني أمية بعض الأمراء الذين يسبونه ويتبرءون منه، وذلك في إمارة الحجاج، الذي تولى العراق نحو عشرين سنة أو أكثر، وكان مبتلى بالبغض لعلي ﷺ وكان على المنبر يعلن سبه أمام الناس. ولا شك أن هذا مما يحزن أولئك المتشيعين له، كلما سمعوه يشتمه أمام الناس على المنبر، فلا بد أن يحز في نفوسهم، ولا بد أن يقلقهم، ولا بد أن يفزعهم ذلك؛ لأنهم يحبونه.

فلا بد أنهم يجلسون مجالس خاصة، ويتبادلون فيها سيرة علي، ويتحدثون فيها عن فضائله، ولا بد أنه يدخل بينهم من يريد الغلو فيه، حتى يطمئنهم إلى محبته، وحتى يبين لهم خطأ هذا الأمير، الذي يسبه والذي يشتمه، فكان ولا بد من وقوع الكذب في فضائله. فكان أولئك المتشيعون له، يكذبون ويبالغون في الكذب، ويصفونه بصفات أرفع من صفات الخلفاء كلهم، بل قد تصل إلى صفات الأنبياء، بل قد تصل إلى صفات الرب تعالى .

يصفونه بأنه يفعل كذا، ويعلم كذا، ويتصرف في كذا، وأنه الذي له الولاية وله وله. فإذا سمع هذه الأكاذيب تلامذهم وصغارهم، فلا بد أن يستنكروا عليهم أو يستغربوا أمرهم ويقولوا: كيف حاز هذه الفضائل؟ وكيف وصل إلى هذه الرتبة؟ وكيف صار أهلا لهذه الصفات والسمات العالية الرفيعة، ومع ذلك تقدم عليه بالخلافة فلان وفلان؟ أليس هذا تنقصا له؟ أليس هذا ازدراء له؟ لو كان كما تقولون من هذه الصفات، وهذه الخلال الرفيعة لما كان أحد يتقدمه.

فكان هذا مما أحقدهم على الخلفاء الراشدين فقالوا: لا بد أن نسكت جهالنا، ولا بد أن نعتذر لهم، فندعي بأن الخلفاء الثلاثة مغتصبون، وأنهم كذبة وأنهم لا حق لهم في هذه الخلافة، وأنهم احتقروا عليا واغتصبوا حقه، الذي هو الولاية الحقة له، وأنه هو الوصي وهو الولي وهو الإمام وهو المقدم، ولكنهم احتقروه واستصغروه فولوا عليه فلانا، ثم بعده فلانا. هذه حيلتهم.

فلم يجدوا بدا من أن يصفوهم بأنهم مغتصبون، ثم لم يجدوا بدا لتسكيت سفهائهم من أن يطعنوا في أشخاص الخلفاء، ويطعنوا في خلافتهم، ويطعنوا في أهليتهم، ويدعوا أنهم مرتدون وأنهم مغتصبون وأنهم كذبة، وأن الصحابة الذين ولوهم وصبروا على ولايتهم أنهم خونة وكذبة، حيث خانوا الوصية، التي أوصاهم بها النبي ﷺ بأن يولوا عليا، لا بد أنهم خانوها. إذن فجميع الصحابة الذين بايعوا أبا بكر ثم عمر ثم عثمان يعتبرون عند الرافضة خونة، هذا هو فكرهم.

فلما كان كذلك اهتم الأئمة -رحمهم الله تعالى- بذكر فضائل الخلفاء وبذكر خلافتهم، وأنها من جملة العقيدة. وإلا فالمبتدئ يستغرب أن يذكر أمر الخلافة مع العقيدة؛ لأن العقيدة إيمان بالغيب، والخلافة أمر مشاهد ظاهر. كان أول ما مر بي -وأنا مبتدئ- الأبيات التي قرأتها في "عقيدة الكلوذاني" لما ذكر عقيدته التي مبدؤها قوله:

دع عنك تذكار الخليط المنجد — والشوق نحو الغانيات الخرد
وازهد ودع تذكار سعدى إنما — تذكار سعدى شغل من لم يسعد

ذكر الخلافة في آخرها بقوله:

قالوا فمن بعد النبي خليفة — قلت الموحد قبل كل موحد
ثانيه في يوم العريش ومن له — في الغار أسعد ياله من مسعد
قالوا فمن ثاني أبي بكر رضا — قلت الخلافة في إمام الزهد
قالوا فثالثهم فقلت مجاوبا — من بايع المختار عنه باليد
أعني ابن عفان الشهيد ومن دعي — في الناس ذي النورين صهر محمد

إلى آخرها.

فاستغربت أن أمر العقيدة إيمان بالغيب، والخلافة تأريخ وحكاية شيء واقع. ولكن لما قرأت بعد ذلك، وجدت أن سبب ذكر هذه الخلافة هو طعن الرافضة في هؤلاء الخلفاء الثلاثة، وإنكارهم لخلافتهم. ولا شك أن الذي يقرأ التاريخ حقا، التاريخ الواقعي، يعلم -أولا- أهلية هؤلاء الخلفاء لكونهم خلفاء حقا، وصحة خلافتهم، ورضا الأمة بهم. وكذلك -أيضا- ما حصل بخلافتهم من النصر والتمكين، ومن إظهار الحق، ومن السيرة الحسنة، والاقتفاء لسنة نبيهم ﷺ .

لا شك أن هذا أمر واقعي، يشهد به التاريخ. فمعلوم أن أبا بكر رضي الله عنه له مزايا وله فضائل، فهو أول من أسلم من الرجال، وبإسلامه ثبت النبي ﷺ على ما يقوله، وبه -أيضا- فتح الله على قلوب كثير من الصحابة، فهو الذي دعا عثمان فأسلم، ودعا سعدا فأسلم، ودعا طلحة فأسلم، ودعا ابن عوف فأسلم، يعني: أكثر الصحابة -سيما من العشرة- أسلموا بدعوته رضي الله عنه وذلك لأنه كان شريفا في قومه، وكان له مكانة.

وكان -أيضا- مثل ما وصف في الأحاديث، أنه يكرم الضيف -يقريه- ويدفع أو يرفع الكَلّ، والثقل يحمله، ويعين على نوائب الحق، فهو جواد ذو مكانة في قومه، فلما أسلم كان هذا مما دفع كثيرا من الصحابة إلى الإسلام. معلوم -أيضا- أن النبي ﷺ اتخذه خليلا واتخذه صديقا، وفضله على غيره، قال في آخر خلافته: ﴿ لو كنت متخذ خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ﴾ .

ثم معلوم -أيضا- أنه لما مرض المرض الذي مات فيه، استخلف أبا بكر يصلي بالناس، استخلفه فصلى بهم تلك الأيام، هذا هو الواقع الذي يشهد به الواقع الحقيقي، حتى أن بعض أمهات المؤمنين -ومنهن عائشة وحفصة- قلن له: ﴿ لو استخلفت عمر؟ فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صواحب يوسف ﴾ كما ذكر ذلك في الأحاديث الصحيحة، فأكد أن أبا بكر هو الذي يصلي بالناس .

ولما مرض النبي ﷺ دعا بكتاب يكتبه حتى لا يضل الناس بعده، ولما كثر عنده الضوضاء والكلام الرفيع، عند ذلك قال: ﴿ قوموا عني ﴾ ثم قال -في رواية-: ﴿ يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر ﴾ .

لما توفي ﷺ اجتمع الصحابة في سقيفة بني ساعدة، وخطبهم عمر وخطبهم أبو بكر، واتفقوا على أن يبايعوا أبا بكر وقالوا: " رضينا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا " إذا كان رضيه إماما لنا، يتقدم بنا في الصلاة، فإن ذلك دليل على أفضليته، فنختاره أميرا لنا، يتصرف فينا ويدبر شئون الأمة. فولوه ورضوا به.

ونعم الخليفة كان، لقد ثبت ثبوت الجبال الراسية لما أنه استخلف. لما استخلف ارتد من حولهم من الأعراب، فما بقي إلا أهل المدينة وأهل مكة، أما الأعراب الذين حولهم فارتدوا، ولكن ماذا حصل؟ ثبت رضي الله عنه

فأولا: جهز جيش أسامة الذي كان -عليه الصلاة والسلام- قد عزم على بعثه، فقالوا له: كيف تجهزه والناس مرتدون؟ فقال: " لو جرّت السباع بأرجل أمهات المؤمنين، لن أترك جيشا أمر بإنفاذه رسول الله ﷺ ". فجهز ذلك الجيش، وشق تلك الفيافي، ويمر على أولئك الأعراب، وكلما مر على قوم قالوا: هذا دليل على عزتهم وقوتهم، لو كان فيهم ضعف ما أرسلوا هذا الجيش في هذا الوقت الحرج. فغزوا وأغاروا على بلاد الروم وما حولها، ثم رجعوا سالمين غانمين.

وبعد ذلك أغار على المدينة بعض الأعراب، يريدون أن يستحلوا المدينة، وكان أبو بكر رضي الله عنه حازما، فجمع أهل المدينة، وقابلوا أولئك الأعراب، وهزموهم شر هزيمة، وانقلبوا خاسئين، وبعد ذلك رجع من كان أسلم. ثم عند ذلك جهز سبعة عشر جيشا لغزو أولئك المرتدين، فلما أن جهز هذه الجيوش علم الناس أنه ذو قوة، فعاد الذين كانوا قد ارتدوا ودخلوا في الإسلام. وكل ذلك بفكرته رضي الله عنه وبسيرته الحسنة.

ثم إنه لم تطل به المدة، إنما استقام في الخلافة سنتين وأشهرا، وحسده بعض الحسدة، وسقوه سما، وقالوا: إنه مات مسموما. والله أعلم بذلك. وبكل حال، فهو الخليفة الراشد رضي الله عنه ولما علم بأنه سوف

يموت رأى أن عمر ﷺ أولى بالخلافة؛ وذلك لأنه رأى فيه الحزم والعزم والقوة الجدة، والنشاط في الأمر. فولاه الخلافة بعده فتولى عمر ﷺ .

وسمي قديما الفاروق، الذي فرق الله بإسلامه بين الحق والباطل، فنعم ما صار لما أنه تولى الخلافة بحزم. عند ذلك ضبط الخلافة، وضبط البلاد، ووالى الجيوش التي يرسلها لغزو الكفار، وفتحت في عهده جميع بلاد الشام ومصر والعراق وأكثر بلاد إيران، وكثير من بلاد إفريقيا، وكثير من بلاد الهند أوالسند أو ما حولها. كل ذلك بحزمه ﷺ وقتل في زمانه خليفة الفرس، الذي يقال له "يزدجرد" .

كل ذلك في ظرف هذه المدة القصيرة، التي هي مدة خلافته، عشر سنين. ثم تسلط عليه أبو لؤلؤة فقتله وهو في المحراب، فقام ﷺ بجعل الخلافة شورى بين ستة من الصحابة، و لم يجعل منهم سعيد بن زيد لكونه ابن عمه، فجعل الخلافة في ستة. فاتفق الستة في أن يقدموا عثمان؛ وذلك لقرابته من النبي ﷺ ولكونه قد تزوج اثنتين من بنات النبي ﷺ ولكونه -أيضا- ذا حزم وعزم وقوة، فاتفقوا على خلافته، وتمت له الخليفة .

ووالى -أيضا- الجيوش، وفتحت في عهده كثير من بلاد الترك، ومن بلاد الروم وما وراء النهر وما أشبه ذلك. وتسلط عليه بعض الثوار وبعض الأعراب في آخر خلافته، وثاروا عليه وقتل ﷺ وبعدما قتل رأى الصحابة الذين في المدينة أن ليس أحق بالخلافة من علي بن أبي طالب، فبايعوه .

ولكن تفرقت عليه الأمة، فصار بعض الصحابة متوجهين نحو العراق لقتال قتلة عثمان، وحصلت الوقعة المشهورة في العراق، المسماة "بوقعة الجمل". ثم بعدما انفصلت الحرب، وتمت الولاية لعلي ﷺ على العراق، حصلت وقعة أخرى تسمى "وقعة صفين" بين أهل الشام وبين أهل العراق، وقتل فيها -أيضا- خلق كثير، حيث إن أهل العراق جاءوا مع علي لطلب جمع الكلمة، ولطلب المبايعة لأمير المؤمنين، وأهل الشام جاءوا مع معاوية مطالبين بدم عثمان، طالبين بأخذ الثأر ممن قتله .

فعلي يقول لهم: بايعوني حتى تتم وتجتمع الكلمة، ثم بعد ذلك نقاتلهم. ومعاوية يقول: لا نبايعك حتى تسلم إلينا قتلة عثمان. وبكل حال، حصل ما حصل من الفتن، ثم لم تزل الخلافات في جيش علي، إلى أن قتله الخوارج في سنة أربعين.

وبعد أن قُتل تولى ولده الحسن نصف سنة، ثم تنازل عن الخلافة لمعاوية في سنة إحدى وأربعين، واجتمعت الخلافة لمعاوية، وسمي ذلك العام "عام الجماعة". واستمرت الخلافة في بني أمية -في معاوية وابنه، ثم في بني مروان- إلى أن انتهت دولتهم في سنة مائة واثنين وثلاثين، وتولت الخلافة بنو العباس. وكل ذلك مذكور في السير، وفي كتب التاريخ.

وبكل حال نعتقد خلافة الخلفاء الراشدين، وأن خلافتهم حق، دَلَّ على ذلك قول النبي ﷺ ﴿ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ﴾ الحديث المشهور عن العرباض في السنن.

وكذلك قوله في حديث رواه سفينة مولى رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿ الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكا ﴾ .

هذه الخلافة التي أخبر بأنها ثلاثون هي مدة الخلفاء الراشدين الذين آخرهم الحسن بن علي رضي الله عنه ثم بعد ذلك صارت ملكا، ومعاوية أول الملوك، وهو أحسن وأفضل الملوك الذين هم ملوك الإسلام، وله سيرة حسنة.

ويقول الكلوذاني في آخر عقيدته:

ولابنــــــه في القلـــوب مـــودة	**ومحبـــــة فليظلمـــــن المعتـــــدي**
ذاك الأمـــين المجـــتبى لكتابـــة الـــــ	**ـوحـــي المـــترل بـــالتقى والـــسعـــدد**

أما فضائلهم فهي أشهر من أن تُذْكَر، وقد اهتم بهم العلماء -رضي الله عنهم-، فتجدون البخاري جعل في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، فبدأ بفضائل أبي بكر، ثم ثَنَّى بفضائل عمر، ثم ثَلَّث بفضائل عثمان، ثم بفضائل علي، وذلك دليل على أنه كان يعتقد خلافتهم، وأن هذا الترتيب ترتيبهم في الفضل، وترتيبهم في الخلافة.

ومثله -أيضا- مسلم في صحيحه، قال: كتاب فضائل الصحابة، فبدأ بفضائل الأربعة الخلفاء على ترتيبهم، وذكر كل فضائلهم التي صحت عنده، وذلك دليل على مزايا لهم وفضائل، من قرأها عرف بذلك صحة خلافتهم، وعرف بذلك أهليتهم لهذه الولاية.

وكذلك الترمذي في سننه؛ فإنه جعل في آخر سننه كتاب "الفضائل"، بدأها بفضائل الخلفاء الأربعة، واستوفى ما ثبت عنده، أو ما يقرب من الثبوت.

وكذلك -أيضا- قد أفردت بكتب، فمنها كتاب "فضائل الصحابة" للإمام أحمد، مطبوع في مجلدين بهذا العنوان "كتاب فضائل الصحابة".

وهكذا فعل الذين كتبوا في التأريخ، لا شك أن ذلك دليل على أهمية خلافة هؤلاء وصحتها، وأن من طعن في خلافة أحد منهم فهو أضل من حمار أهله كما قال ذلك شيخ الإسلام في "العقيدة الواسطية".

والكلام في خلافتهم طويل أولا: ترتيبهم في الخلافة. وثانيا: ترتيبهم في الفضل.

فثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمر، قال: ﴿ كنا نقول: ورسول الله ﷺ حي: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان. فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره ﴾ .

وهذا يعني ترتيبهم في الفضل، يعني: أبو بكر أفضلهم؛ بل أفضل هذه الأمة، ثم يليه بالفضل عمر، ثم يليه بالفضل عثمان، وهكذا كانوا، وهكذا أيضا أقرهم النبي -صلى الله عليه وسلم.

وثبت أيضا في الصحيح عن علي رضي الله عنه من طرق متواترة، أنه كان يخطب على المنبر في الكوفة، فيقول على رءوس الأشهاد: أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر.

يصرح بذلك، ولكن الرافضة لا يأخذون من كلامه إلا ما يوافق أهواءهم، ويكذبون عليه، ويردون ما ثبت عنه حقا.

وسأله مرة الحسن فقال: يا أبت، من أفضل هذه الأمة؟ فقال: يا بني، أبو بكر. فقال: ثم من؟ قال: عمر. قال: الحسن ثم أنت يا أبت؟ فقال: ما أبوك إلا واحد من المسلمين.

قال ذلك على وجه التواضع، وعلى كل حال هكذا ترتيبهم في الفضل وترتيبهم في الخلافة.

ونواصل القراءة.

المفاضلة بين الصحابة

وقولهم فيمن يبغض الصحابة

بسم الرحمن الرحيم

قال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي -رحمه الله تعالى- في بيان اعتقاد أهل السنة في كلامه عن حقوق الصحابة -رضي الله عنهم-:

"ويقولون بتفضيل الصحابة -رضي الله عنهم- لقوله تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [1] .

وقوله: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [2] .

ومن أثبت الله رضاه عنه لم يكن منه بعد ذلك ما يوجب سخط الله ﷻ و لم يوجب ذلك للتابعين إلا بشرط الإحسان، فمن كان من التابعين من بعدهم لم يأتِ بالإحسان فلا مدخل له في ذلك، ومن غاظه مكانهم من الله فهو مخوف عليه ما لا شيء أعظم منه؛ لقوله ﷻ ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾

١ – سورة الفتح آية : ١٨.

٢ – سورة التوبة آية : ١٠٠.

(1) إلى قوله: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ (2) .

فأخبر بأنه جعلهم غيظا للكافرين، وقالوا بخلافتهم لقول الله ﷻ ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (3) فخاطب بقوله: ﴿ مِنكُمْ ﴾ (4) من نزلت الآية وهو مع النبي ﷺ على دينهن فقال بعد ذلك: ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ (5) .

فمكَّنَ الله بأبي بكر وعمر وعثمان الدين، وعد الله آمنين يغزون ولا يُغْزَون، ويخيفون العدو ولا يخيفهم العدو.

وقال ﷻ لقوم تخلفوا عن نبيه -عليه السلام- في الغزوة التي ندبهم الله ﷻ بقوله: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (83) ﴾ (6) .

فلما لقوا النبي ﷺ يسألونه الإذن في الخروج للغزو، فلم يأذن لهم، أنزل الله ﷻ ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ

---

1 - سورة الفتح آية : 29.

2 - سورة الفتح آية : 29.

3 - سورة النور آية : 55.

4 - سورة النور آية : 55.

5 - سورة النور آية : 55.

6 - سورة التوبة آية : 83.

ٱللَّهِ ۖ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ (1) .

وقال لهم: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ (2) .

والذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ أحياء خوطبوا بذلك لما تخلفوا، وبقي منهم في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم- ، فأوجب لهم بطاعتهم إياهم الأجر، وبترك طاعتهم العذاب الأليم، إيذانا من الله ﷻ بخلافتهم -رضي الله عنهم-، ولا جعل في قلوبنا غلا لأحد منهم، فإذا ثبت خلافة واحد منهم انتظم منها خلافة الأربعة .

ذكرنا في خلافة الخلفاء، يُبْحَث عن أمرين: أولا: الخلافة. وثانيا: الفضل.

فأما الخلافة: فإن الأمة الإسلامية -ما عدا الرافضة- متفقون على أن الخليفة الحق الذي خلافته حق هو أبو بكر، واتفقوا على أنه يسمى خليفة رسول الله، فكانوا ينادونه: يا خليفة رسول الله ﷺ .

وقالوا: إن النبي ﷺ استخلفهم في الصلاة، فاستخلفناه بعد ذلك في أمرنا وإمارته علينا.

واستدلوا -أيضا- بأدلة أخرى منها قوله ﷺ ﴿ اقتدوا بالذين من بعدي؛ أبي بكر وعمر ﴾ .

فجعلهما قدوة، وأخبر بأنهما من بعده، أي: كخليفتين.

وكذلك -أيضا- ثبت ﴿ أن امرأة جاءت إليه تسأله عن أمر، فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ -كأنها تعني الموت- فقال: إن لم تجديني فأتي أبا بكر ﴾ .

أخذوا من هذه الإشارة أنه أراد بذلك استخلافه، وأنه رشحه لهذه الولاية، ونعم ما فعل، ونعم الخليفة، هذا من حيث الخلافة.

---

١ - سورة الفتح آية : ١٥.

٢ - سورة الفتح آية : ١٦.

وأما من حيث الفضل، فلا شك في فضائله؛ فإن الله -تعالى- مدحه، وذكر له فضائل، أنزل فيه قول الله -تعالى- في سورة "الليل إذا يغشى": ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ (١)

.

هذه الآيات نزلت في أبي بكر؛ وذلك لأنه كان ذا مال، وذا تجارة، فإذا أسلم أحد من العبيد الضعفاء اشتراه فأعتقه، فيقول له أبوه: يا بني، لو أنك تشتري وتعتق أناس أقوياء يحمونك ويكفونك ويحفظونك؟

فيقول ﷺ حمايتي أريد. يعني: ما أريد إلا الحماية، والحماية في هذا من الله تعالى. كأنه يقول إذا أطعت الله -تعالى- وأعتقت هؤلاء، فإن الله هو الذي يحرسني ويحفظني وينصرني، فأنزل الله فيه هذه الآيات ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ﴾ (٢) شهادة الله بأنه الأتقى، وأنه على هذه الصفات، يؤتي ماله ويتزكى، يخرج ماله ويتزكى، يعني: يزكي نفسه، وأنه لا يقوم بذلك إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى.

نزل فيه أيضا قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ (٣) الذي جاء بالصدق نبينا ﷺ والذي صدق به أبو بكر -رضي الله عنه-؛ وذلك لأنه لما أخبر النبي ﷺ بقصة الإسراء، وأنه أسري به إلى السماء إلى بيت المقدس، ثم إلى السماء، ثم رجع، أخبر بذلك قريشا، فاستغربوا ذلك، وقالوا: هذا هو علامة الكذب، كيف نحن نذهب مسيرة شهر ذهابا، ومسيرة شهر رجوعا، وأنت تقطع ذلك في ليلة واحدة؟!

هذا هو عين الكذب.

---

١ - سورة الليل آية : ١٧-٢١.

٢ - سورة الليل آية : ١٧.

٣ - سورة الزمر آية : ٣٣.

فجاءوا إلى أبي بكر، وقالوا: أدرك صاحبك؛ فإنه يزعم أنه أُسْرِيَ به البارحة إلى بيت المقدس ثم رجع في ليلة. فقال: لقد صدق، لقد صدق. فقالوا: أتصدقه في هذا؟ فقال: نعم، أصدقه في أعجب منه، في خبر السماء، يعني: يصدقه بأن خبر السماء يترل إليه في لحظة من اللحظات ويرتفع، فترلت هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ (١) .

مع أنه –أيضا– يعتبر صاحب الفضل، الفضل الكبير، وهو قصة الهجرة، فإنه ﴿ لما عزم النبي ﷺ على الهجرة قال: الصحبة يا رسول الله. فقال: الصحبة. ثم قال: إني عندي راحلة كنت أعلفهما وأعدهما لهذا السفر، فخُذْ إحداهما. فقال: نعم، ولكن بالثمن ﴾ .

فعند ذلك لما عزم على السفر، وكانت قريش قد دبرت مكيدة لقتل النبي ﷺ فخرج هو وأبو بكر ليلا، ولجآ إلى غار ثور، ومكثا فيه ثلاثة أيام، وصار ولد أبي بكر يأتيهما في الليل بغنمه، ويحلب لهما من الغنم، وأعطيا رواحلهما لرجل يقال له: ابن الأريقط، يحفظهما لهما، وجاءت قريش يلتمسونه، فأعماهم الله –تعالى– عنه.

أنزل الله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ (٢) .

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ (٣) قال له: ﴿ ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ ﴾ الله يحرسهما، والله يحفظهما، هذه خصيصة لأبي بكر ﷺ صحب النبي ﷺ في سفره من مكة إلى المدينة، ولازمه ملازمة تامة إلى أن توفي وهو ملازم له، لم يتخلف عنه في غزوة من الغزوات.

وفي سنة تسع ائتمنه على الحجاج، أرسله ليحج بهم في ذلك العام، وليبلغ الناس ما أنزل الله، وليقيم للناس حجهم.

---

١ – سورة الزمر آية : ٣٣.

٢ – سورة التوبة آية : ٤٠.

٣ – سورة التوبة آية : ٤٠.

وصحب النبي ﷺ أيضا في سنة عشر في حجة الوداع، فكل ذلك دليل على فضله.

فنقول بتفضيل الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-، كذلك أيضا بقية الخلفاء نقول بتفضيلهم؛ وذلك لأن الرافضة صاروا يطعنون في الصحابة كلهم، لا يستثنون منهم إلا عددا يسيرا، كعمار وصهيب وسلمان، وعدد يسير من الموالي، يدَّعُون أن هؤلاء هم الذين بقوا مع علي، وأما البقية فإنهم ارتدوا لما لم يبايعوا عليا.

فصاروا يطعنون في الصحابة، ويشتمونهم، ويستنكرون جميع ما ورد فيهم من الأدلة التي تدل على فضلهم، يستنكرون ذلك.

ومر بنا سؤال في ليلة من الليالي في هذا المسجد وهو: أن بعض الإخوان سأل عن قول النبي ﷺ ﴿ إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ﴾ وإن الرافضة يقولون: إن الصحابة أحدثوا بعده، أي: أن من حدثهم كتمانهم بزعم الرافضة الخلافة التي لعلي، أو الوصية التي لعلي، وبهذا الكتمان صاروا لذلك محدثين، وصاروا بذلك مرتدين، مع أننا نقول: إن الصحابة -رضي الله عنهم- هم الذين قاتلوا المرتدين ، أنزل الله -تعالى- فيهم الآيات منها آية في سورة المائدة.

قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ﴾ (1) .

هكذا وصفهم بست خصال، من هؤلاء؟ هم الصحابة الذين قاتلوا المرتدين من العرب الذين ارتدوا حول المدينة، ثبت هؤلاء الصحابة -رضي الله عنهم- بالمدينة وبمكة، وبغيرها من القرى التي حولها، ثبتوا رغم كثرة من انحرف وارتد، فقاتلوا أولئك الذين ارتدوا حتى ردوهم إلى الإسلام، شهد الله لهم بأنه يحبهم ويحبونه، وأنهم أذلة على المؤمنين، أي: متواضعين لبعضهم، أعزة للكافرين.

وكذلك قوله: ﴿ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ﴾ (1) .

---

١ - سورة المائدة آية : ٥٤.

هذه الصفات تنطبق على الصحابة -رضي الله عنهم-، جحدها الرافضة، وادعوا أن هذا ليس وصفا لهم.

أنزل الله بهم -أيضا- آيات في آخر سورة الأنفال، قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾ (٢).

من تنطبق عليهم هذه الآيات؟

ذكر الله -تعالى- فيها الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا، هؤلاء هم المجاهدون، ثم ذكر فيها الأنصار والذين آووا ونصروا ، الأنصار والمهاجرون هم الذين تضمنتهم هذه الآية، بعضهم أولياء بعض، فالذين لم يتولوهم ماذا تقول فيهم؟

تقول: ليسوا منهم، وليسوا من المؤمنين، وليسوا من أولياء المؤمنين؛ بل هم برآء منهم.

إذن، فالرافضة الذين يتبرئون منهم يتصفون بهذه الصفة، أنهم ليسوا منهم، ويدخلون في النص الذي بعده، والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ ﴾ (٣).

كل هذا وصف للمؤمنين، وشهادة لهم.

الرافضة يقولون: إن هذه الفضائل بطلت بردتهم، هل هذا صحيح؟ أن هذه الفضائل التي مدحهم الله بها بطلت بردتهم؟

---

١ - سورة المائدة آية : ٥٤.

٢ - سورة الأنفال آية : ٧٢.

٣ - سورة الأنفال آية : ٧٣-٧٤.

الله -تعالى- يمدحهم وهو يعلم أنهم سيرتدون؟! أليس الله عالم بمن يستحق المدح؟ لو كانوا سوف يرتدون ما مدحهم الله -تعالى-، ولا أثنى عليهم هذا الثناء؛ فإن الله عالم بمن يموت على الإسلام، ومن يموت مرتدا، عالم بذلك كله.

فهذه القاعدة عند الرافضة -أن فضائل الصحابة بطلت بردتهم- باطلة هذه الحجة الواهية؛ فإن الله -تعالى- لا يمكن أن يمدحهم هذا المدح وهو يعلم أنهم سيرتدون في وقت من الأوقات، وستحبط أعمالهم ، فالله -تعالى- عالم بكل شيء.

نقول للرافضة: هذا تنقص منكم لله -تعالى- معناه أن الله يجهل الأمور المستقبلة، فيمدحهم وهو لا يعلم أنهم سينقلبون، وسوف يرتدون، وسوف يكفرون بعد ذلك، وسوف ينقضون بيعتهم.

استدل المؤلف بهذه الآية في سورة "الفتح": ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [1] -رضي الله عنهم-، الذين بايعوا تحت الشجرة أكثر من ألف وأربعمائة، ومنهم الخلفاء الراشدون، والعشرة، وأجلاء الصحابة -رضي الله عنهم- بايعوه، قيل: إنهم بايعوه على ألا يفروا، وقيل: إنهم بايعوه على الموت، والمعنى متقارب، كأنهم يقولون: نبايعك على أن نقاتل إلى أن نُقْتَل أو ننتصر ولو أدى إلى الموت، وعلى أننا لا نفر ولو قُتِلْنَا واحدا بعد واحد، فبايعوه على ذلك.

هذا الرضا معناه أن الله -تعالى- رضي أعمالهم، ورضي أقوالهم، وعلم سعادتهم، وعلم أهليتهم، فصرح بأنه رضي عنهم.

من العجائب: رأيت بعض الرافضة في هذا الزمان رسالة بعنوان "المراجعات"، طبعها بعضهم تصويرا لَمَّا ذكر هذه الفضيلة قال: اقرءوا ما قبلها إن الله -تعالى- ذكر أنهم سوف ينتقبون.

---

١ - سورة الفتح آية : ١٨.

الله -تعالى- يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [1]

.

فيقول: هذا دليل على أن منهم من نكث.

هل هذا صحيح؟ هل في هذه الآية دليل على أن فيهم من ينكث؟ وعلى أن فيهم من نكث؟!

إنما فيها الإخبار، أخبر الله بأن من نكث إنما ينكث على نفسه، ومن أوفى فإنما يوفي لنفسه، وليس فيها أن فلانا سينكث وأنهم نكثوا كلهم كما تقوله الرافضة؛ إنما فيها الإخبار بأن الذين يبايعونه فإنهم يبايعون الله.

ثم -أيضا- ليست هي بيعة الراضون، بل هي البيعة العامة، كل من جاء مسلما فإنه يبايع الرسول- صلى الله عليه وسلم-، فالله -تعالى- يخبرهم ويقول: أيها المؤمنون، الأعراب والحُضَّار، والصغار والكبار، والنساء والرجال، أنتم تبايعون النبي ﷺ ولكن احذروا! إذا نكثتم فإن نكثكم على أنفسكم، وضرركم بهذا النكث يعود عليكم، فخذوا حذركم.

معلوم أن هناك من بايع من الأعراب ثم نكث، وارتدوا بعد موت النبي -صلى الله عليه وسلم.

إذن، فليست الآية يُراد بها أهل بيعة الرضوان؛ أهل بيعة الرضوان ثبت رضا الله -تعالى- عنهم، فلا يمكن أن يسخط عليهم بعده أبدا؛ لأنه إذا أَحَلَّ رضاه على قوم فلا يسخط بعده أبدا.

ثبت أيضا في الصحيح أنه ﷺ قال: ﴿ لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ﴾ .

ولما كان في غزوة حنين، وتقابلوا مع هوازن، وكان هوازن معهم نبال شديدة، فانهزم كثير من الصحابة، فعند ذلك أمر العباس بأن يصيح وينادي: يا أصحاب الشجرة. فلما سمعوا ذلك قالوا: لبيك، لبيك. ولووا أعناق رواحلهم، وجاءوا مسرعين نحو الصوت، وتذكروا هذه البيعة، لا شك أن هذا دليل على أنهم أوفياء بما عاهدوا الله -تعالى- عليه.

---

١ - سورة الفتح آية : ١٠.

كذلك هذه الآية في سورة "التوبة": ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [1] .

هذه الآية ذكر الله -تعالى- فيها ثلاثة أنواع من الصحابة:

السابقون الأولون المهاجرون.

والأنصار والأتباع من المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، أو من غيرها من القرى إلى المدينة. والأنصار الذين هم أهل المدينة، الذين أسلموا من أهل المدينة، ونصروا الله -تعالى- ورسوله.

والذين اتبعوهم بإحسان، قيل: إن المراد الذين أسلموا بعد الفتح، وقيل: الذين أسلموا بعد صلح الحديبية، وقيل: المراد الذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم القيامة، يعني: صاروا على طريقتهم، وتمسكوا بسنتهم، فهؤلاء من أتباعهم الجميع.

هؤلاء المهاجرون، والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم.

ما أعظمها من فضيلة، رضا الله تعالى ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [2] أثبت الله -تعالى- رضاه عنهم.

إذن، من أثبت الله رضاه عنه لم يكن منهم بعد ذلك ما يوجب سخط الله، لا يمكن أن يثبت الله أنه رضي عنهم وهو يعلم أنهم سيسخطون ربهم بعد ذلك، لا يمكن، لم يوجب للتابعين إلا بشرط الإحسان.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [3] لم يقل اتبعوهم فقط؛ بل بإحسان، فأوجب للمحسنين من أتباعهم الرضا، فمن كان من التابعين من بعدهم يتنقصهم، لم يكن بالإحسان، ولم يكن حريا بالإحسان، فلا مدخل في ذلك.

---

١ - سورة التوبة آية : ١٠٠.

٢ - سورة المائدة آية : ١١٩.

٣ - سورة التوبة آية : ١٠٠.

الذين جاءوا من بعدهم، ولكنهم يتنقصونهم، ويعيبونهم ويقدحون في خلافتهم، لا شك أن مثل هؤلاء لم يتبعوهم بإحسان؛ بل اتبعوهم بإساءة، أساءوا صحبتهم، وأساءوا سمعتهم، وسبُّوهم وتنقصوهم، فأين هم من الإحسان؟ ليسوا من أهل الرضا.

يقول: ومن غاظه مكانه من الله فهو مخوف عليه ما لا شيء أعظم منه.

الذين يغيظه مكانهم فهو كافر، دليل ذلك هذه الآية في سورة "الفتح": ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [(١)] .

وصفهم بصفات: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ [(٢)] هذا مَثَّلهم الله.

﴿ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ ﴾ [(٣)] ليغيظ بهم الكفار.

فنقول: أنت الذي غاظوك، والذي وقع في قلبك حقد عليهم، لا تأمن أنك تدخل في هذه الآية.

فإنه يغيظ بهم الكفار، فإذا غاظتك مواقفهم فلست من المؤمنين، بل من الكفار، يُخاف عليه.

هكذا من غاظه مكانهم من الله فهو مخوف عليه ما لا شيء أعظم منه وهو الكفر، أخبر بأنه جعلهم غيظا للكفار.

قرأت لبعض الشيعة لَمَّا ذكر هذه الآية، قال: إن الله -تعالى- يقول في آخرها: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم ﴾ [(٤)] .

---

١ - سورة الفتح آية : ٢٩.

٢ - سورة الفتح آية : ٢٩.

٣ - سورة الفتح آية : ٢٩.

٤ - سورة الفتح آية : ٢٩.

يقول: إن "من" للتبعيض، فيدل على أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات قلة قليلة منهم، وأما الباقون فليسوا ممن وعدهم الله.

سبحان الله! هكذا يقول هؤلاء الرافضة، وهو أنهم يجحدون الفضائل، نسوا أول الآية، تناسى أول الآية التي فيها أن الله أخبر بأنهم رحماء بينهم، وأشداء على الكفار، وأنهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا، وأن سيماهم في وجوههم.

فقوله: ﴿ مِّنۡهُم ﴾ [1] ليس المراد التبعيض، وليس المراد أن الذين يستحقون العمل الصالح جزء منهم يسير.

ثم يقال أيضا: ما الذي دلك على أن هذا التبعيض يُخرج الخلفاء الراشدين؟

الخلفاء أولى بأن يدخلوا في هذه الآية.

ثم ذكر آية أخرى، قول الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [2] .

في هذه الآية ذكر الله أنه يستخلف في سورة "النور" ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [3] الخطاب "منكم" لا شك أنه يدخل فيه الصحابة، ليستخلفنهم في الأرض.

أليس الله -تعالى- استخلفهم في الأرض؟ نعم، استخلفهم في هذه الجزيرة، واستخلفهم في البلاد الإسلامية كلها التي دخل فيها الإسلام، وثبت أن أول الخلفاء هو أبو بكر، ثم الخلفاء بعده.

﴿ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [4] خاطب بقوله: ﴿ مِنكُمۡ ﴾ [5] من وُلِدَ الآن، ومن هو مع النبي-صلى الله عليه وسلم- على دينه، فقال بعد ذلك: ﴿ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا

---

١ - سورة البقرة آية : ٧٥.

٢ - سورة النور آية : ٥٥.

٣ - سورة النور آية : ٥٥.

٤ - سورة النور آية : ٥٥.

٥ - سورة البقرة آية : ٦٥.

ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنًا ۚ يَعۡبُدُونَنِى لَا يُشۡرِكُونَ بِى شَيۡـًٔا ۚ ﴾ [١] .

هذه الثلاثة حصلت في عهد أبي بكر وعمر والخلفاء بعده، استخلفهم في الأرض، وكانت خلافتهم راشدة، وكذلك مَكّنَ لهم دينهم الذي ارتضاه لهم بأن اتضح لهم الإسلام، وشُرِحَتْ تعاليمه، وعرفوه حق المعرفة، وتبين لهم كيف يعبدون ربهم، وتبينت لهم التفاصيل التي فرضت عليهم.

مَكَّنَ الله -تعالى- لهم دينهم، ثم أزال عنهم المخاوف والأحزان التي كانت تعتريهم عندما كانوا في الجاهلية، فأصبحوا آمنين، لا يخافون، أبدلهم الله -تعالى- بعد خوفهم أمنا، وبعد الذل عزة، وبعد القلة كثرة، وبعد الضعف قوة، حتى تمكنوا، وحتى مَكَّنُوا إخوانهم من المؤمنين، فصاروا يعبدون الله -تعالى- على بصيرة، فتحققت هذه الوعود الثلاثة.

﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنًا ۚ ﴾ [٢] .

ولقد وفوا بقوله: ﴿ يَعۡبُدُونَنِى لَا يُشۡرِكُونَ بِى شَيۡـًٔا ۚ ﴾ [٣] وفوا بذلك -رضي الله عنهم-، مكن الله بأبي بكر وعمر وعثمان، مكن لهم الدين.

"وعد الله الآمنين ، يَغزون ولا يُغزَون". يعني: صاروا بذلك آمنين، صاروا يغزون الناس، ولا يتجرأ أحد أن يغزوهم، يخيفون العدو، ولا يخيفهم عدو من الأعداء، ولو كانوا بعيدين ترجف قلوبهم إذا سمعوا أن المسلمين قد توجهوا، يقع في قلوبهم الرعب الذي ذكره الله في قوله تعالى: ﴿ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ ﴾ [٤] .

١ - سورة النور آية : ٥٥.

٢ - سورة النور آية : ٥٥.

٣ - سورة النور آية : ٥٥.

٤ - سورة الأحزاب آية : ٢٦.

ثم ذكر أن الله -تعالى- قال للذين تخلفوا عن نبيه ﷺ في الغزوة التي ندبهم فيها، في غزوة تبوك: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [1] .

هذه الآية نزلت في المنافقين؛ وذلك لأن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك لما أنهم تخلفوا، وبعد ذلك استأذنوه للخروج مرة، قال لهم: ﴿ لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [2] .

فلما لقوا النبي ﷺ يسألونه الإذن في الخروج على العدو، لم يأذن لهم، فأنزل الله -تعالى- الآيات التي في سورة "الفتح": ﴿ سَيَقُولُ ٱلۡمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأۡخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ ﴾ [3] .

فالمخلفون هؤلاء أعراب تخلفوا عن غزوة خيبر، وعن غيرها من الغزوات، فعند ذلك لما ظنوا أن النبي ﷺ سوف يخرج ويصيب من العدو، يصيب مغنما، قالوا: ائذن لنا أن نتبعك؟ الله -تعالى- قد منعه، قد قال له: قل: ﴿ لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ ﴾ [4] .

فهذا الكلام أمر من الله أنه يمنعهم من الخروج، فقال لهم: إن الله -تعالى- قد منعكم، وهم يريدون أن يبدلوا كلام الله، فقال: ﴿ لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا ﴾ [5] .

كذلكم قال الله -تعالى- من قبل، يعني: هذا كلام الله -تعالى- الذي أمر بألا تخرجوا، فقالوا: بل تحسدوننا.

١ - سورة التوبة آية : ٨٣.

٢ - سورة التوبة آية : ٨٣.

٣ - سورة الفتح آية : ١٥.

٤ - سورة التوبة آية : ٨٣.

٥ - سورة التوبة آية : ٨٣.

ثم قال له: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ [1] .

هذه الآيات في الأعراب، أعراب لم يكن الإيمان قد وقر في قلوبهم، فإذا رأوا أن المسلمين سوف يغنمون طلبوا أن يخرجوا معهم حتى يقاتلوا معهم، وإذا خافوا أنهم لا يغنمون تخلفوا وقالوا: ائذن لنا حتى لا نخرج؛ فإننا مشغولون، وإن بيوتنا عورة، ونحو ذلك.

فالذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ أحياء خوطبوا بذلك لما تخلفوا عنه، وبقي منهم في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ما أوجب لهم بطاعتهم إياه الأجر، وبترك طاعته العذاب الأليم إيذانا من الله بخلافتهم.

بمعنى أن الله -تعالى- أمرهم فقال: ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ [2] .

متى دُعُوا؟ من الذين دعاهم؟ أبو بكر، ثم عمر.

ستدعون إلى القتال، إلى أولي بأس شديد، فدعاهم أبو بكر ؓ وكان ذلك دليل على أن خلافة أبي بكر حق، وكذلك خلافة من بعده.

نسأل الله ألا يجعل في قلوبنا غلا لأحد منهم، إذا ثبتت خلافتهم -أو خلافة واحد منهم- انتظمت خلافة الأربعة -رضي الله عنهم.

نكتفي بهذا.

صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

١ - سورة الفتح آية : ١٦.

٢ - سورة الفتح آية : ١٦.

أما بعد، فهذا سائل يقول: فضيلة الشيخ، ما رأيكم -بارك الله فيكم- فيمن س: يقول: إننا لم نرَ شيئا يسوءنا من الرافضة؛ فهم يظهرون لنا خلقا حسنا وتعاملا طيبا، وهم ليسوا كما تقولون وتحذرون، وخصوصا أن بعضهم إذا سُئِلَ عن بعض ما ينسب إلى الرافضة ينكر ذلك، فما نصيحتكم لمثل هؤلاء؟

ج: معلوم أن الرافضة حَدثوا في وسط القرن الأول، ولكنهم كانوا قلة، ثم صاروا يتمكنون، ويزدادون قوة، إلى أن صار لهم مكانة، ولكن كانوا طوال هذه القرون أذلة لم يتمكنوا، ولما رأوا أن هذا لا بد أنهم يختلطون بالناس رأوا كتمان أمرهم.

ورووا عن جعفر الصادق أنه كان يقول: "التقية ديني ودين آبائي". فصاروا يتعاملون معنا بالتقية، بمعنى أنهم إذا لقوا أهل السنة أخذوا يمدحون السنة، وأخذوا يترضون عن الصحابة، وأخذوا يمدحونهم، ولكن قلوبهم ممتلئة غيظا وحقدا، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، فيتصفون بصفات المنافقين، هذه عقيدتهم، وأدلة ذلك كثيرة، والواقع يشهد بذلك.

فإذا قرأنا في كتبهم التي فيما بينهم وجدناهم يصرحون بمعتقدهم، يسبون الصحابة -رضي الله عنهم-، ويحملون الآيات ما لا تحتمله، فيقولون في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [1] .

الجبت والطاغوت: أبي بكر وعمر، هكذا يقولون.

ويقولون في قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ ﴾ [2] قالوا: يدا أبي لهب: أبي بكر وعمر، يداه أبو بكر وعمر.

فيقولون يحملون الآيات على غير ما تحمل، فيقولون في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ [1] فيقولون: البقرة هي عائشة بنت أبي بكر، وأن الله أمر بقتلها -هكذا يقولون- ثم تأويلاتهم في كتب تفاسيرهم أمرها عجائب.

---

١ - سورة النساء آية : ٥١.

٢ - سورة المسد آية : ١.

لهم تفاسير، ولكن أكثر تفاسيرهم التي في إيران وفي العراق يخفونها ويكتمونها، ولكن بعد أن طبعت لم تعد خفية.

فنحن نقول: إذا رأيتم وعلمتم أن هؤلاء من الرافضة الذين يسمون أنفسهم شيعة، فخذوا حذركم منهم، وكونوا على حذر؛ وذلك لأنهم يضمرون العداوة لكل أهل السنة، ويودون أن يفتكوا بهم بكل ما يستطيعون، وتتقطع قلوبهم حسرات وغيظا على كل من أهل السنة، ويحبون أن يوصلوا إلى أهل السنة ما يستطيعونه من الأضرار، والشواهد كثيرة، والحكايات عنهم في ذلك كثيرة، حتى أن بعض الإخوان في مكة ذكر أنه كان بجوارهم في الموسم بعضا من الجعفرية، فيقول: فكنا إذا خرجنا وهو خارج نحو المسجد ولقيناه فصافحناه بأيدينا رجع يغسل يديه عن أيدينا، يعتقد أن أيدينا نجسة، فيرجع ويغسلها حتى لا يصلي بهذه النجاسة، في زعمه أن أيدينا نجسة، والمكائد التي نقلت عنهم كثيرة.

إذا قُدِّر -مثلا- أن فيهم من هم قريبون من الحق، فإننا نجادلهم، ونبين لهم، فإذا هداهم الله -تعالى- ورجعوا وتركوا مذهبهم، فلا بأس، قد رجع كثير من شبابهم لما رأوا الأمور التي فيها مذهبهم، والتي تضحك المجانين، عَرفوا بذلك بعدهم عن الصواب.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، تظهر بين فترة وأخرى صيحات تنادي بالتقريب بين الرافضة والسنة، فما توجيهكم لذلك -حفظكم الله؟

ج: صحيح، هذا كان في أوائل القرن الرابع عشر، في حدود سنة ألف وثلاثمائة وعشرة، إلى حدود سنة ألف وثلاثمائة وخمسين، كان الرافضة الذين في إيران، والذين في العراق، يتصلون بأهل مصر، وبأهل الشام، ويحاولون التقريب، ويقولون: نحن مسلمون.

ثم يذكرون خصالهم التي يتمدحون بها، ويقولون: لماذا نتفرق؟ لماذا يحصل هذا التفريق بيننا وبينكم؟ أنتم مسلمون، ونحن مسلمون، ما الفرق بيننا؟ هكذا يقولون.

ثم انتبه لهم بعض العلماء، وانخدع بهم كثير من علماء مصر، وقالوا: إنهم إخواننا، وإنهم مسلمون.

---

١ - سورة البقرة آية : ٦٧.

الذي انتبه لهم محب الدين الخطيب -رحمه الله-؛ وذلك لأنه عندما نظر إلى ما يدعون إليه، هذا التقريب ما هو؟ ما هو التقريب الذي تريدونه؟ نظر على أنهم يجتذبوننا على أن نصير مثلهم، إلى أن نتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر ونَسُبّهما، وكذلك -أيضا- نتبرأ من الصحابة، ونطعن فيهم، وما أشبه ذلك، ونرد كتب الصحيح، ونتبرأ منها. هذا هو التقريب الذي يريدونه.

فعند ذلك ألف رسالته المطبوعة، والتي صارت غيظا لهم، وسماها "الخطوط العريضة"، ولما أنه فطن لهم قال: هذا التقريب الذي يدعوننا إليه ليس هو تنازل منهم عن شيء من عقيدتهم، ما قالوا -مثلا-: تنازلوا عن عقيدتكم ونتنازل عن عقيدتنا، ولا قالوا: اتركوا بعضا من التشدد؛ بل قالوا: ندعوكم إلى أن تتبرءوا من الشيخين، وتتبرءوا من الصحيحين، الذين فيهما أحاديث مكذوبة، وتقول كذا وكذا. هذا هو التقريب الذي يزعمونه.

وانتبه له أيضا عالم يقال له: ابن جبهان الذي له الكتاب المطبوع اسمه "تبديد الظلام وتنبيه النيام"، بيان لما يدعون إليه من هذا التقريب، وبيان أن تقريبهم إنما هو دعوة لعقيدتهم، هذا هو الصحيح.

نحن نقول: أهل السنة قبلكم، أنتم ما حدثتم إلا في آخر القرن الأول وما بعده، فإذا كان أهل السنة قبلكم فلماذا تدعونهم إلى شيء حادث؟ شيء متجدد؟

وإذا كان كذلك فنحن ندعوكم إلى التقريب، ندعوكم إلى التقريب، نحن نتربع عن أهل البيت الذين تتربعون عنهم، أنتم تقولون: نحن نحب أهل البيت. ونحن كذلك نحب أهل البيت، ولكن لسنا مثلكم، بمعنى أننا نعبد أهل البيت كما تعبدونهم، نحن نحب بقية الصحابة، وأنتم تبغضونهم وتلعنونهم، أين التقريب؟

نحن نتمسك بالقرآن، وأنتم تطعنون في القرآن، وتدعون أن فيه تحريفا، وأن الصحابة خانوه، وحذفوا منه أكثر من ثلثيه، فيما يتعلق بولاية أهل البيت، وبفضائل أهل البيت، حذفوا منه أكثر من عشرة آلاف آية -على حد زعمهم-. وينقلون أن جعفر الصادق كذبوا عليه عشرات الآلاف من الكذب، أنه كان يقول: عندنا مصحف فاطمة مثل مصحفكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه آية من مصحفكم هذا. عندنا مصحف فاطمة. أين هذا المصحف الذي يقولونه؟!

فعُرِفَ بذلك أنهم أعداء ألداء، فلا يعتبر تقريبهم الذي يدعونه.

س: وهذا يقول: ما قولكم -أدام الله فضلكم- فيمن يقول: إن الرافضة أكثر شرا وبغضا من اليهود والنصارى؟

ج: يمكن أن يكون هذا صحيحا، قد قال ذلك المتقدمون، فابن القيم يقول في النونية:

إن الروافض شر من وطـــئ الحـــصى ... مـــن كل إنس ناطـــق أو جـــان

ويدل على ذلك أفعالهم، قد طُبِعَ كتابه، وُجِدَ مطبوعا في المكتبات، وفيه المقاربة بين اليهود والرافضة، أن الرافضة قالوا كذا واليهود سبقوهم، وأن الرافضة قالوا كذا واليهود سبقوهم، وأن الرافضة واليهود اجتمعوا على مقالة كذا وكذا.

ثم -بتتبع التاريخ- يُعْلَم أن كل نكبة حصلت على الإسلام والمسلمين فسببها الرافضة، فمن ذلك القضاء على الخلافة في العراق، وقتل الخليفة المستعصم، الخليفة العباسي، سببها أن الرافضة تمكنوا وكثروا في العراق، وبالأخص في بغداد، وكان وزير الخليفة يقال له: ابن العلقمي، رافضيا خبيثا، كان يحب أن تنتقل الخلافة من آل العباس إلى آل علي، فهو الذي مَكّن لهولاكو -رئيس التتار- إلى أن استخدع الخليفة وخرج إليهم، فلما خرج إليهم الخليفة قبضوا عليه، وجعلوه في كيس وداسوه بالأرجل، إلى أن مات، ثم بعد ذلك دخلوا بغداد، وماذا حصل؟

قُتِلَ فيها مئات الألوف، أو ألوف الألوف، وسُفكت فيها الدماء إلى أن ليكاد ألا يُبْقوا على أحد، هذه المصيبة كلها بواسطة هذا الخبيث، الذي هو ابن العلقمي، وغيره وغيره.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، ما رأيكم فيمن يطعن في خلافة عثمان -رضي الله تعالى عنه- ويقول: إنها فجوة بين خلافة عمر وعلي، وأنه حملته الحمية على أن وَلّى أبناء عمه على المسلمين؟

ج: لا شك أنه خليفة راشد من الخلفاء الراشدين؛

فأولا: رضيه الصحابة وولوه.

وثانيا: أنه لم يبطل شيئا من الجهاد؛ بل الجهاد مستمر في عهده، والغزو والفتوح متواصلة في عهده ﷺ.

وثالثا: أن سيرته أتم سيرة؛ فهو الذي نسخ المصاحف، وأرسلها إلى الآفاق، وأمرهم بأن يقتصروا عليها ويقرءوها، وكان -أيضا- في سيرته عابدا أشد العبادة:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وتحميدا

فهذه سيرته بنفسه.

أما كونه قَرَّبَ أقاربه، فهذا ليس بعيب عليه، لا ينكر عليه إذا قرب -مثلا- بعض أقاربه -كمعاوية- مع أن معاوية ولاه قبله عمر ﷺ على الشام، وكان حازما، فيه قوة، وفيه شجاعة وإقدام، وحصل في زمنه فتوح كثيرة.

كذلك -أيضا- كونه قَرَّبَ مروان بن الحكم، وجعله كاتبا عنده، لا يُستنكر ذلك عليه، لكن الثوار من الأعراب هم الذين استنكروا هذا التقريب، أنهم قالوا: كيف تقرب ابن عمك هذا، مع أنك ما قربته إلا من أجل الحمية ونحو ذلك؟

فهو يقول: نعم، النبي ﷺ كان يخص أقاربه من أهله من بني هاشم بسهم ذوي القربى، وأنا رأيت أن هؤلاء هم ذوو القربى، فلا ينكر عليه .

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، هل قراءة قصص الخلاف الذي حصل بين الصحابة في كتب السير، هل هو مذموم، أم لا بأس به؟ وما المنهج السلفي في ذلك؟

ج: لا بأس في ذلك، مع الاعتذار عنه، أنهم مجتهدون، وأن نكف عن كل ما شجر بينهم من الخلاف، ونقول: أمرهم إلى الله تعالى. ونعرف أن الحوادث هذه التي حدثت كثير منها لا صحة له، بل هو مكذوب، والذي منه صحيح هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون فلهم أجران، وإما مجتهدون مخطئون فلهم أجر واحد، وخطأهم مغفور.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، تكثر في هذه الأيام الزواجات، فهل إجابة الدعوة لها واجبة، وهل الوجوب بمجرد الدعوة أم لا بد من موافقة المدعو؟ وما حكم الإجابة لمجرد الدعوة بالبطاقة؟

ج: وردت أدلة في إجابة الدعوة، ولكن ذلك محمول على حالات خاصة، وهي إذا كان التخلف يسيء الظن بالمتخلف، إذا دعاك أخوك لطعام الوليمة، فتخلفت عنه، وساءه ذلك، فقالوا: امتنع عن هذه الدعوة، ذلك دليل على أنه حاقد علينا، أو أنه لم يرضَ، أو يبغضنا، أو نحو ذلك، فذلك قالوا الوجوب الذي ورد في حديث: ﴿ من لم يجب الدعوة فقد عصى الله ﴾ خاصٌ ببعض الأزمنة وفي بعض الأمكنة.

فأما هذه الأدعية التي هي إما بطاقات تفرق، وإما نشرات أو نحوها، فأرى أن الإنسان إذا أجاب فلا بأس حتى يجيب أصحابه وإخوته، وإذا اعتذر، أو كان له عذر، فلا حرج .

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، توفي أخ لي غرقا، وعمره أربع سنوات ونصف في بركة لأحد أقاربنا، وكان برفقته والدتي وبعض إخواني، أحدهم أكبر مني سنا.

والسؤال: هل هناك صيام بسبب موته، وعلى من يكون: أعلى والدتي، أم أختي، أم صاحب المزرعة، أم على والدي، وجزاكم الله خيرا؟

ج: معروف أن الطفل الذي في سن الرابعة لا يملكه أبواه، يعني: هو كثيرا ما يتقلب، وكثيرا ما يذهب ويجيء، ويصعد وينزل، ولا يستطيع أبوه ولا أمه أن يتحكما فيه وأن يمسكاه، فأظن أنه لا كفارة على الأم؛ لأنها لا تستطيع أن تملكه، ولا على الأب؛ لكونه -مثلا- أحضرهم إلى هذه المزرعة، ولا على صاحب المزرعة الذي جعل هذه البركة مكشوفة، فكل منهم لم يصدر منه ذنب يستحق أن يدفع دية، أو أن يصوم كفارة.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، تراودني أحيانا بعض الشكوك في العقيدة، وأنا مُقرٌّ ومؤمن ولله الحمد، ومن الذين يتأثرون ويبكون بقراءة القرآن، فأرجو من فضيلتكم التوجيه والإرشاد، وجزاكم الله خيرا؟

ج: ننصحك بأن تكرر أمر العقيدة، تقرأها مرة بعد مرة، وكذلك أيضا تقرأ الأدلة عليها التي ترسخها في القلب وترسيها، وننصحك أن تكثر من قراءة القرآن؛ فإن العقيدة مأخوذة من أدلة القرآن والسنة، وننصحك بكثرة الاستعاذة من الشيطان، والبعد عن وساوس الشيطان وأوهامه وتخيلاته، فلعلك إذا ابتعدت عن ذلك كله زالت عنك تلك الشكوك.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، ما رأيكم في صفوة التفاسير للصابوني؟

ج: هو كغيره من التفاسير، الصابوني معلوم أنه على عقيدة الأشاعرة، ولكن لكونه -في هذا الزمان أو في هذه البلاد التي ظهر فيها منهج أهل السنة- لم يستطع أن يفصح بعقيدته كما أفصح بذلك الأولون، كما أفصحوا بعقيدتهم من إنكار الاستواء، وإنكار صفة العلو، وإنكار الصفات الفعلية، وتأويل الرحمة والمحبة والغضب والرضا، وما أشبه ذلك تأويلا ظاهرا، وتأويل صفات الوجه واليد والساق وما أشبه ذلك، هو ينكر هذه الصفات، وتأويله لها تأويل خفي لا يتفطن له.

أما المتقدمون من الأشاعرة -مثل الرازي والبيضاوي، والنسفي، ونحوهم- فإنهم يصرحون بالتأويل، ويردون ردا واضحا.

وبكل حال، فيه فوائد، ولكن الذي يكون جاهلا بأمور العقيدة ينبغي أن يتجنب ما فيه من الأمور التي فيها شيء من المخالفة في العقيدة، أو يقرأه على عالم حتى ينبهه على الأخطاء العقيدية.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، نريد أن تتكرموا -بارك الله فيكم- بذكر فضل صيام التطوع، وخاصة أيام البيض؛ لأنها تبدأ غدا.

ج: معلوم أن الصيام عبادة من العبادات، يحبها الله -تعالى- واصطفاها لنفسه في قوله: ﴿ كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ﴾ .

والإنسان ينبغي له أن يعوِّد نفسه على الصوم؛ حتى يحب العبادة التي يحبها الله تعالى، وأقل شيء أن يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وأفضلها أيام البيض؛ الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، ففيها أخبر بأنها أيام بيض؛ لكون لياليها بيضا ونهارها أبيض.

فصيامها ورد فيه فضل ﴿ فإذا صمت فصم من الشهر ثلاثا، وصم ثالث عشر، ورابع عشر، وخامس عشر ﴾ .

وإن صام غيرها أجزأه ذلك، قد كان ابن عمر ﷺ يصوم ثلاثة من أول الشهر، فإذا قيل له: ألا تصوم أيام البيض؟ فيقول: وما يدريني أني أدرك البيض.

وبعضهم يفضل أن يصوم من كل أسبوع يومين، الاثنين والخميس؛ فقد كان النبي-صلى الله عليه وسلم- يحافظ عليهما، ويقول: ﴿ إنها تعرض الأعمال فيهما، فأحب أن يُعرض عملي وأنا صائم ﴾ .

فمن صام الاثنين والخميس، أو صام أيام البيض، أو صام ثلاثة أيام من كل شهر، أو ثقل عليه في أيام الحر -مثلا- وأجَّلها إلى الأيام التي يكون فيها الحر خفيفا، كل ذلك له أجر إن شاء الله .

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، هو شاب ملتزم يقول: وقعت في جريمة من كبائر الذنوب، و لم يعلم بي إلا الله ﷻ وأنا على ذلك نادم، وأحس بأني قد هلكت، فهلا أدركتني بكلمة -بارك الله فيك؟

ج: ننصحك بأن تتوب فيما بينك وبين الله تعالى؛ فإن التوبة تمحو الذنب، والندم توبة، فحَقِّقْ شروط التوبة:

أولا: أنك تظهر الندم والأسف على ما وقع منك من هذه الكبيرة، ومن هذا الذنب.

ثانيا: تعاهد ربك على ألا تعود، ولا يتكرر منك هذا الذنب في بقية حياتك.

وثالثا: تكثر الاستغفار، وتكثر الأعمال الصالحة ؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات.

نفعنا الله بعلمك، وجزاك الله عنا خير الجزاء، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

السلام عليكم ورحمة الله

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كان آخر ما قرأنا: الحكم فيمن يبغض الصحابة، حيث حُكِمَ عليه بالكفر في قوله تعالى: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [1] .

فمن غاظه مكانهم من الله، ومن غاظه سبقهم، ومن غاظه فضلهم، ومن غاظته مزاياهم خِيفَ عليه أن يدخل في هذه الآية ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [2] .

فيقال للذين قد غاظهم مكانهم، نقول لهم: ﴿ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ﴾ [3] موتوا بغيظكم؛ فإن الله –تعالى– قد رفع مكانة أصحاب نبيه ﷺ وقد جعل لهم المحبة والمودة في قلوب المؤمنين، وقد حفظ بهم دينه، حفظ بهم هذا الدين، استخلفهم، جعلهم خلفا بعد نبيه ﷺ فحفظوا على الأمة الإسلامية الدين، حفظوا القرآن، ودونوه من حفظهم، وبثوه وكتبوه في المصاحف، وفسروه للأمة وبيَّنُوه،

وحفظ بهم السنة والشريعة، وحفظها على من بعدهم.

جعل الله في قلوبهم المحبة للإسلام، والمحبة لأهله، فنصحوا للمسلمين، وبلَّغُوهم الشريعة الإسلامية، وحرصوا على أن يكونوا دعاة إلى الله تعالى، فبذلوا في نصحهم لإخوانهم النفس والنفيس، وتركوا بلادهم وأولادهم وأموالهم، وغزوا في سبيل الله، وتعرضوا للقتل، وتعرضوا للأذى وللتعب.

كل ذلك لنصر الإسلام، ولنشره في ربوع البلاد الإسلامية، وللقضاء على الكفر والفسوق والعصيان، وللقضاء على البدعة.

فكيف –مع ذلك– يُطْعَن فيهم؟ وكيف يُدَّعَى بأنهم كفار، وبأنهم مرتدون؟

إذا كانوا مرتدين وكفارا، ولم يبقَ على الإسلام منهم إلا أفراد قلة، فمن الذي حفظ لنا الإسلام؟ من الذين قالوا لنا القرآن؟ من الذين قالوا لنا السنة؟ من الذين قالوا العبادات؟ الصلوات، والزكوات،

---

١ – سورة الفتح آية : ٢٩.

٢ – سورة الفتح آية : ٢٩.

٣ – سورة آل عمران آية : ١١٩.

والصيام، والحج، والجهاد، والبيع والشراء، والتجارة، والحلال والحرام، والأحوال الشخصية، والعقود، والجنايات، والآداب والأخلاق؟

ما نُقِلَتْ إلا بواسطتهم، فإذا كانوا كفارا فإن هذه تكون باطلة، ولا نكون على دين، ولا يكون هناك دين إسلامي.

فالذين طعنوا في القرآن، وادَّعَوا أنهم حذفوا منه الثلثين أو أكثر، معناه: أن الله ما حفظ على الأمة إسلامهم، فلا قامت الحجة، ما قامت الحجة على المتأخرين، مع أن الله -تعالى- يقول: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾ (1) .

فإذا لم يكونوا ثقاتًا عدولا فمن الذي حفظ لنا الإسلام؟!

إذن، لا نكون على إسلام صحيح؟!

وكذلك حفظوا السنة حتى دونت في الصحيحين، وفي السنن، وفي المسانيد، وفي المجاميع، وفي الكتب السنية، حفظوها حتى دونت ورويت عنهم بالأسانيد الصحيحة.

فإذا كانوا كفارا أو مرتدين فمعناه أن هذه الثروات الكبيرة -التي هي هذه الأحاديث النبوية- غير صحيحة؛ لأنها نُقِلَتْ عن هؤلاء الذين هم مرتدون -على حد تعبير خصومهم- فبطلت بذلك السنة بأكملها، لا شك أن هذا طعن كبير في هذه الشريعة الإسلامية.

ثم إذا اتفقنا على أن الله -تعالى- حفظ القرآن ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ (2) .

فإن هذا القرآن الذي حفظه إنما جاء بواسطتهم، ثم نقول: هذا القرآن أصبح محفوظا، وأصبح متعبدا بتلاوته، فلا بد أن يكون كله حجة، وكله دليلا، فيُسْتَدَل به، يُستدل به على فضلهم، فقد ذكر الله -

---

١ - سورة الأنعام آية : ١٤٩.

٢ - سورة الحجر آية : ٩.

تعالى- فضلهم، ونوَّه بمقامهم في عدة سور قرآنية -كما أشرنا إلى ذلك في الدرس الأول الماضي- ففي سورة "المائدة" قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [1] الآية.

وفي آخر سورة "الأنفال" قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ ﴾ [2] إلى آخر السورة، كل ذلك في مدحهم.

وفي سورة التوبة قول الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [3] .

إلى قول الله تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ ﴾ [4] .

إلى قوله: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ [5] .

وكذلك قوله: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [6] .

وهكذا قوله: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [7] منهم أربعون ألفا من الصحابة اتبعوه في ساعة العسرة، أي: في غزوته إلى تبوك، هؤلاء قد تاب الله عليهم ورضي عنهم.

وكذلك قوله: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [8] .

---

١ - سورة المائدة آية : ٥٤.

٢ - سورة الأنفال آية : ٧٢.

٣ - سورة التوبة آية : ١٠٠.

٤ - سورة الفتح آية : ١٨.

٥ - سورة التوبة آية : ١١٨.

٦ - سورة التوبة آية : ١٢٠.

٧ - سورة التوبة آية : ١١٧.

٨ - سورة الفتح آية : ١٨.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [1] .

وكذلك قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ [2] .

إلى قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ [3] .

نحن نقوله، ونرجو أن نكون من المعتقدين له،

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [4] .

الغل: هو الحقد والحسد والبغضاء، فمن كان في قلبه غل لهم فإنه شقي، ليس من أتباعهم حقا.

وهذه الآيات في سورة الحشر فيمن يستحق الفيء، فإن الآيات في تقسيم الفيء، يعني: الفيء يكون للفقراء المهاجرين، والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا، فالذين جاءوا من بعدهم يدعون على الصحابة ويكفرون من آمن قبلهم. ليسوا من أهل الفيء، ولا يستحقونه، هكذا استنبط الإمام أحمد رحمه الله.

ثم إن المؤلف استنبط من بعض الآيات خلافة الخلفاء، فمن ذلك الآية التي في سورة "النور": ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [5] هذه الآية في قوله: ﴿ f مِنكُمْ ﴾ [1] .

---

١ - سورة الحشر آية : ٨.

٢ - سورة الحشر آية : ٩.

٣ - سورة الحشر آية : ١٠.

٤ - سورة الحشر آية : ١٠.

٥ - سورة النور آية : ٥٥.

لا شك أن الخطاب واقع للصحابة، وأن الصحابة هم الذين استخلفوا في الأرض ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٢) شهادة لهم بأنهم آمنوا وعملوا الصالحات.

ثم وَعْدٌ لهم بثلاثة أشياء:

الأول: ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٣) وهذا قد حصل ﴿ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (٤) .

الثاني: ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ (٥) وهذا قد حصل.

الثالث: ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (٦) وهذا -أيضا- قد حصل، أن الله -تعالى- بَدَّلَهم بعد خوفهم أمنا، فأمنوا بعدما نشروا دين الله -تعالى- وانتشر الإسلام في أطراف البلاد، فأمنت البلاد، فأصبح الناس إخوانا.

لا يعرض أحد لأحد ، يسافر الرجل وحده ولا يعرض له أحد، وقد بشرهم بذلك النبي ﷺ ففي حديث عدي بن حاتم أنه ﷺ قال: « ليوشكن أن ترى الظعينة ترحل من عدن حتى تطوف بالبيت لا تخاف إلا الله » .

عدن في أقصى اليمن كما هو معروف، وُجِدَ ذلك في عهد الصحابة، الظعينة هي المرأة تركب على البعير، ولو كان -مثلا- أنها منهية عن السفر ولكن معناه أنه وجد أمن، حتى لو سافرت وحدها لرجعت إلى أهلها دون أن تخاف على شيء أبدا، وهذا واقع أيضا.

---

١ - سورة البقرة آية : ٦٥.

٢ - سورة النور آية : ٥٥.

٣ - سورة النور آية : ٥٥.

٤ - سورة النور آية : ٥٥.

٥ - سورة النور آية : ٥٥.

٦ - سورة النور آية : ٥٥.

وبكل حال فهذا قد تحقق في عهد النبي ﷺ مبدؤه، ثم بعد ذلك تمامه في عهد الصحابة الخلفاء – رضي الله تعالى عنهم.

ثم إن الله –تعالى– أخبر المنافقين، أو أخبرهم المنافقون الذين أسلموا ظاهرا و لم يؤمنوا باطنا، وتخلفوا عن غزوة تبوك، وعاتبهم الله –تعالى– بقوله: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ [1] .

ثم أخبر بأنهم سوف يطلبون الخروج حتى يبدلوا كلام الله، فيقولون: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [2]

يريدون أن يغيروا قول الله.

﴿ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ [3] .

ثم قال بعد ذلك: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ [4] .

متى دُعوا؟ دُعُوا في عهد الصحابة، دعوا في عهد الخلفاء الراشدين.

﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ [5] .

---

١ – سورة التوبة آية : ٨٣.

٢ – سورة الفتح آية : ١٥.

٣ – سورة التوبة آية : ٨٣.

٤ – سورة الفتح آية : ١٦.

٥ – سورة الفتح آية : ١٦.

فهذا حصل في عهد الخلفاء، أن الخلفاء -رضي الله عنهم- دعوا هؤلاء الأعراب وغيرهم من المتخلفين، فمنهم من أطاع، ومنهم من لم يطع، ووعد الله الذين أطاعوا بأن يثيبهم ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وتوعد الذين تولوا بأن يعذبهم عذابا أليما.

فتحقق هذا الوعد في عهد الخلفاء الراشدين، الذين كانوا في عهد النبي ﷺ أحياء، خوطبوا بذلك لما تخلوا عنه، بقي منهم في خلافة الخلفاء ما أوجب لهم بطاعتهم إياهم الأجر، وبترك طاعتهم العذاب إيذانا من الله بخلافتهم.

لا شك أن هذه أدلة واضحة على خلافتهم، وكذلك أدلة على فضلهم.

فيعتقد المسلم أنهم خير الأمة، لا يكون مثلهم بعدهم، خير قرون الأمة، زكَّاهم النبي ﷺ بقوله: ﴿ خير الناس قرني أو القرن الذين بُعِثْتُ فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ﴾ .

لا شك أن هذه التزكية واقعة على الصحابة، القرن الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ فالصحابة خير من الذين بعدهم، من تلامذتهم وأولادهم، يعني: من حيث العموم.

ولأجل ذلك اتفق العلماء على عدالتهم، فإذا روى الحديث صحابي لم يسألوا عنه؛ بل يقولون: مقبول، الصحابة كلهم عدول، لا نتردد في أحد منهم؛ وذلك لأن الله -تعالى- زكاهم، زكاهم في هذه الآيات: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [1] .

فهذه التزكية تُسَبِّبُ قبول رواياتهم، وتسبب -أيضا- الترحم عليهم.

هذا ما يعتقده كل مسلم، ولا عبرة لمن انحرف عن الصحابة -رضي الله عنهم.

ذكر شيخ الإسلام أن أهل السنة وَسَطٌ في الصحابة بين غُلاة وجُفاة، ولكن في الحقيقة أن الجفاء كله في الرافضة؛ فإنهم غلوا في حق علي وذريته، وجفوا في حق الباقين.

---

١ - سورة التوبة آية : ١٠٠.

فغلوهم في علي وذريته -الذين يسموهم أهل البيت- أن دعوهم من دون الله، وجعلوهم مقبولي الرواية، وعلَّقوا عليهم ما ليس لهم.

وجفاؤهم في حق الباقين التكفير والتضليل، والتنديد بهم، مع أن الخوارج -أيضا- قد جفوا في حق علي وكفَّروه، وكذلك كفروا أكثر الصحابة الذين معه، بل أكثر المسلمين، وادعوا أنهم مرتدون؛ وذلك لأن الخوارج يكفرون بارتكاب الذنب، فصار الخوارج جفاة في حق علي وذريته، والرافضة غلاة في حقهم، وجفاة في حق بقية الصحابة.

والآن نواصل القراءة ...

الجمعة خلف كل إمام مسلم برا كان أو فاجرا

والجهاد مع الأئمة وإن كانوا جورة

ودار الإسلام

وأعمال العباد لا توجب لهم الجنة إلا بفضل الله

قال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي -رحمه الله تعالى- في بيان اعتقاد أهل السنة:

"ويرون صلاة الجمعة وغيرها خلف كل إمام مسلم برا كان أو فاجرا؛ فإن الله ﷻ فرض الجمعة وأمر بإتيانها فرضا مطلقا، مع علمه -تعالى- بأن القائمين يكون منهم الفاجر والفاسق، فلم يستثنِ وقتا دون وقت، ولا أمرا بالنداء للجمعة دون أمر.

ويرون جهاد الكفار معهم ولو كانوا جورة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والعطف إلى العدل، ولا يرون الخروج بالسيف عليهم ولا القتال في الفتنة.

ويرون قتال الفئة الباغية مع الإمام العدل إذا كان ووجد على شرطهم في ذلك.

ويرون الدار دار إسلام، لا دار كفر كما رأته المعتزلة، ما دام النداء بالصلاة والإقامة بها ظاهرين، وأهلها ممكنين منها آمنين.

ويرون أن أحدا لا تخلص له الجنة وإن عمل أي عمل، إلا بفضل الله ورحمته التي يخص بهما من يشاء؛ فإن عمله للخير وتناوله الطاعات إنما كان عن فضل الله، الذي لو لم يتفضل به عليه لم يكن لأحد على الله حجة ولا عتب، كما قال الله: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾ (1) .

وقوله: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ (2) .

وقال تعالى: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ (3)

يقول: "ويرون صلاة الجمعة وغيرها خلف كل إمام مسلم، برا كان أو فاجرا".

وورد حديث: ﴿ صلوا على من قال: لا إله إلا الله، وصلوا خلف من قال: لا إله إلا الله ﴾ .

وذلك لأن هذه الكلمة عنوان الإسلام، من قال هذه الشهادة اعتُبِرَ داخلا في الإسلام، من شهد الشهادتين اعتبر من أهل الإسلام، ولكنه بعد ذلك يطالب بتكملة الشهادتين.

كان في أول الأمر الذين يتقدمون في الإمامة -في صلاة الجمعة، وصلاة العيد، وكذلك الصلوات المكتوبة- قد يكونون هم ولاة الأمر، يكون الوالي -كأمير البلدة أو نائبه أو نحوهم- هو الذي يتولى الخطابة، ويتولى الإمامة، فيتحرج بعض المسلمين عن الصلاة خلفه إذا كان عاصيا.

---

١ - سورة النور آية : ٢١.

٢ - سورة النساء آية : ٨٣.

٣ - سورة البقرة آية : ١٠٥.

والمعاصي التي كانت في ذلك الزمان معاصٍ عادية، أشهرها شرب الخمر، يعني: كثير من الأمراء كانوا يشربون الخمر كما أُثِرَ ذلك عن بعض خلفاء بني أمية، وكذلك نوابهم، وكذلك كثير من خلفاء بني العباس ونوابهم وأمرائهم، أنهم يتعاطون الخمر، ويبيتون عليه، فهذه معصية.

وكذلك -أيضا- من المعاصي المشتهرة الغناء، كانوا يتخذون القينات لأجل الغناء، يشترون القينة -التي هي مغنية- ويزيدون في ثمنها لأجل الغناء، ويحضرون لها الطبول والأعواد حتى يستمعوا إلى ضربها، ويستمعوا إلى غنائها، ويطربون لذلك، هذا مشتهر أيضا في أولئك الأمراء ونحوهم.

ومن المعاصي أيضا أنهم -مع كونهم يتولون الصلاة بالجماعة- تأخير الصلاة عن وقتها، وبالأخص صلاة الظهر وصلاة العصر، ويؤخروها عن وقتها، ومع ذلك فإنهم يؤدونها، لم يكونوا يتكاسلوا عنها ويتركونها، وإنما ينشغلون إما بشهواتهم، وإما بنوم وراحة، إلى أن يتأخر وقت الظهر، فلا يصلونه إلا قرب العصر، ووقت العصر لا يصلونه إلا نصف ما بعد العصر.

هذه هي أشهر المعاصي التي اشتهرت عن كثير من أولئك.

ومن المعاصي أيضا: أنهم مع كونهم يتولون الصلاة بالجماعة- تأخير الصلاة عن وقتها، وبالأخص صلاة الظهر وصلاة العصر، فيؤخروها عن وقتها، ومع ذلك، فإنهم يؤدونها ، لم يكونوا يتكاسلون عنها، ويتركونها، وإنما ينشغلون إما بشهواتهم، وإما بنوم وراحة إلى أن يتأخر وقت الظهر، فلا يصلونه إلا قبل العصر، ووقت العصر لا يصلونه إلا نصف ما بعد العصر، هذه هي أشهر المعاصي التي اشتهرت في كثير من أولئك.

من المعاصي أيضا الظلم، أنهم يظلمون كثيرا من الناس إما بالتهم الباطلة، وأكثر ذلك أخذهم للأموال.

الأموال التي يجلبونها إلى بيت المال غالبها ضرائب، فيجعلون على الموالي -ولو كانوا مسلمين- ضرائب سنوية، ومن أسلم من أهل الكتاب لم يسقطوا عنه الجزية، بل يأخذوا الجزية منه، ولو بعد إسلامه حتى أسقطها عمر بن عبد العزيز ﵁ وكذلك كثير منهم يأخذون ضرائب على أموال بغير حق،

وربما أيضا يستولون على الأموال كالبساتين والمصانع والأراضي ونحوها، ويستبدون بها، ويأخذونها بغير رضى أصحابها، ويضيفونها إلى أموالهم، فهذه مما يعابون بها.

فلأجل ذلك يقولون: كيف نصلي خلفهم وهم ظلمة؟ يأخذون الأموال لأنفسهم، أو يؤخرون الصلاة، أو يفعلون هذه المعاصي، كيف نصلي خلفهم؟ كيف نؤدي الصلاة خلفهم مع أن الصلاة مكتوبة علينا؟ ومع أنها فريضة الله تعالى؟ فجاء ... جاء النصوص ... النص بالصلاة خلفهم.

فكان الصحابة يصلون خلفهم ، فذكروا أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط كان واليا على الكوفة، وكان متهما بشرب الخمر، فتقدم مرة ليصلي بهم صلاة الفجر، وهو سكران، فصلى بهم أربعة، ولما سلم، قال: أزيدكم؟ فقال ابن مسعود: ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة، صلى خلفه ابن مسعود عالم الصحابة الذي أرسله عمر؛ ليفتي الناس؛ ويعلمهم ﷺ ثم إن ذلك لما ثبت عنه أمر عثمان ﷺ بجلده، فجلده عبد الله ابن جعفر بأمر علي ﷺ أربعين جلدة.

وكذلك اشتهر الحجاج بن يوسف والي العراق من قبل بني أمية، اشتهر عنه نوع من المعاصي، وأكثرها الصلف والشدة والسجن للأبرياء، وكذلك القتل، كان سريع القتل، فيقتل بالتهمة، يقتل بتهمة ويحبس، وسجنه في مكان ضيق، فالحاصل أنه اشتهر عنه هذا النوع من الظلم. يمكن أنه يظلم+ أيضا بغير ذلك، ولكن هذا الذي اشتهر عنه، وهو الظلم والحبس والضرب والشدة.

ومع ذلك فإن الصحابة الذين في العراق كانوا يصلون خلفه، ولما حج بالناس في حياة ابن عمر، كان ابن عمر يصلي خلفه حتى في عرفة.

كان هو الذي يتولى الخطبة، وهو الذي يتولى الصلاة، فكان الصحابة ومنهم ابن عمر يصلون خلفه، ذلك دليل على أنهم فهموا أن الصلاة خلفهم، فيها جمع الكلمة، وأنها لا تعتبر باطلة، وقد ورد أيضا أحاديث أنه ﷺ قال: ﴿ يصلون لكم، فإن أحسنوا فلهم ولكم، وإن أساءوا فلكم وعليهم ﴾ .

وأخبر بأنه يأتي قوم يؤخرون الصلاة عن أوقاتها، أو يميتون الصلاة عن أوقاتها، قالوا: ﴿ أفلا نقاتلهم؟ قال: لا ما صلوا –أو ما أقاموا فيكم الصلاة – ﴾ والأحاديث كثيرة في الأمر بالصلاة خلف الأمراء، ولو كانوا عصاة أو نحوهم.

فيرى أهل السنة وأهل الحديث الصلاة جمعة، أو غيرها خلف كل إمام مسلم برا كان أو فاجرا .

وإذا كان الفجور لا يوصل إلى الكفر فإن الله -تعالى- أمر بالجمعة وفرضها، وأمر بإتيانها ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ [1] الله -تعالى- عالم بأن القائمين عليها، قد يكون منهم فاجر وفاسق، عالم بأنه قد يتولاها غير تقي كما وقع ذلك؛ فلذلك فرض الإتيان إليها في قوله: ﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [2] ولم يستثنِ وقتا دون وقت.

لم يقل إلا إذا كان المقيمون لها عصاة، أو كانوا فجارا، بل أطلق ذلك، ولا أمرا بالنداء للجمعة دون أمر، فالنداء للجمعة عام ﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [3] ولو كان الذين يقيمونها عصاة أو فجارا.

والحكمة في ذلك جمع الكلمة؛ وذلك لأن إذا عصينا عليهم، فلا بد أن يحصل ظلم، وأن يحصل عسف، وأن يحصل جبروت، ونحو ذلك ثم إذا قدر مثلا أن هذا الإمام خطيب الجمعة متهم ببدعة، فإن تلك البدعة لا تخول ترك الصلاة خلفه، لو كان مثلا متصوفا، ولكن له سلطة وله ولاية، أو كان معتزليا، وأهل السنة لا يكفرون مطلقا جميع +المعتزلة، وكذلك لو كان أشعريا، ونحو ذلك، فلا يكفر، ويصلى خلفه، فمن صلى خلفهم، فإنا لا نأمره بإعادة الصلاة، لكن إذا كان مشركا، فإنه يأمر بإعادة الصلاة.

المشرك مثلا إذا عرف أنه من أهل الوحدة وحدة الوجود، بدعته مكفرة، أو أنه من القبوريين الذين يدعون الأموات، ويهتفون بأسمائهم، يدعوهم من دون الله تعالى.

فمثل هؤلاء ولو كانوا يتسمون بأنهم مسلمون، فإن دعاءهم لغير الله -تعالى- يحبط أعمالهم، فيصيرون بذلك مشركين، فإذا عرفت مثلا أن هذا الخطيب، أو هذا الإمام مشرك ممن يعبد أهل البيت مثلا عليا، أو ذريته كالرافضة، أو يعبد عبد القادر مثلا، أو ابن علوان، أو البدوي، أو الشاذلي، أو

---

١ - سورة الجمعة آية : ٩.

٢ - سورة الجمعة آية : ٩.

٣ - سورة الجمعة آية : ٩.

نحوهم من المعبودات، بمعنى أنه يطوف مثلا بالقبر، أو يدعو الميت نفسه، فيقول: يا معروف، أو يا جنيد، أو يا شاذلي، أو يا تيجاني أو يا كذا وكذا، أنا في حسبك، أو ما لي إلا الله وأنت، أو نحو ذلك، فإن هذا يعتبر مشركا، فلا تصح الصلاة خلفه؛ لأن شركه أخرجه من الإسلام.

فإذا اضطر الإنسان إلى أن يصلي خلفهم، فإنا نأمره بالإعادة، متى يكون مضطرا؟ في بعض البلاد، موجود في كثير من البلاد الإفريقية أن ولاة الأمر، وكذلك أئمة وخطباء المساجد من هؤلاء المتصوفة، وأن معهم كثير من البدع المكفرة، ومن أشهرها أنهم يدعون الأموات، ويعتقدون فيهم أو أنهم غلاة في التصوف، بمعنى أنهم ملاحدة أو اتحادية، فيقول بعض أهل الخير: إذا لم نصلِ خلفهم آذونا، واتهمونا بأننا نخالفهم، أو بأننا نكفرهم، فيؤذوننا، ويسجنونا، ويقتلوننا، ويشردوننا، ويطردوننا فماذا نفعل؟

فنقول: إن وصلت البدعة إلى التكفير، فإنك تصلي معهم مداراة، وتعيد وإن لم تصل البدعة إلى التكفير، فصلِ وخلاك ذم، صلاتك لك، وصلاتهم لهم.

وأجاز بعض العلماء أن تدخل معهم، وأنت تنوي الانفراد، فتتابع الإمام وأنت منفرد بنفسك، تصلي لنفسك، فتقرأ، ولو كان يقرأ مثلا، وتسمع بقولك: "سمع الله لمن حمده" وتصلي صلاة كاملة بنية، أنك منفرد إذا خشيت على نفسك من أن يتهموك بأنك ثوري، أو إرهابي، أو مخالف، أو نحو ذلك، فيضروك، فلك أن تتقي شرهم بذلك، وإن تمكنت من أن تصلي وحدك أو وجدت مسجدا، ولو بعيدا، فيه إمام مستقيم، فهو الأولى.

يقول: "ويرون جهاد الكفار معهم، وإن كانوا جورة" ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والعطف إلى العدل.

الجهاد: هو قتال الكفار، فمن عقيدة أهل السنة، أنهم يرون الحج والجهاد مع الأمراء أبرارا كانوا أو فجارا؛ وذلك لأنه في الزمان القديم لا يتيسر الحج إلا مع أمير يحفظ، أولئك الحجاج، ويكون معه جيش قوي، ومعه أسلحة حتى لا يعترض الحجاج قطاع الطرق من الأعراب ونحوهم الذين يعترضونهم ويأخذون أمتعتهم فيأمرون على الحاج أميرا قويا، قد يكون ذلك الأمير متحليا، يعني: متحليا بشيء من

المعاصي، إما بتأخير الصلاة، وإما بشرب المسكرات، وإما باستماع الأغاني ونحوها، فيقولون: الحج معه خير من ترك الحج، الحج معه أولى من الحج منفردا، والتعرض لقطاع الطريق.

كذلك أيضا الجهاد (قتال الكفار) وهو الغزو، لا بد أن يكون لهم أمير فليس شرطا أن يكون ذلك الأمير مهذبا، أو أن يكون تقيا نقيا، بل يجاهد معه في نصر الإسلام، ويجتمع المجاهدون تحت رايته، ويطيعونه، ويصيرون بتدبيره، ولا يجوز الغزو إلا بإذنه، ويلزمهم طاعته، والصبر معه، والسير بسيره، وعليه أن يرفق بهم، ولا يكلفهم... ولا يشق عليهم، وعليهم أن يسمعوا له، ويطيعوا، ولو كان منتقدا أو مرتكبا شيئا من المعاصي، فإن ذلك لا يخول أنهم يتركون الجهاد.

فالجهاد عبادة عظيمة وشعيرة من شعائر الإسلام، بها أظهر الله -تعالى- الدين وبها نصره، وبها انتصر المسلمون، وقضوا على كثير من الكفار ومن الملل الكفرية، فما دام أن فيه مصلحة، فإننا نجاهد، ولو كان أمير الجهاد كافرا، ولو كان أمير الجهاد جائرا، نجاهد كل كافر مع كل أمير، ولو من الفجرة، ولو من الجورة.

موقفنا مع ولاة الأمور، أننا ندعوا لهم بالصلاح والإصلاح، وندعوا لهم بالعطف إلى العدل بأن يردهم الله -تعالى- إلى العدل، فإن الدعوة لهم فيها خير:

أولا: أننا نأمن في ولايتهم، نعرف أن في ولايتهم على البلاد خير كبير، حيث تأمن البلاد، وتسلم من قطاع الطريق، وتسلم من الغوغاء ونحوها.

ثانيا: جمع الكلمة، جمع كلمة المسلمين، واتفاقهم على إمامٍ واحد، أو وال واحد؛ فلذلك إذا رأينا منهم شيئا من الجور، أو من ارتكاب شيء من المعاصي، أو عليهم نقص، ننصحهم، وندلهم على طرق الخير، ولا ننسى أن ندعوا الله لهم بالإصلاح، وأن يردهم إلى العدل.

ولا يجوز الخروج عليهم بالسيف، الخروج عليهم معناه، الخروج على الأئمة ، لا يجوز، ولو كانوا عصاة، وما ذاك إلا لأن في الخروج عليهم مفاسد كبيرة، وسبب للفتن، وسبب للقتل ولاستباحة الأموال ولاستباحة البلاد، ولتفرق الكلمة.

وقد كان السلف -رحمهم الله تعالى- ينهون عن الخروج على الأئمة بالسيف، ولو جاروا، ولو ظلموا، ولو بطشوا.

ويقولون: ليس في الخروج عليهم مصلحة، بل إن ذلك يؤدي إلى فساد، وإلى مفاسد كبيرة.

في عهد الإمام أحمد وجد كثير من الأئمة عليهم ملاحظات، من آخرهم الذي أدركه المعتصم وقبله المأمون الذين فتنوا الناس، ودعوهم إلى القول بخلق القرآن، ومع ذلك كان يدعو لهم -رحمه الله- بالصلاح والإصلاح ويستأذنه بعض أصحابه في أن يثوروا، وبأن يخرجوا، ويقاتلوهم، فيقول: ماذا تحصلون عليه من قتالهم؟ لا تحصلون إلا على فشل وعلى ذل وهوان ، فيضرب لهم الأمثال بالذين خرجوا على الأئمة (أئمة الجور) أنهم باءوا بالفشل، منذ العهد الأول، فمثلا في عهد بني أمية حصل ثورات كثيرة، وكلها باءت بالفشل، فمن أشهرها فتنة ابن الأشعث.

وذلك لأنه بعثه الحجاج لقتال بعض بلاد الإفرنج، ولما بلغهم أن أمير كابول منع الجزية، فعند ذلك أرسله للغزو وشدد عليه، ولما شدد عليه خلع بيعة الحجاج وطاعته، ثم خلع بيعة عبد الملك وطاعته، ثم كان في النهاية أنهم بايعوه ، بايعوه في الجيش، ثم بايعه أهل العراق، ثم حصل القتال بينه وبين الحجاج، ثم كانت الهزيمة عليهم، على ابن الأشعث وقتله بعد ذلك، وحصل بذلك أن قتل في هذه الفتنة أكثر من ثمانين ألفا بسبب هذه الفتنة، ولم يحصلوا على نتيجة، ثم بعده ابن المهلب أراد أن يخلع أيضا بيعة خلفاء بني أمية، لما رأى طاعة الجيش له وباء بالفشل، ثم بعده قتيبة بن مسلم الذي فتح كثيرا من بلاد الهند، وما وراء النهر، والسند، ورأى طاعة الجيش له، وخلع بيعة خليفة بني أمية، ولم يحظ إلا بالفشل.

يضرب الإمام أحمد مثلا بهؤلاء، وكذلك في خلافة المنصور، لما أنها تمت البيعة لبني عباس ثار عليه بعض بني علي ، اثنان من أولاد الحسن بن علي، أحدهما: في المدينة، والثاني: في البصرة مع كثرة الجيوش الذين بايعوهم، ومع ذلك باءوا بالفشل.

من عقيدة أهل السنة عدم الخروج على الأئمة بالسيف، وخالف في ذلك طائفتان (الخوارج والمعتزلة) فالخوارج ثاروا في عهد علي، وقاتلهم علي وشردهم، وبقي منهم بقايا، وصاروا يثورون كلما

تقووا في عهد بني أمية، ولكنهم لا ينتصرون غالبا، ولو حصل لهم شيء من الانتصارات في بعض الأحيان.

أما المعتزلة فإن من عقيدهم جواز الخروج على الأئمة الجور، هذا من معتقدهم، ولكنهم لم ينفذوا ذلك؛ لأن الغالب عليهم التفرق، فلم يصلوا إلى وقت يثورون فيه، ويقاتلون الأئمة، ويخرجون عليهم.

الحاصل أن أهل السنة يرون عدم الخروج على الأئمة بالسيف، ويرون عدم القتال في الفتن، يرون أن عدم القتال في الفتن بين المسلمين، وأن ذلك ضعف بالإسلام والمسلمين، ثم إذا ثارت ثائرة على إمام المسلمين، فإن على عموم المسلمين أن يقاتلوهم بأمر ذلك الإمام، هؤلاء يسمون البغاة.

البغاة: هم الذين يثورون على إمام المسلمين، أو أمير المؤمنين بشبهة تعرض لهم، فإذا كان عندهم شوكة وقوة، فإن الإمام يقاتلهم.

أولا: يزيل الشبهات التي عندهم، يراسلهم، وينظر ما هي الشبه التي يتشبثون بها، ويتعلقون بها، فيزيلها، ثم بعد ذلك يقاتلهم، ويلزم الجيش طاعته، والصبر معه والقتال معه ، القتال للفئة الباغية مع الإمام العادل.

بعد ذلك يقول: ويرون الدار دار الإسلام لا دار كفر، كما رأته المعتزلة، ما دام النداء بالصلاة والإقامة ظاهرين، وأهلها ممكنين منها آمنين.

أهل السنة يعتبرون أن البلاد بلاد الإسلام ما دام أن فيها المساجد، وفيها المؤذنون، وفيها من يقيمون الصلاة، ولو كان فيها معاص، ولو كان فيها خمور، ولو كان فيها مزامير وأغانٍ وملاهٍ وتماثيل، وما أشبه ذلك، فإنهم يحكمون بأن البلاد بلاد إسلامٍ، فلا يجوز استحلالها، ولا يجوز استباحة محارمها، ولا يجوز قتال أهلها، ولو غلب، أو كثر فيهم الفسوق والفساد.

وإنما يقتصر على الدعوة، ويقتصر على السعي في الإصلاح، وتسمى دار إسلام، أما المعتزلة، فإنهم يكفرونها، ويرون أنها دار كفر إذا ظهر فيها عندهم شيء من الكفر، اعتبروها دار كفر هكذا يدعون.

إذا ظهر فيها شيء من المعاصي، اعتبروها دار كفر، واعتبروا أهلها كفارا، وحكموا بالأكثرية، أو بالأمكنية، وهذا خلاف معتقد أهل السنة أن الدار دار إسلام، ولو حصل فيها ما حصل من الخلل، إذا

اعتبرت دار كفر، فمعناه أنه يطبع على المساجد التي فيها مثلا، وعلى الكتب قد يكون فيها كتب إسلامية، ومصاحف إسلامية وما أشبه ذلك، كثير الآن من البلاد يظهر فيها شيء من شعائر الكفر، وإن كانت أشياء لم تكن تتصور فيما سبق مثل إباحة الزنا.

دعا... أن يرخص في الزنا ما دام أن المرأة حرة في نفسها وموافقة، فيقولون: لها الحرية أن تبذل نفسها لا شك أن هذا مخالف للشرائع الإسلامية، ولكن لا تصل البلاد إلى أنها بلاد كفرٍ تغزى وتقاتل، التي يظهر فيها ذلك، وكذلك إظهار بيع الخمر يوجد في كثير من البلاد أنهم يبيعون الخمر علنا فضلا عن شربها، فهذه البلاد أيضا لا تصل إلى كونها بلاد كفر، ما دام أن فيها مصلين ومساجد ومؤذنين، وأنهم يتسمون بالإسلام، وأن في مساجدهم مصاحف، وفيها كتب إسلامية، وما أشبه ذلك.

وكذلك لو وجد فيهم محاكم غير شرعية، يحكمون بالقوانين ونحوها، فنقول: الحكم بالكفر على ذلك الشخص الذي يتولى هذا الحكم، ولا نحكم على البلاد كلها، بل نقول: البلاد بلاد إسلام.

نعتبرها دار إسلام لا دار كفر ، خلافا للمعتزلة ، إذا كان فيها نداء للصلاة والإقامة لها، إذا كان ذلك ظاهر وأهلها ممكنين ، أهل الصلاة يتمكنون ، أما لو عدمت هذه الأشياء، فإنها تصبح دار كفر.

إذا رأينا أن هذه البلاد هدمت المساجد، وأحرقت فيها المصاحف وكتب الإسلام، ومنع الذي يرفع صوته بالإسلام، ومنع الذي يصلي، ومن رأوه مثلا يصلي قتلوه، أو سجنوه، وأبيح فيها الكفر، وعبدت فيها الأوثان، وأظهر فيها الشرك، وما أشبهه، وحكم فيها بغير شرع الله -تعالى- ومنع فيها من يظهر الإسلام، أو يتكلم به، فإنها تصبح دار كفر.

يقول: ويرون أن أحدا لا يخلص له الجنة، وإن عمل أي عمل إلا بفضل الله ورحمته، التي يختص بهما من يشاء.

هذه مسألة جديدة، وهي اعتقادنا أن الإنسان لا يكون من أهل الجنة بمجرد عمله، بل بفضل الله -تعالى ورحمته- وإن كانت الأعمال سببا لدخول الجنة، يعني: من جملة الأسباب، قال النبي ﷺ ﴿ لا يدخل أحدا منكم عمله الجنة ، قالوا يا رسول، ولا أنت؟! قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه

وفضل ﴾ هكذا جاء الحديث: ﴿ لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة ﴾ نعتقد أنه لا يخلص له الجنة، وإن عمل عملا كثيرا إلا بفضل الله ورحمته، التي يختص بهما من يشاء.

عمله للخير وتناوله الطاعات، إنما كان عن فضل الله، نقول: -الله تعالى- هو الذي من عليك، وهو الذي هداك، فله النعمة علينا، وله الفضل أن هدانا للإسلام، وأن أقبل بقلوبنا على طاعته، وأن أعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، لو لم يتفضل علينا لم يكن لأحد منا حجة على الله -تعالى- لو خذل عباده، فإنه لا عذر لهم، ولا حجة لهم.

الله -تعالى- يذكر عباده دائما بفضله فيقول: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [1] أي: تذكروا أنكم تحت فضل الله -تعالى- وتحت نعمته، وهو المتفضل عليكم، وهو الذي وفقكم لهذا وهداكم للإسلام، ولو شاء لخذلكم وسلط عليكم الأعداء، فاشكروه على فضله -تعالى- وعلى نعمته ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾ [2] .

ويقول الله -تعالى-: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ [3] لولا أن تفضل عليكم وهداكم وخصكم بواسع فضله، فهو يختص برحمته من يشاء، لولا ذلك لكنتم أشقياء، ولكنه يختص برحمته من يشاء، فاشكروه على ذلك.

إذن فنحن نعترف بفضل الله -تعالى- علينا ونحمده على أن هدانا للإسلام، ونسأله أن يمن علينا بتكميل هذا الإسلام، ومع ذلك نرغب إليه أن يعمنا بواسع رحمته وبفضله، وأن يتجاوز عن أخطائنا ونقصنا وتقصيرنا، فنحن كلنا أخطاء إلا أن يتجاوز الله عنا، وأعمالنا قليلة ولو عملنا أي عمل، وإلى هنا نتوقف، والله أعلم .

وصلى الله على محمد.

١ - سورة النور آية : ٢١.

٢ - سورة النور آية : ٢١.

٣ - سورة النساء آية : ٨٣.

ﷺ الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

س: فهذا سائل يقول: شيخنا الفاضل، لماذا أدخل باب طاعة ولاة الأمور في باب العقائد ؟

ج: السمع والطاعة لله -تعالى- ومن طاعته (طاعة الله) وطاعة رسوله طاعة من ولاه الله؛ ولذلك قال النبي ﷺ من أطاعني، فقد أطاع الله، ومن عصاني، فقد عصى الله، ومن أطاع أميري، فقد أطاعني، ومن عصى أميري، فقد عصاني.

وكان إذا أمر أميرا، أمر بأن يطيعه من كان معه، ولكن تكون الطاعة في المعروف ﴿ إنما الطاعة في المعروف ﴾ .

وبكل حالٍ، لا شك أن طاعة الله وطاعة رسوله من العقيدة ، فيدخل في العقيدة طاعة ولاة الأمر، الذين أمرنا بطاعتهم.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، يستدل بعضهم بقوله -تعالى-: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [1] على كفر ولاة الأمور في الدول التي يوجد بها بنوك ربوية، أو مخالفات في وسائل الإعلام، أو غيرها، فكيف يرد عليهم؟

ج: أولا: إن الكفر هنا اختلف فيه، هل هو كفر عملي أو كفر اعتقادي، فيرى كثير من العلماء أنه كفر عملي، وهو لا يخرج من الملة، ويرى بعض العلماء أنه كفر دون كفر.

وثانيا: أن الآية فيمن لم يحكم بشيءٍ مما أنزل الله؛ لأن الله يقول: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [2] فمعناها أنهم لا يحكم بكفرهم إلا إذا لم يحكموا بشيءٍ مما أنزل الله، لم يحكموا، ولو بآية، لم يحكموا، ولو بحديث من كتاب الله ولا من سنة رسوله، لم يحكم بما أنزل الله، أي لم يحكم بشيء مما أنزل الله.

---

١ - سورة المائدة آية : ٤٤.

٢ - سورة المائدة آية : ٤٤.

وثالثا: لا شك أن تغيير شرع الله -تعالى- تغييرا جذريا يعتبر اعتراضا على الله -تعالى- ويعتبر الاعتراض على الله والانتقاد له، يعتبر كفرا، ولكن إذا اعتبرناه كفرا عمليا، رأينا أن الخروج على أهله من الخروج على الأئمة، ولا شك أن فيه فتنه ومضرة على الذين يخرجون؛ وذلك لأن هؤلاء الأئمة، وهؤلاء الأمراء بأيديهم القوة وبأيديهم الأسلحة الفتاكة، فالذين يخرجون عليهم لا يقدرون على مقاومتهم، ولو كانوا خرجوا بحق؛ فلأجل ذلك نقول في الأبيات المشهورة للشافعي:

يقول لك العقل الذي زين الفتى	**إذا أنت لم تقو عدوك داره**
وقبِّل يد الجاني التي لست قادرا	**على قطعها واطلب من الله سقوط جداره**

فترقب إلى أن يظهر الله القوة للإسلام والمسلمين .

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، إذا كثرت المنكرات في مجتمع من المجتمعات، وفشت وطغت، ثم نصح ولاة أمورها سرا، ومع ذلك لم يستجيبوا، فما هو العمل؟

الشيخ: ليس لك إلا أن تكرر النصيحة، وأن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وأن تحرص على الدلالة على الخير، وأن تنجو بنفسك وبمن تستطع النجاة به، من أهل الخير المستجيبين لك، وحينئذ تكون معذورا. ورد في تفسير قول الله -تعالى-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [1] يقول: ﴿ إذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه، فعليك نفسك، ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أياما، القابض فيها على دينه

١ - سورة المائدة آية : ١٠٥.

كالقابض على الجمر ﴾ من قلة الموافق وكثرة المخالف، ففي تلك الحال يكون الإنسان مهتما بصلاح نفسه.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، إذا لم نستطع الوصول لولاة الأمر لنصحهم، فكيف ننصحهم ؟

الشيخ: أولا: تدعو لهم.

وثانيا: تنصح جلساءهم الذين تستطيع أن تصل إليهم، أو جلساء جلسائهم لعلهم ينصحونهم، أو يؤثرون فيهم.

وثالثا: تحرص على إصلاح من تقدر عليه من المسلمين، بما تستطيعه من وجود الإصلاح، وفي إصلاح بعض المسلمين خير كثير، فهو أولى من ترك الإصلاح حتى يكون الشعب كله منحرفا، أو فاسقا، فبعض الشر أهون من بعض.

فإذا رأينا مثلا أن الأشرار لهم الغلبة، ولهم التمكن، وأنهم ينفذون كلماتهم، وأنهم يبطشون بأهل الخير، ويذلونهم، ويهينونهم، ورأيناهم يزيدون، ويفشون، ويتمكنون، ورأينا الشر يستطير، ورأينا مثلا المصلين في قلة، وفي ذلة، وكذلك حملة القرآن ونحوهم.

ورأينا مثلا العصاة، وأهل الخمور، وأهل الزمر، وأهل الفساد، وما أشبه ذلك، رأيناهم لهم التمكن، فلا نعدل أن نتصل بأهل الخير من إخواننا، ونتمسك بطاعة الله، ونتواصى بالصبر، وكل من رأينا محبا للخير، أو قريبا منه نصحناه سرا، وبينا له، والحق ضالة المؤمن، فبذلك يظهر الخير، ولو قليلا قليلا إلى أن يظهر أهله، ولو بعد حين.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، هل الخروج بالسيف فقط، أم باللسان أيضا؟

ج: لا شك أن الأصل أن الخروج هو منابذتهم، فيقول: خرج على الأئمة بمعنى: نابذهم، وكفرهم، واستباح قتالهم، واستباح محارمهم، وهذا هو الأصل في الخروج، ولكن القسم الثاني يسمى تكفيرا، تكفيرا وتضليلا، وهو أيضا قد يكون سببا في وصول الأذى إلى ذلك المكفر، فإنا إذا رأينا مجموعتين، يقاتلون الأئمة، وعندهم من القوة، وعندهم من الذخائر ما يتمكنون به من أن يقاتلوا الإمام، ويقاتلوا

أتباع الإمام، ويقاتلوا المسلمين الذين في طواعية ذلك الإمام، سميناهم خوارج، وسميناهم أهل خروج عن الطاعة.

ورأينا آخرون على معتقدهم، ولكنهم لا يخرجون، ولا يقاتلون، ويسمون القعد، فنقول: هؤلاء أيضا لهم حكم الأولين، وقد يكون الأولون، قد يكونون هم الذين يتأثرون بهم؛ وذلك لأن كثيرا من الخوارج في العهد الأول لا يرون القتال، ولكنهم يسمون القعد، يقال: خوارج قعد، يعني: من القعود، يعني: أنهم قاعدون، ولكنهم يحثون الآخرين الذين عندهم قوة، وعندهم جرأة، يحثونهم على القتال، فيقولون: قاتلوهم، فإن لكم أجرا، ولكم ...

ذكروا ذلك في ترجمة عمران بن حطان، وكان أولا من أهل السنة وروى أحاديث عن عائشة، وعن غيرها من الصحابة، وحدث عنه بعض العلماء، وكان -أولا- من أهل السنة، وروى أحاديث عن عائشة، وعن غيرها من الصحابة، وحدث عنه بعض العلماء، وله أحاديث في صحيح البخاري، ولكن في آخر عمره تزوج امرأة من الخوارج، يظن أنه سيؤثر فيها، وأنه سيصلحها، ولكنها أفسدته فغيرت عقيدته، فأصبح خارجيا، ولكنه من الخوارج القعد ، ليس من الذين يقاتلون، إنما هو من القعد، وهو الذي مدح ابن ملجم، الذي قتل عليا، بالأبيات المشهورة التي يقول فيها:

يا ضربة من تقيٍ ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره يوما فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا

يريد قاتل علي ، فرد عليه بعضهم بقوله:

يا ضربة من شقيٍ ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش سخطانا

إني لأذكره يوما فألعنه ... جهرا وألعن عمران بن حطانا

فالحاصل أن مثل هؤلاء يقال لهم: القعد، فيعتبرون مثل غيرهم، أنهم داخلون في الكفر.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، هل يجب قتال الفئة الباغية مع السلطان الجائر، أم أنها لا تجب إلا مع الإمام العادل؟

ج: ذكروا في قتال البغاة ، أولا: أنهم لا بد أن يكون لهم شبهة تلك الشبهة تخول لهم أن يخرجوا، فإذا لم يكن لهم شبهة، فإنهم قطاع طريق، فيقاتلون بكل حال؛ لأنهم يقاتلون المسلمين، أما إذا كان له شبهة، وعندهم شوكة، ولهم قوة، فقالوا: يلزم الإمام أن يراسلهم قبل البدء في القتال، ويسألهم: ماذا تنقمون؟

فإذا ذكروا له ماذا ينقمون، أصلح الأحوال التي يدعونها إن كانت صدقا أو اعتذر عنهم، وبين خطأهم في هذا الاجتهاد.

ثانيا: بعدما يصرون على القتال، ويمتنعون من الرجوع، ففي هذه الحال يقاتلهم، وإذا كان كذلك، فإنا نقاتل معه حتى ولو كان معه شيء من الجور، أو شيء من المعاصي، أو شيء من النقص، أو التقصير، وذلك حفاظا على بيضة الإسلام، وعلى جمعية المسلمين.

س: وهذا يقول: ما الضابط في الحكم على البلاد، بأنها بلاد إسلام علما بأن بعض بلاد الغرب تترك المسلمين، يؤدون شعائر إسلامهم؟

ج: إذا كان حكم للكفر، فإنها تعتبر بلاد كفر، لكن إذا كان بيننا، وبينهم عهد، فإننا لا نغزوهم، ولا نقاتلهم، أما إذا كان الحكم للإسلام والمسلمين، فإننا نحكم بأنها بلاد إسلام؛ لأن الأصل أنها بلاد إسلام، فمثلا أكثر بلاد أمريكا مثلا ونحوها بلاد كفر، ولكن فيها مراكز إسلامية، وفيها دعاة مسلمون، وقد يقام فيها مساجد، فنقول البلاد بلاد كفر، وفيها مسلمون.

فإذا انتقدت العهود التي بيننا وبينهم حل غزوهم، وحل قتالهم وما دام أنهم مسالمون، وأنهم لهم عهود، فإنهم لا يقاتلون، لا يقاتل من كان بيننا وبينهم عهد.

أما البلاد الإسلامية أصلا، ولو كان فيها شيء من شعائر الكفر، فإن الحكم للبلاد الذي فيها أصل الإسلام ، ونقول مثلا: بلاد تركيا بلاد إسلام، ولو أن فيها الآن اختلاطا، ولو أن فيها قبوريين، ولو أن فيها معاصي، وفيها خمور، لكن الأصل أنها بلاد إسلام، وأن فيها المساجد، وفيها المكتبات، وفيها الكتب ونحو ذلك، فلا تكفر ولا تبدع، وكذلك كثير من البلاد الإفريقية لا شك أنها بلاد إسلام، ولو ظهر فيها شيء من شعائر الكفر.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، ما رأيكم في من يكفر المجتمعات الإسلامية قاطبة ويقول: إنها ارتدت بالكلية؟

ج: هذا قول خاطئ ، أولا: المجتمعات الإسلامية لا شك أنهم يهدفون إلى الحق، ولو كان معهم شيء من النقص، أو من الخلل، معلوم أنهم ما قصدوا إلا الحق، وما قصدوا إلا الخير، فهم مسلمون موحدون يشهدون الشهادتين ويدعون إلى الصلاة وإلى أركان الإسلام ويدعون إلى تحقيق الإيمان والاتصاف بالإيمان ، فنقول: إنهم من أهل الإسلام، ولا يجوز تكفيرهم، ونقول بعد ذلك: لا يضر اختلافهم في المسميات، المسميات أسماء عادية.

يرضى هؤلاء مثلا أن يسمون أنصار السنة، فنقول: نتفقد أحوالكم، فإذا كنتم على العقيدة، فإننا نتركم، ونسميكم ما تريدون، وإذا قال هؤلاء: نحن نتسمى بأهل التوحيد، قلنا: لكم اسمكم، ولكن ننظر في أعمالكم، وإذا تسمى هؤلاء مثلا بالسلفيين، نقول: نعم ما تسميتم به، ولكن حققوا أعمالكم، وإذا تسموا هؤلاء بأهل الدعوة قلنا كذلك أيضا: نوافقكم على ذلك، لكم اجتهادكم ونظركم، وإذا تسمى هؤلاء مثلا بأهل الدعوة أو بأهل التوحيد مثلا، أو بغير ذلك من الأحزاب الذين أسماؤها حسنة نقرهم على تسميتهم، ولكن نتفقد أحوالهم.

ثم هذه الأحزاب، الأصل فيهم، الغالب أنهم يدعون إلى الخير، ويحبونه والله -تعالى- يتولى أمورهم وشؤونهم، ولا نقرهم على ما فيهم من الأخطاء، التي يخطئون فيها، بل ننتقدهم في ذلك الخطأ، ولا يصل الخطأ إلى التكفير؛ فإن التكفير أمره كبير.

أحسن الله إليكم، ونفعنا بعلمكم، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحم الرحيم ، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن كان آخر ما قرأنا ما يتعلق بالأعمال، وكون العمل لا يستقل بإدخال الجنة لصاحبه، ودليل ذلك قول الله -تعالى-: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [1] .

أخبر - تعالى- بأنه المتفضل على عباده، وأنه لولا تفضله عليهم ما زكوا، ولا تزكوا، ولا عملوا، ولكنه -تعالى- تفضل على هؤلاء، فهداهم، وله النعمة والفضل عليهم، ومن الذكر الذي ورد بعد الصلاة، دبر كل صلاة أن يقول العبد: لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل، وله المن، وله الثناء الحسن، له المن على عباده، وله الفضل عليهم، ولما أخذ النبي ﷺ يعدد على الأنصار خصالهم التي تميزوا بها ، فيقول لهم أو يذكرهم ويقول: ﴿ ألا تقولون جئتنا وحيدا، فنصرناك، وجئتنا طريدا فآويناك وجئتنا... وجئتنا... ﴾ فأخذوا يقولون: الله ورسوله أمن، المن لله ورسوله.

حقا، الله يمن على عباده، وله الفضل عليهم، فإذا أنعم على بعض العباد، فهداهم، وأقبل بقلوبهم على طاعته، فإنه المتفضل، وله الفضل في ذلك، وإذا خذل بعض العباد، وحال بينهم وبين رشدهم، وأضلهم على علم، فله الحكمة في ذلك.

---

١ - سورة النور آية : ٢١.

يقول الله -تعالى-: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ﴾ [1] فالله -تعالى- هو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، فمن هداه الله، فقد تفضل عليه، ومن خذله وأضله، فقد عامله بعدله.

ولا ينسب إلى الله – تعالى – ظلم، ولا ينسب إليه جور، بل هو العادل في عباده، فأعمالهم التي عملوها، بفضل من الله تعالى.

ورد في حديث: أنه يجاء برجل قد عمل من الحسنات أمثال الجبال، فيقول الله -تعالى- أدخلوه الجنة برحمتي، فيقول: يا ربي ألست أدخلها بأعمالي؟ فعند ذلك يقول الله: حاسبوا عبدي -أي على نعمتي أو نعمي عليه- فإذا بدءوا في الحساب، يقول الله لنعمة البصر: خذي حقكِ من أعماله، فتأخذ من أعماله، ثم يقول لنعمة السمع: خذي حقكِ، فلا تكاد أن تترك من أعماله شيئا، فعند ذلك يقول الله: أدخلوه النار، فيقول: يا ربي بل برحمتك أدخلني الجنة، فعند ذلك يدخله الله الجنة، ويعترف بأن أعماله التي عمل لا تستقل بإدخاله الجنة، مهما كثرت، ومهما عظمت.

وأصرح من ذلك الحديث الذي أشرنا إليه بالأمس، قوله ﷺ ﴿ لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل ﴾ فإذا كان النبي ﷺ مع جده في العمل واجتهاده ونشاطه وجهاده وصلاته وذكره وأعماله وأدعيته، ومع ما حماه الله -تعالى- به وعصمه من الخطأ والزلات، ومع ذلك يقول: ﴿ ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل ﴾ فكيف بمن دونه.

لا شك أن الأعمال سبب؛ ولذلك يعلق الله -تعالى- بها الجزاء، الجزاء على الأعمال على سيئها وحسنها، يعلق الله عليها الجزاء كثيرا ما يقول: ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [2] ﴿ بِمَا

---

١ – سورة الجاثية آية : ٢٣.

٢ – سورة السجدة آية : ١٧.

قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [(1)] وكذلك يقول: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [(2)] فيجعل العمل هو السبب الذي حصلوا به على ذلك الجزاء.

نعم.. الأعمال الصالحة هي أسباب للجزاء بالجنة، وبالثواب وبرضا الله تعالى، هي أسباب، ولكن تلك الأعمال الصالحة، أليست فضلا من الله تعالى؟ نعم.. هو الذي تفضل على عباده فهداهم، وأقبلوا بقلوبهم على طاعته، وبصرهم بالحق وهداهم وأرشدهم، وسددهم، وربط على قلوبهم وثبتهم، ولو شاء لأضلهم، ولا سيما مع كثرة المضلات، فإنه قد سلط عليهم أنواعا من المضلات، فإذا أعانهم على تلك الأعداء، فثبتوا، كان ذلك فضلا منه ورحمة، فإنه سلط عليهم الأبالسة والشياطين، وحمى أولياءهم من الشياطين، فضلا منه، قال -تعالى-: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [(3)] .

أخبر بأنه ليس له سلطان إلا على من خذلهم الله -تعالى- وسلطه عليهم، فأخبر بأنه حمى أولياءه المؤمنين، وحال بينه وبينهم، فأعطاهم من الأسلحة ما يقهرونه به، وما يتغلبون به على وساوسه وخطراته، إذا أعطاهم، أو أمرهم بالاستعاذة، وإذا استعاذوا بالله -تعالى- أعاذهم، وكذلك أمرهم بذكر الله، وذكر الله يطرد الشياطين، وأمرهم بدعائه، أن يدعوه حتى يحول بينهم وبين أعدائهم، ويحميهم، ويعصمهم. وأمرهم بالقراءة، قراءة كلامه، أو ما تيسر منه، وقراءته أيضا سلاح، سلاح يحول بينهم وبين أعدائهم، إذ وفقهم وأعانهم على هذه القراءة.

والأذكار والأدعية والاستعاذة ونحوها، صارت معهم أسلحة يفتكون بها بأعدائهم من الشياطين، ويقوون على قهرهم وقمعهم وإذلالهم، سلط عليهم أيضا أعداء آخرين كما يقول بعض الشعراء:

---

١ - سورة آل عمران آية : ١٨٢.

٢ - سورة الحاقة آية : ٢٤.

٣ - سورة النحل آية : ٩٩-١٠٠.

إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائي

فهذه الأعداء إنما يتغلب عليهم بتوفيق من الله -تعالى- ونصر منه وتأييد، فإذا أيده الله -تعالى- وقواه، تقوى على هؤلاء الأعداء، وانتصر عليهم، وقوي على أن يمسك نفسه، وأن يقهرها، وأن يقودها إلى طاعة ربه -تعالى- وإذا تسلطت عليه نفسه، ولم يكن معه ما يقهرها به انقاد لشهواته وللهواته، وأصبح غير منشغل+ بأمر الله -تعالى- ولا قادر على أمر الله تعالى.

والآن نواصل القراءة.

تقدير الآجال والرازق الله وهو خالق الشياطين ووساوسهم

والسحر والسحرة

قال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي -رحمه الله تعالى- في بيان اعتقاد أهل السنة:

" ويقولون: إن الله ﷻ أجل لكل حيٍ مخلوق أجلا هو بالغه ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [1] وإن مات أو قتل فهو عند انتهاء أجله المسمى له ، كما قال الله ﷻ ﴿ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ ﴾ [2] .

---

١ - سورة الأعراف آية : ٣٤.

٢ - سورة آل عمران آية : ١٥٤.

وإن الله -تعالى- يرزق كل حي مخلوقٍ رزق الغذاء الذي به قوام الحياة، وهو ما يضمنه الله لمن أبقاه من خلقه، وهو الذي رزقه من حلال أو من حرام، وكل رزق الزينة الفاضل عما يحيا به، ويؤمنون بأن الله -تعالى- خلق الشياطين توسوس للآدميين، و يخدعونهم ويغرونهم، وأن الشيطان يتخبط الإنسان، وأن في الدنيا سحر وسحرة، وأن السحر استعماله كفر من فاعله، معتقدا أنه نافعٌ ضار بغير إذن الله، ويرون

إن البحث الأول يتعلق بالآجال، وهو أن الله -تعالى- قدر الآجال، وحدد الأعمار، وجعل لكل نفس عمرا محددا، لا يمكن أن تتجاوزه تلك النفس، ولا يمكن أن يزاد في عمره، ولا أن ينقص فيه، العمر الذي كتبه الله له قبل أن يخلقه، بل قبل أن يخلق الدنيا، لا بد أنه يصل إليه، ولا يتجاوزه.

ومعلوم أن ربنا -سبحانه- علم عدد الخلق، عليم بالخلق قبل أن يخلقوا بعددهم، وبأوقات وجودهم، وبأعمارهم، وبأعمالهم، ونحو ذلك، ففي الحديث: ﴿ إن الله -تعالى- قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ﴾ وفي حديث آخر: ﴿ أن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلي يوم القيامة ﴾ جرى القلم بما هو كائن، وبما هو حادث إلى يوم القيامة، ولا يزاد عما جرى، وذلك في اللوح المحفوظ الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

وقد ذكرنا أن التقدير أربعة أنواع: تقدير عام، وهو الذي في اللوح المحفوظ، وتقدير عمري، وهو الذي يكتب إذا كان الإنسان بالرحم ﴿ يرسل الله الملك، فيأمره بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ﴾ يكتب ذلك وهو في الرحم، وتقدير سنوي، وهو ما يقدره الله في ليلة القدر إلى مثلها من الأعمال والآجال والوفيات والحوادث + وما أشبهها، وتقدير يومي، وهو ما يحدث في ذلك اليوم نفسه، ودليله قوله -تعالى-: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ (1) وأما قوله -تعالى-: ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ (2) .

---

١ - سورة الرحمن آية : ٢٩.

٢ - سورة الرعد آية : ٣٩.

فالمراد المحو والإثبات لما في صحف الملائكة، الملائكة موكلون بحفظ أعمال بني آدم وبكتابتها، فهم يكتبون الأعمال التي يعملها الإنسان، والتي يقولها، ثم يأمرهم الله -تعالى- أن يمحوا ما لا ثواب فيه ولا عقاب، وما لا يترتب عليه جزاء، أو يمحوا السيئات التي تاب العبد منها، وبدلها بحسنات، وأما ما في أم الكتاب الذي هو اللوح المحفوظ، فإنه لا يتغير عنده ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [1] وعلى هذا، فنقول: لكل أجل كتاب، ولكل إنسان أجل، ما منا من نفس منفوسة إلا وقد علم الله -تعالى- قبل خلقها أجلها وعملها، وسعادة أو شقاوة، وحياة عاجلة أو حياة آجلة، وحياة سعيدة أو تعيسة، قد علم الله ذلك كله؛ ولأجل ذلك أخبر -تعالى- بأنه كتب الآجال والأعمار، ولا يتغير ما كتبه. يقول -تعالى-: ﴿ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ ﴾ [2] .

نزلت هذه الآية في غزوة أحد، ذكر الله -تعالى- عن المنافقين بعض الكلمات التي ينتقدونها، ويقولون: ﴿ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ ﴾ [3] يتلومون لما رأوا أنه قتل بعض منهم في غزوة أحد ، أخذوا يتلومون، ويقولون: ﴿ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ ﴾ [4] لو أخذ رأينا لانحجرنا في بيوتنا، ولتحصنا في دورنا، ولم نتعرض للقتل، نحن الذين فرطنا، خرجنا ولقينا هؤلاء العدو، فقتلوا من قتلوا، قتلونا وسفكوا دماءنا، لو أننا امتنعنا عن الخروج لسلمنا من هذا القتل، هكذا حكى الله عنهم، ثم قال: ﴿ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ ﴾ [5] .

الله -تعالى- كتب القتل على هؤلاء الذين قُتلوا، فلو تحصنوا، ثم تحصنوا، فإنه لا بد أن يخرجوا، ويقتلوا في المكان الذي حدده الله، وعلم بأنهم سيقتلون فيه، ولا يتجاوزونه.

---

١ - سورة الرعد آية : ٣٩.

٢ - سورة آل عمران آية : ١٥٤.

٣ - سورة آل عمران آية : ١٥٤.

٤ - سورة آل عمران آية : ١٥٤.

٥ - سورة آل عمران آية : ١٥٤.

ومثله قوله -تعالى- في سورة النساء لما كتب الله عليهم القتال، حكى الله عنهم أنهم قالوا: ﴿ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٧٧﴾ ﴾ [1] ثم قال: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ ﴾ [2] ولو تحصنتم بما تحصنتم به، فمن كتب الله عليه الموت في وقت محدد، فإنه سيموت فيه، ومن كتب موته بكذا، فإنه يموت به، ومن كتب أن موته يصير بقتل، فلا بد أن يحصل، أو بضرب فلا بد أن يحصل، أو بمرض كذا وكذا، فلا بد أن يحصل، لا بد أن يتحقق الموت الذي حقق الله -تعالى- وحدد أجله يقول الله -تعالى-: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [3] .

وبعد ذلك نقول: إن الإنسان مأمور بأن يتحصن، وبأن يتحفظ من أسباب الردى ومن أسباب الهلاك، وهذا التحصن، وهذا التحفظ مكتوب أيضا قبل أن يخلق الخلق، مكتوب أنه سوف يعمل كذا وكذا من أسباب الحفظ، ومن أسباب التحصن: أنه يصاب بمرض كذا وكذا، فيتعالج بالعلاج الذي يبرأ به ويزول عنه، هذا المرض مكتوب أيضا أنه سوف يتحفظ، ويتحصن إذا دخل ميدان القتال، أو دخل المعارك، فإنه سوف يكون تحصنه سببا في وقايته ، مأمور بأن يأخذ حذره؛ ولأجل ذلك يكرر الله الأمر بالتحفظ فيقول -تعالى-: ﴿ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ ﴾ [4] يعني: احتياطا.

ويقول -تعالى-: ﴿ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ ﴾ [5] أمرهم بأن يأخذوا أسلحتهم، وأن يكونوا حذرين، ولو كان الله قدر أنهم يصابون بكذا وكذا فإن هذا مأمور به، وهو من الأسباب،

---

١ - سورة النساء آية : ٧٧.

٢ - سورة النساء آية : ٧٨.

٣ - سورة الأعراف آية : ٣٤.

٤ - سورة النساء آية : ١٠٢.

٥ - سورة النساء آية : ١٠٢.

وكذلك يقول -تعالى-: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [1] الإعداد مأمور به، ولو كان قد قدر الله -تعالى- انهزاما أو قدر موتا أو قدر غلبة ، الله -تعالى- قادر على أن يقتل المشركين بدون جهاد، وبدون قتال، قادر على ذلك، ولكن هذا من حكمته أنه شرع لنا الجهاد؛ حتى يكون ذلك سببا من أسباب الانتصار مع أنه قادر على أن ينصر عباده بدون قتال، وأن يخذل أعداءه دون أن يقاتلهم المسلمون.

يقول -تعالى-: ﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ ﴾ [2] .

فهو قادر على ذلك، ولكن من حكمته أنه شرع هذه الشرائع، وقدر فيها هذه الآجال، فالحاصل أنه إذا قلنا: إن عمرك -أيها الإنسان- مكتوب، فلا تقل مادام كذلك، فإنني لا أفعل شيئا، بل استسلم لأمر الله -تعالى- نقول: أنت مستسلم لأمر الله، وأمر الله نافذ فيك، ولو فعلت ما فعلت، ولكن أنت مأمور بهذه الأسباب التي تكون سببا من أسباب حياتك ووقايتك، معلوم أنك مأمور بأن تتغذى: تأكل وتشرب، وأن تركك لذلك إضرار بنفسك، وأنه سبب من أسباب الموت، ولكن مكتوب عليك أنك تأكل وتشرب كذا وكذا.

مأمور أيضا بأن تتوقى الحر والبرد، ولا تعرض نفسك لشدة الحر الذي يكون سببا في الموت، ولا لشدة البرد الذي يكون سببا في القتل ونحوه، ومنهي أن تفعل سببا يودي بحياتك، فلا يجوز لك أن تلقي نفسك من شاهق، ولا أن تطرح نفسك في بئر، كما لا يجوز لك أن تطعن نفسك، وأن تقتلها وتقول: هذا مكتوب علي، وهذا عمري، بل أنت مأمور أن تتوقى الأسباب التي فيها ضرر على نفسك، وفعلك لها، وتوقيك لها مكتوب أيضا، وهو مقدر.

---

١ - سورة الأنفال آية : ٦٠.

٢ - سورة محمد آية : ٤.

ورد في الحديث أن رجلا قال: ﴿ يا رسول الله، أرأيت رقى نسترقي بها، وأدوية نتداوى بها هل ترد من قدر الله شيئا؟ فقال: هي من قدر الله ﴾ يعني: هذه الأدوية التي نتداوى بها، وتتعالج بها هي مقدرة ومكتوبة إنك تصاب بمرض كذا، وأنك تتعالج بالعلاج الفلاني، ويكون سببا في شفائك؛ ولذلك ورد في الحديث الأمر بالتداوي ﴿ تداووا عباد الله؛ فإن الله ما أنزل داء إلا أنزل له دواء ﴾ .

فنحن مأمورون بالتداوي، وهو مكتوب، مكتوب المرض، ومكتوب العلاج، ومكتوب أن هذا يتداوى بكذا حتى يسلم، وهذا يصاب بكذا، ولا يؤثر فيه العلاج، وما أشبه ذلك كل هذا داخل في تقدير الآجال أن الله -تعالى- أجل لكل حي ومخلوق أجله، هو بالغه ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٤ ﴾ [1] .

إذا مات، أو قتل فإنه عند انتهاء أجله، المقتول ميت بأجله، سواء قتل في الجهاد، أو قتل ظلما، أو قتل بحادث، أو نحو ذلك، كل ذلك مكتوب، وليس له أن يتجاوزه، وهو مع ذلك مأمور بالتحفظ، مأمور بالتحصن؛ حتى لا يلقي نفسه إلى التهلكة.

يقول: إن الله -تعالى- يرزق كل حي ومخلوق رزق الغذاء الذي به قوام الحياة، وهو يضمنه الله لمن أبقاه من خلقه، وهو الذي رزقه من حلال، أو من حرام، وكذلك رزق الزينة الفاضل عما يحيا به.

الرزق أيضا من الله -تعالى- فهو الذي يسر أسبابه، وجعلها في متناول الأيدي، وهو الذي سهلها ويسرها، ولو شاء لما قدر العباد عليها، ولكن العبد أعطاه الله -تعالى- قوة وفكرا وعقلا وذهنا، ثم أمره بأن يستعمل هذه القوة حتى يتكسب بها، ونهاه عن الإخلاد إلى الأرض، وأمره بأن يطلب المعيشة، ويطلب الرزق، ويحرص على الرزق الحلال فإذا أصابه، فليعتقد أنه من الله -تعالى- فهو الذي يسر أسباب هذا الرزق وسهلها.

---

١ - سورة الأعراف آية : ٣٤.

الرزق من الله -تعالى- والحلال والحرام كله رزق ، ولكن معلوم أنه إذا اكتسب حراما متعمدا، ولو كان بتقدير من الله -تعالى- فإنه يعاقب على ذلك، وإذا تغذى بهذا الرزق الحرام، فإنه يعاقب على ذلك ف ﴿ كل لحم نبت على سحت فالنار أولى ﴾ به كما ورد ذلك.

ولو كان مقدرا لو قدر، لو قال الإنسان الله قدر أني آكل الربا، الله قدر أني أتغذى بهذا السحت، أو بهذه السرقة، أو بهذا المال المختلس، أو ما أشبه ذلك نقول: نعم، هو تقدير من الله -تعالى- ولكن الله -تعالى- أعطاك قوة وقدرة تتمكن بها من أن تكتسب الحلال، وبين لك الحلال وفصله، فصل ما حرمه، وفصل ما أحله فقال -تعالى-: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [1] ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [2] يعني: كل ما في الأرض، هو خلقه لكم وقال -تعالى-: ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ [3] .

فصل لكم المحرمات وبينها فما بقي فإنه حلال ، فعلينا أن نعتقد أن الرزق من الله -تعالى- من أسماء الله الرزاق ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [4] يرزق عباده، ويقول الله -تعالى-: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [5] ويقول الله -تعالى- بعدما أمر عباده ببعض الأوامر ﴿ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [6] الله هو الرازق وحده، ولكن العباد قد يكون على أيديهم وبواسطتهم شيء من الرزق، يسخرهم الله -تعالى - فيسخر هذا لهذا؛ حتى يعطيه، حتى يمد له ما يقتات به، وما يتغذى به فيسمى هذا رزق من فلان، نقول هذا رزق رزقني الله بواسطة فلان.

---

١ - سورة البقرة آية : ٢٩.

٢ - سورة البقرة آية : ٢٩.

٣ - سورة الأنعام آية : ١١٩.

٤ - سورة الذاريات آية : ٥٨.

٥ - سورة سبأ آية : ٣٩.

٦ - سورة الجمعة آية : ١١.

الله هو الذي رزقني بواسطة فلان، فالله -تعالى- خير الرازقين يعني: هو الذي يرزق وحده، وهو الذي يسخر قلوب هؤلاء لأن يعطفوا على الفقراء، فيرزقوهم ويعطوهم ويكسوهم ويتصدقوا عليهم ، فالرزق أصلا من الله -تعالى- وحده، ولكن يجعله على أيدي بعض الناس، يجعلهم سببا؛ ولهذا ذكر عن بعض الصالحين، أنه اشتكى إليه أحد تلامذته الفقر والجوع، فكتب له أبياتا، وقال: اعرضها على أول من تجده، البيت الأول يقول فيه:

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر   أنا جائع أنا حاسر أنا عاري

ثم قال:

هي ستة وأنا الضمين بنصفها   فكن الضمين بنصفها يا باري

فلما خرج بهذه الورقة، رأى فارسا مقبلا، فمدها إليه بمجرد ما قرأها استتبعه، وعطف الله قلبه عليه، وأعطاهم ما يقتاتون به ، لا شك أن هذه وسيلة من الوسائل: أن الإنسان يطلب الرزق، ولو بواسطة بعض الخلق الذين جعل الله -تعالى- على أيديهم شيئا من المال، وليس في ذلك غضاضة، وبكل حال الرزق أصله من الله -تعالى- وهو المسبب له سواء فعل العبد الأسباب، فنجحت، أو فعلها، فلم تنجح، عليه أن يفعل الأسباب، ثم بعد ذلك يثق بأن الله -تعالى- هو المسبب.

قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا ﴾ [1] لو شاء الله -تعالى- لجعل هذه الزروع حطاما أخبر بأنهم يزرعون، يحرثون الأرض، وينثرون في هذا التراب، ثم يسقونه بالماء، ثم ينبت، ثم يصير زرعا، ثم يستحصد، ويحصدونه، ويجمعون منه هذا القمح، وهذه الأقوات لو شاء الله -تعالى- لما أنبتت هذه الأرض، ولو شاء لسلط عليه ريحا، أو لسلط عليه مرضا، أو لسلط عليه ظمأ، فأصبح حطاما ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا ﴾ [2].

إذن فالأصل أن الله -تعالى- هو الذي يرزق من يشاء بغير حساب، فنؤمن بأن الله يرزق كل حي مخلوق رزق الغذاء، الذي يقتات به، وهو مع ذلك مأمور بأن يبذل السبب، وبأن يتطلب... يطلب الرزق، مأمور بأن يبذل الأسباب، وإذا بذلها، فالله -تعالى- يتكفل له بالرزق، فالآية التي فيها الأمر، يعني: الأمر بالاكتساب مقيدة بالآيات التي فيها أن الله -تعالى- هو مسبب الأسباب، فإذا قرأت قول الله -تعالى-: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [3] هذا مثل لهم، أو إقرار لهم أنهم يثابرون في الأرض لماذا؟ يبتغون من فضل الله، يتطلبون الرزق.

وكذلك إذا قرأت قول الله -تعالى-: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [4] لماذا يمشون في الأسواق؟ ليتطلبوا الرزق، يطلبون الرزق حتى يقتاتوا به.

فالله -تعالى- هو الذي أباح ذلك لهم، وأمرهم به، وإذا قرأت قول الله -تعالى-: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ [1] لماذا ؟

---

١ - سورة الواقعة آية : ٦٣-٦٥.

٢ - سورة الواقعة آية : ٦٥.

٣ - سورة المزمل آية : ٢٠.

٤ - سورة الفرقان آية : ٢٠.

امشوا تطلبوا الرزق، تتطلبوه ، وتطلبوه بما أقدركم الله -تعالى- فهو -سبحانه- أعطاكم الأيدي والأرجل، فتتمكنون من المسير والتنقل من بلد إلى بلد، وكذلك أيضا الأيدي تتمكنون من الصناعة، وتتمكنون من الحرفة ومن العمل إلى اليدوي، الذي تحصلون منه على رزق تقتاتون به، وتقوتون من تحت أيديكم، فالإنسان ما دام طفلا صغيرا، فإن الله يحنن عليه قلب أبويه حتى يعطفا عليه، ويعطياه، ويغذياه، فإذا ترعرع وكبر وقوي، عند ذلك هو مأمور بأن يتطلب لنفسه، ويتكسب والله -تعالى- يعينه إذا استعان به.

الآيات التي فيها الإخبار بأن الرزق من الله مقيدة بالآيات الأخرى، فمثل قوله -تعالى-: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ ﴾ (٢) يعني: الله يرزقها، ويؤتيها رزقها ما رأينا دابة ماتت من الجوع، إلا أن تحبس أو نحوه.

كل هذه الدواب والحشرات عائشة، الطيور أخبر النبي ﷺ بأنها يأتيها رزقها يقول في الحديث: ﴿ لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا، وتروح بطانا ﴾ الطيور ما تجلس في أوكارها، بل تتطلب، وتذهب تتطلب الرزق، وتقع عليه، ولكن جعل الله -تعالى- لها رزقا يناسبها تجده.

الوحوش كذلك ما رأينا مثلا شيئا من الوحوش، ولا من السباع، ولا من الحشرات يموت جوعا، بل يسخر الله له رزقه، ويرزقه إلى أن يتغذى، ويقتات، كلها مأمورة، يعني: جعل الله من طبعها أنها تتطلب، وتطلب الرزق، والله -تعالى- هو الذي يرزقها ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا ﴾ (٣) ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا ﴾ (٤) يعني: أن الله خلق لها رزقا، وأوجده، ولكن من طبعها أنها تذهب، وتأكل ما تجده، وتتطلب في الأرض، ويسخر الله لها الرزق الذي

---

١ - سورة الملك آية : ١٥.

٢ - سورة العنكبوت آية : ٦٠.

٣ - سورة هود آية : ٦.

٤ - سورة هود آية : ٦.

ييسره، وتتقوت به، وتتغذى، فعرف بذلك أن رزق الله -تعالى- ميسر لكل مخلوق، رزق الغذاء الذي به قوام الحياة، وهو الذي يضمنه الله لمن أبقاه من خلقه ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا ﴾ (١) .

تضمن الله أنه يرزق الدواب كلها، كلمة (دابة) كل ما يدب على الأرض، ويدخل فيها الطيور، ولو كانت تسمى طيورا في الآيات الأخرى ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ ﴾ (٢) قسمهم إلى قسمين دابة وطير، ولكن معلوم أن الطير لا يستغني عن الوقوع في الأرض؛ لأن رزقه يكون في الأرض أصلا، فهو يدب على الأرض، فيدخل في الآية: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا ﴾ (٣) تضمن الله -تعالى- الرزق لمن أبقاه.

وقد اختلف هل يسمى الحرام رزقا ؟ والصحيح أنه رزق؛ لأن الله هو الذي يسره، ولكن حرم تعاطيه، وحرم التعاطي والتكسب بالحرام، ومع ذلك هو رزق، من تغذى به فقد تغذى بما وصل إليه، ولكنه منهي عن أن يتعاطاه هو الذي رزقه من حلالٍ، أو من حرام وكذلك رزق الزينة الفاضل عما يحيا به رزق الزينة، يعني: الزائد عن حاجته يقول الله -تعالى-: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةً يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ (٤) هذه الطيبات للذين آمنوا في الحياة الدنيا، ولكنها مشتركة بينهم وبين غيرهم، وأما في الآخرة، فإنها خاصة بأهل الإيمان ، "خالصة يوم القيامة" هذه الزينة، يدخل في الزينة الأكسية والألبسة، ونحوها، ويدخل في الزينة أيضا الكماليات التي تكون بها الحياة من المساكن، ومن المراكب، ومن الفرش، ومن الأواني ومن الأدوات التي تستعمل كلها من زينة الدنيا التي زينها الله -تعالى- للناس ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ

---

١ - سورة هود آية : ٦.

٢ - سورة الأنعام آية : ٣٨.

٣ - سورة هود آية : ٦.

٤ - سورة الأعراف آية : ٣٢.

حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ (1) كل هذه من زينة الدنيا التي زينها الله -تعالى- للناس، وأباح لهم أن يستعملوا منها ما هو حلال، ولكن هذا كله متاع، متاع يأخذون منه ما يتمتعون في هذه الحياة، يعبروهَا إلى أن تنتهي أعمارهم.

يقول بعد ذلك: "ويؤمنون بأن الله -تعالى- خلق الشياطين توسوس للآدميين، ويخدعونهم، ويغرونهم، وأن الشيطان يتخبط الإنسان" أي: يؤمن أهل الحديث بأن الشياطين مسلطون على الإنسان، وأن الله -تعالى- هو الذي سلطهم، ولو شاء لأهلك الشياطين، فأولهم إبليس اللعين الذي امتنع عن السجود لآدم، وتكبر ﴿ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (2) ولما طرده الله ورجمه، وقال: ﴿ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ (3) سأل النظرة، فقال: ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (4) أنظرني يعني: أخرني، وأمهلني، فأمهله الله، وأنظره ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ (5) .

فبقي معمرا هو وذريته، فصاروا يتسلطون على نوع الإنسان، أقسم إبليس بأن يضل نوع هذا الإنسان، وأن يخرجهم من النور إلى الظلمات أقسم على ذلك كما قال -تعالى-: ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ

---

1 - سورة آل عمران آية : 14.

2 - سورة البقرة آية : 34.

3 - سورة الحجر آية : 34-35.

4 - سورة الحجر آية : 36.

5 - سورة الحجر آية : 37-38.

﴿ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ ﴾ [1] هكذا التزم بأنه يتسلط عليهم، ويوسوس لهم، ويحاول إغواءهم وإغراءهم.

قال الله -تعالى- له: ﴿ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٣٥ ﴾ [2] ومع ذلك التزم بأنه سيغويهم حتى قال: لما قال إنك لمن المنظرين قال: ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧ ﴾ [3] قال: ﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ [4] .

سلطه الله -تعالى- على نوع هذا الإنسان ﴿ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٠ ﴾ [5] فالله -تعالى- هو الذي سلط على الإنسان هذا العدو من الشياطين، الذي أخبر النبي ﷺ بأنه يجري من الإنسان مجرى الدم ﴿ إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم ﴾ ينفذ في جسد الإنسان، وينفذ مع العروق، ويصل إلى ما يصل إليه الدم، الدم معروف أنه في كل جزء من أجزاء البدن، فمعناه أنه يلابس الإنسان.

ولكن يقول العلماء: إن الله أعطى الإنسان سلاحا يتقوى به، وقد ورد في بعض الكتب أن الأمور التي تحرز من الشيطان عشرة، ذكرها ابن القيم في تفسير سورة الناس لابن القيم في "بدائع الفوائد" تفسير المعوذتين فلما أتى على سورة الناس، وفيها: ﴿ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ﴾ [6] ذكر أن الأمور التي تحرز الشيطان عشرة، فبدأها بالاستعاذة: أن تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كما أمرنا الله -تعالى- بذلك، ثم ذكر منها الذكر: أن ذكر الله -تعالى- يطرد الشياطين، وذكر الأعمال: العمل

---

١ - سورة النساء آية : ١١٨-١١٩.

٢ - سورة الحجر آية : ٣٤-٣٥.

٣ - سورة الحجر آية : ٣٧.

٤ - سورة الأعراف آية : ١٧.

٥ - سورة سبأ آية : ٢٠.

٦ - سورة الناس آية : ٤.

الصالح أنه يطرد الشياطين وذكر الدعاء: دعاء الله -تعالى- و سؤاله سبب لطرد الشياطين، ومنها القراءة، وبالأخص قراءة آية الكرسي، فإنها وسيلة من وسائل طرد الشيطان وحماية الإنسان من الشيطان، كما ورد ذلك بالحديث، وكذلك مجالس العلم، ومجالس الخير سبب لطرد الشياطين، وسبب لنزول الملائكة، وكذلك حماية الإنسان نفسه من المعاصي سبب لطرد الشياطين؛ ذلك لأن المعاصي يتسلط بواسطتها الشيطان على الإنسان.

وهكذا مجالسة الصالحين سبب لطرد الشياطين، وهكذا ختم اليوم، أو الليل بخاتمة حسنة بذكر، أو بدعاء سبب أيضا لطرد الشياطين.

الشيطان عدو للإنسان قال -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [1] فإذا عرفنا أنه عدو لنا، فإن علينا أن نتحصن منه؛ حتى لا يتسلط على الإنسان، قد أخبر الله -تعالى- بأنه يوسوس في صدور الناس ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ ﴾ [2] وأخبر باسمه ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ﴾ [3] .

"الوسواس الخناس": الوسواس هو الذي يقذف الوسوسة في القلب، والخناس هو الذي ينخنس يعني: ينخذل، ويستخذي.

يقولون: إنه وسواس عند الغفلة وخناس عند الذكر، فإذا ذكر العبد ربه، واستعاذ به انخنس الشيطانن وانخذل وذل، وهان وابتعد عنه، وإذا غفل العبد وسوس إليه، وألقى في قلبه الوساوس والأوهام، أخبر الله بأنهم يخدعونهم، ويغرونهم كما في قوله -تعالى- عن الشيطان أنه قال: قال الله له: ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ

---

١ - سورة فاطر آية : ٦.

٢ - سورة الناس آية : ٥.

٣ - سورة الناس آية : ٤.

مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ [1] قيل: من أصواته الغناء ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ [2] يعني: بقوتك وبما تملكه ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) ﴾ [3] ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠) ﴾ [4].

المواعيد هذه: تكون في قلب الإنسان بأن يلقي في قلبه، إنك إذا فعلت كذا حصل لك، وحصل لك، وأول ذلك وسوسته للأبوين قال الله -تعالى- عنه: ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (١٢٠) ﴾ [5] هذه حيلة من الشيطان ﴿ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (١٢٠) ﴾ [6] الشجرة التي نهيا عنها ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ ﴾ [7] فهذه حيل الشيطان.

ذكر الله أيضا أنه يتخبط الإنسان ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ﴾ [8] كأنه يتسلط عليه حتى يغلب عليه، فيقوم، ويسقط، ويقوم، ويسقط مثل الذي تسلط عليه جني، فصار يصرعه، فالشيطان يتسلط على الإنسان، ويلابسه، ويصرعه، ويتقوى عليه، ولكن عليه أن يستعيذ بالله من شره، وأن يتحفظ بالله -تعالى- منه حتى يحفظه، ومن اعتصم بالله -تعالى- عصمه، وأعانه.

كذلك أيضا من عقيدة أهل السنة، وأهل الحديث أن في الدنيا سحر وسَحَرَة، وأن استعماله كفر من فاعله إذا فعله معتقدا له نافعا ضارا بغير إذن الله، إذا اعتقد أنه نافع ضار بغير إذن الله تعالى.

---

١ - سورة الإسراء آية : ٦٣-٦٤.

٢ - سورة الإسراء آية : ٦٤.

٣ - سورة الإسراء آية : ٦٤.

٤ - سورة النساء آية : ١٢٠.

٥ - سورة طه آية : ١٢٠.

٦ - سورة طه آية : ١٢٠.

٧ - سورة الأعراف آية : ٢١-٢٢.

٨ - سورة البقرة آية : ٢٧٥.

وعمل السحرة معلوم أنه قد سماه الله -تعالى- كفرا، ووصف أنه بما يقرب من الكفر؛ فلأجل ذلك يحذر منه العلماء، ثم يعتقدون أنه لا يكون إلا بإذن الله، الضرر الذي يصير فيه إنما هو بقدر الله -تعالى- وبقضائه، ونقف عند هذا، والله أعلم.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

س: فهذا سائل يقول: فضيلة الشيخ، كيف نجمع بين قول الرسول ﷺ ﴿ من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه ﴾ و بين أن الآجال محددة لا يزاد فيها، ولا ينقص ؟

ج: قد ذكرنا أن الله -تعالى- جعل أسبابا، وتلك الأسباب مقدرة، مقدرة في الأزل، فصلة الرحم من الأسباب التي يطول بها العمر أزليا، يعني: أنت مأمور بأن تصل رحمك، وصلة الرحم تزيد في العمر ف ﴿ من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه ﴾ ولكن مع ذلك هذه الزيادة التي في الأجل أزلية قديمة مكتوبة في الأزل، قبل أن تخلق السماوات والأرض، قبل أن يخلق الخلق، مكتوب أن هذا يوفق لصلة الرحم، فيزاد في رزقه، ويبسط له فيه، ويكون سببا في زيادة عمره، وطول عمره، وطول حياته.

إذن هذا من الله أزلا، فأنت مأمور، ولك قدرة على ذلك يعني: أعطاك الله -تعالى- هذه القدرة على أن تصل رحمك، وعلى أن تحسن إلى أقاربك، ونحو ذلك، ووعدك بأن هذا سبب أزلي في زيادة الأعمار.

س: وهذا يقول: كيف نجمع بين قول الله -تعالى-: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [1] وبين ما نراه اليوم في بعض الدول من المجاعات وغيرها؟

ج: لا شك أن الله -تعالى- يسلط على من يشاء ما يشاء، هذا تصرفه بعباده، فإذا سلط على بعض منهم الجوع والجهد الذي يموت به خلق كثير، وذلك من تصرفه في خلقه، وإذا وسع على الآخرين

---

١ - سورة هود آية : ٦.

وبسط لهم في الرزق، فذلك من تصرفه في خلقه، فرزق الدواب ورزق المخلوقات، ونحوها من الله تعالى، ولكن إذا حدث فلحكمة يريدها الله تعالى، فأحيانا يحبس المطر من السماء، ثم يكون سببا في جفاف الأرض، وييبسها، ولعلهم يعتبرون، ويعرفون أن المسبب هو الله -تعالى- فيقبلون على العبادة، ويعرفون حق الله -تعالى- عليهم، ويعتبرون بما يحدث لهم في هذه الأرض.

كذلك أيضا قد يترل مطرا وماءً من السماء، ولكن يترع منه البركة التي يكون أثرها كثرة النباتات والخير، ونحو ذلك فلا يستفيدون منه شيئا، ليعتبروا، ويعرفوا أن قدرة الله فوق كل شيء، هذا هو الأصل، فالحاصل أن ما يحدث من العقوبات هو بتقدير من الله -تعالى- ليعتبر الآخرون، وليأخذوا حذرهم.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، ابتليت عائلة كاملة بالسحر على يد أحد المقيمين، فقد سلط عليهم الجن بسبب حب الساحر لإحدى الفتيات، ولقد جربت الرقية الشرعية، ولكن لم يكتب الله الشفاء، وأخيرا عرض على هذه العائلة الذهاب إلى إحدى البلاد لفك هذا السحر على يد ساحر عظيم في تلك البلاد، فهل يجوز فك السحر بالسحر إذا كان في مثل هذه الحالة؟ يقول: ولقد مضى على هذه العائلة أكثر من ست سنوات، وهم في معاناة؟

ج: لا يسلط على أحد عقوبة، أو بشيء من هذه الأمور إلا بذنب، كما ورد في حديث: ﴿ ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة ﴾ وقد يكون التسليط من الله -تعالى- ابتلاءً وامتحانا، وقد يكون التسليط؛ لرفع المقام؛ ولرفع الدرجات، فنقول لهؤلاء: لا بد من أحد ثلاثة أمور: أما أنكم قصرتم في أمر الله، وارتكبتم معاصي وسيئات، فكانت هذه العقوبة عقوبة عادلة على ما اقترفتم من السوء ومن الذنوب، فتفقدوا أنفسكم، وأصلحوا أنفسكم، وتوبوا إلى ربكم وبدلوا السيئات بالحسنات، وأصلحوا أعمالكم إصلاحا جذريا؛ حتى يشفيكم الله -تعالى- ويزيل ما بكم من بأس.

وإما أن تعتقدوا أن هذا ابتلاء من الله وامتحان، فإن الله قد يبتلي بعض عباده الصالحين، فيكون من آثار هذا الابتلاء ابتلاؤهم في الصبر، أو عدمه فالله -تعالى- يقول: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ ﴾ [1] .

فإذا أصبتم بهذا، وعرفتم أنه ابتلاء لضعف الإيمان، أو لقوة الإيمان، فصبرتم وثابرتم واحتسبتم، و لم يكن في ذلك شيء من الجزاء، ولا من التشكي، ولا من إظهار شكاية الله على عباده، أو خلقه، فإن هذا دليل على الصبر، ومن يتصبر يصبره الله تعالى.

والأمر الثالث: أن يكون لرفع الدرجات، إذا قلتم: نحن مستقيمون، وليس عندنا معاص، وبيوتنا مطهرة، وليس فيها آلات لهو، و لم يكن عندنا في بيوتنا من يعصي الله -تعالى- طرفة عين، ونحن من أفضل الناس، وأشدهم طواعية، وأكثرهم أعمالا حسنة، ومع ذلك كيف يسلط علينا ذلك؟

فنقول: هذا لرفع درجاتكم، فاصبروا واحتسبوا إلى أن يجعل الله لكم مخرجا، ثم نقول بعد ذلك: عليكم بفعل الأسباب المباحة، الأسباب المباحة كثيرة.

فإذا لجئوا إلى كثرة الذكر قياما وقعودا وعلى جنوبهم، فهذا من أسباب إزالة هذا البأس وإبطال هذا العمل، كذلك أيضا إذا أكثروا من قراءة كتاب الله -تعالى- ولهجوا بقراءته كان هذا من الأسباب في إبطال هذه الأعمال الشيطانية، كذلك أيضا إذا أكثروا من الدعاء، أكثروا دعاء الله -تعالى- في ليلٍ وفي نهارٍ، ورفعوا أكف الضراعة إلى الله -تعالى- كان هذا من أسباب الشفاء وإزالة هذه الأشياء.

وأما أنهم يلجئون إلى السحرة، فيقولون: نريد أن نذهب إلى ساحرٍ؛ حتى يبطل عمل هذا السحر، فإن هذا لا يقر في شريعة، وإنما لم يحصل الشفاء ببعض من الموانع.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، عندما أسمع الكلام حول فعل أسباب جلب الرزق، أتمنى أن أشرع في العمل لاكتساب الرزق، ثم أشعر أن هذا يشغلني عن طلب العلم والدعوة، وإنني سأتعلق بالدنيا، فما نصيحتكم لي، حفظكم الله ؟

---

١ - سورة الحج آية : ١١.

ج: لا تنقطع عن أسباب طلب الرزق، ولا تنقطع من العمل، ولا من التعلم، ففي الإمكان الجمع بينهما، فطلب الرزق له وقت، وطلب العلم له وقت، والليل والنهار فيهما وقت واسع، في إمكانك أن تجعل وقتا لطلب العلم كالليل مثلا، في مثل هذا الوقت ونحوه، ووقتا لطلب الرزق بقدر ما تيسر.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، ما صحة قول من يقول: إن التداوي والعلاج ينافي كمال التوحيد، يقول: إن التداوي والعلاج ينافي كمال التوحيد؟

ج: لا ينافي ذلك إذا عرف أنها أسباب، فالنبي ﷺ يقول: ﴿ تداووا عباد الله، ولا تتداووا بالحرام ﴾ وأخبر بأن كل داء... يقول: ﴿ كل داء له شفاء إلا داء السام ﴾ يعني: إلا داء الموت، كل داءٍ له شفاء، فإذا عرفنا أن الأمراض لها علاج وعالجناها، واعتمدنا على الله، وعرفنا أنه هو الذي يسبب، ويسهل الشفاء، فلا يكون ذلك منافيا لكمال التوحيد؛ لاعتقاد المتداوي بأن الله هو الذي أمر بهذا، وهو الذي أنزل هذا.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، انتشر في هذا الزمان قصات الشعر بين أوساط النساء، مما يقلدن فيه أعداء الله، وأعداء رسوله من الكافرات بموضات تأتي من الشرق، أو من الغرب، ويدعين أن هذا من باب التجمل لأزواجهن، فهل هذا صحيح؟

ج: ليس بصحيح، بل هذا من التقليد، التقليد لنساء الغرب، وهذا مما يشوه المنظر، ويشوه الخلقة، ولو ادعت النساء أنه جمال، وأنه زينة، وأنه يحسن المظاهر، ويجملها، فإن هذا ليس بصحيح، ولو زين إلى بعض الأزواج أنه جمال، فلا يجوز أن يتجاوب على هذا، فنحن نقول: إن الجمال الحقيقي هو في بقاء المرأة على هيئتها، وعلى خلقتها دون أن تغير شيئا من خلق الله -تعالى .

كذلك أيضا في تربية شعر رأسها على هيئته، وكذلك أيضا تضفيره ضفائر دون أن تقص منه، أو أن تجعله قصاصات متفاوتة، أو أن تغيره بأصباغٍ ملونةٍ متعددة، أو نحو ذلك من التقليد، فكل ذلك تقليد للغرب، وتغيير للخلقة، ولا يغتر بمن يطلب ذلك من امرأته، فإن هؤلاء ممن انخدعوا بتقليد الغربيين.

فالمرأة عليها أن ترضى بما كان عليه أسلافها، ما عرفوا مثل هذه الأشياء إلا بعدما ابتلوا بالاختلاطات الغربية، التي جاءت من قِبَلِ أُناس يريدون بذلك الفتنة، ولا شك أن النساء أيضا تعاطين

ذلك، فإنهن لا بد أن يندفعن، ويخرجن إلى الأسواق، ويتحلين بهذه الحلي حتى يلفتن الأنظار، ويكون ذلك سببا لفتنةِ كثيرٍ من الناس.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، لدي أرض زراعية يوجد بها عدد كثير من النخيل المثمر، فهل لي أن أزيل النخيل، وأجعلها استثمارا، يعني: أرضا سكنية، علما بأن المزارع المجاورة لها أصبحت أراضي سكنية الآن؟

ج: لك ذلك ما دام أنها ملكك، فلك أن تبيع أرضها، وتبنيها مساكن مثلا، أو تبيعها لمن يعمرها، أو تعمرها بنفسك مساكن إذا رأيت أن المساكن أكثر غلةً من النخل، فلك ذلك.

لا شك أن النخل فيه فائدة في هذه الثمرة، التي فيها غذاء من أحسن الأغذية، ولكن إذا قلت الثمرة، أو رؤي أن غيرها أكثر منها منفعة جاز استبدالها، لا عبرة بما عند العوام من أن قطع النخل لا يجوز، الأصل أن الإنسان يتصرف في ماله بما يراه الأصلح.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، أحيانا ينتقض وضوئي، وتأتي الصلاة، وأصلي على غير طهارة، فإذا سلمت من الصلاة تذكرت أني لم أتوضأ، وأني صليت على غير طهارة، فماذا علي؟

ج: من صلى على غير طهارة، فعليه الإعادة إذا كان متحققا أنه صلى، وهو لم يتوضأ، أو انتقض وضوؤه بعدما توضأ، ولم يجدد الوضوء، فلا بد أن يعيد ذلك الوضوء، وأن يصلي، وهو على غير طهارة، لا بد أن يعيد إذا صلى، وهو على غير طهارة.

س: وهذا يقول: هل يُدخِل الله أحدا الجنة قبل يوم القيامة؟ وما حقيقة الحساب الوارد في الحديث للرجل الذي قال: إنه يدخل الجنة بعمله، هل وقع أم أن الله أطلع نبيه على الغيب؟

ج: الجنة علمها عند الله -تعالى- والذين يستحقونها هم أولياء الله بكرامته وبفضله، وأما الآن، فإنها حيث لا يعلم مكانها إلا الله -تعالى- قد أخبر النبي ﷺ بأن أرواح الشهداء في الجنة، حيث جعلت في أجواف طيرٍ خضرٍ، وأنها تعلق في شجر الجنة.

وكذلك أيضا أطلع الله -تعالى- نبيه ﷺ على أفرادٍ من أهل الجنة، ومنهم بعض الصحابة الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة كالعشرة، ونحوهم، أطلعه بأن الله -تعالى- جعلهم مستحقين لدخول الجنة.

أحسن الله إليكم، ونفعنا بعلمكم، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

السلام عليكم ورحمة الله.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه.

كان آخر ما قرأنا كلمات تتعلق بالسحر، وأن في الدنيا سحر وسحرة، وأن السحرة محكوم بكفرهم، وأن من اعتقد أن السحر يقوم بغير قدرة الله، أو بغير إذنه، فقد كفر.

وسبب ذكر السحر في هذه العقيدة، أن المعتزلة أنكروا وجوده إنكارا عجيبا من أمرهم وعنادا منهم، وإلا، فإنه مُشاهد وجود السحرة ووجود أعمالهم السحرية؛ ولذلك فأهل السنة يقرون بوجود السحر، ويقولون: إنه لا يكون إلا بإذن الله الكوني القدري، وقد دل على وجوده وعلى تأثيره الكتاب والسنة فقد ذكر الله -تعالى- ما يحصل الشياطين، وتعليمهم السحر في قوله -تعالى-: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [1] ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [2].

لا شك أن هذه الآية صريحة في أن هناك سحرا، وأنه يؤثر، ويضر، وأن منه ما يقتل وما يمرض، وما يفرق بين المرء وزوجه، ولكن الجميع بإذن الله -تعالى- بإذن الله الكوني القدري، لا الشرعي الديني، فإن الله -تعالى- حرم الإضرار بالمسلمين، حرمه دينا وشرعا، ولكن أعطى هؤلاء السحرة قدرةً داخلة، أو خاضعة لقدرته -تعالى- يؤثرون بها في هؤلاء المسحورين، فمن السحر ما يقتل، يعني: يحصل به

١ - سورة البقرة آية : ١٠٢.

٢ - سورة البقرة آية : ١٠٢.

الموت، ومنه ما يمرض، ومنه ما يحصل به الانصراف الكلي عن الزوجة، أو عن الأهل، أو عن المال، أو ما أشبه ذلك.

ومن الأدلة أيضا أمر الله -تعالى- بالاستعاذة من السحرة في قوله -تعالى-: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾ [1] وهن السواحر، فلولا أن لهن شر يضر، ويؤثر لما أمر بالاستعاذة من شرهن، والذين قالوا: إنه ليس له حقيقة، استدلوا بما حكى الله -تعالى- عن سحرة فرعون، قال -تعالى-: ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ [2] .

ذكروا أن السحر كان منتشرا وفاشيا في عهد فرعون، وأن هناك سحرة مشهورين بتعلم السحر، فلما أخبرهم فرعون بأن موسى قلب عصاه حية تسعى، عند ذلك جاءوا بحبال وبعصيٍ، فألقوها في الوادي، وإذا الوادي كله كأنه حيات كأن الوادي حيات تقترب، وتسعى، فعند ذلك أوجس في نفسه خيفةً موسى، فذكر العلماء أن هذا خيال؛ ولذلك قال: ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ﴾ [3] يعني: ليس له حقيقة، وإنما هو خيال؛ وذلك لأن السحرة قد يلبسون على أعين الناظرين، فيوهموهم ما لا حقيقة له، ويخيلون إليهم أشياء يعتقدون أنها حقيقة، وهي خيالات، هذا معنى: ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ [4]

.

١ - سورة الفلق آية : ٤.

٢ - سورة طه آية : ٦٦-٦٩.

٣ - سورة طه آية : ٦٦.

٤ - سورة طه آية : ٦٦.

وبكل حال، فالوجود ظاهر في أن السحر له حقيقة، ومن الأدلة عليه ما ثبت في صحيح البخاري عن عائشة: ﴿ أن يهوديا سحر النبي ﷺ تقول عائشة: حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله ﴾ وفي رواية ﴿ أنه يأتي النساء وما يأتيهن ﴾ .

إن هذا العمل الذي عمله هذا اليهودي، الذي يقال له: لبيد بن الأعصم، لم يكن في جسم النبي ﷺ ولا في عقله، فإن الله -تعالى- قد عصمه وحفظه، ولكنه فيما يتعلق بالنساء.

يعني: عمل عملا كأنه صار حائلا بينه وبين نسائه، بأن يخيل إليه أنه يأتيهن وما يأتيهن، أو حال بينه وبين القدرة الجنسية، والله أعلم.

فالحاصل أن هذا مما أثر فيه، هذا السحر، فلما دله الله - -تعالى- - على موضع ذلك السحر، وأخرجه بطل عمله، وقام كأنما نشط من عقال ، وأمر وقال: ﴿ أما الله -تعالى- فقد شفاني ﴾ فلذلك استدل به على أنه قد يؤثر في هذا النوع.

وهذا أيضا مشاهد، أن السحرة يعملون من السحر، ما يبطلون به شهوة الرجل حتى لا يستطيع أن يأتي امرأته، إذا قرب منها بطلت شهوته، فهذا مما يستطيعون أن يعملوه، ومن ذلك أيضا الحديث الذي أورده ابن كثير ورواه ابن جرير عن عائشة: أن امرأة جاءها بعدما توفي النبي -صلى الله عليه وسلم- وذكرت لها أن زوجها غاب عنها، فجاءها عجوز، فقالت لها: أتحبين أن يرجع زوجك، قلت: نعم، تقول: فجاءتني بالليل، وأركبتني وركبت وإياها على كلبين أسودين، فلم يكن إلا قليل حتى كنا ببابل، فأتينا إلى إنسانين في ذلك المكان، وقلت: إني أريد أن أتعلم السحر، فقالا: إنما نحن فتنة، فلا تكفري، فقلت: إني أريد أن أتعلم فقالا لها: اذهبي إلى ذلك التنور، فبولي فيه، تقول: ففعلت فخرج منها شيء أسود، فصعد في السماء، فقالوا: صدقتي هذا هو الإيمان خرج منك، ثم أنها تعلمت وعلموها، تقول: أعطتني حبا، أو قمحا، فقالت: افعلي به، فبثثته في الأرض، وقلت: أنبت فأنبت، فقلت: انضج، فنضج، فقلت: انطحن، فانطحن، فلما رأيت أني لا أفعل شيئا، لا آمر بشيء إلا حصل، سقط في يدي، فهذه المرأة تعلمت من هذين هذا الأمر، وهو أنها لا تأمر بشيء إلا حصل.

هذا نوع من أنواعه يدل على أن للسحر حقيقة، وأما وقائع الناس فهي شيء كثير وواسع، الواقع الذي يقع من الناس، فإنه أمر مشاهد.

وإذا قلت كيف يتمكن، وهو إنسان بشر مثلنا كيف يتمكن من أن يقلب الإنسان إلى فرس مثلا، أو إلى قط، أو إلى وعل؟ أو كيف يقلب الإنسان مثلا، أو كيف يقلب قلبه بعد لما هو مستقيم إلى قلب منحرف؟ أو كيف يجلب بين الاثنين؟ أو كيف يفرق بينهما، ويوقع بينهما هذه الوحشة مع كونهما متحابين، أو نحو ذلك؟ يعني كيف يتمكن الإنسان من هذا العمل الذي فيه قلب للحقائق، وتغيير لها؟

أجاب العلماء بأن الإنسان ليس يفعل شيئا، ولا يقدر على شيء يخالف... ما هو يخالف الطبائع الأصلية، ولكن إنما تفعل ذلك الشياطين، الشياطين هي التي تفعل ذلك، وتقلب هذه الأشياء إلى ما هي عليه، مخالفا لطبعها؛ ذلك لأن الشيطان له قدرة على ملابسة الإنسان ومماسته، وكذلك الساحر قد يكون عنده قدرة على تسخير قوم من الجن، ثم تسليطهم على من يريد.

فإذا سلط هذا الجني الذي هو من جنوده على فلان لابسه ذلك الجني، أو ذلك الشيطان، فإذا لابسه، فإنه قد يغير هيكله وقد يقلب صورته، وقد يحوله إلى حيوان بهيم، كما يذكر ذلك في الحكايات، ونحوها يعني: يذكر أن ساحرا، أو ساحرةً قلبت إنسانا إلى حصان، أو إلى فرس، وأن ساحرا قلب إنسانا إلى وعل له قرون، والحكايات في ذلك مشاهدة وكثيرة.

فالشيطان هو الذي يؤثر، هو الذي يلابس ذلك الإنسان المسحور الذي عمل له، فيستطيع -بإذن الله- أن يغير هيكله، وأن يقلب صورته، وأن يقلب مودته، وأن يغير محبته إلى بغض، أو بغضة إلى محبه، أو ما أشبه ذلك، فهذا من الشيطان لا من ذلك الإنسان الذي هو ساحر، فإنه ليس عنده هذه القدرة، ولا هذا التمكن، فهذا حقيقة السحر أنه ليس بفعل الإنسان، ولكن بفعل الشياطين الذين يسخرهم ذلك الساحر.

ثم إن المؤلف يقول: "إن السحر واستعماله كفر من فاعله" أي: أن الساحر كافر، والدليل عليه أولا: قوله -تعالى-: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾

(1) وذلك لأن اليهود اتهموا سليمان بأنه ساحر، فقالوا: كيف يركب على الريح، كيف تركب؟ كيف تحمله، وهو على بساطه يسير مسيرة شهر في نصف يوم، في نصف نهار؟ ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ (2) هذا دليل على أنه ساحر، وكيف سخرت له الشياطين، وسخرت له الجن، كما أخبر الله في قوله -تعالى-: ﴿ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝٣٨ ﴾ (3) .

فلا بد أنه ساحر، فنزهه الله، وبين أنه نبي، ولكن هذه كرامة، وهذه معجزة، حيث سخر له الريح، وسخر له الشياطين، ولكن الشياطين كفروا، الشياطين الذين يعلمون الناس السحر كفروا، وهذا الدليل على أن من تعلم منهم، فإنه تعلم الكفر، ومن الأدلة على كفره أيضا في نفس الآية قوله: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ (4) فإذا كان ذلك، فإذا كانوا يقولون له: لا تكفر، أي فلا تتعلم السحر، فإن ذلك كفر هذا هو وجه الدلالة، ومعلوم أن هذا الساحر الذي يتعلم السحر، وتخدمه هذه الشياطين لا تخدمه إلا بعدما يخدمها.

فالساحر يخدم الشياطين، ويخدم مردة الجن؛ فلأجل ذلك يصيرون طوع إشارته، ويصيرون تحت أمره، فيلابسون من يريد ملابستهم، ويضرون من يريد إضراره، ويسلطهم عليه، فهو يخدمهم، ويعبدهم، لا يطيعونه لأول مرة، بل لا بد أنهم يطلبون منه أن يتقرب إليهم، فكثيرا ما يذكر أنهم يذبحون للجن ، أو للشياطين من دون الله، يرضون أن يذبحوا مثلا ولو عصفورا أو دجاجة، أو نحو ذلك باسم الشيطان الفلاني، أو نحوه، وربما يدعون الشيطان، ويسجدون له في حالة كفره، في حالة ندائه له من دون الله، والنداء لا شك أنه شرك، أو كفر، فإذا ناداه ودعاه استجاب له ولبى طلبه، عند ذلك يسجد

---

1 - سورة البقرة آية : 102.

2 - سورة سبأ آية : 12.

3 - سورة ص آية : 37-38.

4 - سورة البقرة آية : 102.

له من دون الله -تعالى- فيكون أشرك بدعائه مع الله، وأشرك بالسجود له، وأشرك بالذبح له من دون الله تعالى.

وهكذا أيضا قد يحملونه على أن يترك العبادات حتى يكون من أوليائهم، فيترك الصلوات، ويترك النفقات الواجبة عليه، ويترك الصوم، ويأكل في رمضان، أو ما أشبه ذلك، كل ذلك ليتحقق أنه أطاعهم طوعا ظاهرا، ومعروف أيضا أنهم يألفون النجاسات، ويألفون القذارات، وما أشبهها؛ فلذلك يطلبون منه إذا أراد أن يستخدمهم أن يستعملوا النجاسات، فربما يلطخ بدنه بالدماء، أو بالأبوال، أو بالعذرة، أو ما أشبه ذلك، الشياطين تألف الأقذار تلك؛ ولأجل ذلك أُمر الإنسان إذا دخل الخلاء أن يستعيذ من شرورهم، يقول: "أعوذ بالله من الخبث والخبائث" ذكران الشياطين وإناثهم.

وأخبر النبي -عليه السلام- وأمر بالتستر إذا دخل الإنسان الخلاء وقال: ﴿ إن الشياطين تلعب بمقاعد بني آدم ﴾ .

وأخبر بأن هذه الحشوش محتضرة يعني: الأماكن التي يُتخلى فيها، فإذا خدمهم هذا الخادم، وهو الساحر، خدمهم بأن تلبس بهذه النجاسات، وتلطخ بها، عند ذلك عرفوا أنه صار طوع إشارتهم، فأصبح خادما لهم، وأصبحوا خداما له مسخرين له؛ حتى لا يستطيعوا أن يتخلوا عن أمر يشير به إليهم، كما حتى يستطيع أنه يسخر مثلا مائة عفريت، أو مئات من العفاريت والجن فيقول: يا هذا تسلط على فلان، أو على فلانة لابس فلانا، فإذا لابسه مثلا فقدر مثلا أنه مات، فسلط آخر فقال: اذهب وحل محله، ونحو ذلك ما خدموه إلا؛ لأنه خدمهم؛ ولأنه كفر بالله وآمن بهم.

ولأجل ذلك نعتقد أنه كافر، هذا هو كفره، أما عقوبته فقد اتفق جمهور العلماء على أنه يُقتل، واستدلوا بالحديث الذي في السنن عن جندب الخير روى حديثا بلفظ: ﴿ حد الساحر ضربة بالسيف ﴾ وفي رواية: ﴿ ضربه بالسيف ﴾ وقالوا في سببه: أن جندبا دخل على بعض الأمراء في عهد بني أمية، وإذا عنده ساحر، وإذا ذلك الساحر يفعل أشياء مستغربة، حتى أنه يمسك رجلا فيقطع رأسه، ويبقى رأسه في يده، ثم بعد ذلك يرده مكانه، وهم ينظرون فيقولون: سبحان الله! يُحيي الموتى، يميت، فيحيي، فعند ذلك في اليوم الثاني اشتمل جندب على سيف، واستعاذ بالله من الشياطين، وقرأ بعض الآيات، فلما

قرب من الساحر ضربه بالسيف، حتى قطع رأسه وقال: أحي نفسك يعني: إن كنت صادقا، ثم قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ﴿ حد الساحر ضربه بالسيف ﴾ .

يعني: إذا حكمنا بأنه كافر، فإنه يُقتل.

وفعل ذلك أيضا من الصحابة ما روُي عن عمر، ففي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة أنه قال: كتب إلينا عمر -رضى الله عنه- أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر، فهذا أمر من عمر، وهو أحد الخلفاء الراشدين بقتل السحرة، وكذلك ذكروا أن حفصة بنت عمر، وهي إحدى أمهات المؤمنين كان لها جارية، وكانت قد دبرتها يعني: أعتقتها عن دبر، فعند ذلك عملت تلك الجارية لها سحرا، فاعترفت، فقالت: لماذا؟

قالت: أردت أن أعتق، أردت أن تموتي حتى أُعتق، فأمرت بها أن تقتل لما أنها اعترفت بذلك.

والوقائع في ذلك كثيرة تدل على أنه هكذا حده.

أما الإمام الشافعي فلم ير أنه يُقتل، ولا أنه يُكفر، ولكنه يقول: نأتي بالساحر، ونقول له: صف لنا سحرك، فإذا وصفه بشيء فيه كفر عند ذلك، أو شرك، فإننا نكفره، ونقتله، وإن وصفه بشيء دون ذلك فلا، ومعلوم أنه إذا أصدر، وهدد بالقتل، فسوف ينكر ذلك.

والحاصل.. نعرف بذلك أن السحر موجود، وأن السحرة يستخدمون الشياطين، وأن الشياطين لا تخدمهم ألا بعدما يكفرون، وبعدما يتقربون إليها بما تحبه منهم، وأنهم بذلك يصبحون كفارا، وأن حد الساحر القتل، وأنه على الصحيح يقتل حدا، ولا يستتاب، هذا هو الذي مشى عليه العلماء.

كذلك أيضا من اعتقد أنه يكون بغير إذن الله، أنه ينفع ويضر بغير إذن الله، الله -تعالى- يقول: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [1] وذلك لأنه لا يكون في الوجود إلا ما يريد فالله -تعالى- هو الذي يسلط هؤلاء، ويعطيهم من هذه القوة ما يكون مخالفا للعادة، ولو شاء الله ما فعلوه، ولكن أعطاهم وسلطهم حتى يكون ذلك علامة على أنه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

---

١ - سورة البقرة آية : ١٠٢.

وأما علاجه فقد ذكر العلماء أن علاجه الناجح بالإيمان بالله -تعالى- وبالعمل الصالح وبالقراءات والأدعية والأوراد، ونحوها؛ ولذلك يقول ابن القيم في كلام له: النشرة التي هي حل السحر عن المسحور نوعان: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، ويتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحبه؛ ليبطل عمله عن المسحور، وهذا لا يجوز.

يعني: لا يجوز أن تذهب إلى ساحر، وتقول له: حل السحر عن فلان، سواء كان الذي عمل السحر، أو غيره، فإن هذا إقرار للسحرة، واستخدام لهم، إذا عرفنا أن حد الساحر القتل، فكيف مع ذلك نقره، ونقول له: حل السحر، أو حل السحر بسحرك، بل إذا عرفنا أنه ساحر، فإننا نبادر فنقتله.

إذن فلا يجوز حل السحر إلا بالرقية، وبالقراءة وبالأدعية النافعة، وبالأدوية المفيدة، وما أشبه ذلك، هذا هو الذي يُحل به، ومعلوم أن كثيرا ممن يبتلون كما مر بنا في سؤال في الأيام الماضية، أن الذين يصابون بهذا العمل الشيطاني يقولون: إننا قرأنا عند فلان وقرأنا عند غيره+، ولم نر فائدة، فنقول لهم: أُتيتم من قبل أنفسكم، متى تريد أن تنفعك الرقية؟ نأمرك بأن تصحح عقيدتك، تؤمن إيمانا يقينيا بأركان الإيمان، وبأمور الغيب كلها.

ثانيا: لا بد وأن تحافظ على الأعمال الصالحة، جميع الأعمال الصالحة تتقرب إلى الله -تعالى- بها .

ثالثا: لا بد أن تتره عن المحرمات والشركيات والبدع والمعاصي والملاهي وآلات الشيطان، وما يحبه، تتره نفسك، وتتره مترلك عن كل ما يألف الشيطان، وكل ما يتشجع به الشيطان.

رابعا: لا بد أن تعتقد يقينا أن هذه القراءة النافعة تؤثر، فلا تجعلها كتجربة الذين يقول أحدهم: أنا أفعل، أو أرقي، أو أسترقي تجربة إذا شفيت، وإلا ما ضرت، ما تفيد، لا تفيد إلا مع اليقين، أن توقن يقينا كالشمس أنها نافعة، وأنها هي الشفاء النافع إذا تمت الشروط.

خامسا: حال الراقي، أن يكون الراقي من أهل الإيمان والتقى والورع ومن المستقيمين على طاعة الله -تعالى- فمثل هؤلاء -بإذن الله- رقيتهم تفيد.

ومن أسباب ذلك أيضا كون الراقي مقتصرا على الأكل الحلال، لا يطعم إلا شيئا حلالا ليس فيه شبهة، وقد تأيد ذلك بوقائع كثيرة، ذكروا أن رجلا كان -بإذن الله- إذا أعطي الإناء؛ ليقرأ فيه نفث فيه نفثتين أو ثلاثا، فار الإناء وامتلأ، وصار -بإذن الله- شفاءً لمن استعمله، إذا تمت الشروط.

وسبب ذلك تتزهه عن الحرام، وتقيده بالعبادات وبالطاعات، وما أشبهها، وكذلك أيضا، أنه كان رجلا أيضا مجربا بالشفاء -بإذن الله- إذا رقى على أحد، فسئل عن ذلك، فأخبر أن أباه عندما حضره الموت، قال له: يابني لا تأكل إلا من هذا البستان إياك أن تأكل من غيره، فإنه رزق حلال، فاقتصر على بستانه فيه، نخلات وفيه شجرات يسقيها، ويشتري من ثمرها ما يصلح هذا، ويتقوت بها، ولا يدخل بطنه شيء من غيرها تحقيقا أنها حلال، فكان ذلك سببا في إجابة دعوته، وسببا في شفاء من يرقيهم من المرضى، ونحوهم.

لذلك نقول: لا بد من هذه الشروط في الرقية، أولها: إصلاح العمل أن يكون ذلك المريض يصلح عمله.

ثانيا: أن يتره نفسه عن المعاصي والسيئات.

ثالثا: أن يصلح مترله، ويبعد عنه الملاهي وما أشبهها.

رابعا: أن يعتقد يقينا أن الرقية نافعة ومؤثرة.

خامسها: أن يكون الراقي من أهل الورع، ومن أهل الزهد.

سادسها: أن يستعمل في الرقي الآيات التي ورد الرقية بها، وعرف تأثيرها مثل: آية الكرسي، وآيات السحر الثلاث في سورة الأعراف قوله -تعالى-: ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [1] وفي سورة يونس قوله -تعالى-: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ

١ - سورة الأعراف آية : ١١٧-١١٩.

ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [1] وفي سورة طه قوله -تعالى-: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ [2] .

فيقرأ هذه الآيات، ويقرا آية الكرسي وآيتين من آخر سورة البقرة، ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ ﴾ [3] وسورة الفاتحة، وأول سورة البقرة، وأول سورة آل عمران وآخرها، وآيات من سورة الأعراف ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [4] ثلاث آيات، وأول سورة يونس، وأول سورة طه، وأول سورة النحل وآيتين من آخر سورة الإسراء وعشرا من أول سورة الصافات، وأربعا من آخر سورة قد أفلح المؤمنون، وسورتي المعوذتين وسورة الإخلاص.

وكذلك الأدعية التي وردت مثل قوله: ﴿ بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض، ولا في السماء، وهو السميع العليم ﴾ ومثل قوله: ﴿ أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد، وأحاذر ﴾ وأدعية مأثورة في ذلك -بإذن الله- يكون من أثرها إبطال عمل هؤلاء السحرة.

توسعنا في هذا؛ لأن هذا شيء مما ابتلي به الناس في هذه الأزمنة فلا بد من معرفة علاجه. نقرأ الآن:

مجانبة البدع وتعلم العلم

والكف عن الصحابة

---

١ - سورة يونس آية : ٨١-٨٢.

٢ - سورة طه آية : ٦٧-٦٩.

٣ - سورة البقرة آية : ٢٨٥.

٤ - سورة الأعراف آية : ٥٤.

قال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي -رحمه الله -تعالى - في بيان اعتقاد أهل السنة:

"ويرون مجانبة البدعة والآثام والفخر والتكبر والعجب والخيانة والدغل والاغتيال والسعاية، ويرون كف الأذى، وترك الغيبة إلا لمن أظهر بدعة، وهوى يدعو إليهما، فالقول فيه ليس بغيبة عندهم، ويرون تعلم العلم وطلبه من مظانه، والجد في تعلم القرآن وعلومه، وتفسيره وسماع سنن الرسول ﷺ وجمعها والتفقه فيها، وطلب آثار أصحابه والكف عن الوقيعة فيهم، وتأول القبيح عليهم، ويكيلونهم في ما جرى بينهم على التأويل إلى الله ﷻ مع لزوم الجماعة والتخفف في المأكل .

إن هذه من الخصال التي يرونها، ويدعون إليها، ويعتقدونها مجانبة البدعة أيا كانت، سواءً عملية، أو عقدية ومجانبة أهلها والدعاة إليها، البدع الاعتقادية، بدعة الجهمية والخوارج والمعتزلة والأشاعرة والجبرية والرافضة والمرجئة والمتصوفة، وكذلك البدع الجديدة كبدعة القبوريين، ونحوهم، وبدعة ما يسمى بالبعثيين والعلمانيين، وما أشبهها مجانبتها، ومجانبة أهلها من واجبات الإنسان؛ وذلك لئلا يستحسن ما هو قبيح.

أما البدع العملية، فالمراد بها المحدثات في الدين، ولا تصل إلى الكفر، ولكنها زيادة في الدين، فيشاركون أهلها فيها، ولو كان إذا عرف أن أهلها قد يستحسنونها، فمثلا إحياء ليلة المولد قد يقولون: ما نحييها إلا بذكر وبقراءة وبصلاة على النبي ﷺ نقول: إنها بدعة، ولو قلتم ما قلتم.

وكذلك أيضا الذين يحيون أول ليلة من رجب أول ليلة جمعة من رجب بصلاة يسمونها صلاة الرغائب، لا شك أن هذه بدعة لم يكن لها أصل في العهد القديم في الإسلام، وإنما حدثت في القرن الرابع وما بعده، كذلك أيضا إحياء الليلة الخامسة والعشرين من رجب، ويسمونها ليلة الإسراء والمعراج، ولا حقيقة لها، ولم يرد ما يدل على إحيائها ولا على تخصيصها.

وهكذا الاجتماعات التي لا مبرر لها، يعني: هناك بدع كثيرة في الصلوات، وبدع في الأذكار، وبدع في الأذان وبدع في الجنائز وما أشبهها مذكورة في الكثير من الكتب ككتاب "السنن والمبتدعات" وكتاب "الباعث على إنكار البدع والحوادث" وكتاب ابن وضاح "البدع والنهي عنها" وما أشبه ذلك.

أما الآثام فالمراد بها المعاصي التي يكون صاحبها آثما، فكأنه يقول: يحثون على التوبة يبعدون صاحبهم، ومن يكون منهم عن الذنب الذي يسبب له إثما وجرما ووزرا"، والأصل في الإثم أنه ما يأثم صاحبه، وقد سمى الله -تعالى- الخمر إثما والميسر، أو جعل فيهما إثما ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ (1) .

وقد حرم الله -تعالى- الإثم يعني: الذنب الذي يؤثم صاحبه، يقرأ قول الله -تعالى -: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ ﴾ (2) يعني: والذنب الذي يحصل صاحبه على إثم يعني: على جرم وعلى عقوبة، وعلى أوزار، الآثام هي الذنوب والأوزار، أما الفخر والتكبر والعجب، فهذه معاص يتصف بها بعض الناس، فتوقعه في الترفع، الفخر محرم، وهو من أفعال الجاهلية، ورد فيها الحديث قوله: ﴿ إن الله حرم عليكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء ﴾ .

كانوا يتفاخرون بأفعال الآباء، يقول أحدهم: آباؤنا الذين فعلوا وآباؤنا الذين قتلوا، والذين سلبوا، والذين صبروا، فيفتخرون بمآثر آبائهم مع أن آباءهم، قد ماتوا، وقد صاروا إلى ما صاروا عليه، كذلك أيضا في الإسلام، لا يفتخر الإنسان بأفعال من سبقه حتى يقول بعضهم:

إذا افتخـــرت بآبـــاء لهـــم ســـلف ... قلنا صدقت ولكن بـئس مــا ولــدوا

أي: إنك لا ينفعك إلا أن تعتز بأفعالك أنت لا أفعال من سبقك، مع أن الإنسان عليه أن يتواضع، وأن يتذلل، وأن يصغر نفسه، وألا يفتخر على الناس.

---

1 - سورة البقرة آية : 219.

2 - سورة الأعراف آية : 33.

التكبر قريب من الافتخار، فالإعجاب بالنفس، والترفع عن الناس واحتقار الآخرين وازدراؤهم، قد فسره النبي ﷺ بقوله: ﴿ الكبر بطر الحق وغمط الناس ﴾ بطر الحق يعني: رده، غمط الناس يعني: احتقارهم بأن يرى الناس كأنهم صغار بالنسبة إليه، ويرى نفسه أرفع منهم رتبة، وأعلى منهم منزلة، ويفرض عليهم مثلا أن يقوموا له، وهو جالس، وأن يحترموه، وأن بكبروه، ويوقروه، ولو لم يكن أهلا، ويسخط على من لم يفعل ذلك، ويفرض نفسه أكبر من غيره.

لا شك أنه يتكبر على الله، المتكبر يتكبر على الله -تعالى- نقول للمتكبر تذكر عظمة الله -تعالى- وتذكر حقارة الإنسان، ذكروا أن بعض المتكبرين حضر عند أحد العلماء الذين في مجلس، يذكرون فيه، يذكرهم، ويعظهم، وقد عرفه ذلك العالم، فقال له ذلك المتكبر: ويحك أما تحترمني؟! أما تعرف من أنا؟! فقال: نعم، أعرفك أنت الذي أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وحشوك بين ذلك بول وعذرة.

يعني: لا ترفع نفسك، فإن هذه صفتك هذا مبدؤك، وهذا منتهاك، فكيف تتكبر؟!!

أما العجب، فالمراد به الإعجاب بالنفس، وذلك بأن يعجبه عمله، أو تعجبه أفعاله، فعند ذلك يرى أن هذا الإعجاب سبب في نجاته، وسبب في فلاحه وفي فوزه، لا يجوز للإنسان أن يعجب بنفسه، بل عليه أن يحقر نفسه، ولو بلغ ما بلغ، ولو كان عالما جليلا، ولو كان عابدا كبيرا، يتصاغر، ويتواضع، ويتذلل لله -تعالى- ولا تعجبه أعماله، ولا يفتخر بها، ولا يقول: أنا الذي تعلمت كذا وكذا، أنا الذي عملت كذا وكذا، فيعجب، أو يمدح نفسه بصلاته مثلا، أو بتهجده، أو بقراءته، فيكون إعجابه هذا سببا لحبوط أعماله.

الخيانة: خصلة ذميمة، وهي من خصال المنافقين، وصف النبي ﷺ المنافق بقوله: ﴿ وإذا ائتمن خان ﴾ وقد تكون الخيانة عامة في الودائع والأمانات، وكذلك في الأعمال التي يؤتمن عليها الإنسان، والتوسع فيها لا يحتاج إليه.

الدغل: فسره بأنه الذي يبغي الشر، وكون الإنسان في قلبه غل ودغل على إخوانه وحقد عليهم وبغضاء، فينهى عن ذلك، يؤمر الإنسان بأن يكون الإنسان سليم الصدر، محبا لأخوته، ولو فعلوا ما

فعلوا، فلا يكون في قلبه غل، ولا حقد، ولا شنآن، ولا بغضاء قال الله -تعالى-: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ ﴾ [1] ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ ﴾ [2] أي: لا يجرمنكم، ويحملنكم بغضهم على ألا تعدلوا.

السعاية: فسرها بأنها النميمة، ويسمى النمام ساعيا، وهو الذي يسعى بين الناس بالنميمة؛ ليفسد بينهم، وقد ذكر النبي ﷺ أنها من أسباب عذاب القبر؛ لذلك الذي يعذب في قبره يقال: ﴿ كان يمشي بالنميمة ﴾ ورد فيها أيضا أحاديث كثيرة، تدل على عظم الذنب بها حتى قال: ويفسد النمام في الساعة أكثر مما يفسد الساحر في السنة.

ويرون كف الأذى، وترك الغيبة، كف الأذى عن الناس، يعني: كف عنهم أذاك، حتى قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في حديث أبي ذر لما قال له، فإن لم أجد قال: ﴿ تكف أذاك عن الناس، فإنه صدقة منك على نفسك ﴾ .

ترك الغيبة الغيبة: فسرها بأنها ذكرك أخاك بما يكره، ذكرك أخاك بما يكره، أي أن تذكره في حال غيبته بشيء، لو كان حاضرا لما ذكرته به، فبذلك تكون مغتابا له، وقد عد الله -تعالى- الغيبة ذنبا كبيرا حتى قال: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ [3] يعني: أن المغتاب كأنه يأكل لحم أخيه ميتا.

يرخص في الغيبة لمن أظهر بدعة، من أظهر بدعة، وهوى يدعو إليه، فالقول فيه ليس بغيبة؛ ولذلك يقولون: لا غيبة لفاسق، ولا لمعلن ومجاهر، فإذا جاهر إنسان بمعاص، أو ببدع، فإن ذكره ليس بغيبة، وكذلك ذكر معايبه.

---

١ - سورة المائدة آية : ٨.

٢ - سورة المائدة آية : ٢.

٣ - سورة الحجرات آية : ١٢.

تكلم العلماء، علماء الحديث في الرواة الذين رووا الحديث، فذكروا أن فلانا غير ثقة، وأن فلانا كذابا، وأن فلانا سيئ الحفظ، مع كونهم قد ماتوا، ولم يعدوا ذلك من الغيبة، بل جعلوه من النصيحة؛ وذلك لأنهم حملوا هذا العلم، وليسوا أهلا له، فلا بد أن نبين مراتبهم؛ حتى يعرف من يكون أهلا لحمل العلم وقبول الرواية، ومن ليس كذلك، ذكروا ذلك في علم الجرح والتعديل.

يقول بعد ذلك: ويرون تعلم العلم، وطلبه من مظانه، والجِد في تعلم القرآن وعلومه وتفسيره، وسماع سنن الرسول ﷺ وجمعها، والتفقه فيها، وطلب آثار الصحابة.

لا شك أن تعلم العلم وطلبه، أنه من الواجبات؛ وذلك لأن العمل لا بد أن يكون على بصيرة. فلا بد أن يكون العامل على علم، فمن عمل بغير علم، فإنه يفسد أكثر مما يصلح. فنقول للإنسان: تعلم قبل أن تعمل. فمثلًا: إذا قيل للإنسان: توضأ. كيف يتوضأ وهو لا يعلم ؟ فلا بد أن يتعلم كيفية الوضوء. وإذا قيل له: هل انتقض وضوءك ؟ فقال: لا أدري. قيل: تعلم نواقض الوضوء.

وإذا قيل له: تعلم مثلًا موجبات الغسل، تعلم كيفية الصلاة، حتى تصلي صلاة تجزئك، تعلم هذا العلم من مظانه. مظانه: هي الجد في تعلم القرآن وعلومه وتفسيره. فيتعلم القرآن، ويتعلم علوم القرآن، وقد ألفت فيها مؤلفات، وكذلك أيضًا يتعلم تفاسير القرآن، وما ورد فيه، حتى يكون على علم، وعلى بصيرة وبرهان .

وكذلك أيضًا يتعلم سنن النبي ﷺ . السنن: هي الأحاديث التي رويت عنه، من أقواله، أو من أفعاله، أو من تقريراته. لا بد من تعلمها، حتى يعرف الإنسان كيف يعمل؛ فإنها هي الموضحة والمبينة لكتاب الله تعالى.

والنبي ﷺ بعثه الله تعالى معلمًا للأمة، حتى يعملوا على بصيرة. أمرهم بالعمل، ثم بين لهم كيفية العمل، بيّن ذلك بأقواله، وبينه بأفعاله، فلا بد أن المتعلم يرجع إلى هذين المرجعين –الكتاب والسنة– فيجد فيهما ما يحتاج إليه في هذه الأعمال، يجد فيهما الواجبات والفرائض، يتعلم الفرائض التي أوجبها الله تعالى، كأركان الإسلام، كيف يؤديها، وكيف يعمل بها.

وكذلك أيضًا يجد فيها العقائد، وما يجب اعتقاده، وما يلزمه. يجد ذلك أيضًا ظاهرًا، في أفعال النبي ﷺ وغيره، كذلك أيضًا آثار الصحابة -رضي الله عنهم- يعني: ما نقل عنهم، فإنهم الذين نقلوا لنا السنة.

كذلك الكف عن الوقيعة فيهم، يعني: عن الوقيعة في الصحابة: الكف عن سبهم، أو عن ذكر شيء من مثالبهم أو معايبهم، وتأول القبيح عليهم، يعني: لا يجوز أن نتأول القبيح عليهم. وما جري بينهم، وما شجر بينهم، نكلهم فيه -على التأويل- إلى الله ﷻ وبذلك نسلم من أن نقع فيهم بما لم يأمر الله به أو يبحه. ونقف عند هذا والله أعلم.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

س: فكثيرٌ من الإخوة يسأل عن أمر أشكل عليهم، وهو كثرة القراء، الذين يدعون أنهم يرقون بالرقية الشرعية، ويقولون: إن عليهم بعض ملاحظات وهي: تفرغ بعضهم لهذا العمل، ثم أخذهم أجرا زائدًا على القراءة، وقراءة بعضهم على مجمع من الناس، وغير ذلك. فهل من كلمة توجهونها في هذا الخصوص -حفظكم الله- ؟

ج: ذكرنا أن القراءة المفيدة، لا بد أن يكون القارئ فيها أولًا: من أهل التوحيد والعقيدة، وثانيًا: أن يكون مستقيمًا في دينه، وفي أخلاقه، وثالثًا: البعد عن الملاحظات، التي هي قدح في عدالته، فيبتعد عن الظنون السيئة، وعن المحرمات، وعن المعاصي، وما أشبهها.

فيوجد كثير من هؤلاء القراء، يظهر أن غرضهم مادي ودنيوي؛ فلأجل ذلك يقل الانتفاع بقراءتهم، والتأثر بها، ولو قُدر أنه يحسن النفع أحيانًا، ولكن لما كان قصدهم المال، وربما يأخذون مالًا زائدًا على عملهم، كان النفع بهم قليلًا.

فنصيحتنا لمن أراد أن يتصدى لهذه الرقية ونحوها، أن يكون قصده وجه الله تعالى، وقصده نفع المسلمين، وقصده محاربة السحرة، والمشعوذين والكهنة، والمنجمين ونحوهم، وإبطال مكايدهم. وكذلك أن يلتزم بالقراءة الشرعية، فيتعلم الرقى: الآيات والأحاديث التي يرقى بها، ويتعلم كيفية الرقية، وكيفية

تأثيرها، وما أشبه ذلك. ويتبرع بعمله، فلا يأخذ شيئًا، إلا شيئًا يسيرًا، مقابل تفرغه، ومقابل تكلفته، وما أشبه ذلك، حتى لا يضر الناس، وحتى ينفع الله تعالى به.

س: وهذا يقول: هل تنصح كل أحد بأن يقرأ على الناس؟

ج: نقول: الرقية ليست موقوفة على شخص معين، ولكنها -بإذن الله- تكون لمن كان عنده الأهلية. قد ذكرنا أنها إنما تؤثر بإذن الله وتنفع، إذا تمت الشروط، والصفات التي ذكرناها للراقي. ومنها الاقتصار على الأكل الحلال -كما وصفنا-، ومنها الاستقامة، فإذا كان الإنسان مستقيمًا على طاعة الله، وعالمًا بالأدلة، وعارفًا بالآيات، والأدعية ونحوها، واحتيج إليه، فلا يحكر نفسه؛ ولأجل ذلك قال في الحديث: ﴿ من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه. ﴾ هذا فيه نفع.

إذا كان عندك قدرة على ذلك ومعرفة، اجتمعت فيك الصفات والمؤهلات، واحتيج إليك، فلا تمنع نفسك من نفع إخوتك المسلمين. وما إذا لم يكن كذلك، فلا تنصب نفسك، وأنت لست بأهل.

س: وهذا يقول: هناك امرأة ساحرة، قريبة لنا، تردد في بيتنا، ويطلب منها أهل بيتنا أن ترى لهم بعض الأمور، والسؤال عن بعض الأشياء، ومنهم أمي وأبي. فكيف أتصرف معهم؟ أرشدوني، جزاكم الله خيرًا.

ج: لا يجوز إقرارها على هذا العمل. الواجب -إذا عرف ذلك- أن نرفع بأمرها، حتى ينفذ فيها حكم الله، حد الساحر ضربه بالسيف، ولو كانت قريبة لكم ، ولو كان أهلك ينتفعون بسؤالها ويسألونها عن بعض الأشياء؛ لأن السحرة يستخدمون الشياطين، والشياطين تخبرهم بأمور غيبية، فتخبر الكهنة والسحرة بأن فلانًا قد سحر، وأن الذي سحره في المكان الفلاني، وما أشبه ذلك. فحدها -إذا لم تتب- فلا بد من القتل، أو الرفع بأمرها، حتى ينفذ فيها حكم الله .

س: وهذا يقول: ما هي العلامات التي يعرف بها الساحر؟

ج: لا شك أن الساحر هو الذي يتعاطى هذه الأمور، التي تضر الناس، فإما أن يعمل أعمالًا يصل ضررها إلى فلان وفلان، ويعترف بذلك، أو ينقل ذلك عنه، وإما أن ترى أعماله، أنه مثلًا يجمع علامات السحر. السحرة مثلًا يجمعون الشعر من فلان وفلان، والخِرق التي لها اتصال بفلان، ثم يذكرون عليها

أسماء الشياطين ونحوهم، وكذلك أيضًا يجمعون كسرًا من حديد، ومن حجارة ومن ودع، وما أشبه ذلك، فإذا رؤى أنه يعمل مثل هذه الأعمال، فإن هذه من أعمال السحرة؛ فينتبه له ويحذر منه.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ! هل يجوز الاستعانة بالجن المسلم، إذا كان يستطيع أن يساعد القارئ ؟

ج: ما أظن ذلك حقيقة، ولكن ذكر بعض المشايخ أنه لا مانع من ذلك. إذا عرف مثلًا بأن هناك جن مسلمون، وأنهم يساعدون المسلم، ويدلونه على خير، فلا بأس. كان بعض الأولين توقظهم الجن للصلوات، وللتهجد في آخر الليل، يقول أحدهم: إذا نمت وحدي، وليس عندهم مثلًا ساعات تنبههم، فإذا بقي من الليل ساعة أو ساعتان، جاءني من ينبهني ويقول: يا فلان قم فقد حان الوقت، حان وقت التهجد.

فهذا استيقظ، لم ير أحدًا. فمثل هؤلاء جن مسلمون، يعينون إخوتهم على فعل الخير، ونحو ذلك. لا بأس بمثل هؤلاء، ولكن لا يطلبهم، ولا يتقرب إليهم. أما إذا تمثلوا له، ولو لم يرهم أخبروه أو أيقظوه، أو نحو ذلك، فلعل ذلك لا بأس به.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، يستدل بعض الذين ينكرون الرقية بالمرأة التي كانت تصرع، فقال لها النبي ﷺ ﴿ أدعو لك بالشفاء أو تصبري؟ فقالت: أصبر ﴾ و لم يقل لها أرقيك.

ج: قد ورد أيضًا ما يدل على فضل الصبر، فهذه المرأة لما قال لها: ﴿ تصبرين ولك الجنة ؟ ﴾ آثرت الجنة، فقالت كيف لا أصبر إذا كنت من أهل الجنة؟ فضمن لها الجنة. حتى قال ابن عباس لأحد تلامذته: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ هذه المرأة السوداء ﴿ أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني أصرع وأتكشف، فادع الله لي. فقال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله لك. فقالت: أصبر، ثم قالت: إني أتكشف، فادع الله لي. فدعا لها ﴾ .

فالتكشف لا شك أنه شيء تتضرر منه، أن تتكشف أمام الأجانب. فدعا لها، وبقى الصرع معها، فصبرت عليه. فلا شك أن من بشر بالجنة على عمل، ولو كان فيه صعوبة، آثر الجنة كما آثرتها هذه المرأة.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، أشكل علينا كلامكم، في أن الساحر يستطيع تحويل صورة الإنسان إلى بهيم. فهل يستطيع ذلك؟ أم أن هذا تخييل فقط؟

ج: يذكر الذين شاهدوا الوقائع أنه واقع، وأشار إلى ذلك ابن جرير في تفسيره، وكذلك أيضًا استدلوا ببعض الوقائع. وصفة ذلك: أن الشيطان يلابس ذلك الإنسان، ومعلوم أن الجن والشياطين لهم قدرة على التشكل. الجني نحن لا نراه، ولكن قد نسمع كلامه، ولا نرى شخصه.

ولكن له قدرة على التشكل. فتارة يظهر بصفة كلب، وتارة يتمثل بصفة قط، وتارة يتمثل بصورة وعل مثلًا، وتارة يتمثل بصورة إنسان -بشكل إنسان- مثلًا، وتارة يتمثل بصورة حية، كما ورد ذلك في الحديث الذي فيه قوله: ﴿ إن في هذه الدور جنا مسلمين، يتمثلون بصورة حيات ﴾ فإذا كان كذلك، فلا مانع أنه يلابس الإنسان، وإذا لابسه قلب هيكله -بإذن الله تعالى- إلى صورة حيوان أو نحوه، والله الذي سلطه على ذلك.

س: وهذا يا شيخ يقول: هل يستدل بقصة جندب ﷺ على أنه يمكن إقامة الحدود من آحاد الرعية؟

ج: قد يستدل بذلك، إذا كان ذلك عنده دليل قوي، وكان الآخرون جاهلين بذلك. فلعل ذلك الأمير كان جاهلًا بهذا الأمر، وكذلك أيضًا الحاضرون، لم يكن عندهم علم؛ فلأجل ذلك أقدم على إقامة هذا الحد. وأما إذا كان هناك من ينفذ الحدود، فلا يجوز للأفراد أن ينفذوها، بل يرفعوا بأمرها إلى ولاة الأمور الذين لهم الصلاحية في الحكم؛ وذلك لأنه ليس كل إنسان يكون عنده القدرة على الحكم، ومعرفة الحكم الشرعي، إنما يعرف ذلك مَن وُلي كذلك من قبل الدولة.

س: وهذا يقول: هل يقتل الساحر حدًا أم ردة؟

ج: ظاهر الحديث أنه يقتل حدًا، ﴿ حد الساحر ضربه بالسيف. ﴾ ولكن إذا حكمنا بأنه كافر، على مقتضى قوله في الآية: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [1] وأن سحره كفر؛ لكونه يعبد الشياطين،

---

١ - سورة البقرة آية : ١٠٢.

ويتقرب إلى الجن ونحو ذلك، فإن هذا العمل يعتبر ردة. كأنه سمي حدًا؛ لأنه عقوبة أي: عقوبة الساحر هذه صفتها.

س: وهذا يقول في قول المصنف: "ويرون مجانبة البدعة -وإلى قول- "والاغتيال" فما هو الاغتيال؟ وهل هو المعروف الآن؟

ج: الاغتيال ظاهر أنه قتل الغيلة ونحوه. يعني: أن يخلو بإنسان، فيخدعه ثم يقتله على حين غفلة أو غرة، يسمى هذا قتل الغيلة. قيل: إنه لا يحتاج إلى رضا الأولياء، بل يقتل عقوبة له على هذه الفعلة.

س: وهذا يقول: كيف نوفق بين أن الله وعد بالأمن، وأن بعض الخلفاء قُتلوا ؟

ج: لا شك أنهم أخلوا بشيء من الأمن، يعني: من أسباب الأمن، أو أن هذا يعتبر كرامة لهم، يعني: سلط الله ذلك عليهم؛ ليكون ذلك كرامة لهم، أنهم قتلوا شهداء في سبيل الله تعالى، فإن عمر ﵁ دعا بأن يرزقه شهادة في بلد نبيه، فاستجاب الله تعالى دعوته.

أحسن الله إليكم، ونفعنا بعلمكم، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

السلام عليكم ورحمة الله، بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد، وعلى آله وصحبه.

كان آخر ما قرأنا في الليلة الماضية، الكف عن الصحابة: الكف عن الوقيعة فيهم، وتأول القبيح عليهم، ويكلوهم فيما جرى بينهم على التأويل إلى الله ﷻ . وسبب إدخال هذا في العقيدة، أن هناك أعداءً للصحابة، أخذوا يولدون عليهم قصصًا، ويلصقوها بهم، ويعيبوهم بها، إما من الخوارج الذين قاتلهم علي ومن معه من الصحابة، فلا بد أن يكون لهم بقايا، وإما من الرافضة الذين غلوا في علي وذريته، وجفوا في حق بقية الصحابة.

ولما غلب عليهم هذا الجفاء، وحقدوا على الصحابة، كان من آثار حقدهم أن ولدوا عليهم حكايات لا أصل لها، وأن تتبعوا عثرات وجدت من بعضهم، فجعلوا من الحبة قبة، وجعلوا الصغيرة كبيرة، وحملوا كلامهم على محامل بعيدة عن العقول، ونسوا أو تناسوا فضائل الصحابة وأعمالهم الجليلة، التي تميزوا بها عمن سواهم، وأخذوا يكيلون لهم من التهم، ويرمونهم بالعظائم، ويسبونهم من أجل ذلك .

فكان من اعتقاد أئمة الحديث، الكف عن الوقيعة فيهم، يعني: عن السب لهم. وذلك يستلزم ذكر فضائلهم، وذكر محاسنهم، والثناء عليهم، والترضي عنهم، واعتقاد أنهم خير قرون هذه الأمة، كما خيّرهم النبي ﷺ بقوله: ﴿ خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ﴾ كما أن الأمة أفضل الأمم.

فإذا كانت الأمة المحمدية أفضل الأمم التي سبقتها، فإن هذه الأمة أيضًا تتفاضل. فأفضلهم القرن الذي بعث فيهم النبي ﷺ وإذا كان كذلك، فإن ما يرويه أعداؤهم من تلك المثالب والعيوب، التي يقدحون بها فيهم، أكثرها كذب لا شك فيه؛ وذلك لأن العدو لا بد أن يكذب على من عاداه، فما أكثر ما افترى عليهم أعداؤهم، وقالوا عليهم ما لم يقولوا، وظنوا بهم ما ليس له أصل ولا حقيقة، ولم يبالوا أنهم يقولون الكذب.

إذا قرأنا في كتب الرد على الرافضة، نجد أنهم يتعمدون الكذب، حتى يقول بعض السلف -لما ذكر الرافضة-: لو كذبت لهم حديثًا، لملئوا جيبي ذهبًا. لو جئتهم، وكذبت لهم حديثًا يناسبهم، لكافَئوني وأعطوني ما يقدرون عليه. يدل على أنهم يعتمدون على الكذب.

ونقول أيضًا: إذا كان فيها شيء واقعي، فإن الأعداء يحملونه ما لا يحتمل. إذا كان فيها شيء صحيح، فإنه يغَير عن هيئته، ويُزاد فيه، ويروونه على غير ما هو عليه، فيكونون قد زادوا فيه، أو قد غيروا أسلوبه. ومعلوم أن الأسلوب يغير الحقيقة، أن الإنسان يحكي قصة، فيعبر عنها بأسلوب تكون مدحًا، ثم يعبر عنها بأسلوب آخر تكون ذمًا. يقول الشاعر:

في زخرف القــول تــزيين لمنهجـــه ... والحق قـــد يعتريــه ســوء تعــبير
تقول هــذا مجــاج النحــل تمدحـــه ... وإن تشأ قلــت ذا قــيء الزنابيـــر.

إن قلت مثلًا: هذا مجاج النحل -يعني العسل- فهذه كلمة مدح، وإن قلت هذا قيء الزنابير، فهذه كلمة ذم، والكل صحيح. فالحاصل أن تلك القصص، إذا رويت بأسلوب فيه قدح، أصبحت معايب ومثالب، مع أنها في الحقيقة قد تكون مدائح. ولنأت على ذلك بأمثلة، مما يذكره الرافضة.

فمن ذلك قصة صلح الحديبية. لما اصطلح النبي ﷺ مع قريش في صلح الحديبية، على أنهم يرجعون في ذلك العام. وعلى أن من جاءهم مسلمًا من أهل مكة، يردونه إلى أهل مكة. ومن ارتد من المسلمين، فإنه لا يرد على المسلمين.

كانت هذه الشروط مما ساءت الصحابة، ساءتهم جميعًا، وتمنوا أنهم يدخلون مكة ويقاتلون، وقد كانوا بايعوا -قبل ذلك- بيعة الرضوان، فاستاء لذلك الصحابة. وكان ممن ظهر استياؤه عمر رضي الله عنه .

فهو الذي جاء إلى النبي ﷺ وقال: ﴿ يا رسول الله ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟ قال: بلى. قال: ألست تعدنا أنا ندخل مكة، ونطوف بالبيت؟ قال: بلى، ولكن هل قلت لك: إنك تدخلها هذا العام؟ قال: لا. قال: فإنك داخل البيت، ومطوف به. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: إني رسول الله، ولن يضيعني ولست أعصيه ﴾ .

هذه قصة عمر في هذه المقالة. ماذا تفهم منها أيها السني؟ أفهم منها أنها دليل على حماسه، وعلى غيرته، وأنه يحب أن يتجشم المشقة، وأن يقاتل ولو قتل؛ لأنه إذا قتل فإنه في الجنة، وأنه -مع ذلك- يحب أن يذل هؤلاء الكفار، الذين أخرجوا الرسول من بلده، وصدوه عن البيت. وتحمس أيضًا؛ أن بعضًا من الذين يأتون مسلمين هاربين بدينهم، ومع ذلك يردون إلى المشركين، ويلقون الأذى، ويلقون العذاب.

هذه أفعال تدل على حماسه، وتدل على غيرته، وتدل على محبته للجهاد، ومحبته للتفاني في سبيل الله، ولنصرة الإسلام، هذا الذي نفهم منها.

ولكن الرافضة حملوها ما لا تحتمل وقالوا: إنه بذلك ينتقد حكم الرسول، إنه يعترض على حكم الله ورسوله، إنه بذلك يرد تدبير الرسول، ويرد أمره، إن ذلك دليل على حقده على دين الإسلام، وأنه وأنه. فجعلوها مثالب، وحملوها ما لا تحتمل.

عمر ﷺ ندم بعد ذلك يقول: " فعملت لذلك أعمالًا ". عملت لذلك أعمالًا يعني: في هذا الاعتراض تجرأت وتسرعت، ومع ذلك فإني ندمت على ذلك، وعملت أعمالًا صالحة، أكفر بها مني ما فعلت. لا شك أن هذا ما حمله عليه إلا الحماس، ثم أيضًا ليس هو وحده الذي كره ذلك، كل الصحابة كرهوا هذا الصلح.

حتى أنه لما أمرهم بأن يحلقوا، وبأن يتحللوا، توقفوا وقالوا: أنحلق قبل أن نكمل عمرتنا؟ فامتنعوا كلهم. فدخل النبي ﷺ على أم سلمة، فأخبرها أنه يأمر ولا يُنفذ أمره. فأرشدته إلى أن يخرج، ويدعو الحلاق فيحلق رأسه، فلما رأوه بدأ يحلق رأسه، ابتدروا الحلق، وجعل بعضهم يحلق بعضًا.

فكراهيتهم لذلك كلهم، يدل على أنهم يحبون أن يقاتلوا المشركين، ولا يرجعوا قبل أن يكملوا عمرتهم، ومنهم عمر، ولكن الرافضة ما توجهوا إلا على عمر. هذا مثال.

والمثال الثاني: لما مرض النبي ﷺ زاره بعض أصحابه في آخر حياته، فأخذ يوصيهم بوصايا قال: ﴿ أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بما كنت أجيزهم -وسكت عن الثالثة أو نسيها- وقال في تلك الحال: ائتوني بكتاب، أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده، وكان في البيت أصوات، فقال عمر ﷺ إن رسول الله ﷺ قد تعب وشق عليه، فدعوه، وعندنا كتاب الله تعالى، لا نضل بعده. فلم يكتب لهم ﴾ هكذا ورد الحديث عنه أنه قال: " عندنا كتاب الله".

الرافضة قالوا: هذا حقد من عمر، أراد بذلك أن يصرف الإمامة عن عليّ، أن الرسول لما طلب الكتاب، ما أراد بذلك إلا أن يكتب الخلافة لعليّ، ولكن عمر لما فطن لذلك، صرفهم عن الكتاب، ومنع الرسول أن يكتب الكتاب. فجعلوا ذلك مثلبة وعيبًا لعمر، ويذكرون ذلك. يذكره صاحب الكتاب الذي عنوانه "ثم اهتديت" ، مغربي ضل، لما أنه زار الرافضة ونصرهم. وصاحب كتاب "المراجعات" وغيره، وكذلك ابن المطهر.

فالحاصل: أنه في هذه الحال، ما أراد إلا الرفق بالنبي ﷺ لما رآه متعبًا مجهدًا، وعلم أيضًا أن الكتاب موجود، ما يدل عليه في كتاب الله تعالى، فهل يكون عليه عيب في هذا؟ نقول: لا شك أنه ليس عليه عيب، بل الأصل أنه ﷺ ما أراد إلا خيرًا، و لم يرد أن يصرف النبي ﷺ عن شيء يريده.

ثم أيضًا أهل السنة يقولون: إنه لو استخلف لما استخلف غير أبي بكر، ويدل عليه أنه استخلفه في الصلاة، ويدل عليه أنه قال: ﴿ يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر ﴾ وغير ذلك من الأدلة، التي أشار إليها، تدل على أن الخليفة بعده أبو بكر. فلو كتب كتابا فيه الولاية، لما ولى غير أبي بكر. إذًا فالرافضة في قولهم: إن عمر أراد بذلك أن يحقد على عليّ، وأنه أراد بذلك صرفه عن أن يوصي لعليّ. هذا من بهتانهم وكذبهم.

ومثال ثالث: لما توفى النبي ﷺ وتحقق موته، أنكر ذلك كثير من الصحابة، ومنهم عمر، وظنوا أنها غِشية وإغماء، فكان عمر يقول: " لا تقولوا: مات. إنه حي، وإنه سيجلد أناسًا". وما أراد بذلك إلا إحسان الظن، أن الله تعالى سيمتعه حتى يعيش. في نظره أنه مغمى عليه، وأنه لم يمت.

ولكن الرافضة حملوا فعله هذا على محمل بعيد، وقالوا: ما أراد بذلك إلا أن ينشغل الناس عن استخلاف عليّ، حتى يأتي أبو بكر، وكان أبو بكر في السُنح -يعني غائبًا- فأراد بذلك أن ينشغلوا، وإلا فإنه متيقن بأنه قد مات، وبأن الموت واقع لا محالة، ولكن لما خاف أنهم يقولون: إنه استخلف عليًا، وأنه ولى عليًا. أراد بذلك أن يشغلهم.

عليّ لم يقل: إني خليفة، ولم يقل أحد: إنه إمام، ولم يقل: إنه استخلفه، ولا ولاه، وأبو بكر أيضًا لم يقل: إني مستخلف، ولم يكن يطلب الخلافة. ولكن يظنون الظنون البعيدة، فيحملون الكلام ما لا يطيقه، وما لا يتحمله، هذه جعلوها مثالب.

ثم لما توفي النبي ﷺ وكان قد جهز جيشًا إلى الشام، وأمّر عليهم أسامة بن زيد، وأمَر أن يكون فيهم أبو بكر وعمر، فلما توفي ﷺ فأبو بكر استخلف، أصبح واليًا على المسلمين، فلا بد أنه يجلس في المدينة، وعمر ضروري أن يجلس معه؛ لأنه معه كالوزير. أما الجيش فإنه جهزه أبو بكر، وأرسله إلى أذرعات الشام، فأغار على أناس، ورجع سالمًا غانمًا.

جعلوا هذ أيضًا من المثالب فقالوا: لماذا تخلفوا عن جيش أسامة؟ لماذا تخلف أبو بكر وعمر؟ ما أرادوا بذلك إلا أن يظلموا عليًا حقه، وأن يبخسوه، وأن يتولوا الولاية، ويأخذوها عنه، ونحو ذلك. فكل هذا أيضًا من البهتان، من الكذب عليهم.

فالحاصل: أنهم بذلك وجهوا هذه المثالب إلى الصحابة -رضي الله عنهم- يريدون بذلك التشفي، وتبرير مواقفهم ومعتقداتهم. كذلك معلوم أن الصحابة -كغيرهم- بشر، ليسوا بمعصومين، فإذا قُدِّر أن أحدا منهم وقع منه ذنب، فنحمله على أنه قد تاب منه و ﴿ التائب من الذنب كمن لا ذنب له ﴾ .

ثانيًا: أن يكون عمل أعمالًا صالحة، تمحو عنه ذلك الذنب.

ثالثًا: أن يكون غفر له بفضل سبقه، الذي هو سبقهم إلى الإسلام، وسابقتهم إليه، فيكونون أحق بأن تغفر لهم تلك الذنوب.

رابعًا: أنهم تغفر لهم بشفاعة النبي ﷺ فإنهم أولى الناس بشفاعته؛ لكونهم أهل صحبته، وأهل رفقته، والاجتماع معه.

فإذا كان هذا في الذنوب الحقيقية، أنها تغفر بالتوبة، أو بالأعمال الصالحة، أو بالسوابق -بسابق الإسلام- أو تغفر بالشفاعة، أو تغفر بالابتلاء والامتحان، والمصائب التي حصلت عليهم، وتغفر باستغفار السلف لهم، ودعائهم لهم -الأمة إلى الآن، وهي تترضى عنهم، وتترحم عليهم- إذا كان هذا في الذنوب الحقيقية، فكيف بتلك الأمور التي وقعت منهم، وليست ذنوبًا، ولكنها اجتهادات منهم -رضي الله عنهم- .

والاجتهاد معروض على النظر، فإن كانوا مصيبين فلهم أجران: أجر الاجتهاد، وأجر الإصابة. وإن كانوا مخطئين فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور، يغفر لهم خطؤهم؛ لأنهم لم يتعمدوه.

ثم نكف أيضًا عما شجر بينهم، وعما وقع بينهم من الخلاف، ولا نتأول القبيح عنهم، نكف عما حصل بينهم، وكذلك نكلهم فيما جرى بينهم على التأويل. نلتمس لهم الأعذار، ونعتذر عما حصل بينهم، لا شك أنه حصل بينهم شيء من الخلافات، ولكنها محمولة على الاجتهاد.

فمثلًا: الذين ثاروا على عثمان ليسوا من الصحابة، وإنما هم من جفاة الأعراب، الذين انتقدوه -في نظرهم- انتقادات خاطئة، فكان من آثارها أنهم ثاروا عليه، إلى أن قتلوه، والله يتولى جزاءهم. فيقال: أمرهم إلى الله تعالى.

رأيت في بعض نشرات الرافضة المعاصرين، أنهم يفتخرون بأن شيعتنا هم الذين ثاروا على عثمان حتى قتلوه. فجعلوا أولئك الأعراب الجفاة، هم شيعتهم، هكذا يدعون.

ثانيًا: لما قتل رضي الله عنه قتل في الموسم -موسم الحج- وكان كثير من الصحابة بمكة، ومنهم الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وأولاد الزبير وغيرهم. فلما سمعوا بخبر قتله قالوا: لا بد أن نذهب إليهم، حتى نقاتلهم، أولئك الجفاة من الأعراب، الذين في حدود العراق. فتوجهوا، وذهبوا معهم بعائشة -أم المؤمنين- توجهوا ومعهم جمع.

ولما سمع عليّ رضي الله عنه بذهابهم أهمه أمرهم؛ وذلك لأنه أحب أن تجتمع الكلمة، وأن يجتمع المسلمون، وأن يبايعوه جميعًا قبل أن يحصل هذا القتال. فلما بلغه أمرهم، لم يجد بدًا من أن يذهب في أثرهم ليردهم، ذهب من المدينة، وهم ذهبوا من مكة، متوجهين إلى العراق. ولما تقابلوا هناك، كان التف مع جيشه كثير من الثوار، الذين لهم سبب في قتل عثمان رضي الله عنه .

اجتمعوا وتفاوضوا، واتفقوا -في مساء ذلك اليوم- على أنهم سوف يقتلون قتلة عثمان. قتلة عثمان كانوا رؤساء قبائل، فلما سمعوا بذلك قالوا: لا بد في آخر الليل، أن نوقع القتال بيننا وبين جيش طلحة. دبروا هذه المكيدة في آخر الليل، أوقعوا القتال، ونشبت الحرب، واستمرت أيامًا، يوما أو يومين. وكانت عائشة في وسط المعركة، على جمل لها، وسميت تلك الوقعة " وقعة الجمل". وقتل فيها طلحة، وقتل فيها الزبير، وقتل فيها خلق كثير، وهي من الفتن.

بعد ذلك انصرفوا، حصل ما حصل. هؤلاء أيضًا معذورون، علي رضي الله عنه في هذا القتال، لم يكن متعمدا، ما أراد بذلك إلا جمع الكلمة، وردهم، حتى بايعوه وتجتمع الكلمة، وبعد ذلك يقومون على قتلة عثمان. الزبير وطلحة ومن معهم، ما دبروا هذا القتال، ولكن الذي دبره هم أولئك الثوار. إذًا فهم محمولون على أنهم مجتهدون، فنعذرهم بذلك، ونقول: القاتل منهم والمقتول مجتهدون، ولا نعيب أحدًا منهم، ونكل أمرهم إلى الله تعالى.

وبعدما استقر أمر عليٍّ في العراق، وبايعه أهلها واستتب له الأمن، بلغه خبر أهل الشام، الذين تحمسوا لقتل عثمان، وجاءوا بحدهم وحديدهم، يريدون أن يقاتلوا قتلة عثمان. فالتفوا في موضع يقال

له " صفين" ، وقالوا لعلي: سلم لنا قتلة عثمان. فقال: بايعوني، فإذا اجتمعت الكلمة، عند ذلك نتمكن -نحن وأنتم- من أولئك القتلة، ونقتلهم واحدًا واحدًا، مهما كانوا، فامتنعوا.

فوقعت المعركة بين الفريقين: أهل العراق، وأهل الشام. تلك المعركة أيضًا معركة عظيمة، حصل فيها من القتلى خلق كثير، نعذرهم أيضًا بذلك فنقول: معاوية ومن معه مجتهدون في طلبهم بالثأر، وعليّ ﷺ ومن معه مجتهدون في طلبهم الأمان، وفي طلبهم البيعة، والكل منهم أمرهم إلى الله، فنكف عما شجر بينهم.

ولا شك أن هذا من الفتن التي أخبر بها النبي ﷺ وبين أنها ستقع، وحث من أدركها على أن يبتعد عنها. وكان ممن اعتزل تلك الفتن سعد بن أبي وقاص ﷺ فإنه انعزل، وصار في البادية، وصار يستوحش من الناس، حتى أنه ينشد بيتا يقول فيه:

عوى الذئب, فاستأنست للذئب إذ عوى ... وصوت إنسان فكدت أطير

يعني: أني استأنس بالذئاب، واستوحش من الناس، مخافة أن يدخلوه في هذه الفتن. وجاء كثير منهم إلى عبد الله بن عمر، واستجاشوه وأثاروه معهم، وقالوا: نريد أن تقاتل معنا، الله تعالى يقول: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ ﴾ [1] فقال عبد الله ﷺ " قاتلناهم حتى لم تكن فتنة، وأنتم تقاتلون حتى تكون فتنة ".

فالحاصل: أن الذين اعتزلوا هم الذين حازوا الفضل، وبكل حال، نحمل ما وقع منهم على التأويل، ونكلهم إلى الله ﷻ والآن نقرأ الباقي .

١ - سورة البقرة آية : ١٩٣.

لزوم الجماعة ولزوم مذهب أهل الحديث

الفرقة الناجية

قال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي -رحمه الله تعالى- في بيان اعتقاد أهل السنة، أثناء كلامه على محاسنهم وفضائلهم:

"مع لزوم الجماعة، والتعفف في المأكل والمشرب والملبس، والسعي في عمل الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإعراض عن الجاهلين، حتى يعلموهم، ويبينوا لهم الحق، ثم الإنكار والعقوبة، من بعد البيان، وإقامة العذر بينهم وبينهم.

هذا أصل الدين والمذهب، واعتقاد أئمة أهل الحديث، الذين لم تَشِنْهُم بدعة، ولم تلبسهم فتنة، ولم يخفوا إلى مكروه في دين الله. فتمسكوا معتصمين بحبل الله جميعًا، ولا تفرقوا عنه. واعلموا أن الله تعالى أوجب محبته ومغفرته لمتبعي رسوله ﷺ في كتابه، وجعلهم الفرقة الناجية، والجماعة المتبعة، فقال ﷻ لمن ادعى أنه يحب الله ﷻ ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [1] نفعنا الله وإياكم بالعلم، وعصمنا بالتقوى من الزيغ والضلال، بمنه ورحمته.

انتهى ما قال رحمه الله .

في هذه الخاتمة وصايا. منها لزوم الجماعة، والمراد بالجماعة هنا: جماعة المسلمين. ويعبر بالجماعة عن أهل الحق، الذين هم على طريقة السلف، وعلى طريقة النبي ﷺ ولو كانوا قلة في بعض الأزمنة، ولو كثر أضدادهم، المخالفين لهم، فإنهم الجماعة، وهم أهل الحق، وهم أهل الصواب.

---

١ - سورة آل عمران آية : ٣١.

في أبيات لابن القيم، في النونية، لما ذكر إجماع أهل الحق يقول:

هذا وسادس عشرها إجماع أهــ

ل العلــم أعني حجة الأزمان

مــن كل صاحب سنة شهدت له

أهــل الحديث وعسكر القرآن

لا عــبرةً بمخالــف لهمُ ولــو

كانوا عديــد الشاء والبعران

لا عبرة بمن خالفهم، ولو كانوا أكثر من الشاء، وأكثر من الإبل. العبرة بمن كان متمسكًا بالحق، ومن كان على السنة، ومن كان على الطريقة المحمدية. هؤلاء هم أهل الجماعة، ولو قلوا في بعض الأزمنة؛ وذلك لأن قدوهم سلف الأمة، وصحابة النبي ﷺ .

ورد في تفسيره الفرقة الناجية قوله ﷺ ﴿ وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: الجماعة ﴾ في رواية أنهم الجماعة يعني: جماعة المسلمين وسوادهم. ورد أيضًا في تفسيرهم، في سنن الترمذي وغيره ﴿ هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ﴾ الذين يتمسكون بما كان عليه النبي ﷺ وما كان عليه الصحابة -رضي الله عنهم- .

لا شك أن هؤلاء هم أهل السنة، وهم أهل الجماعة، فهم الذين يلزم أن نتمسك بسيرتهم، وأن نسير على نهجهم. ولا شك أن منهم أئمة الحديث، فإنهم أولى بأن يكونوا هم الجماعة، وهم أهل السنة.

وذلك لأنهم اشتغلوا بسنة النبي ﷺ واشتغلوا بمتابعة أوامره ونواهيه، فكانوا أولى بأن يتمسكوا بهذه السنة، وبهذه الشريعة؛ لذلك أهل الحديث، الذين جعلوه شغلهم، لم يوجد فيهم مبتدع إلا ما ندر؛ وذلك لأن توغلهم في الحديث، وسماعهم له، يحملهم على أن يعملوا به، وعلى أن يتبعوه.

لذلك نقول: الزموا السنة، عليكم بسنة المسلمين، عليكم بجماعة المسلمين. فإذا قيل: إن عندنا مثلًا فرقا، وعندنا أحزابا، فأي الأحزاب أولى بأن يكونوا على الصواب ؟

الجواب: لا تنظروا إلى أولئك الأحزاب، انظروا إلى الأعمال -أعمال هؤلاء الأحزاب- فإذا كانت موافقة للسنة النبوية، وللشريعة الإسلامية، فاعملوا بها، وكونوا معهم. فإذا كان هذا الحزب معه حق وباطل، فخذوا الحق الذي معه، ودعوا الباطل.

معلوم أنه في هذه الأزمنة كثرت الأحزاب، حتى وصلت في بعض الدول إلى مائة حزب، أو عشرين حزبًا، أو أحزاب متعددة، كل حزب يتسمون باسم . فننظر من هم أهل الجماعة، من هم من أولئك الأحزاب، ونتبعهم ونؤيدهم، ونصوب رأيهم، ونأخذ من كل حزب ما معه من الحق، ونصوبه ونقول: أصبتم في هذا، وأخطأتم في هذا، هذا الخطأ عليكم أن تتركوه.

كذلك أيضًا، إذا رأينا أولئك الأحزاب، وعرفنا أن تلك الأهداف ما هي إلا الحق، وقصد الخير، ونصر الدين، حرصنا على أن نجمعهم، وأن نقرب بينهم، وأن نبين أنهم لا خلاف بينهم، ما دام كل منهم قصده الحق والصواب.

فإذا رأينا -مثلًا- حزبًا من الأحزاب يتسمى بأنهم أهل السنة، شجعناهم، ولكن نحثهم على أن يتمسكوا بالسنة. إذا رأينا حزبًا آخر يتسمى بأنهم أهل التوحيد، شجعناهم وقلنا: نعم ما تسميتم به، فتسموا بهذا، وحققوا الاسم، وحدوا الله تعالى وأطيعوه. وإذا رأينا حزبًا آخر يتسمى بأنهم أنصار الدين، قلنا: هذه تسمية جميلة طيبة، فانصروا الدين إذا سميتم ذلك.

وإذا رأينا حزبًا يتسمى بأنهم أهل الإصلاح، قلنا: نعم ما فعلتم، فاحرصوا على الإصلاح، ولكن حققوا دينكم، وأصلحوا بين إخوتكم. وإذا رأينا جماعة يتسمون مثلًا بأهل الدعوة، قلنا نعم ما فعلتم، فأنتم أهل دعوة، ولكن تكون دعوتكم إلى حقيقة الإسلام. وإذا رأينا مثلًا من يتسمى بأنهم أئمة السلف، أو أتباع السلف، قلنا نعم ما فعلتم من هذا، ولكن عليكم أن تحققوا ذلك الاتباع، وأن تكونوا من السلف حقًا، متبعين لهم. وهكذا بقية الفرق.

ثم -لا شك- أنه قد يحصل بين هذه الأحزاب شيء من التفرق، وشيء من الاختلاف، فنحثهم على أن يتقاربوا، وألا يكون بينهم شيء من الشنآن، ولا من البغضاء، ولا من الأحقاد، حتى يجتمعوا، وتكون كلمتهم واحدة، فإن ذلك أهيب لهم، وأقوى لمعنوياتهم، ويكونون مهيبين عند الأعداء، وعند المبتدعة.

المبتدعة إذا رأوا كلمة أهل السنة والجماعة واحدة، واتفاقهم ودعوتهم إلى شيء واحد، هابوهم، ولم يتجرءوا على أن يردوا عليهم، ولا على أن يضللوهم، ولا على أن يبدعوهم. إذن فنحن نقول: هنيئًا لكم أيها الجماعة، أنتم أهل السنة، وأنتم أهل الجماعة، فاجتمعوا حتى تكونوا إخوة، هدفكم واحد.

كلكم طلبتم الحديث والعلم، وكلكم على عقيدة أهل السنة، في الأسماء والصفات، وفي الأفعال، وفي أركان الإسلام، وفي أركان الإيمان، وفي أسماء الإيمان والدين، وفي الصحابة والتابعين وتابعيهم، وكذلك أيضًا متبعون للحق مع من كان. لا تقولون ببدعة من البدع، تتبرءون من المبتدعة: من جبرية، ومن قدرية، ومن مرجئة، ومن أشعرية، ومن معتزلة، ومن رافضة، ومن صوفية، ومن قبوريين، تتبرءون منهم جميعًا، وتحقدون عليهم .

إذًا فما الفرق بينكم؟ دعوا هذه الفروق اليسيرة، التي تدّعون أنها مخالفات، وتقاربوا فيما بينكم، واصطلحوا على أن تكون همتكم وأهدافكم واحدة، حتى لا يقع التفرق، الذي هو تحزب يؤدي إلى الاضطراب. الله تعالى يعيب الذين يتحزبون يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ

مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ ﴾ [1] ويقول تعالى: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [2] يعني: ذم لهم على هذه الأفعال. ﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ ﴾ [3] فالحاصل أن لزوم الجماعة، يستلزم التمسك بالسنة حقًا.

الوصية الثانية: التعفف في المأكل والمشرب. في الحقيقة، إن هذه الوصايا، إنها وصايا عظيمة، ولو أعطيناها حقها، لكانت كل وصية تعتبر درسًا؛ وذلك لأنه جمع فيها هذه الإرشادات العظيمة: التعفف في المأكل والمشرب والملبس، يريد به الاقتصار على الحلال، والبعد عن الحرام، وكذلك أيضًا البعد عن المشتبه.

معلوم أن التعفف معناه التورع؛ وذلك لأن الكسب ينقسم إلى ثلاثة أقسام: حلال صريح، وحرام صريح، ومشتبه. ذكر ذلك النبي ﷺ في حديث النعمان المشهور « الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس. فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام » لذلك أمرنا بالتعفف في المأكل والمشرب والملبس.

أي: أن نتورع، فلا نقدم على الشيء الذي نخشى أن يكون فيه شبهة، وأن يكون من الحرام، بل نبتعد عنه حتى نسلم على ديننا؛ وذلك لأن التغذي بالحرام يكسب البدن سوء تغذية. إذا تغذى بهذا الحرام، أو بهذا المشتبه، تغذى بدنه على شيء محرم، مما يكون سببًا في عدم قبوله للنصائح، وعدم انصياعه للأوامر والإرشادات، وماأشبه ذلك.

يقال: هذا لا تؤثر فيه الموعظة، هذا لا يقبل النصيحة، هذا لا يتأثر بالإرشادات ولا بالنصائح ونحوها، لماذا؟ السبب أن لحمه نبت على سحت، أنه تغذى بحرام؛ فأثر ذلك في قسوة قلبه، وفي صدوده

---

١ - سورة آل عمران آية : ١٠٥.

٢ - سورة الروم آية : ٣٢.

٣ - سورة الروم آية : ٣١-٣٢.

عن الخير. إذًا فالتعفف سبب للين القلب، وكذلك الاقتصار على الحلال سبب لرقته، وسبب لإقباله على الله، وسبب لتقبله للنصائح والعظات.

الوصية الثالثة: السعي في عمل الخير. الخير: كل شيء محبوب عند الله تعالى. ولا شك أيضًا أن النفوس المطمئنة، والنفوس الطيبة، تعرف الخير، وتعرف الشر بطبعها، وإن لم يكن عليه نص. ولكن هناك نفوس منتكسة، بسبب المعاصي، وبسبب الخلافات، انتكست تلك النفوس، فأصبحت ترى أن الشر خير والخير شر، ترى أن الطيب خبيث والخبيث طيب، أما النفوس المطمئنة، النفوس الطيبة، فإنها تعرف عمل الخير.

لا حاجة إلى التوسع في ذلك، فالخير: هو كل ما يحبه الله تعالى. فالإحسان إلى الناس من الخير، ونصيحتهم من الخير، ودلالتهم على الله تعالى، ودلالتهم وإرشادهم إلى ما ينفعهم، من الخير. وكذلك التوسعة عليهم، ونفعهم وإرشادهم، وإعانة الضعيف منهم، وتجهيز المنقطع، والصدقة عليهم، والتوسعة على الفقير والعاجز ونحوه، والشفاعة لمن يستشفع، أو يطلب شفاعة، وكذلك أيضًا كف الشر عنهم، والذب عنهم بدلالتهم على الشر وتحذيرهم منه، كل هذا داخل في السعي، السعي في عمل الخير.

وعبر بالسعي، السعي في الأصل: هو شدة المشي وقوة المسير. ﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [1] ولكن السعي ها هنا سعي عملي، بمعنى أن الإنسان يسعى في عمل الخير، فإذا سعى في جمع المال الطيب، سعى في تفرقته، والتوسعة به على المستحقين، وصرفه في وجوه البر والخير، وإذا سعى في إصلاح المسلمين، سعى في التأليف فيما بينهم، وإزالة ما عندهم وما بينهم من الشحناء والبغضاء، ونحو ذلك، كل ذلك سعي في عمل الخير.

الوصية الرابعة: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وهي أيضًا من واجبات الإسلام، والتوسع فيها لا مناسبة له.

---

١ – سورة الجمعة آية : ٩.

المعروف: هو ما أمر الله به ورسوله، والمنكر: ما نهى الله تعالى عنه ورسوله. وسمى هذا معروفًا؛ لأن النفوس الطيبة تعرفه وتألفه، وسمى هذا منكرًا؛ لأن النفوس الطيبة تنكره وتستقبحه، فكل شيء تستقبحه النفوس الطيبة فإنه من المنكر. فيقال مثلًا: المسكرات من المنكرات، والفواحش من المنكرات، كالزنا ومقدماته، ويقال: التبرج والاختلاط، الذي يؤدي إلى فساد، هذا من المنكرات.

ويقال أيضًا: السباب واللعن والقذف، والعيب والغيبة والنميمة، والتنقص والسخرية والاستهزاء بالمسلمين، وما أشبه ذلك، من المنكرات. كما يقال: إن أضدادها من المعروف، فالإحسان إلى الناس ومدحهم، وكذلك أيضًا إيصال الخير إليهم، والنصيحة لهم، ودعوتهم إلى الله، وترغيبهم في الصلوات، وفي المساجد، وفي عمارتها -مثلًا- كل ذلك من عمل الخير، ومن المعروف .

وكذلك ذكر الله تعالى، وتلاوة كتابه، ودعاؤه، وإخلاص الدين له، وتعلم العلم وتعليمه، والدلالة عليه ونشره، وما أشبه ذلك، كل ذلك من المعروف.

ثم الأمر يستدعي الإلزام، فإنك إذا أمرت فإنك تأمر بإلزام، أو تأمر بإرشاد، فتارة تقول: أيها الإخوة، أيها المسلمون، أدعوكم إلى كل معروف، أدعوكم إلى أن تكونوا متحابين، متوادين في ذات الله تعالى، أدعوكم إلى أن تكثروا من ذكر الله تعالى، وتلاوة كتابه، أنهاكم عن المنكرات، لا تشربوا دخانًا، لا تشربوا مسكرًا، لا تسهروا على لعب، لا تستمعوا غناء وباطلًا، وما أشبه ذلك، كل هذا من المنكر.

أما الخصلة الخامسة: الإعراض عن الجاهلين، حتى يعلموهم ويبينوا لهم الحق. قال الله تعالى ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [1] ما دام أنهم جاهلون، فأعرضوا عنهم، حتى يتبين لهم الحق، حتى يتبين لهم أنهم على الحق علموهم، فإذا علمتموهم بعد ذلك فألزموهم، بينوا لهم، ثم الإنكار والعقوبة بعد البيان، وإقامة العذر بينهم ومنهم.

الجهلة الذين يصدر منهم بعض الكلمات، التي تدل على قساوة، وتدل على جفاء، وعلى إعراض، أو نحو ذلك، فهذه الكلمات تدل على أنهم جهلة.

---

١ – سورة الأعراف آية : ١٩٩.

مشهور قصة ذلك الأعرابي -عيينة بن حصن- دخل على عمر ﷺ وكان في عهد النبي ﷺ من قادة العرب وأشرافهم، وكان يتألفهم، ويعطيهم من المال يتألفهم، فلما قوي الإسلام في عهد عمر، جعلهم كأفراد الناس.

فجاء ودخل على عمر ﷺ وهو خليفة المسلمين، فقال كلمة نابية بقوله: " هِيْ يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل، فعمر ﷺ أغضبته هذه الكلمة، وكان عنده الحر بن قيس، وهو ابن أخي عيينة، فقال: يا أمير المؤمنين إن الله قال لنبيه ﷺ ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾ [1] وإن هذا من الجاهلين" قال: فوالله، ما جاوزها عمر، وكان وقافًا عند كتابه تعالى.

بقيت الخاتمة، لعلنا نكملها في الليلة الآتية -إن شاء الله- ونختم الوقت بما تيسر من الأسئلة والأجوبة، والله أعلم.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

س: فهذا يقول: فضيلة الشيخ إذا احتج الرافضة على تقديم عليّ على عمر -رضي الله تعالى عنهما- بأن عليًا أسلم قبله، بل هو من السابقين إلى الإسلام. فكيف نرد عليهم؟

ج: لا + أن يكون أولى بالخلافة منه، الخلافة لها أهل يناسبونها، والإسلام له فضل، فعليّ ﷺ بسبقه حاز فضيلة السبق. ولكن معلوم أن الخلافة تستدعي حزمًا، وتستدعي قوة، وتستدعي أهلية، فإذا رأى أبو بكر ﷺ أن عمر أولى أن يكون هو الخليفة لذلك، فإنه رأي له وجهه.

ثم أيضًا نقول: لما أسلم عمر ﷺ كان إسلامه فتحًا. لما هداه الله تعالى، ودخل في الإسلام، انتصر المسلمون. "عليّ ﷺ أسلم وهو صبي، يعني: ابن ثمان سنين أو عشر سنين، وأما عمر فأسلم وهو رجل،

١ - سورة الأعراف آية : ١٩٩.

ولما أسلم كان الصحابة الذين أسلموا قبله نحو الأربعين، وكانوا مختفين في دار الأرقم، فقال عمر: علام نختفي؟ ألا نخرج؟ نحن أولى بأن نخرج، وبأن نظهر ديننا.

فخرجوا في صفين، في أحد الصفين حمزة، وفي الصف الثاني عمر. فاستاء المشركون لما رأوا قوتهم، ثم لما استُخلف ﷺ كانت خلافته نصرًا، فحزمه وقوته أدى إلى انتصار المسلمين، تجهيزه وتدبيره لهم في تلك المعارك.

ثم بعد إسلامه حاز فضلًا، فكان قرينًا للنبي ﷺ لا يفارقه في سفر ولا في حضر، حتى شهد له عليّ لما دفن هو وأبو بكر مع النبي ﷺ يقول عليّ ﷺ لقد ظننت أنهما سيدفنان إلى جانبه؛ لأني كثيرًا ما أسمع النبي ﷺ يقول: ﴿ جئت أنا وأبو بكر وعمر، وذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ﴾ دائمًا وهما زميلان له، وقرينان له. إذًا فهو له هذه المزية، وله هذه الأهلية التي جعلته وزيرًا خاصا بالنبي ﷺ .

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ يستدل الرافضة على كفر الصحابة -على حد زعمهم- بأدلة، منها قول النبي ﷺ ﴿ لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض ﴾ ؟

ج: هذا الحديث قاله ﷺ في حجة الوداع. ومعلوم أن هذا في حق المستحلين، ولو كان على ظاهره، لكان أول من قاتل عليّ، ومعناه: أن عليًا قد وقع في هذا الوعيد، فإنه أول من وقع منه هذا القتال في وقعة الجمل.

فنحن نحمل الذين تقاتلوا في وقعة الجمل -الذين مع عليٍّ من الصحابة، والذين مع الزبير وطلحة من الصحابة، ومن التابعين ومن غيرهم- نحملهم على أنهم متأولون، وأنهم لم يستحلوا ذلك. فالحديث محمول على الاستحلال.

وأيضًا فقد ثبت أنه ﷺ لما قال: ﴿ إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار. قالوا يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصًا على قتل صاحبه ﴾ فهذا يدل على أنه يقتله لأجل نفس القتل، لا لأجل أمر آخر. فبكل حال هذا عليهم لا لهم؛ لأن أول من بدأ بالقتال في هذه المعركة عليّ ومن معه.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ توجد في بلادنا كثير من الأحزاب، ومعلوم الخلاف بينهم، وما هم عليه من التفرق. فهل لا بد لي من الانضمام إلى أحد تلك الأحزاب؟ أو أن أعتزلها جميعًا، وأحاول أن أنهج منهج النبي ﷺ والصحابة ؟

ج: حاول -أنت ومن معك- على أن تزيلوا ما بينهم من الخلاف، وتنظروا في مناهجهم وأعمالهم، فالحزب الذي مثلًا: يزين التوسل بالقبور، والصلاة في المقابر، ونحو ذلك، هذا اجتنبوه. الحزب الذي يدعو مثلا إلى التوراة، وإلى الخروج على المسلمين وتكفيرهم، كما تفعل الخوارج، اجتنبوه أيضا. الحزب الذي يكون من عقيدته ما يعتقده المبتدعة، كإنكار صفات الله تعالى، وصفات الكمال، ووصفه بصفات النقائص ونحوها، اجتنبوه.

الحزب الذي ينكر شيئًا من تعاليم الإسلام، إما -مثلًا- ينكر الاجتماع على الحق، ينكر الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أو يقول بخلق القرآن، أو ينكر صفة الكلام لله، اجتنبوه إذا لم يرجع. وهكذا بقية بقية الأحزاب الذين عندهم منكر.

فإن كانوا كلهم موحدين، وكلهم يعتقدون إثبات صفات الكمال لله، وكلهم مؤمنين باليوم الآخر، وبما يكون فيه، وكلهم ينكرون عبادة الأموات، ودعائهم من دون الله، وكلهم ينكرون على من يقول بخلق القرآن، أو يقول مثلًا بأن الإيمان مجرد التصديق، أو ما أشبه ذلك، فما بقى بينهم إلا الاختلاف في التسمية، فاحرصوا على أن تجمعوا بينهم، حتى يصيروا جماعة واحدة، ويزول ما بينهم من الخلاف، وأما إذا رأيت أنهم متمسكون بمذاهب باطلة، فالزم الحق، واعمل به، ولو كنت وحدك.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ هل تنصحنا -حفظك الله- بمناطحة الرافضة، ومجادلتهم، أو تركهم وعدم الالتفات إليهم؟ وجزاكم الله خيرًا .

ج: أما كبارهم والمسنون منهم، فالعادة أنهم متمسكون بمذهبهم، ويصعب ردهم، وأما شبابهم، الذين درسوا في المدارس الحكومية، واختلطوا بالمدرسين، واختلطوا بزملاء من أهل السنة، فهؤلاء يمكن

أن يتقبلوا. فلا بأس بعرض الحق عليهم وبيانه، فإن قبلوا وإلا قامت عليهم الحجة. ولو أظهروا القبول ظاهرًا، نكل أمرهم إلى الله، وإن كنا نعتقد أنهم ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [1] .

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ كثر في هذه الأيام ظاهرة بين بعض الشباب الملتزم، وهي ظاهرة تقصير اللحية، وإذا أنكر عليه أحد قال: إن هذا وارد عن ابن عمر -رضي الله تعالى عنهما- حيث إنه يقص ما زاد على القبضة، وابن عمر معروف عنه شدة حرصه على الالتزام بالسنة وفعلها. وجهونا جزاكم الله خيرًا .

ج: قد قال بذلك كثير من العلماء، وقالوا: يجوز أخذ ما زاد على القبضة، ولكن الصحيح أنه لا يجوز، وابن عمر ما فعل ذلك إلا عند التحلل، عندما يتحلل من عمرته يقبض على لحيته، ويأخذ ما زاد على القبضة، وهو متأول قوله تعالى ﴿ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ [2] فرأى أن هذا من التقصير، الذي أمر الله به، أو ندب إليه. ولكن هذا الفعل اجتهاد منه، فنقول:

أولًا: لم يكن ابن عمر يفعله دائمًا، وإنما يفعله إذا تحلل من عمرة أو من حج.

ونقول ثانيًا: ابن عمر متأول للآية، وقد تبين أن الرأس خاص بما يستر بالعمامة، وأن اللحية والعارضين من الوجه، فلا يدخلان في الرأس، ولو تأول من تأول.

ونقول ثالثًا: العمل بالرواية لا بالرأي، فابن عمر روى الحديث، روى حديث ﴿ أعفوا اللحى ﴾ فالعمل بروايته، أولى من العمل برأيه، ورأيه محض اجتهاد. وبكل حال هذا هو القول الصواب، الذي تؤيده الأدلة.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ -بعد قوله إني أحبكم في الله- يقول: إن أبي مريض منذ سنوات، وهو يطالبني أن أذهب به إلى الكهنة والعرافين، أو أن أعطيه مبلغًا من المال؛ ليذهب إليهم. وأنا أنهاه، و لم أوافقه. فبماذا تنصحوني، جزاكم الله خيرًا ؟

---

١ - سورة آل عمران آية : ١٦٧.

٢ - سورة الفتح آية : ٢٧.

ج: ننصحك بأن تقنعه بأن هذا لا يجوز، قد ورد فيه الوعيد الشديد ﴿ من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﴾ وعيد شديد. ثم احرص على أن تعالجه بالعلاج النافع، عند الأطباء المعتبرين، أو عند القراء المخلصين، الذين يستعملون القراءة النافعة بكتاب الله تعالى، أو بالأدعية النافعة. فإما أن تستعمل الأدوية المباحة عند أهل العلاج ، وإما أن تستعمل القراءة المفيدة عند من يعملها، وأما الكهنة ونحوهم، فإياك وإياهم .

س: وهذه يقول: فضيلة الشيخ بعض الأموات يبقى في ثلاجة الأموات مدة سنة، أو أقل أو أكثر للتحقيق، أو غير ذلك. فهل يحاسب وهو على وجه الأرض؟ وإذا حوسب فكيف يعذب؟ وهل يجوز هذا الفعل؟

ج: لا شك أنه بعد موته -ولو لم يدفن، ولو بقي في ثلاجة أو نحوها- أنه يجري عليه حساب الله؛ وذلك لأن الحساب في البرزخ يجري على الأرواح، ولو كان الجسد قد فني، ولو كان الجسد مثلجًا، أو محفوظًا أو نحو ذلك.

الحكم يبقى على أن الروح هي التي تتألم أو تتعذب، وأما الجسد، فإن الجسد -وإن كان قد تلبس، أو قد صار فيه هذا الأمر، الذي هو كونه مثلجا أو نحو ذلك- لا يتأثر ظاهرًا، ولو تأثر باطنًا خفيًا، فالله أعلم بكيفية ذلك.

نفعنا الله بعلمكم، وأثابكم. وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ ، يستدل الرافضة على كفر الصحابة -على حد زعمهم- بأدلة منها قول النبي ﷺ ﴿ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ﴾ ؟

ج: هذا الحديث قاله ﷺ في حجة الوداع ، ومعلوم أن هذا في حق المستحلين ، ولو كان على ظاهره لكان أول من قاتل عليّ ، ومعناه أن عليا قد وقع في هذا الوعيد ، فإنه أول من وقع منه هذا القتال في وقعة الجمل ، فنحن نحمل الذين تقاتلوا في وقعة الجمل مع علي ... الذين مع علي من الصحابة ، والذين مع الزبير وطلحة من الصحابة ومن التابعين ومن غيرهم نحملهم على أنهم متأولون ، وأنهم لم يستحلوا ذلك .

فالحديث محمول على الاستحلال ، وأيضا فقد ثبت أنه ﷺ لما قال: ﴿ إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار ، قالوا: يا رسول الله ، هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال: إنه كان حريصا على قتل صاحبه ﴾ فهذا يدل على أنه يقتله لأجل نفس القتل ، لا لأجل أمر آخر ، .

فبكل حال هذا عليهم لا لهم ؛ لأن أول من بدأ بالقتال في هذه المعركة عليّ ومن معه .

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، توجد في بلادنا كثير من الأحزاب، ومعلوم الخلاف بينهم وما هم عليه من التفرق ، فهل لا بد لي من الانضمام إلى أحد تلك الأحزاب ، أو أن أعتزلها جميعا وأحاول أن أنهج منهج النبي ﷺ والصحابة ؟

ج: حاول أنت ومن معك على أن تزيلوا مما بينهم من الخلاف، وتنظروا في مناهجهم وأعمالهم ، فالحزب الذي مثلا يزيّن التوسل بالقبور والصلاة في المقابر ونحو ذلك هذا اجتنبوه .

الحزب الذي يدعو مثلا إلى الثورات وإلى الخروج على المسلمين وتكفيرهم كما تفعل الخوارج اجتنبوه أيضا .

الحزب الذي يكون من عقيدته ما يعتقده المبتدعة كإنكار صفات الله تعالى ، صفات الكمال ، ووصفه بصفات النقائص ونحوها فاجتنبوه . الحزب الذي ينكر شيئا من تعاليم الإسلام ، إما مثلا ينكر الاجتماع على الحق ، ينكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أو يقول بخلق القرآن ، أو ينكر صفة الكلام لله فاجتنبوه إذا لم يرجع .

وهكذا بقية الأحزاب الذين عندهم منكر، فإن كانوا كلهم موحدين، وكلهم يعتقدون إثبات صفات الكمال لله ، وكلهم يؤمنون باليوم الآخر وبما يكون فيه ، وكلهم ينكرون عبادة الأموات ودعاءهم من دون الله ، وكلهم ينكرون على من يقول بخَلْق القرآن أو يقولون مثلا: بأن الإيمان مجرد تصديق أو ما أشبه ذلك ، فما بقي منهم إلا الاختلاف في التسمية ، فاحرصوا على أن تجمعوا بينهم حتى يصيروا جماعة واحدة ويزول ما بينهم من الخلاف .

وأما إذا رأيت أنهم متمسكون بمذاهب باطلة فالزم الحق واعمل به ولو كنت وحدك .

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، هل تنصحنا –حفظك الله– بمناصحة الرافضة ومجادلتهم أو تركهم وعدم الالتفات إليهم ، وجزاكم الله خيرا ؟ .

ج: أما كبارهم والمسنون منهم فالعادة أنهم متمسكون بمذهبهم ويصعب ردهم ، وأما شبابهم الذين درسوا في المدارس الحكومية واختلطوا بالمدرسين ، واختلطوا بزملاء من أهل السنّة فهؤلاء يمكن أن يتقبلوا ، فلا بأس بعرض الحق عليهم وبيانه ، فإن قبلوا ... وإلا قامت عليهم الحجة ، ولو أظهروا القبول ظاهرا وكل أمرهم إلى الله ، وإن كنا نعتقد أنهم ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [1] .

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، كثر في هذه الأيام ظاهرة بين بعض الشباب الملتزم وهي ظاهرة تقصير اللحية ، وإذا أنكر عليهم أحد قال: إن هذا وارد عن ابن عمر –رضي الله تعالى عنهما– حيث إنه يقص ما زاد عن القبضة ، وابن عمر معروف عنه شدة حرصه على الالتزام بالسنة وفعلها ، وجهونا جزاكم الله خيرا ؟ .

ج: لقد قال بذلك كثير من العلماء ، وقالوا: يجوز أخذ ما زاد على القبضة ، ولكن الصحيح أنه لا يجوز ، وابن عمر ما فعل ذلك إلا عند التحلل ، عندما يتحلل من عمرته يقبض على لحيته ويأخذ ما زاد على القبضة ، وهو متأول قوله تعالى: ﴿ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ [2] .

فرأى أن هذا من التقصير الذي أمر الله به أو ندب إليه ، ولكن هذا الفعل اجتهاد منه .

نقول: أولا: لم يكن ابن عمر يفعله دائما ، وإنما يفعله إذا تحلل من عمرة أو من حج .

ونقول: ثانيا: ابن عمر متأول للآية ، وقد تبين أن الرأس خاص بما يستر بالعمامة ، وأن اللحية والعارضين من الوجه ، فلا يدخل في الرأس ، ولو تأول من تأول .

ونقول ثالثا: العمل بالرواية لا بالرأي ، فابن عمر روى حديث: ﴿ اعفوا اللحى ﴾ .

---

١ – سورة آل عمران آية : ١٦٧.

٢ – سورة الفتح آية : ٢٧.

فالعمل بروايته أولى من العمل برأيه ، ورأيه محض اجتهاد ، وبكل حال هذا هو القول الصواب الذي تؤيده الأدلة .

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ ، بعد قوله: إني أحبكم في الله ، يقول: إن أبي مريض منذ سنوات ، وهو يطلب مني أن أذهب به إلى الكهنة والعرافين ، أو أن أعطيه مبالغا من المال ليذهب إليهم، وأنا أنهاه و لم أوافقه ، فبماذا تنصحوني ، جزاكم الله خيرا ؟ .

ج: ننصحك بأن تقنعه بأن هذا لا يجوز ، وقد ورد فيه الوعيد الشديد ﴿ من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﴾ وعيد شديد .

ثم احرص على أن تعالجه بالعلاج النافع عند الأطباء المعتبرين ، أو عند القراء المخلصين الذين يستعملون القراءة النافعة بكتاب الله تعالى ، أو بالأدعية النافعة ، فإما أن يستعمل الأدوية المباحة عند أهل العلاج ، وإما أن يستعمل القراءة المفيدة عند من يعلمها، وأما الكهنة ونحوهم ، فإياك وإياهم .

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، بعض الأموات يبقى في ثلاجة الموتى مدة سنة أو أكثر للتحقيق أو نحو ذلك ، فهل يحاسب وهو على وجه الأرض ، وإذا حوسب فكيف يعذب ؟ وهل يجوز هذا الفعل ؟ .

ج: لا شك أنه بعد موته -ولو لم يدفن ، ولو بقي في ثلاجة أو نحوها- أنه يجري عليه حساب الله ؛ وذلك لأن الحساب في البرزخ يجري على الأرواح ، ولو كان الجسد قد فني ، ولو كان الجسد مثلجا أو محفوظا أو نحو ذلك ، الحكم يبقى على أن الروح هي التي تتألم أو تتعذب .

وأما الجسد: فإن الجسد وإن كان قد تلبس أو قد صار فيه هذا الأمر الذي هو كونه مثلجا أو نحو ذلك لا يتأثر ظاهرا ، ولو تأثر باطنا خفيا فالله أعلم بذلك .

نفعنا الله بعلمكم وأثابكم . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

س:

ج: أين التقريب ؟! نحن نتمسك بالقرآن وأنتم تطعنون في القرآن ، وتدعون أن فيه تحريفا ، وأن الصحابة خانوه وحذفوا منه أكثر من ثلثيه مما يتعلق بولاية أهل البيت وبفضائل أهل البيت، حذفوا فيه أكثر من عشرة آلاف آية –على حد زعمهم.

وينقلون أن جعفرا الصادق –كذبوا عليه عشرات الآلاف من الكذب– بأنه كان يقول: عندنا مصحف فاطمة مثل مصحفكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه آية من مصحفكم هذا ، عندنا مصحف فاطمة ...أين هذا المصحف الذي يقولونه ؟! فعرف بذلك أنهم أعداء ألداء فلا يعتبر تقريبهم الذي يعدونه .

س: وهذا يقول: ما رأيكم –أدام الله فضلكم– في من يقول: إن الرافضة أكثر وأبلغ شرا وبغضا من اليهود والنصارى؟ .

ج: يمكن أن يكون هذا صحيحا ، قد قال هذا المتقدمون ، فابن القيم يقول في النونية:

إن الروافض شر من وطِئ الحصى   من كل إنسٍ ناطق أو جان

ويدل على ذلك أفعالهم ، وقد طبع كتاب يوجد مطبوعا في المكتبات، وفيه المقاربة بين اليهود والرافضة ، أن الرافضة قالوا: كذا... واليهود سبقوهم ، وأن الرافضة قالوا: كذا ... واليهود سبقوهم ، وأن الرافضة واليهود اجتمعوا على مقالة كذا وكذا .

ثم بتتبع التاريخ يُعلم أن كل نكبة حصلت على الإسلام والمسلمين فسببها الرافضة ، فمن ذلك: القضاء على الخلافة في العراق ، وقتل الخليفة المستعصم الخليفة العباسي ، سببها أن الرافضة تمكنوا وكثروا في العراق وبالأخص في بغداد ، وكان وزير الخليفة يقال له: ابن العلقمي ، رافضي خبيث ، كان يحب أن تنتقل الخلافة من آل العباس إلى آل عليّ ، فهو الذي مكن لهولاكو رئيس التتار إلى أن استخدع الخليفة وخرج إليهم ، فلما خرج إليهم الخليفة قبضوا عليه وجعلوه في كيس وداسوه بالأرجل

إلى أن مات ، ثم بعد ذلك دخلوا بغداد ، وماذا حصل ؟ قتل فيها مئات الألوف أو ألوف الألوف، وسفكت فيها الدماء إلى أن كادوا أن لا يبقوا على أحد ، هذه المصيبة كلها بواسطة هذا الخبيث الذي هو ابن العلقمي، وغيره ، وغيره .

السلام عليكم ورحمة الله . ﷺ .

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه .

فى هذه الأمسية المباركة -إن شاء الله- نأتى على ختام هذه الرسالة... ، كان آخر ما قرأنا في الوصايا التي ختم بها: الأمر بالإعراض عن الجاهلين ، وقلنا: إن المراد بالإعراض عنهم: عدم عتابهم ، وعدم الأخذ عليهم ما داموا جاهلين .

ولكن لا بد أن نعلمهم حتى يزول الجهل ، لا نتركهم على جهلهم ، ولا نعرض عنهم دائما ، بل نبدأ بتعليمهم ونوجههم بالتعليم ، ولكن إذا أصروا وعاندوا ولم يقبلوا فإن الإعراض عنهم أولى حتى يشعروا من أنفسهم بالنقص ، قال الله تعالى في صفة أوليائه: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [1] هكذا حكى الله عن بعض أوليائه، اللغو الذي يسمعونه: هو الكلام الباطل أو الكلام السيئ الذي لا أهمية له ، من رفع أصوات ، ولفظ ، ونحو ذلك .

فأولياء الله الصالحون إذا سمعوا هؤلاء اللاغين أعرضوا عنهم ، ثم نصحوهم وقالوا: ﴿ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ﴾ [2] أي: نحن بريئون منكم ومن أعمالكم الذي منها هذا اللغو ﴿ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [3] .

---

١ – سورة القصص آية : ٥٥.

٢ – سورة القصص آية : ٥٥.

٣ – سورة القصص آية : ٥٥.

وهذا دليل على أن أولئك الذين يخوضون في اللغو جاهلون ، وكذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ ثم أمر المؤمنين بالإعراض عن مجالس اللهو ، ومجالس الباطل ، ومجالس الاستهزاء والسخرية وما أشبهها ، فأنزل عليه ﷺ ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ ﴾ [1] .

يعنى: إذا لم تستطع أن تردهم وترشدهم وتهديهم إلى الصراط السوي وتدلهم عليه وتصرف عن هذا الخوض في آيات الله واستهزائهم بها فاجتنبهم ، ولا تجلس معهم ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ ﴾ [2] .

ثم كانت هذه الآية الذي نزلت بمكة خطابا للنبي ﷺ وكان الخطاب -بلا شك- يعم جميع المؤمنين ، فكأن المؤمنين لم يعملوا بها أو بعضهم ، فعاتبهم الله في سورة مدنية فقال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ [3] فعاقبهم أشد من العقاب الأول بقوله: ﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ ﴾ [4] .

يعني: إذا جلستم معهم وهم يخوضون في آيات الله فإنكم تكونون شركاء لهم في هذا الإثم ، فهذه الآية عامة ، فإذا جلست مع أناس في مجلس ورأيتهم يستهزئون ويسخرون بالمتطوعين وبالملتزمين وبأهل الدين ، أو يسخرون ببعض شعائر الإسلام ويلوكون بها ألسنتهم، ويتنقصون بعض الشعائر وبعض أهل الخير ، ويعيبونهم بكذا وكذا:

يعيبون أهل الدين من جهلهم بهم كما عابت الكفار من جاء من

١ – سورة الأنعام آية : ٦٨.

٢ – سورة النساء آية : ١٤٠.

٣ – سورة النساء آية : ١٤٠.

٤ – سورة النساء آية : ١٤٠.

يقولــون: رجــعيون لمـــا تمـــسكوا مـــــــــــــــــــــــــــــضر

بنـــص مـــن الوحـــيين جـــاء بـــه أثـــــــــــــــــــــــــــــر

فهؤلاء إن قدرت على أنك ترد عليهم ، وتبطل ما يقولونه، وتقنعهم أهم على شر وأن عملهم عمل سيئ ، فإنك تفعل ، أما إذا لم تقدر على ذلك فقم عنهم وقل: إني برئ منكم ﴿ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (١) .

فقم عنهم واترك مجالسهم حتى تسلم من الإثم ، حتى لا تعمك هذه الآية: ﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ (٢) .

فالحاصل أن الله تعالى أمر بالإعراض عن الجاهلين حتى يعلموهم، أعرضوا عنهم حتى يتعلموا وحتى يتبين لهم الحق ، فإذا أثروا على جهلهم وعنادهم فيجب الإنكار عليهم ، والعقوبة بعد البيان ، يجب أن يعاقبوا ؛ وذلك أهم بعد البيان إذا أصروا على التجاهل فهؤلاء ليسوا جهلة ولكنهم مارقين .

الجهل قسموه إلى أربعة أقسام ، أو الناس من حيث العموم أربعة أقسام:

عالم ويدري أنه عالم ، ذكروا ذلك عن الخليل بن أحمد أنه كان مرة يقطع أبياتا من الشعر فاستهجنه ابنه ، فقال لتلامذته: إن أبي أصابه هوس أو جنون فدخلوا عليه فذكروا ذلك له ، فقال الناس أربعة: عالم ويدري أنه عالم ، فهذا كامل فسودوه .

والثاني: عالم لا يدري أنه عالم فهذا عاقل فنبهوه .

---

١ – سورة يونس آية : ٤١.

٢ – سورة النساء آية : ١٤٠.

والثالث: جاهل ويدري أنه جاهل فهذا مسترشد أرشدوه .

والرابع: جاهل ولا يدري أنه جاهل فهذا مائق فاتركوه .

وهو شرهم ، ويسمى الجاهل المركب ، الذي يكون جاهلا ويدعي أنه عالم .

يقول بعضهم في وصفه:

لما جهلتَ جهلتَ أنك جاهل   جهل, وجهل الجهل داء معضل

ويقول الآخر:

ومن أعجب الأشياء أنك لا تدري   وأنك لا تدري بأنك لا تدري

تعتقد أنك عالم وأنت في الحقيقة جاهل ، وإنك بين الجاهلين تقلب، فالحاصل: أن نعرض عن الجاهلين حتى يتعلموا ، وحتى يبين لهم الحق ، فإذا تعلموا وبين لهم الحق ، ففي ذلك الوقت لا نتركهم بل ننكر عليهم ونعاقبهم ونقيم العذر بينهم ، ونأخذ الحق منهم .

أما ما داموا جاهلين فإننا نرشدهم ونعلمهم .

خاتمة الرسالة يقول المؤلف فيها: " هذا أصل الدين والمذهب " .

يعني: جميع ما تقدم في هذه الرسالة جعله أصلا ، وأنت تعرف أن الأصل هو الأساس ؛ لأنه هو الذي يبنى عليه غيره ، والأصل ما بني عليه غيره ، كأساس هذا الحائط ، وأساس هذا العمود ، فإنه إذا

تأصل وثُبّت تحمّل لما يبنى عليه ، وأما إذا كان على شفا جرف هار فإنه يسقط ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾ [1] .

الجرف: هو ما يحفره السيل ، فإذا كان الإنسان مثلا بنى جداره قريبا من مجرى السيل وجعله على وجه الأرض ، يجيء السيل فيحفر حتى يحفر عن الجدار ، ويحمل التراب الذي تحته لا يبقى الجدار متعلقا يسقط هذا معنى: ﴿ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ [2] وهو مثال .

فيقول: إن هذه القواعد وهذه العقائد هي أصل الدين ، يعني أساسه، ولا شك أن الأصل له فروع ، فإذا ثبت الأصل واستقر فإن الفروع التي بعده تكون تابعة له ، تكون مكملة له ، ولا شك أن من حافظ على الأصول وحرص على الفروع ... .

فمن عرف الله تعالى حق المعرفة وآمن بقدرته ، وآمن بعلمه ، وآمن بسمعه وبصره وآمن بعذابه وثوابه ، وآمن بمنعه وعطائه، وكذلك تحقق بأنه قادر على أن يبطش بالعاصي وأن يترل به عقوبة، وكذلك أيضا تحقيق بأنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير وآمن بالبعث بعد الموت ، وبما يكون فيه ، ماذا تكون حاله هذا المؤمن ؟ لا شك أنه يبعث خوارجه إلى الطاعات .

هذا معنى كونه على أصل وعلى أساس ، تنبعث جوارحه ، يبادر إلى الصلوات ، ويكثر من نوافل العبادات ، ويكثر من ذكر الله تعالى في كل الحالات ، ويؤدي الصدقات والزكوات وما أشبهها ، ويكثر من صيام التطوعات وما أشبهها ، ويحج ويعتمر ، ويذكر الله ويدعوه ، ويتصدق ويدعو إلى الله تعالى ، ويتعلم ما ينفعه ويتدبر كتاب الله ، لماذا ؟ ؛ لأن هذا الإيمان والأصل الذي امتلأ به قلبه دفعه إلى هذه الأعمال كلها .

---

١ – سورة التوبة آية : ١٠٩.

٢ – سورة التوبة آية : ١٠٩.

وكذلك أيضا لا بد أنه يبتعد عن الآثام وأنواع الإجرام ، إذا علم وتحقق أن ربه شديد العقاب ، وأنه سريع الحساب ، وأنه عزيز ذو انتقام ، وأنه يغضب على من عصاه ، وينتقم منه ، حرص على أن يبتعد عن المعاصي .

إذن فالأصل الأصيل هو العقيدة ، إذا ثبتت هذه العقيدة فالفروع التي تتنوع عنها تابعة لها مستلزمة لها .

وأما المراد بالمذهب: فالمراد به ما قال به إمام مجتهد ، ومات وهو عليه يسمى مذهبا له ، ولكن معروف أن أئمة أهل السنة كلهم متفقون على العقيدة ، ليس بينهم اختلاف في العقيدة ، فمذهبهم في العقيدة واحدة ، وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم .

" اعتقاد أئمة أهل الحديث " .

يعني: هذا الأصل وهذا المذهب هو معتقد أئمة الحديث ، وخص أهل الحديث ؛ لأنهم أولى بالاتباع ، اشتغالهم بالحديث وتكرارهم له وحفظهم وكتابته وانتساخه وسفرهم في طلبه، وحرصهم على جمعه وتبويبه وترتيبه وتنسيقه ، وكذلك شروحه وشروح غريبه ، وصحيحه من سقيمه ونحو ذلك . هذا الاجتهاد الذي بذلوه في الحديث مكنهم من أن يعتقدوا الاعتقاد الصحيح ، فغيرهم ليس مثلهم .

إذا نظرنا في هؤلاء المبتدعة الذين خالفوا في هذه العقيدة وجدنا سبب ذلك عدم اشتغالهم بالحديث ، وإذا اشتغلوا به فإنما هو اشتغال مبدئي، مجرد نظر ومجرد سماع دون أن يكون ذلك شغلهم الشاغل .

فأئمة الحديث كالبخاري ومسلم والإمام أحمد وأبي داود والترمزي والنسائي وابن ماجه والدارمي والإمام مالك ، ومن قبلهم كشعبة بن الحجاج وسفيان الثوري وسفيان ابن عيينة والليث بن سعد وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وعبد الرزاق بن همام ومحمد بن رافع وأشباههم.

هؤلاء جعلوا الحديث شغلهم الشاغل ، وصاروا يشتغلون به ليلهم ونهارهم ، لا يفترون ولا يملون ، يسافرون لأجل أن يتلقوا الأحاديث ، ويحرصون على أن يأخذوها عن كبار الأسنان ، ويكتبونها ويجمعونها ، يألفونها إذن صارت شغلهم .

فتقولون: إنهم بذلك أهل أن يكونوا أهل السنة ، وأن يكونوا هم الفرقة الناجية ، وأن يكونوا على الطريقة المستقيمة ، وأن يكونوا على مثل ما عليه السلف والأئمة ، والصحابة والتابعون.

" لم تشنهم بدعة ، ولم تلبسهم فتنة " . لماذا ؟

البدع غالبا ليست في أهل الحديث ، إذا نظرنا في أولئك المبتدعة وجدناهم بعيدون عن الحديث ، فمثلا بدعة التكفير التي هي بدعة الخوارج الذين يكفرون... ، هؤلاء لا يعترفون بالأحاديث ، إنما يعكفون على القرآن ، ومعلوم أن القرآن فيه مجملات ، وهذه المجملات تحتاج إلى البيان من النبي ﷺ ؛ لأن الله كلفه بذلك بقوله: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [1] .

فلما اقتصروا على القرآن وأخذوا بمجمله ، وأخذوا بروافضه كفروا بالذنوب ، واستباحوا الخروج على المسلمين ، وقتلوا الأبرياء ، لو كانوا من أهل الحديث لسمعوا حرمة قتل المسلم ، والتبديع في ذلك: ﴿ لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث ﴾ ﴿ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ﴾ ﴿ إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار ﴾ ﴿ إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ﴾ ما سمعوا بهذه ، وإذا سمعوا بها فإنهم لم يقبلوها .

كذلك أيضا بدعة القدرية الذين أنكروا علم الله تعالى ، ما سمعوا بالأحاديث التي فيها علم الله السابق، مثل حديث: ﴿ أول ما خلق الله القلم ﴾ وما أشبهه من الأحاديث ، لم يؤموا بذلك: ﴿ ما منكم من أحد من نفس منفوسةٍ إلا قد علم مقعده من الجنة والنار ﴾ .

وكذلك الإيمان بقدرة الله تعالى ، ما قبلوا ذلك ، ولم يشتغلوا به، وكذلك أيضا بدعة المعتزلة الذين أنكروا صفات الله تعالى وسموا ذلك توحيدا ، لو أنهم تأملوا في الأحاديث كأحاديث النزول ، وأحاديث الرؤية ، وأحاديث صفات الأفعال ، وأحاديث صفات العلو ، وأحاديث ذكر أن الله تعالى في السماء وما أشبه ذلك ، لو كانوا يشتغلون بالأحاديث لتقبلوها ، كذلك أيضا يقال في الرافضة: إنهم لم يشتغلوا

---

١ - سورة النحل آية : ٤٤.

بالأحاديث ، تسلطوا على الآيات التي فيها فضل الصحابة، وانشغلوا بها عن الأحاديث ، وأعرضوا عن السنة .

وإلا فلو تأملوا الأحاديث التي في فضل الشيخين أبي بكر وعمر ، وكذلك في فضل عثمان وعلي وطلحة والزبير وما أشبههم ، لو تأملوا فيها لما صدوا عنها ، ولعرفوا أنها حق يقين ، أنها تدل على فضلهم ومزيتهم ، ولكن لما لم يشتغلوا بها بقوا على جهلهم، واعتقدوا ما اعتقدوه .

ولو أن متأخيرهم اشتغلوا بها...! ولكن بعد ما وقرت تلك البدعة في قلوبهم ...، ويقال كذلك في بقية البدع: إن من شانته البدعة ومن لبسته الفتنة فإنه ليس من أهل السنة ، وليس من المتمسكين بما كانوا عليه.

البدعة لا شك أنها تشين أهلها والفتنة التي تلبسهم وتعمهم لا شك أنها أيضا تحرفهم وتصرفهم وتصدهم عن الهدى .

يقول: " ولم يَخُفّوا إلى مكروه في دين " .

يعني: ما فعلوا المكروه يقال: خفّ فلان إلى الذنب مثلا ، خف فلان إلى الغيبة ، وخف فلان إلى النميمة ، يعني: أسرع إليها كما يقال: خف إلى سماع الغناء ، وخف إلى سماع اللغو والباطل ، وخف إلى فعل الفواحش ، وخف إلى النظر في المنكرات .

فهؤلاء الذين وصفهم ما خفوا إلى المكروهات ، بل حجزوا أنفسهم، ولو كانت تلك المكروهات فيها شيء من الدوافع النفسية ، ولو كانت تشتهيها الأنفس وتتلذذ بها الأعين .

معلوم أن الله تعالى حف النار بالشهوات ، يقول في الحديث: ﴿ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ﴾ .

فالذي يندفع من شهوته تدعوه تلك الشهوة إلى أن يكون من أهل النار ، الذي يندفع مع شهوته مثلا الزنا المحرم ، شهوته الغناء الذي يلتذ به ، شهوته النظر إلى الأفلام والصور الفاتنة ، شهوته النظر إلى النساء المتبرجات ، شهوته الكبر ، شهوته الإعجاب ، شهوته البطش ، شهوته الغطش، شهوته أكل الأموال بغير حق ، شهوته السلب والنهب والقتل والاستطالة على الناس ، وما أشبه ذلك .

إذا عرف أن هذه الشهوات تدفعه إلى مكروه وإلى ما لا يحبه الله تعالى فإنه لا يُخفّ إليها ، لا يخف إلى المكروه في الدين ، بل يحجز نفسه ويملكها ، ويمسك بزمامها ويصرفها إلى الحق والخير ، ولو كان الخير ثقيلا على النفس ، معلوم أن الطاعات تكون ثقيلة على كثير من النفوس ، وإن كانت خفيفة على أهل الخير ، فقد ذكر الله تعالى: أن الصلاة ثقيلة في قوله تعالى: ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ يعني: ثقيلة إلا على الخاشعين .

بعد ذلك يوصيكم بقوله: " فتمسكوا معتصمين بحبل الله جميعا ولا تفرقوا عنه " .

كأنه يأخذ ذلك من الآية الكريمة في سورة آل عمران: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [(١)] إلى قوله: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ ﴾ [(٢)] .

التمسك: هو الإمساك القوي بالشيء الذي يكون سببا في نجاته . والحبل في الأصل: هو الخيط الذي يدْلَى به الدلو ، يفتل من ليف أو نحوه ، يدلَّى في الآبار ويغترف به الماء ونحوه ، وقد يكون هذا الحبل سببا في الخروج من الأزمات ومن المهالك ومن الحفر والدركات النازلة ونحو ذلك ، فشبه الله تعالى القرآن والسنة والدين بالحبل الذي دلي من السماء .

روي في بعض الأحاديث: ﴿ أن رجلا قال: يا رسول الله ، إني رأيت حبلا دلي من السماء فصعدتَ فيه أنت حتى علوت ، ثم صعد به رجل بعدك حتى ارتفع عليه ، ثم صعد به رجل ثالث فارتفع ، ثم صعد به آخر فانقطع ، ثم إنه عُقد فصعد به حتى ارتفع ﴾ فأولوا ذلك بالخلفاء الثلاثة بعده ، وأنه في عهد عثمان قطع عليه ، حيث إنه عاقه هؤلاء الذين عاقوه وعابوه . فجعل الحبل حبلا واضحا حسيا ، وفي الحقيقة أنه حبل معنوي بمعنى أنه وسيلة إلى الصعود ، كأنما دلي حبل من السماء ، وأن الذي تمسك به يصعد به ، يجر إلى أن يصعد إلى الدرجات العالية.

---

١ - سورة آل عمران آية : ١٠٣.

٢ - سورة آل عمران آية : ١٠٥.

فلذلك قال: تمسكوا به . ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [1] فيأمرنا بالتمسك يعني إمساكه باليدين بقوة والاجتماع على هذا الحبل وعدم التفرق ، معتصمين بحبل الله جميعا ولا تفرقوا.

ثم بعد ذلك يقول: " واعلموا أن الله تعالى أوجب محبته ومغفرته لمتبعي رسوله ﷺ في كتابه " .

يعني: أوجب لهم محبته ، وأوجب لهم مغفرته ، يعني إذا اتبعوا رسوله فإنه يحبهم ويغفر لهم ، كما ذكر في الآية الآتية .

" وجعلهم الفرقة الناجية والجماعة المتبعة " .

يعني: الذين اتبعوا رسول الله ﷺ هم الفرقة الناجية ، وهم الجماعة المتبعة، الفرقة الناجية من ثلاث وسبعين فرقة ، يقول في وصفهم: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي وأتباعي . أصحابه: يعني اتباعه وصحابته فمن كان على مثل ما هو عليه فإنه من الفرقة الناجية ، وكذلك الجماعة المتبعة، قد ثبت في بعض الروايات أنه قال: ﴿ كلهم في النار إلا واحدة وهي الجماعة ﴾ .

وفسروا الجماعة: بأنهم المجتمعون على الحق ، المجتمعون على الخير ،وهؤلاء حقا هم جماعة الإسلام وجماعة المسلمين ، وقد سبق أن أشرنا إلى الأدلة على ذلك .

" فقال ﷻ لمن ادعى أنه يحب الله ﷻ ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ ﴾ [2] " .

خطاب لمن ادعى أنه يحب الله وليس بصادق .

ذكروا أن هذه الآية نزلت ردا على اليهود والنصارى الذين يدعون أنهم أحباب الله ، حكى الله تعالى ذلك في سورة المائدة ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ ﴾ [1] يعني: الذين نحبه ويحبنا ، ﴿ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ ﴾ [2] .

---

١ - سورة آل عمران آية : ١٠٣.

٢ - سورة آل عمران آية : ٣١.

فلما ادعوا هذه الدعوة كان ولا بد من تضليلهم ، أو من امتحانهم، فامتحنوا بهذه الآية في سورة آل عمران ، وهذه الآية تسمى آية المحنة ، هذا هو الصحيح ، بعضهم يسميها آية المحبة ، والصواب أنها آية المحنة ، يعني: أن الله تعالى امتحن بها من ادعى أنه يحبه، فأخبره وجعل لمحبته علامة فقال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (٣) .

إذا كنتم صادقين في أنكم تحبون الله فإن لمحبة الله تعالى علامة، وهي اتباع رسله وخاتمهم محمد ﷺ فحقِّقوا الاتباع حتى تكونوا صادقين في هذا الادعاء .

أما مجرد الدعوة أنكم تحبون الله ، ومع ذلك لا تتبعون رسله ولا تطيعونهم فإن هذه دعوى ، والدعاوى أن لم يقيموا عليها بينات أربابها أدعياء .

فلا بد أن تقيموا عليها البينة ، هذه البينة جعلها الله تعالى اتباع رسوله –صلى الله عليه وسلم.

والاتباع ليس هو مجر القول ، فإن كثيرا من الناس يقولون: نحن نحب الله ، ونحن نحب الرسول. ثم نقول لهم: لماذا لا تتبعونه ؟ فيقولون: نحن متبعون له ، نحن مطيعون له ، فيقال: قد نقصتم في الاتباع وقد قصرتم فيه ، وقد فاتكم كذا وكذا ، وارتكبتم كذا وكذا ، ليس هذا هو –حقا– الاتباع الواجب .

الاتباع الواجب هو أن تتمسكوا بسنته ، وأن تطيعوه في كل جليل ودقيق حتى تكونوا صادقين في أنكم من اتباعه .

قد رتب الله على اتباعه الهدى ، قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (٤) .

فإذا رأيت مثلا الذي يسمع قول النبي ﷺ ﴿ اعفوا اللحى ﴾ ومع ذلك يحلقها فقل له: أين الاتباع ؟ لم تكن من المتبعين حقا . إذا رأيت الذي يطيل اللباس ويجر لباسه خيلاء فقل له: ألم يقل النبي ﷺ ﴿ لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء ﴾ ؟

---

١ – سورة المائدة آية : ١٨.

٢ – سورة المائدة آية : ١٨.

٣ – سورة آل عمران آية : ٣١.

٤ – سورة الأعراف آية : ١٥٨.

أين الاتباع؟ أين الموافقة أين الطاعة ؟ وهكذا إذا رأيت الذي يتكبر ويفتخر بأعماله أو يفتخر بجاهه وبمنصبه قل له: ألست تسمع قول النبي ﷺ ﴿ لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ﴾ ؟ أين الطاعة ؟ أين الاتباع ؟ إذن لست حقا من المتبعين له ، الأمثلة كثيرة .

نقول كذلك في جميع المعاصي ، الذين يعصون الرسول ﷺ وكذلك أيضا في جميع ترك الطاعات ، الذين يتركون الطاعات ، وهم مع ذلك يقولون: نحن نتبع الرسول ، ونحن من أمة محمد ، ونحن من أهل شريعته ، فنقول: لم تحققوا هذا الانتساب والانتماء ، ولم تحققوا ما ادعيتم من أنكم تحبون الله ورسوله .

ذكر بعض السلف أنه قال: من ادعى محبة الله ولم يوافقه فدعواه باطلة . متى تكون دعواه صحيحة ؟ إذا وافق أوامر الله وأوامر رسوله وسئل بعضهم ... سئل ذو النون المصري -من التابعين- فقيل له: متى أحب ربي ؟ فقال: إذا كان ما يبغضه أمرّ عندك من الصبر . الصبر هو هذا المر ، مر المذاق، يعني: إذا كانت المعاصي أمرّ عندك من الصبر ، ولو كانت مثلا تشتهيها النفوس وتندفع إليها ، ولكنك تكرهها ؛ لأن الله تعالى حرمها .

ومعلوم أن الإنسان إذا كانت المعاصي عنده كريهة كانت الطاعات عنده لذيذة وسهلة ومحبوبة يحبها ؛ لأن ربه تعالى أمر بها ؛ ولأنه حببها إلى عباده ، الله تعالى حبب إلى عباده الطاعات ، وكره إليهم الكفر ، كما في قول الله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ ﴾ (1) .

حببه إليهم فصار لذيذا عندهم ، ولو كانت ثقيلة تلك العبادات ، وقد ثبت أن النبي ﷺ جعل لمحبة الله تعالى علامة، وهي مأخوذة من هذه الآية: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ﴾ (2) .

---

١ - سورة الحجرات آية : ٧.

٢ - سورة آل عمران آية : ٣١.

في الحديث الصحيح يقول: ﴿ ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار ﴾ .

فجعل هذه الثلاث علامات على صدق المحبة وعلى صدق الإيمان ، وعلى حلاوته ، ﴿ من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ﴾ .

ومعناه: أنه إذا أحب الله ورسوله فلا بد أن يطيعه ولا بد أن يمتثل أوامره ، فإذا لم يفعل فدعواه كاذبة ؛ ولذلك يقول بعضهم:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه … هذا عجيب في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته … إن المحب لمن يحب مطيع

فالمحبة الصادقة تستلزم طاعة المحبوب وموافقته واتباع ما أتى عنه، هذا -حقا- هو علامة محبة الله ، علامة من يحب الله تعالى ويحب رسوله ، جعل الله تعالى لاتباع الرسول فائدتين في هذه الآية: ﴿ فَٱتَّبِعُونِى يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [1] ثم قال بعدها: ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [2] .

فائدتان عظيمتان لمحبة الله تعالى ولمحبة رسوله . هاتان الفائدتان لا يقدر قدرهما إلا الله ، الأولى: ﴿ يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [3] والثانية: ﴿ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ ﴾ [4] ما أعظمها من فائدة! . كل منا يود أن الله

١ - سورة آل عمران آية : ٣١.

٢ - سورة آل عمران آية : ٣٢.

٣ - سورة آل عمران آية : ٣١.

٤ - سورة آل عمران آية : ٣١.

تعالى يحبه ، ويود أن الله يغفر له ، فما أسهل سبب ذلك! السبب الذي تحصل به على محبة الله تعالى وعلى محبة رسوله يسير ، هو في هذه الآية: ﴿ فَٱتَّبِعُونِى يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ﴾ (1) .

لا شك أن من أحبه الله تعالى فإنه يوفقه لكل خير ويسدد خطاه ويرشده ويثبته، فلا يميل إلى معصية ،ولا يفعل ذنبا ،ولا يخل بطاعة، بل تكون أفعاله كلها من الطاعات .

وقد استُدل على ذلك بالحديث القدسي الذي صحح البخاري ، وهو قوله ﷺ حكاية عن الله: إن الله قال: ﴿ من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ﴾ في بعض الروايات: ﴿ فبي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءلته ، ولا بد له منه ﴾ .

فالشاهد أن الله جعل في هذا الحديث التقرب بالنوافل بعد الفرائض سبب لمحبة الله تعالى للعبد ، يعني: ما بينك وبين أن تكون من أحباب الله إلا أن تتقرب إليه بالنوافل بعد الفرائض .

المحافظة أولا على الفرائض ، يعني على ما فرضه الله تعالى من العبادات كالصلوات والصدقات والزكوات والصوم والحج وما أشبه ذلك ، وكذلك التقرب إلى الله بترك المحرمات كلها ، والابتعاد عنها، هذا هو الأول ، وبعد ذلك تتقرب إلى الله تعالى بالنوافل ، بترك المكروهات ، وبفعل المستحبات التي رغب الله تعالى فيها وأحبها.

نوافل الصلوات كثيرة: صلاة الليل ، وصلاة الضحى ، والرواتب وما أشبهها ، نوافل الأذكار التي تفعل في خارج الصلاة ، الذكر والدعاء والتسبيح والتكبير والتحميد وما أشبه ذلك نوافل ....

١ – سورة آل عمران آية : ٣١.

قراءة القرآن ، منها واجب كما في الصلاة ، ومنها مسنون وهو القراءة خارج الصلاة . كذلك نوافل الصدقات ، ونوافل الصيام، ونوافل الجهاد ، ونوافل الحج ، ونوافل القربات وما أشبه ذلك ، كل هذه تسمى تطوعات ، ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ﴾ .

ذكر أنه إذا تقرب بهذه القربات فإن الله يحبه ، ثم بعد أن يحبه تحصل له هذه الفائدة ، وهو أن تكون حركاته كلها فيما يريده الله وفيما يحبه ، فلا يتكلم إلا بطاعة، ولا يستمع إلا إلى خير ، ولا يمشي إلا في حسنات وفعل طاعات ولا يعمل بيديه إلا بما يرضيه ربه سبحانه ، ولا ينظر بعينيه إلا إلى شيء يفيده وينفعه ، فيكون الله تعالى قد وفقه لما أنه أحبه .

ومعلوم أن محبة الله تعالى لها أيضا مكملات ، فمحبة الله لا شك أنها واجبة ، وكذلك محبة رسوله -عليه الصلاة والسلام- وعلامتها: أن يبغض كل ما يشغله عن طاعة الله ، ذكروا ذلك في تفسير الآية في سورة التوبة ، قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾ [1] .

يعني: إذا أصبتم هذه الأصناف الثمانية وقدمتموها على محبة الله ومحبة رسوله ومحبة الجهاد في سبيله فتربصوا: انتظروا ما يحل بكم ، فقد قدمتم ما ليس بمقدم ، وقد فضلتم ما ليس بفاضل ، وقد أحببتم عرض الدنيا ، وقدمتموه على محبة الله تعالى ومحبة رسوله ومحبة ما يحبه الله تعالى .

فعُرف بذلك أن هذه الخصلة التي هي قوله: ﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [2] تعالى: أن فيها أجر كبير ، وأن الذي تحصل له محبة الله يحصل له الخير الكثير .

ذكروا في الحديث الذي في قصة خيبر لما قال ﷺ ﴿ لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ﴾ حرص كل منهم على أن يكون هو الذي يأخذ الراية ، كلهم

١ - سورة التوبة آية : ٢٤.

٢ - سورة آل عمران آية : ٣١.

يقولون: نحن نحب الله ورسوله ، ولكن نريد الخصلة الثانية: هي أن الله يحبنا وأن رسوله يحبنا ، من حصلت له هذه الخصلة فقد حصلت له الرتبة العالية ؛ ولذلك بات الناس يخافون... أيهم يعطاه ؟ يعني: يتمنى كل منهم ، حتى قال عمر: ما تمنيت الإمارة إلا يومئذ . أراد بذلك أن يكون من الذين يحبهم الله ورسوله .

فعرفنا بذلك أن من أحبه الله تعالى ورسوله فقد أراد به خيرا ، وأما الخصلة الثانية وهي المغفرة: ﴿ يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ ﴾ (1) فهي أيضا خصلة عظيمة ، خصلة نافعة وما ذاك إلا أن الذي يحصل على مغفرة الله تعالى لذنبه يفوز بالدرجات العلى ، أو بالأجر العظيم .

وإذا قال قائل: أنا لست مذنبا فكيف تغفر ذنوبي ؟ نقول: ﴿ كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ﴾ ليس أحد منا إلا وعليه ذنب أو ذنوب ، ليس أحد يأتي يوم القيامة إلا وعليه ذنوب ، وقد كان النبي ﷺ يعد من الذنوب الغفلة عن ذكر الله تعالى ، فيبادر بعد ذلك إلى الاستغفار .

يقول ابن عمر –رضي الله عنهما–: ﴿ كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد: ربي اغفر لي وتب علي ، إنك أنت التواب الرحيم مائة مرة ﴾ يقول: ربي اغفر لي والله تعالى قد غفر له ، ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (2) ولكن يعد الغفلة ذنبا ، فيقول في بعض الأحاديث: ﴿ إنه ليران على قلبي وإني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ﴾ .

ومعنى قوله: ﴿ يران على قلبي ﴾ يعني: يأتي لقلبي غفلة شيء من الغفلة عن ذكر الله تعالى ، فجعل هذه الغفلة ذنبا فبادر بعدها إلى الاستغفار ، فنحن أولى بالاستغفار ، ونحن أولى بطلب المغفرة، وبالإتيان بأسبابها ، فما أكثر غفلتنا ! وما أكثر سهونا ولهونا ! وما أكثر الخطايا التي نتحملها ! يتحمل الإنسان خطايا بلسانه وخطايا بعينيه وخطايا بسمعه وبصره وبيديه وبرجليه وبفرجه وبمأكله وبمشربه وبأعماله وغيرها .

---

١ – سورة آل عمران آية : ٣١.

٢ – سورة الفتح آية : ٢.

فهذه الخطايا وهذه الذنوب تحتاج منه إلى طلب المغفرة إلى أن يتوب إلى الله تعالى وهو صادق في أن يغفر له وإلى أن يأتي بالأسباب التي تجعله من أهل المغفرة ، ومن جملتها الاتباع ﴿ فَٱتَّبِعُونِى يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ ﴾ (1) .

والغفر: أصله الستر والمحو ، ستر الذنوب وإزالة آثارها ، ومنه سمي المغفر الذي يلبس على الرأس في الحرب ؛ لأنه يستر الرأس؛ ولأنه يكون سببا في ستر الذنوب ، أي ستر الرأس من السلاح ونحوه .

فالحاصل أنا إذا قرأنا هذه الآية عرفنا أهميتها ، وعرفنا أن الإنسان عليه أن يحقق الاتباع للرسول ﷺ حتى يكون من أهلها .

وهذا آخر ما يتعلق بهذه الرسالة ، والله أعلم . وصلى الله وسلم على محمد .

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد ...

س: فهذا سائل يقول: فضيلة الشيخ ، ما حكم إجابة دعوة من دخله حرام خالص ، أو مختلط بحرام ، أو مشتبه فيه ؟

ج: يفضل للإنسان أن يتره نفسه عن الغذاء الذي فيه شبهة ، ولو كان من غيره ، وأن لا يدخل بطنه إلا الشيء الذي يتحقق أنه حلال ، فمثل هؤلاء الذين في أكلهم أو في كسبهم حرام أو شبه حرام يفضل عدم إجابة دعوتهم ، وأكل طعامهم ، وقبول هداياهم وعطاياهم ، نقول: يفضل ، ولا نقول: حرام ، بل لا يصل إلى درجة الحرام، والدليل عليه أن النبي ﷺ كان يجيب دعوة اليهود ، كثير من اليهود يدعونه ويهدون إليه فيأكل عندهم ، مع أن ذكر أنهم يأكلون الربا ، ويأخذون أموال الناس في قوله تعالى: ﴿ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ ۚ ﴾ (2) .

---

١ – سورة آل عمران آية : ٣١.

٢ – سورة النساء آية : ١٦١.

فهذا مما يدل على أنه يجوز ، ويكون الإثم على المكتسب ، وكذلك كان يقبل الهدايا من رؤساء الكفر ، يعني: قبل الهدايا من رؤساء الكفر كالمقوقس وغيره من السلاطين ، قبل هداياهم وجعل إثم كسبها عليهم .

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، نخبرك أننا نحبك في الله ، ثم إننا مجموعة من الشباب أتينا لحضور هذه الدورة ، ونحمد الله على أن وفقنا لذلك ، ولكن المشكلة أنه لا يوجد في بلدنا علماء ولا طلبة علم نتعلم على أيديهم ؛ ولذلك نخشى على أنفسنا الضياع ، أرشدونا حفظكم الله ونفع بعلمكم .

ج: في هذه الأزمنة -والحمد لله- تيسرت الوسائل التي يحصل بها العلم ، فلم تعد مقتصرة على تلقيه عن طلبة العلم أو العلماء ، بل هناك وسائل كثيرة توصل إلى العلم ، مع أننا نقول: لا يخلوا -والحمد لله- بلد من علماء .

العلماء الذين في بلدكم هذه التي تدّعون قد يكونون أكبر رتبة ومنزلة من العلماء الكثيرين في عهد الرسول الذين أسلموا وتعلموا شيئا يسيرا من العلم وصاروا علماء .

ثم نقول لكم: أولا: عليكم بإرشادات العلماء في كل زمان وفي كل مكان ، وعليكم باقتناء كتب السلف والعلماء الربانين الذين هم الأسوة والقدوة في سلف الأمة ، وكتبهم متوفرة -والحمد لله.

وكذلك عليكم بالاتصال بالعلماء هاتفيا مثلا ، أو مكاتبة وتسترشدون منهم فيرشدونكم إلى اقتناء ما يزيل عنكم الجهل ، وما تتمكنون به من العلم بواسطة الكتب والرسائل أو الأشرطة والنشرات وما أشبهها ، أو بعضكم من بعض.

فأنا أعتقد مثلا أنكم أيها الأخوة الحاضرون حضرتم هذه الدورة واستفدتم منها ، سمعتم ما يتعلق بالحديث ، وما يتعلق بالأصول ، وما يتعلق بالعقائد ، وما يتعلق بالتوحيد، وما يتعلق بالنحو ، هذا الذي استفدتموه تعدون ذلك ذخرا ، ذخيرة تتدارسونها فيما بينكم، وتنشرونها مع زملائكم وإخوانكم في بلادكم ، وترجعون أيضا بما تيسر من هذه الكتب التي تزودتموها ، وتقرءونها في مجالسكم ، وتفيدون بها إخوانكم ، وبذلك تحصلون على فائدة ، كبيرة فتفيدون وتستفيدون .

س: وهذا يقول: هل يجوز للمرء أن يدعو لقريب له مات وهو يدعو الأموات ويطوف بالقبور ؟

ج: يكِل أمره إلى الله ، ما دام مات وهو على هذه الحال ولو كان جاهلا ، فالله تعالى نهى عن الاستغفار للمشركين ، ولا شك أن مثل هؤلاء يعتبرون مشركين، ماتوا وهم على الشرك ، فلا يجوز أن يدعى لهم لقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ ﴾ [1] .

وهذا يقول: فضيلة الشيخ، يقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ ﴾ [2] ما المقصود بالاستثناء هنا ؟

ج: هذا مما استأثر الله بعلمه ، تكلم العلماء فيه ، وليس لنا أن نخوض في هذا الشيء بلا بينة ، وقد تكلم عليه ابن القيم في "حادي الأرواح" وأطال الكلام عليه ، وكذلك العلماء وجمهورهم على أن الجنة والنار أبديتان لا تنقطعان ولا تفنيان ، وهذا هو الذي عليه أهل السنة .

ج: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، ما قول السادة العلماء في حديث الأعمى الذي رواه الترمذى في التوسل ؟ وما ردهم على من يقول بأن توجيهه: أن النبي ﷺ إنما أرشده إلى التوسل بدعائه: توجيه لا يستقيم ؛ لأنه ورد في هذا الحديث المذكور بلفظ ﴿ فقل: اللهم إني أتوسل إليه بنبيك ﴾ الحديث . أفيدونا مأجورين ؟.

ج: تأويل بعيد ؛ وذلك لأن النبي ﷺ لا بد أنه دعا له ، دعا له بأن يُشفى ، وأن يرد الله عليه بصره ، ثم أمره بأن يدعو أن يتقبل الله تعالى دعوة نبيه ، فقوله: اللهم إني أدعوك وأتوسل إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوسل بك إلى ربي في حاجتي تقضى . المراد: أتوسل بدعائك الذي دعوته أرجو الله أن يقبله حتى تقضى حاجتى .

فهذا هو -حقا- المعنى الصحيح ؛ ولهذا كان ذلك من خصائص هذا الأعمى ، ولو كان كما يقول هؤلاء القبوريون الذين يبيحون دعوة الأموات أو دعوة الرسول لاستعمل هذا الدعاء كل من فقد البصر

---

١ - سورة التوبة آية : ١١٣.

٢ - سورة هود آية : ١٠٧.

فعاد إليه بصره ، كما عاد إلى ذلك الأعمى ، فلما وجد من استعمله فلم يُستجب له ، دل على أن استعماله بعد موت النبي ﷺ لا يجوز ، وأنه خاص بحال حياته .

س: وهذا يقول: يستدل من ينكر علم الله بقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [1] الآية . فكيف نرد عليهم؟ .

ج: تفسر هذه الآية: بأن المراد ظهور معلومات الله ، ظهور معومه ، قال الله تعالى: ﴿ جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ﴾ [2] الله تعالى عالم قبل أن يصرف الكعبة بمن يتبع الرسول ومن لا يتبعه ، وكذلك هذه الآية ، ولكن المراد يظهر معلوم الله ، حتى يظهر من علم الله أنه يتبعه أو من علم الله أنه لا يتبعه ، يظهر ذلك عيانا ، ويبرز للناظرين ، فالله تعالى بكل شيء عليم ؛ ولأجل ذلك يذكر في كثير من الآيات سعة علمه ، كما في قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [3] .

يعني: إن علم ذلك على الله يسير ، ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ ﴾ [4] والآيات كثيرة .

س: هذا يقول: فضيلة الشيخ، هل يُشرع لنا أن نصلي صلاة الشكر في جماعة شكرا لله على أن منّ علينا بهذه الدورة ، وما هي حقيقته؟

ج: ما أذكر: صلاة الشكر إنما ورد سجدة تكون عند تجدد النعم واندفاع النعم ، ولكن إذا أراد الإنسان أن يتعبد ويحمد الله تعالى ويصلي له سواء منفردا أو مع جماعة شكرا لله على أن وفقه وأعانه وسدده ورزقه علما وعملا ، فالعمل الصالح ليس له حد محدود .

---

١ – سورة محمد آية : ٣١.

٢ – سورة البقرة آية : ١٤٣.

٣ – سورة الحديد آية : ٢٢.

٤ – سورة يونس آية : ٦١.

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ، درج أهل بلدنا في شهر رمضان على ذبح الذبائح ، كل منهم يذبح ذبيحة أو ذبيحتين صدقة على والديه ، ويدعو جيرانه وأقاربه عليها ، ويستمرون على هذا طوال شهر رمضان ، كل ليلة عند واحد منهم. فما رأيكم حفظكم الله ؟

ج: نرى أن هذه شاة لحم، وليست صدقة ، ما دام أنه يدعو جيرانه وأقاربه ونحو ذلك ، وإنما الصدقة ما أعطي للفقراء والمستحقين والمساكين ونحوهم ، فأما إذا ذبح شاة ودعا عليها إخوته وأقاربه وأحبابه وزملاءه وجيرانه فهؤلاء غالبا ليسوا فقراء ، فهو ما أراد بذلك إلا أن يتوسع في الأكل معهم ، وأن يجتمعوا على المآكل ، كل ليلة عند أحدهم أو نحو ذلك ، فمثل هذا يعتبر كرامة ولا يعتبر في الظاهر صدقة .

ج: وهذا يقول: فضيلة الشيخ ، ما رأيك في رجل طبع كتيبا ونشره دون إذن المؤلف ، علما أن هذا الرجل ما دفعه لطبع الكتيب ونشره إلا لما أثقلت كاهله الديون ؟

ج: بكل حال ينبغي أنه لا يتجرأ على شيء من كتب الغير إلا بإذنه، فإذا رأى مثلا أن صاحب الكتاب الذي طبعه لا يعتب عليه وأنه سوف يوافق على طبعه له ونشره له وبيعه وأخذ شيء من قيمته ليوفي به ديونه ، فلعله جائز ، وعلى كل حال هذه أيضا تختلف ، فإذا كان الكتاب الذي طبعه منع صاحبه طبعه إلا وقفا لله تعالى فلا يجوز طبعه وبيعه وجعله تجارة ، وإذا كان صاحب الكتاب الذي ألفه منع أن يطبع إلا بحقوق الطبع -كما يكتب على كثير منها- فلا يجوز لأحد طبعه إلا أن يعطيه حق الطبع .

وأما إذا رأى أن هذا الكتاب أو هذا كتيب مفيد وأن الناس بحاجة إليه وأنه قليل الوجود ، وأن صاحبه لم يحتفظ بحق الطبع ، وكان له قصد أن يحصل على فائدة من طبعه يوفي بها دينه ، فلعل ذلك مما يباح .

س: وهذا يقول: فضيلة الشيخ ، هل من كلمة لأولئك الشباب الذين يحضرون مثل هذه الدورة ثم ينقطعون بعدها إلى مجالسهم مفتين معلمين ؟

ج: ننصحهم ونقول لهم: إنكم قد حملتم علما جمّا ، وقد حصلتم على خير كثير من هذه العلوم التي تلقيتموها في عشرين يوما أو نحوها ، فهذه العلوم التي تحملتموها... كذلك أيضا تحملتم غيرها في سابق أعماركم وإيامكم قد أصبحت أمانة في أعناقكم ، حملتم هذا العلم ، فعليكم أن تبلغوه إذا رجعتم إلى البلاد التي تقيمون بها ، سواء كانت تلك البلاد بحاجة إلى تلك العلوم ، بحاجة ماسة أو ليست بحاجة ، ولكن قد ثبت أنه ﷺ حرص على البلاغ بقوله: ﴿ ليبلغ الشاهد منكم الغائب ﴾ .

وحث على أن يبلغ ما تحمله الإنسان وقال: ﴿ نضَّر الله امرأ سمع منا حديثا فوعاه وبلغه كما وعاه ﴾ أو كما في الحديث .

فنوصيكم بأن تكونوا معلمين ومرشدين لكل من اتصلتم به واجتمعتم به وعرفتم أنه بحاجة إلى شيء من الفائدة ، أو شيء من العلوم، وليس ذلك خاصا بحالة دون حالة .

إذا ركبت مثلا سيارة وتكلمت بفائدة مما استفدته أو مما عرفته فأفدت الحاضرين معك كان ذلك من جملة البيان والتبليغ . إذا جلست في مجلس خاص أو مجلس عام فيه كبار أسنان أو صغارهم أو متوسطهم وابتدأت تحدثهم وتشرح لهم حديثا أو تفسر لهم آية مما قد تحقق معناه وعرفته معرفة جيدة وعرفت مدلوله كان في ذلك بيان وتبليغ لما تحملته ولما علمته .

إذا رأيت أحدا من السفهاء أو من الجهال يفعل منكرا عن جهل فأرشدته وبينت له وأقمت عليه الحجة وذكرت له الدليل ورجع إلى نصيحتك كنت على خير ، وكان لك أجر في ذلك .

وهكذا فمذاكرة هذه العلوم وتكرارها وتردادها سبب في بقائها ، وسبب أيضا في الانتفاع بها ، أما الذي يتعلم هذه المعلومات ثم بعد ذلك ينطلق إلى بلاده ويسكت عما تعلم ولا يكرر شيئا ولا يذكر شيئا من العلوم ولا يدعو إليها ولا يكررها فإنها سرعان ما تذهب من ذاكرته ، ويذهب جهده بلا فائدة ، جهدك الذي تعلمته وبذلته وأقمت في هذه المدة لتتعلم أو في غيرها سرعان ما يذهب وتنسى ما تعلمته إذا لم تردده و لم تتذكره .

وبكل حال فإن العلوم التي يتعلمها الإنسان أمانة في عنقه ، عليه أن يعمل بها ، وعليه أن يدعو إليها ، وعليه أن يزيد في تعلمها وتذكرها؛ فإن ذلك سبب في التوسع ، العلم وتعلمه سبب في توسيعه ، كما ورد في بعض الآثار: أن من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، ويقول الشاعر في وصف العلم:

يزيـــد بكثرة الإنفاق منه ويـنقـــص إن به كفّا شددت

فاجتهدوا في البيان والتعليم للعلم الذي تحققتموه . أما الشيء الذي أنتم فيه على شك فلا تنشروه إلا بعد أن تتثبتوا أنه صحيح ، وأنه كما تعلمتم ، فإن الإنسان قد يتوهم شيئا فيذكره وينقل عنه ويظهر أنه خطأ ، أو فيه شيء من الخلل فيكون قد تكلم بغير علم .

نفعنا الله بعلمكم ، وأثابكم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى صحبه أجمعين .